STARDOM ACADEMY
S D A
مركز ستاردوم للدراسات والأبحاث العلمية
Stardom Center for Scientific Studies and Research

مجلة ستاردوم

للدراسات الإنسانية والاجتماعية

Stardom Journal of Human and Social Studies SJHSS

مجلة علمية محكمة تصدر عن أكاديمية ومركز ستاردوم
للدراسات والأبحاث العلمية ا العدد الأول - لعام 2023

رقم الايداع الدولي: 2645

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المشرف العام لمجلة ستاردوم

- يعتبر البحث العلمي ركيزة أساسية من ركائز أي صرح علمي متين، وهو دليلُ على مدى وعي ونضوج أصحاب هذا الصرح في سبيل خدمة مجتمعاتهم من خلال معالجة قضايا تلامس واقعاً مُعاش وموجود، ويتطلب تحقيق أهداف البحث العلمي إلى تشجيع التواصل العلمي بين الباحثين خاصةً إذا كانت المجلة تتيح المجال للباحثين من مختلف البلدان والثقافات.
- وهذا ما تركز عليه المجلة، والتي تصدر عن جامعة ستاردوم، وإننا إذ نفتح المـجال للباحثين والباحثات للمشاركة في المجلة من خلال أبحاث ومواضيع نوعية ومتميزة لم يطرقها أبواب البحث العلمي.
- ولهذا ومن خلال إصدار العدد الأول، لأول مجلة علمية من سلسلة مجلات ستاردوم، فإننا ندعو جميع الباحثين والمهتمين للمشاركة معنا، والباب مفتوح للجميع .
- **ختاماً:** نتمنى أن تكون موضوعات العدد الأول للمجلة مفيدة، وتطرق وتلامس مجالات اهتمام الجميع.

د. ميسون محمد النباهين

المشرف العام

هيكلية أكاديمية ستاردوم للدراسات الإنسانية والاجتماعية

رئيس التحرير

د. فوزي عمر الحداد - ليبيا

نائب رئيس التحرير

أ.د نبيل أبو رفاعي - مصر

مدير التحرير

د. امحمد واحميد - المغرب

المدقق اللغوي

د. محمود زياد - فلسطين

عضو هيئة تحرير

د. موسى سرور - فلسطين

د. أمين محمد الجبر- اليمن

د. عبد الشكور يوسف سحاق - نيجيريا

د. خالد حسين أبو عمشة- الأردن

د. أحمد محمد مزهار - المغرب

د. عبد الرحمن فادقا - غينيا

عضو لجنة علمية

أ. د. صبري فوزي أبوحسين - مصر

أ. د. علي الشريف - مصر

أ. د. مسعود حسين التائب - ليبيا

أ. د. فاطمة محمد المهدي - مصر

أ. د. نفيسة دويدة - الجزائر

أ. د. جهاد يوسف العرجا - فلسطين

أ. د. مصطفى محمد السواحلي - سلطنة بروناي

د. خالد محمد التوزاني - المغرب

أ. د. رياض مصطفى شاهين - فلسطين

أ. د. مرفث صدقي عبد الوهاب - مصر

أ. د. موسى عبدالحفيظ - الجزائر

أ. د. علي عبدالله محمد - مصر

د. اماني حارث الغانمي - العراق

د. أيمن غباشي زغيب - السعودية

د. محمود علي عبدالله - مصر

د. علي عبد الهادي الكرخي - العراق

د. حكيم دهيمي - الجزائر

عناوين الأبحـــاث

- شخصية الإنسان الكامل في فكر الأستاذ سعيد النورسي، د. نفيسة دويدة
- الدور الإعلامي والتثقيفي للصحافة العثمانية في اليمن 1872 - 1918م، أ.د. أمين محمد الجبر
- العدالة الجندرية للريفيات بقطاع الزراعة بالمنطقة العربية في ظل التغيرات المناخية، أ.د مرفت صدقي عبد الوهاب
- استثمار المعجم التاريخي الإلكتروني في تعليم وتعلم اللغة العربية وثقافتها: (المعجم التاريخي للغة العربية بالشارقة نموذجا)، د. عماد الفـزازي، د. أحمد بوعنان
- تحقيق المستشرق تشارلس لايل(ت1920م) ديوانَ عامرِ بنِ الطُّفَيْلِ(ت11هـ): "دراسة تحليلية - نقدية"، د. صبري فوزي أبو حسين
- الأحوال الطبية والصحية بالمشرق الإسلامي (21-617هـ/642-1220م)، د. رياض نعيم ابراهيم أبورزق
- أسباب وانعكاسات هجرة الشباب الفلسطيني للخارج خلال الفترة (2000-2022م)، د. ياسـر محمـــد علي لوز، أ. أسماء محمد حسونة
- قراءة في آراء المؤرخين حول الحدود المصرية الشامية في العهد المملوكي، د. نسيم زريق أبوشلوف
- التشكيل الفني والأدبي في القصـة القصيـرة لأدب المعتقلين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية "عروسان في الثلج" و"مدفن الأحياء" نموذجا، د. محمود موسى زياد
- جمالية الأسلوب في قصائد بللو خليفة النيجيري (دراسة في الأساليب الشعرية)، د. عبد الشكور يوسف إسحاق
- HOUSEHOLD WORK DIVISION IN DUAL-EARNER FAMILIES - BOUCHRA EL KEMMA
- EXPLORING MAJOR MODELS OF COMMUNICATIVE COMPETENCE - ABDERRAZAK EL KEMMA

1. مجالات المجلة وشروط النشر

. مجالات النشر:

مجلة ستاردوم للدراسات الإنسانية والاجتماعية مجلة علمية دورية محكّمة ومتخصصة، يشرف عليها مركز ستاردوم للدراسات والأبحاث العلمية؛ تصدر أربع مرات في السنة، وتهتم بنشر الدراسات النظرية والتطبيقية، الأصلية والمترجمة، والتي تندرج ضمن مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية، وتراعي شروط البحث العلمي والأكاديمي.

شروط النشر:

1. أن تكون البحوث إضافة نوعية في مجال الاختصاص، متسمة بالجدة والجدوى والموضوعية في التناول.
2. تقبل المجلة الأبحاث والدراسات باللغتين العربية والإنجليزية، مع مراعاة شروط السلامة اللغوية والمنهجية.
3. أن تكون مستجيبة لشروط البحث العلمي والأكاديمي المتعارفة.
4. ألا تكون الدراسات قد نشرت أو تم إرسالها للنشر في أي وسيط من وسائط النشر، أو قدمت للمشاركة في فعالية من الفعاليات (مؤتمر، ندوة).
5. ألا تكون مستلّة من دراسة أكاديمية، أطروحة دكتوراه أو ماجستير، ويرفق الباحث تعهدا خطيا بذلك.
6. أن تكون معدة للنشر فقط في مجلة ستاردوم للدراسات الإنسانية والاجتماعية.
7. في حال الترجمة: ترفق الترجمات بنسخة من النص الأصلي المُترجَم.
8. يوضع عنوان البحث واسم الباحث ودرجته العلمية ومؤسسة الانتساب وعنوان بريده الإلكتروني وهاتفه الشخصي في صفحة مستقلة، ويتجنب الباحث الإشارة إلى ما يدل على شخصيته في أي موقع من صفحات البحث؛ لضمان السرية التامة في عملية التحكيم.
9. يرفق البحث بملخصين (عربي وإنجليزي) لا تزيد كلمات كل منهما عن 150 كلمة، يليهما كلمات مفتاحية (key words) لا تزيد عن خمس كلمات، لا يتضمنها العنوان، وتعبر عن مجال البحث.
10. تكتب البحوث بصيغة word وهوامش (2.5سم) وحجم الورقة (4A)؛ ويُعتمد في الكتابة بالعربية خط (Simplified arabic) حجم (14) في المتن وحجم (16) في العناوين، وحجم (12) في الهوامش، وباللغة الإنجليزية خط (Time New Roman) حجم (14) في المتن و(12) في الهوامش.

11. ألا تزيد صفحات البحث عن 25 صفحة (4A) (7000 كلمة)، وألا تقل عن 15 صفحة (4500 كلمة) بما فيها المراجع والجداول والملاحق، (علما أن الملاحق لا تنشر، وإنما هي لأغراض التحكيم).
12. أن يلتزم الباحث نظام APA في توثيق هوامش ومراجع بحثه.
13. أن تراعى في الدراسة ضوابط النشر المعتمدة من قِبل هيئة المجلة.
14. لا يسمح بإعادة نشر المواد التي تنشر في المجلة إلا بعد موافقة كتابية من مدير المجلة.
15. يُبلَّغ أصحاب المساهمات بتسلم مشاركاتهم، ولا تردّ المساهمات سواء نشرت أو لم تنشر.
16. تخضع الدراسات للتحكيم من قبل هيئة تحكيم المجلة على نحو سري.
17. يمكن لهيئة المجلة، في إطار التعاون العلمي، أن تطلب من أصحاب الدراسات المحكمة إجراء بعض التعديلات.
18. لا تتحمل هيئة المجلة مسؤولية سلامة الاقتباسات الواردة في الدراسة، ويتحمل الباحث مسؤولية أية سرقة علمية، ويوقع تعهدا بذلك.
19. يبلغ الباحث بالقرار النهائي لهيئة التحرير بقبول بحثه أو رفضه في غضون (30–60 يوما) من تاريخ استلام البحث.
20. تعتذر المجلة عن عدم النظر في البحوث التي لا تلتزم بالتعليمات وقواعد النشر.
21. تعبر الأبحاث المنشورة عن آراء أصحابها، ولا تعبر بالضرورة عن آراء هيئة تحرير المجلة.
22. يتوصل الباحث بنسخة من المجلة عبر البريد الإلكتروني بالإضافة إلى إفادة النشر.
23. ترتيب الأبحاث يخضع لاعتبارات فنية.
24. ترسل المساهمات إلى البريد الإلكتروني للمجلة.
25. النشر في المجلة مجاني إلا في حال طلب الباحث سحب بحثه، وعدم المضي في إجراءات التحكيم، فإنه يلتزم بدفع النفقات المترتبة على إجراءات التحكيم.

قالب المجلة

-العنوان باللغة العربية (الخط: **simplified arabic** حجم الخط 16، تباعد أسطر 1)

Title in English (Times New Roman; size-14; Interline 1)

الاسم الكامل للباحث الأول[1]، الاسم الكامل للباحث الثاني[2]

[1] مؤسسة الانتماء كاملة، إيميل الباحث الأول

[2] مؤسسة الانتماء كاملة، إيميل الباحث الثاني

تاريخ الاستلام: ../../.. تاريخ القبول: ../../..

مستخلص البحث:

ضع الملخص هنا (يتم الإشارة في الملخص إلى هدف البحث، إشكالية البحث، المنهج، والنتائج المتوصل إليها في فقرتين على ألا يزيد على 150 كلمة).

كلمات مفتاحية: لا تزيد عن 5 كلمات.

Abstract:

Enter your abstract here (an abstract is a brief, comprehensive summary of the contents of the article).

Keywords: Not more than 5 words.

1. مقدمة:

يجب أن تحتوي مقدمة البحث على تمهيد مناسب للموضوع، ثم طرح لإشكالية البحث وتحديد الفرضيات المناسبة، بالإضافة إلى صياغة دقيقة لأهداف البحث ومنهجيته.

2.العنوان الرئيسي الأول (حجم 16 arabic Traditionnal bold)

1.2 العنوان الفرعي الأول: (حجم 14 Arabic Traditionnal bold)

أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول.

2.2 العنوان الفرعي الثاني:

أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الثاني.

3.العنوان الرئيسي الأول

1.3العنوان الفرعي الأول:

أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول.

2.3 العنوان الفرعي الثاني:

أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول.

الجدول 1: .....

اختبار	نتيجة 1	نتيجة 2	نتيجة 3
13.01	13.01	13.01	13.01
15.11	15.11	15.11	15.11
11.14	11.14	11.14	11.14

المصدر: المؤلف(ة)، السنة، الصفحة

الشكل 1: .....

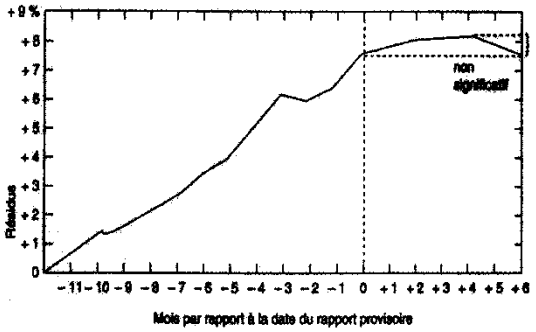

المصدر: المؤلف(ة)، السنة، الصفحة

الشكل 2: .....

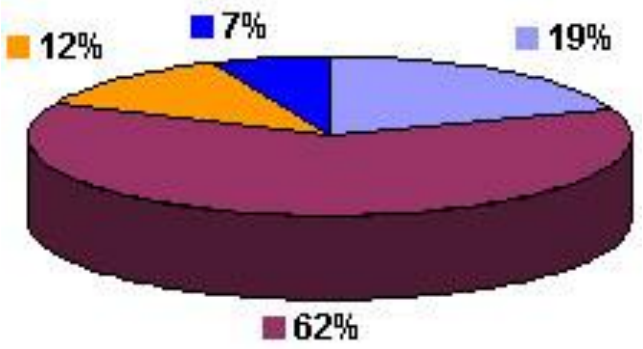

المصدر: المؤلف(ة)، السنة، الصفحة

4. خاتمة:

يوضع في خاتمة البحث تلخيص لما ورد في مضمون البحث، مع الإشارة إلى أبرز النتائج المتوصل إليها، وتقديم اقتراحات أو توصيات ذات صلة بموضوع البحث.

5. قائمة المراجع:

تكتب الهوامش في قلب النص بطريقة آلية حسب نظام(APA): American Psychological Association،

(http: //support.office.com/fr-fr/article/APA-MLA-Chicago-%E2%80%93-Mise-en-forme-automatique-de-bibliographies-405c207c-7070-42fa-91e7-eaf064b14dbb)

وذلك بذكر (المؤلف، السنة، الصفحة)، على أن تدرج قائمة المرجع في نهاية البحث كالآتي:

- المؤلفات: المؤلف(ة)، سنة النشر، عنوان الكتاب، (مكان النشر: الناشر،)؛
- الأطروحات: الباحث(ة)، السنة، عنوان الأطروحة، الكلية، الجامعة، البلد،؛
- المقالات: المؤلف(ة)، السنة، عنوان المقال، اسم المجلة، المجلد، العدد،؛
- المداخلات: المؤلف(ة)، تاريخ الانعقاد، عنوان المداخلة، عنوان المؤتمر، الجامعة، البلد؛
- مواقع الانترنيت: اسم الكاتب (السنة)، العنوان الكامل للملف، ذكر الموقع بالتفصيل وتاريخ الدخول:

http: //adresse complète (consulté le jour/mois/année)

6. ملاحق:

شخصية الإنسان الكامل في فكر الأستاذ سعيد النورسي

The complete human personality in the Nursi's thinking

د. نفيسة دويدة

أستاذة التعليم العالي

المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة الجزائر

douida2023@gmail.com

الملخص:

إن بديع الزمان سعيد النورسي يمثل بحق شاهدا على العصر؛ فقد عايش عبر سنوات حياته أحداثا دولية ومحلية كثيرة، وترك بصمته الخاصة على بعضها، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن نغفل أو نستثني أدواره البارزة على مستوى الحضور بالنسبة لتاريخ تركيا الحديث والعالم الإسلامي بالإجمال. ولا شك أن رسائل النور لوحدها كفيلة بتقديم قيمة الرجل فضلا عن أعماله وإسهاماته على أرض الواقع، وذلك بمحاولاته الإصلاحية لتغيير الأفكار والرؤى والسياسات والأنفس.

وسنحاول في هذه الدراسة فهم وإبراز التصورات الفكرية للإمام النورسي عن ملامح الإنسان الكامل الذي يمثل النموذج المثالي المطلوب لممارسة وأداء وظائفه الدينية والحياتية على الأرض كما نصت عليها تعاليم الدين الصحيح.

- **الكلمات المفتاحية:** سعيد النورسي، الإنسان الكامل، رسائل النور، تركيا.

Imam Said Nursi is one of the senior men, because he lived national and international events in his 80 years, and he contributed to some events in the history of Turkey and the Islamic world.

Risale-i-nur considered as important heritage, so we will try showing the importance vision about the features of the perfect man in Nursi's think (Throught Risale-i-nur).

Keywords: Said Nursi, The perfect man, Risale-i-nur, Turkey.

مقدمة

تعددت المؤلفات والرسائل والبحوث المنجزة عن شخصية الإمام المبدع بديع الزمان سعيد النورسي، عن سيرته الذاتية، وملامح عصره، ومراحل حياته، وغيرها، ولكن المؤكد – رغم تنوع تلك الدراسات من حيث الجوانب المتناولة، وبكل اللغات – أن ما كتبه الإمام عن تفاصيل حياته هو المصدر في ذلك، ونقصد سيرته الذاتية التي جمعها وحققها وترجمها إلى العربية الباحث إحسان قاسم الصالحي، ونشرتها دار سوزلر بتركيا والقاهرة، والتي اعتمدنا عليها بدورنا في تلخيص ملامح شخصية النورسي، وأبرز محطاتها كمدخل ضروري لفهم وتفهم آرائه عن قضايا الإنسان؛ خاصة أن التجربة الإنسانية التي يعيشها الفرد منا لا تتكرر لدى الآخرين، وأن جوهر الحياة البشرية نفسه يدور حول وجود الإنسان، وتفاعله مع محيطه وخالقه، وهذا تحديدًا ما حاول النورسي أن يوجهنا إليه. وعليه فإن الإشكالية المطروحة في هذه الدراسة تتمثل في محاولة إبراز البعد الإنساني لدى الأستاذ النورسي، وتحديد تصوراته الفكرية عن ملامح الإنسان الكامل الذي يمثل لديه النموذج المثالي المطلوب لممارسة وأداء وظائفه الدينية والحياتية على الأرض كما نصت عليها تعاليم الدين الصحيح.

وقد اعتمدنا على المنهج التاريخي التحليلي لإعادة ربط الأحداث والوقائع وتحليلها بغية الوصول إلى الحقيقة الموضوعية. وكذا منهج تحليل المضمون المطلوب عند استقراء المضامين الكثيرة في النصوص الخاصة بتراث النورسي.

أ/ التعريف بشخصية الإمام سعيد النورسي (1877–1960م):

من الضروري في البداية أن نشير إلى بضع ملاحظات تتعلق بشخصية النورسي نذكر منها أنه يمثل نموذجاً عايش وتفاعل مع العديد من الأحداث والتقلبات والانفعالات والخبرات، وبالتالي يصعب الإلمام بتفاصيل ذلك العالم الذي يختزله شخص النورسي. إضافة إلى تداخل اهتماماته وانشغالاته وتوجهاته؛ فيعجز الباحث عن تصنيفه إن كان صوفيا أو فيلسوفا، أو مصلحا مفكرا، أو مجددا دينيا. وبين أنه محافظ أو تقدمي، وهل حركته النورية عبارة عن تجمع طلبة بشيخهم، أم هي جمعية جامعة للمسلمين أينما كانوا، أو أنها مؤسسة علمية تحت قيادته تبحث في أمور الدين والدنيا؟ دون أن نغفل كثرة مؤلفاته وتنوع موضوعاتها (رسائل النور التي تزيد عن المئة والثلاثين رسالة)، والتي عكست جانبا من تجارب صاحبها وعصره.

امتدت فترة حياة الإمام سعيد النورسي إلى أزيد من الثمانين سنة، وبالتالي هي فترة مديدة، كما أنها كانت حافلة بالأحداث؛ سواء منها التي عاشها النورسي أو عايشها، حيث مرت فيها الأمة الإسلامية والعالم بتحولات كبرى أفرزت تغيرات جذرية؛ كان من أبرزها سقوط الدولة العثمانية العلية، وتفككها إلى دويلات مستقلة، ونشوء تركيا الحديثة، وإلغاء الخلافة الإسلامية، بالإضافة

إلى ظهور صراعات دولية جديدة؛ استهدفت دائرة الإسلام والمسلمين بالدرجة الأولى[1]. ودخلت كل تلك التطورات في اهتمامات وانشغالات الإمام النورسي، وكان وعيه بخطورة الوضع كافيا لكي يجند نفسه وطلابه وأتباعه في سبيل مهمة مقدسة واحدة تصب في إطار الذود عن الإسلام، ولمّ شمل المسلمين أينما كانوا، وإعادة الإيمان الصحيح إلى النفوس.

1- الأصول والتنشئة الاجتماعية والثقافية:

ولد سعيد النورسي سنة 1294هـ الموافقة 1877م. (وقيل 1873م) بقرية نورس الواقعة بمحافظة خيزان (هيزان) التابعة لولاية بتليس (بدليس) شرقي الأناضول. والده يدعى ميرزا (ميرزه)، ووالدته نورية. له من الإخوة ثلاثة هم عبد الله، محمد، عبد المجيد. ومن الأخوات ثلاث أيضا هن درية، خانم، مرجان.

من أوصاف النورسي الخلقية (نقلا عن تلامذته والمعاصرين له) نذكر الذكاء وقوة الحفظ، الثبات على الرأي، الشجاعة، الرفق بالآخرين وبالحيوان، التأمل والتدبر في الكون...الخ. أما ملته فكان مسلما على المذهب الشافعي. وتمتع بإجادة عدة لغات كالتركية والكردية، العربية والفارسية. وحاز في حياته عددًا من الألقاب مثل: سعيد المشهور في مسقط رأسه وهو في بداية شبابه. والعارف بالله بعد أن استكمل دراسته للعلوم الدينية. وبديع الزمان حين التقى علماء وكبار أئمة زمانه، وناظرهم وتغلب عليهم دون أن يسأل أحدًا. والحافظ لأن ذاكرته كانت مميزة، وقيل إنه يحفظ من قراءة واحدة. وسمى نفسه الغريب وبدعة الزمان، واتُّهِم بالجنون وغيره.

وقد ترك بديع الزمان سبعة عشر مؤلَّفا كان أكثرها شهرة "كليات رسائل النور" جمعت في تسعة مجلدات هي: الكلمات، المكتوبات، اللمعات، الشعاعات، إشارات الإعجاز، المثنوي العربي النوري، الملاحق، صيقل الإسلام، سيرة ذاتية[2].

أما عن الأصول الأسرية للإمام سعيد النورسي فهناك من الباحثين من ذكر أن أصول نسب أمه تعود من حيث الأب والأم على التوالي إلى سيدنا الحسن والحسين بن علي رضي الله عنهم[3]. غير أن الإمام بديع الزمان نفسه نفى ذلك، وأكد في إحدى جلسات محاكماته عدم انتسابه لآل

---

1. شهد الإمام النورسي الحربين العالميتين، وشارك في الأولى منها جنديا متطوعا، وكان شاهدا على العصر بمختلف تحولاته؛ فاعلا في صنع التاريخ على مدار ثمانين سنة.
2. سعيد النورسي: سيرة ذاتية، إعداد وترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر، القاهرة، 2008م، ط 05، ص 36. لا يتسنى لنا في هذا الحيز المحدود استعراض تفاصيل أكثر عن آثار الإمام النورسي.
3. انظر: حبيب محمد سعيد: نبذة عن حياة الأستاذ سعيد النورسي، ط1، د.ن، 1992م، ص 08، نقلا عن: ازاد سعيد سمو: سعيد النورسي حركته ومشروعه الإصلاحي في تركيا، ديوان الوقف السني، بغداد، 2011م، ط1، ص 113.

البيت في زمان اختلطت فيه الأنساب، بحيث لا يمكن تمييزها: "رغم أنني بمثابة ابن معنوي لسيدنا علي كرم الله وجهه".[4]

لقد نشأ الفتى سعيد في كنف أسرة كردية صالحة، حيث لُقب والده بالصوفي، امتهن الفلاحة وتربية الأغنام، وعُرف بالورع والتقوى، أما والدته فبدورها كانت مثالاً للعفة والنقاء. وقد افتقد سعيد جو الأسرة السعيدة بفقدانه مبكرا لوالديه وأخواته البنات، واثنين من إخوته؛ فقال عن ذلك الفراق بحسرة: "إنني لم أشاهد والدتي الرؤوفة منذ التاسعة من عمري؛ فلم أحظ بتبادل الحوار اللطيف معها في جلساتها، فبِتُّ محروما من تلك المحبة الرفيعة... ولم أتمكن من مشاهدة أخواتي الثلاث منذ الخامسة عشر من عمري، حيث ذهبن مع والدتي إلى عالم البرزخ فبِتّ محروما من ألطاف الرحمة والاحترام التي تُنثر في الجلسات الأخوية الطيبة اللذيذة في الدنيا... ولم أشاهد أيضا أخويَ من ثلاثة إخوة منذ خمسين سنة رحمهم الله؛ فبت محروما من السرور المنبثق من الأخوة الودودة والشفقة العطوفة في مجالسة أولئك الأعزاء المتقين العلماء"[5]. لكن كما يبدو أن الأقدار هيأت للفتى سعيد ظروفا أفضل تعوضه عن ألم فراق الأحبة من الأبوين والإخوة؛ بأعداد ضخمة من الأبناء والطلبة والأتباع هم مريدي ومؤيدي رسائل النور.

نشأ سعيد إذا في قريته نورس، وهي قرية هادئة ذات طبيعة خلابة تنوعت بين الجبال والوديان والبحيرات، وعُرف أهلها بالإقدام والشجاعة، وكذا بالفخر والاعتزاز وعلو الهمم، حيث قال عنهم: "...إن هؤلاء الطلاب العلماء (في نورس) سيفتحون آفاقا عظيمة في العلم والدين؛ إذ لو تفوق أحدهم بشيء من الذكاء؛ فالاهتمام يوجه إليه، وإن ظهر أحدهم في مسألة لدى مناظرة علمية يفتخر ويزهو كثيرا".[6]

عاش الطفل سعيد حياة الطفولة والشباب في تحصيل العلم؛ بدءا بتعلم قواعد القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم في مسجد القرية، وبمعونة أخيه الأكبر عبد الله؛ تلقى بعض الدروس العامة. وانتقل بعدها إلى عدة قرى ومدن مجاورة مثل: نورشين، كواش، بدليس، وغيرهم[7]. وفي سنة 1308هـ/ 1890م انتقل سعيد إلى قضاء بايزيد (التابع لولاية أرضروم)، حيث شرع في قراءة ومراجعة أمهات

---

[4]. نقلا عن: بديع الزمان سعيد النورسي: الملاحق، إعداد وترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر، القاهرة، 2008م، ط05، ص 316. وانظر: سعيد النورسي: سيرة ذاتية، المصدر السابق، ص 40.

[5]. نقلا عن: سعيد النورسي: سيرة ذاتية، المصدر السابق، ص 36.

[6]. انظر: سعيد النورسي: سيرة ذاتية، المصدر نفسه، ص 42. وقد أوعز سعيد النورسي ذلك الاعتزاز لدى أهل قريته بأنه حس مسبق بظهور نور "رسائل النور" من بين ظهرانيهم، ونيلهم شرف ذلك، حيث قال: "إن أولئك النورسيين يتباهون؛ لأن قريتهم "نورس" ستكسب فخرا عظيما بنور رسائل النور، حتى أن الذين لم يسمعوا باسم الولاية والناحية سيعرفون تلك القرية باهتمام بالغ؛ فهؤلاء النورسيين يظهرون شكرانهم –بحس مسبق –لتلك النعمة الإلهية على صورة زهو وتباه". انظر: سعيد النورسي: الملاحق، المصدر السابق، ص 254. وانظر: سعيد النورسي: سيرة ذاتية، المصدر السابق، ص 42.

[7]. ازاد سمو، المرجع السابق، ص 122.

الكتب حينها: كـ "جمع الجوامع" في أصول الفقه لتاج الدين السبكي، و"شرح المواقف" في علم الكلام لعضد الدين الإيجي، و"تحفة المحتاج" في شرح المنهاج لابن حجر الهيثمي المكي...الخ، وتحصل بعدها على الإجازة العلمية من الشيخ محمد الجلالي خلال مدة وجيزة فقط[8].

وبرزت ملامح الذكاء الخارق واضحة على الفتى سعيد، ولفت أنظار العلماء إليه بالقدرة على المناظرة، وبالإجابة عن أي سؤال يطرحونه مهما كان معقدا أو غامضا، وهي حالة قال عنها معترفا: "إنها ليست ناشئة من حدة ذكائي، ولا من خرق استعدادي قط..."[9]، وفسر ذلك بكونه بذرة شجرة النور. وقيل أن النورسي كان يحفظ من قراءة واحدة، وشاعت موهبته تلك في أنحاء شرقي الأناضول، وتحدث الناس عن كراماته، وحظي بتقدير ومحبة العام والخاص، وعمره لم يصل البلوغ، وحظي أيضا بأول ألقابه "سعيد المشهور". ويذكر في هذه الفترة أن النورسي خطر له تأليف قاموس خاص يورد فيه الكلمات المختلفة التي تشير إلى المعنى نفسه بدل القواميس المعروفة والتي تشرح المعاني المختلفة لكلمة واحدة. كما أنه التقى في حدود سنة 1892م ببعض طلبة السيد جمال الدين الأفغاني، وبعض منتسبي الطريقة السنوسية، وناقشهم في عدة مسائل[10].

وفي مدينة وان تعرف سعيد على العلوم الحديثة؛ لأنه كان "قد اقتنع يقينا أن أسلوب علم الكلام القديم قاصر على رد الشبهات والشكوك الواردة حول الدين"[11]؛ فلمع أيضا في التاريخ والجغرافيا والرياضيات والجيولوجيا والفيزياء والفلك والكيمياء، وناظر أهل الباع فيها، وشرع في إعطاء بعض الدروس خلال فترة بقائه في وان، والتي دامت قرابة الخمس عشرة سنة مزج فيها العلوم الدينية والمدنية "بأسلوب قريب لمدارك أبناء هذا العصر، وإثباتها بأوضح أسلوب، وعرضها بما يلائم تفكيرهم"[12]. وكان يرى "أن ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الحديثة، وبامتزاجهما تتجلى الحقيقة...، وبافتراقهما يتولد التعصب في الأولى، والحيل والشبهات في الثانية"[13].

وهنا استحق لقبه الأشهر "بديع الزمان" (على غرار بديع الزمان الهمذاني) الذي قال عنه: "إن هذا الفقير الغريب النورسي؛ الذي يستحق أن يطلق عليه اسم "بدعة الزمان"، إلا أنه اشتهر –

---

[8]. ازاد سمو، المرجع نفسه، ص 123–124.

[9]. سعيد النورسي: الملاحق، المصدر السابق، ص 361؛ وانظر: سعيد النورسي: سيرة ذاتية، المصدر السابق، ص 50.

[10]. سعيد النورسي: سيرة ذاتية، المصدر نفسه، ص 54.

[11]. نفسه، ص 62.

[12]. نفسه، ص 63. وقد أَلَف النورسي رسالة في الرياضيات (عن الاحتمالات)؛ لكنها سرعان ما فُقدت في حريق. انظر: سعيد النورسي: سيرة ذاتية، المصدر السابق، ص 64.

[13]. مجموعة مؤلفين: رسائل النور: حقائق وتاريخ، دار السنابل الذهبية، د.ت، ص 05.

دون رضاه – ببديع الزمان"[14]. وعلل تفسيره لمعنى هذا اللقب الذي لا يعني مدحا في قوله: "... إن البديع يعني الغريب؛ فأخلاقي غريبة كمظهري، وأسلوب بياني غريب كملابسي كلها مخالفة للآخرين"، و"أن لقب بديع الزمان الذي مُنحتُه مع عدم استحقاقي له؛ ليس لي، وإنما هو اسم معنوي لرسائل النور قد قلد مؤلفها الظاهر إعارة وأمانة"[15].

2- لمحة عن نشاطه السياسي:

كانت سنة 1316هـ/ 1900م سنة التحول في مسار الإمام النورسي، وذلك بدخوله عالم السياسة في أعقاب سماعه عن تصريح الوزير البريطاني للمستعمرات وليم جلادستون قال فيه: "مادام هذا القرآن بيد المسلمين؛ فلن نحكمهم حكما حقيقيا، ولنسع لنزعه منهم"[16]؛ فثارت ثائرته، وهو الذي لم يعرف أبدا سوى القرآن هدفا لعلمه، وغاية لحياته. ومما قال حينها: "لأبرهنن للعالم بأن القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها، ولا يمكن إطفاء نورها"[16].

وهكذا اتجه النورسي سنة 1325هـ/ 1907م إلى اسطنبول قبيل "عهد الحرية" عاقدا العزم على طرح فكرة تأسيس "مدرسة الزهراء"؛ التي ستكون أخت جامعة الأزهر بمصر، وقيل عنه حينها: "إنه طلع في آفاق اسطنبول شعلة ذكاء تعد من نوادر الخلقة؛ إنه سعيد النورسي ذلك الرجل الذي طلع كالشمس من ذروة جبال الشرق الشاهقة"[17]. وكان مقتنعا حينها أن التعليم على أسس صحيحة هو المنفذ الوحيد لإعادة مجد الدولة الإسلامية؛ لكن بسبب اضطراب الأوضاع لم يكن ممكنا تحقيق هدفه، ولم يلق الدعم الذي أراده؛ فغيَّر الأسلوب، واقتحم عالم الكتابة الصحفية أحيانا، ولقاء رجال السياسة والشخصيات النافذة؛ بالإضافة لمشاركته في اجتماعات ومظاهرات العامة، واشترك في عدد من الجمعيات كان أبرزها جمعية "الاتحاد المحمدي"، وبعدما عرفه الناس سابقا بالهدوء العلمي؛ تعرفوا إلى شخصه الثائر على الأوضاع[18].

وأبدى الإمام النورسي اعتراضه على الحكومة الاستبدادية التي ولاها السلطان عبد الحميد الثاني سنة 1908م، وقدم كالعادة مبررات رفضه للاستبداد السياسي، ومما قاله في هذا الصدد: "الاستبداد هو التحكم، أي المعاملة الكيفية – الاعتباطية –، أي الجبر باستناد القوة، أي الرأي الواحد، أي المساعد لتطرق سوء الاستعمالات، أي المفتوحة أبوابه لتداخل المفاسد، وما هو إلا أساس الظلم وماح الإنسانية، وهو الذي دحرج الإنسان المكرم إلى أسفل سافلين في السفالة، وهو الذي أوقع العالم الإسلامي في المذلة، وهو الذي أيقظ الأغراض والخصومات، وهو الذي سمم

---

[14]. سعيد النورسي: سيرة ذاتية، المصدر السابق، ص 64.

[15]. سعيد النورسي: سيرة ذاتية، المصدر نفسه، ص 64.

[16]. نفسه، ص 65.

[17]. نفسه، ص 66.

[18]. مج مؤلفين: رسائل النور، المرجع السابق، ص 05.

الإنسانية، وهو الذي سرى سمه في أعصاب العالم الإسلامي، وهو الذي أوقع الاختلافات المدهشة"[19].

وفي لقاء جمع سنة 1909م بين النورسي ومفتي الديار المصرية الشيخ محمد بخيت؛ سأل هذا الأخير: "ما تقول في حق هذه الحرية العثمانية والمدنية الأوروبية؟"، فأجاب النورسي: "إن الدولة العثمانية حاملة بدولة أوروبية وستلدها يوما ما، وإن أوروبا حاملة بالإسلام وستلده يوما ما"، فما كان من المفتي إلا أن قال: "وأنا أصدق ما تقول"، وأضاف قائلا: "لا يناظر هذا الشاب، ولا أتمكن أن أغلبه"[20].

وكما يبدو أن الاهتمامات السياسية للإمام النورسي طغت في هذه المرحلة على اهتماماته في المجالات الأخرى؛ لكن ما ميز آراءه فيها هو الوضوح، والحدة في الطرح، وتقديم الحجة والبرهان، بالإضافة إلى استحضار تعاليم الدين الإسلامي؛ حتى لو تعلق الأمر بالسياسة. كما أنه حاور وناقش وناظر، وعارض الكثير من العلماء والأئمة ورجال السياسة، والعديد من الشخصيات المرموقة في مجالات الدين والعلم وأمور الدنيا المحليين منهم والأجانب[21].

وبعد نشوب الحرب العالمية الأولى في سنة 1332هـ/ 1914م دخل النورسي الجيش العثماني واعظا، ولكنه في السنة الموالية تمكن من تنظيم فرقة من المتطوعين، وقادها بنفسه على الجبهة العثمانية –الروسية (بالقوقاز) معتبرا عمله ذاك جهادا ودفاعا عن الوطن، وأبدى شجاعة وبسالة بالغة على أرض المعركة، ولم يكن مباليا بحياته: "... فلم أحاول الحفاظ على حياتي البهيجة أيام شبابي تلك"، وحظي بتقدير وإعجاب القادة والجنود على السواء[22]. وبعدما جُرح وقع في الأسر على يد الجنود الروس، واستمر به الحال مدة سنتين ونصف تقريبا؛ حتى تمكن من الفرار والعودة إلى اسطمبول سنة 1336هـ/ 1918م، وقد قال عن تلك الفترة: "لقد أحاطتني أوضاع مخيفة جدا في تلك الحرب العالمية؛ حتى تمزقت المسودة الأولى لإشارات الإعجاز بيد العدو، حيث أصابتني أربع قذائف دفعة واحدة، وجرحت في إحداها وانكسرت ساقي؛ فبقيت في الماء والطين أربعا وثلاثين

---

[19]. انظر: مج مؤلفين: رسائل النور، المرجع نفسه، ص 6–7.

[20]. نقلا عن: النورسي: صيقل الإسلام أو آثار سعيد القديم، ترجمة وتحقيق: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر، القاهرة، 2008، ط05، ص 125.

[21]. انظر: النورسي: الملاحق، المصدر السابق، ص 386؛ وانظر أيضا: النورسي: سيرة ذاتية، المصدر السابق، ص 84.

[22]. من ذلك مثلا لقاؤه سنة 1909م مع اليهودي إيمانويل كراصو (عضو المحفل الماسوني، ورئيس الحاخاميين في اسطنبول، والنائب عن سلانيك)، وقد صرح كراصو بعد هذا اللقاء بقوله: "لقد كاد هذا الرجل أن يزجني في الإسلام بحديثه". انظر: النورسي: سيرة ذاتية، المصدر السابق، ص 87.

ساعة منتظرا الموت، ومحاصرا من قبل العدو؛ فهذا الوقت يعد من أحلك أوقاتي البائسة وأشدها رهبة"[23].

وبعد عودته استقبل من طرف السلطة (حكومة الاتحاد والترقي)، وولّته دار الحكمة الإسلامية؛ لكنه انسحب منها 1338هـ/ 1920م، وفي السنة الموالية عزم على بدء مرحلة سعيد الجديد (بعد احتلال الإنجليز لاسطمبول 1920م). وغادر أنقرة سنة 1341هـ/ 1923م عائدا إلى وان، حيث قضى سنتين معتكفا في جبل أرك، ولما نشبت ثورة سعيد البيراني سنة 1343هـ/ 1925م اشتبه في نشاطه، ونفي من وان إلى بوردور، ثم نقل إلى اسطمبول في العام الموالي، ومنها إلى إزمير أنطاليا؛ فإلى بارلا سنة 1345هـ/ 1927م، ونقل ثانية إلى اسبارطة في صيف 1352هـ/ 1934م، ثم أُفرج عنه بعد سنتين؛ لكنه وضع تحت الإقامة الجبرية بمدينة قسطموني. واستمر به الحال ما بين مراقبة وتتبع وحصار ومداهمة؛ حتى انتهى به المطاف إلى محكمة دنيزلي سنة 1363هـ/ 1944م، وحددت إقامته بأميرداغ، ومنها مرة أخرى اقتِيد للمحاكمة سنة 1367هـ/ 1948م رفقة طلابه، وأعيد بعدها إلى أميرداغ بعد إطلاق سراحه من سجن أفيون[24].

وفي الفترة بين سنوات 1950 و1960م عاش الإمام النورسي متنقلا بين أميرداغ واسكي شهر واسبارطة واسطمبول وغيرها، وذلك إلى غاية وفاته في 23 مارس 1960م/ 1379هـ، ودفن في اليوم التالي في أورفة، ثم نقل جثمانه من قبل السلطات التركية إلى مكان مجهول تحسبا لأي رد فعل من طرف تلامذته وأتباعه ومحبيه عليه رحمه الله[25].

ب/ملامح الانسان الكامل في تصور الإمام النورسي (من خلال رسائل النور):

مثّل وجود الإنسان نقطة المركز من دائرة عالَم النورسي الفكري، وقد اهتم بكل ما يتعلق بالإنسان سواء ككائن حي ذو خصوصية مميزة على الأرض، ومن حيث كونه يمثل منظومة معقدة؛ لكنها غاية في الدقة والتنظيم، ويتطلب الأمر تفكيك أسرارها الفيزيولوجية والعقلية والنفسية، فأوغل النورسي في استكشاف أغوار الإنسان، وانطلق في رحلته تلك متسلحا بالكتاب الإلهي (القرآن)؛ فاسحا آفاق فكره وتأملاته. ولم تقتصر دراسة الإمام سعيد النورسي للإنسان على الجوانب النظرية فقط؛ إنما ربطها بإسقاطات واقعية مثلت حصيلة مشروعه لإصلاح وتغيير النفس البشرية، ووقف في هذه الأثناء أيضا على حل المشكلات التي تواجه الإنسان المعاصر؛ مقترحا لها حلولا تتناسب والظروف المعاشة.

1- مشروع الإصلاح والتغيير المرتبط بالإنسان (إعادة بناء الإنسان):

---

[23]. النورسي: المصدر نفسه، ص 123. وكان والحرب دائرة الرحى يملي على طلبته المجندين تفسير كتابه "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز". انظر: المصدر نفسه.

[24]. النورسي، سيرة ذاتية، المرجع السابق، ص 128.

[25]. النورسي: المصدر نفسه، ص 133 وما بعدها.

إن إصلاح حال الإنسان (ومن ورائه المجتمع ككل) مثَّل هاجسا لدى الإمام النورسي، وكان منهجه في ذلك هو المنهج القرآني نفسه؛ إذ أن صلاح الفرد من صلاح المجتمع والأمة والعكس، ولأن واقعية الإمام النورسي كانت حاضرة؛ فهو قدَم تفسيرا واضحا في أسباب التناقض الحاصل بين الشريعة والمدنية (الغربية)؛ فأوضح أن هذه الأخيرة قد "تأسست على خمسة أسس سلبية: فنقطة استنادها هي القوة، وهذه شأنها: الاعتداء. وهدفها وقصدها: المنفعة، وهذه شأنها: التزاحم. ودستورها في الحياة: الجدال والصراع، وهذه شأنها: التنازع. والرابطة التي تربط المجموعة البشرية هي العنصرية والقومية السلبية التي تنمو على حساب الآخرين، وهذه شأنها: التصادم. وخدمتها للبشرية خدمة فاتنة جذابة هي: تشجيع هوى المنفعة وإثارة النفس الأمارة، وتطمين رغباتها، وتسهيل مطالبها، وهذا الهوى شأنه إسقاط الإنسان من درجة الملائكية إلى درك الحيوانية، وبهذا يكون سببا لمسخ الإنسان معنويا"[26] .

ولكنه يستدرك: ما هي المدنية التي في الشريعة؟؟، ويجيب قائلا: "هي التي تقوم على أسس إيجابية بناءة مكان تلك الأسس النخرة الفاسدة السلبية، نعم !!: إن نقطة استنادها هي: الحق بدلا من القوة، والحق من شأنه: العدالة والتوازن. وهدفها: الفضيلة بدلا من المنفعة، والفضيلة من شأنها: المحبة والتجاذب، وجهة الوحدة فيها، والرابطة التي تربط بها المجموعات البشرية: الرابطة الدينية والوطنية والمهنية بدلا من العنصرية، وهذه شأنها: الأخوة الخالصة والسلام والوئام، والذود عن البلاد عند اعتداء الأجانب، ودستورها في الحياة: التعاون بدل الصراع والجدال، والتعاون من شأنه التساند والاتحاد، وتضع الهدى بدل الهوى؛ ليكون حاكما على الخدمات التي تقدم للبشر، وشأن الهدى: رفع الإنسانية إلى مراقي الكمالات؛ فهي إذ تحدد الهوى، وتحد من النزعات النفسانية؛ تطمئن الروح، وتشوقها إلى المعالي"[27].

لكن هذا لم يمنع الإمام النورسي من الدعوة للانفتاح على العصر، والجمع بين "إيمانية العلم" و"علمية الإيمان"؛ فالانفتاح على معطيات العصر، وتفهم منعطفات سيره، ورصد أبعاده الفكرية والمذهبية ليس بالضرورة من أجل الانجراف في تياره؛ بل لفهم أكثر لما يدور حولنا، ويكون الإنسان مشاركا ومتفاعلا في صنع حركة التاريخ. ونبه النورسي إلى أن كلا من الدين والعلم وجهان لعملة واحدة؛ لا ينفع التمسك بأحدهما فقط، حتى أنه لفت الأنظار إلى حقيقة تنوع العبادات المفروضة على الإنسان (المسلم) بين: جسدية وروحية ونفسية؛ لكل واحدة منها طعمها الخاص و"طقوسها"، وكذا وقتها وتوزيعها على مدار اليوم والليلة والأسبوع والشهر والسنة والعمر[28].

---

[26]. النورسي: المصدر نفسه، ص 133 وما بعدها.

[27]. سعيد النورسي: المثنوي العربي النوري، اعداد وترجمة: احسان قاسم الصالحي، دار سوزلر، القاهرة، 2008م، ط 05، ص 200–204.

[28]. المصدر نفسه، وانظر: سعيد النورسي: سيرة ذاتية، المصدر السابق، ص 185.

ومن جهة أخرى وقف الإمام النورسي مطولا أمام الصراع الإنساني الدائر في الأيام المعاصرة، وهو صراع منشؤه تمرد الإنسان على قانون التعاون الذي يسير منظومة الكون، وقد أفضى هذا الصراع سواء بين الأفراد متفرقين أو بين الجماعات إلى تخلي الإنسان عن إنسانيته وأخلاقه، وإلى انقلاب في موازين الطبيعة؛ من حيث إقرار قوانين البقاء والغلبة. وعليه سمى الإمام بديع الزمان هذا العصر بأنه عصر المجموعة التي قد تكون بمثابة الوحدة الإنسانية المتكاملة والمنشودة، والتي تقوم مقام الفرد الكامل أو النموذج[29].

وقدم الإمام سعيد النورسي في معرض تناوله لمشروع الإصلاح والتغيير الإنساني جانبا آخر يجسد أفق البناء الحضاري المطلوب؛ ألا وهو "باب الحرية" لأن وجود الإنسان حسبه مرتبط أساسا بحريته، وقال بهذا الخصوص: "... يا أبناء الوطن: لا تفسروا الحرية تفسيرا سيئا كي لا تفلت من أيديكم، ولا تخنقوها بسقي الاستعباد السابق الفاسد في إناء آخر؛ ذلك أن الحرية إنما تزدهر بمراعاة الأحكام الشرعية وآدابها، والتخلق بالأخلاق الفاضلة، والبرهان الباهر على هذا الادعاء هو ما كان يرفل به عهد الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين من الحرية والعدالة والمساواة على الرغم من الوحشية السائدة والتحكم المقيت"[30].

وفضح الإمام النورسي خبث ادعاء فقهاء الغرب بأن الإسلام هو مقيد الحرية؛ فقال: "إن أوروبا تظن الشريعة هي التي تمد الاستبداد بالقوة وتعينه، حاشا وكلا ... إن الجهل والتعصب المتفشيين فينا قد ساعدا أوروبا لتحمل ظنا خاطئا من أن الشريعة تعين الاستبداد"[31]. وخلص الإمام إلى أن الحرية الإنسانية مكفولة باتباع تعاليم الدين الإسلامي، وأوصى قائلا: "قيدوا الحرية بآداب الشرع؛ لأن عوام الناس، والجاهلين يصبحون سفهاء وعصاة وقطاع طرق، فلا يطيعون بعد أن ظلوا أحرارا سائبين بلا قيد وشرط، ولتكن قبلتكم في صلاة العدالة على المذاهب الأربعة كي تصح صلاتكم"[32].

وقد ألقى الإمام بديع الزمان خطابا له في مدينة سلانيك بعنوان: "خطاب الحرية" (1908م)؛ مما قال فيه: "أيتها الحرية الشرعية إنك تنادين بصوت هادر، ولكنه رخيم يحمل بشارة سارة توقظين بها كرديا بدويا مثلي نائما تحت طبقات الغفلة ... إنني أبشركِ بعمر خالد إذا ما اتخذتِ الشريعة التي هي عين الحياة منبعا للحياة"[33].

---

[29]. سعيد النورسي: سيرة ذاتية، المصدر نفسه، ص 186. وانظر: سعيد النورسي: المثنوي العربي النوري، المصدر السابق، ص 200–204.

[30]. مج مؤلفين: رسائل النور، المرجع السابق، ص 02.

[31]. المرجع نفسه، ص 21.

[32]. المرجع نفسه، ص 23–24.

[33]. نفسه، ص 27–28.

ولم يغفل الإمام النورسي الإشارة إلى التنوع العرقي والإثني واللغوي المميز للبشر؛ فأوضح أن الإسلام هو الوعاء الجامع لكل هؤلاء، وأنه الضامن للحركة الإنسانية بمنتهى الحرية؛ مادامت تلتزم بتعاليمه، وأنه المنظم لأي شأن حياتي يخص بني البشر بلا فروق بينهم؛ فنجده كتب: "... وأسفي أن العناصر والقوميات الموجودة عندنا مختلطة اختلاط أجزاء الهواء، وستمتزج تلك العناصر والقوميات بالإسلام؛ الذي فعل فعل التيار الكهربائي فيهم"[34].

2- مشكلات الإنسان المعاصر: رؤية تحليلية:

أسهب الإمام بديع الزمان النورسي في رصد آفات وأمراض العصر-ونقصد بالأخص تلك التي تعني حياة الإنسان بصفة مباشرة أو غير مباشرة -؛ لكنه حدد منشأها أساسا في الابتعاد عن تعاليم الدين الإسلامي (بالنسبة للمسلمين ولغيرهم). وقد وقف النورسي على الحقيقة المرة في تحليل واقعي لحال البشر، وذلك بالضبط حين كشف المؤامرة الخبيثة التي تستهدف الدولة الإسلامية والمسلمين أينما كانوا. وهذا ما نستشفه في خطاب له أمام مجلس الأمة سنة 1340هـ/ 1922م بحضور مصطفى كمال أتاتورك؛ مما جاء فيه ما يلي: "... إن خصومكم وأعداء الإسلام الإفرنج -لاسيما الإنكليز -قد استغلوا ولا يزالون يستغلون إهمالكم أمور الدين؛ حتى أستطيع القول: أن الذين يستغلون تهاونكم هذا يضرون بالإسلام بمثل ما يضر به أعداؤكم فينبغي لكم باسم مصلحة الإسلام وسلامة الأمة تحويل هذا الإهمال إلى أعمال... [..] ليس بالإمكان القيام بعمل إيجابي بنّاء مع التهاون في الدين، حيث اقتربت الحضارة القرآنية من الظهور، وأوشكت الحضارة الأوروبية الضالة المسؤولة عن ضعف الدين على التمزق والانهيار. أما القيام بعمل سلبي فليس الإسلام بحاجة إليه؛ كفاه ما تعرض له من جروح ومصائب"[35] .

وواصل الإمام النورسي تشريحه للوضع قائلا: "... إن عملا جادا لا ينجز مع أولئك الذين يرضون بأوهام براقة نابعة من سفسطة النفس، ووسوسة الشيطان، أولئك الذين يصمّون آذانهم عن البلاغ المبين، والبراهين الساطعة بالتواتر والإجماع"[36]. وحذر في "أن التهاون في تطبيق الشعائر الدينية يؤدي إلى إضعاف الأمة، والضعف يغري العدو فيكم، ويشجعه عليكم، ولا يوقفه عند حده حسبنا الله نعم المولى ونعم النصير"[37].

وقد حدّد الإمام سعيد النورسي في تقديمه الحلول لتلك الحالة المعقدة التي أصابت المسلمين في نقطتين هما: اتباع القرآن، والوحدة، ومما قال في هذا الشأن تضمنته "الخطبة الشامية" التي

---

[34]. نفسه، ص 28.

[35]. سعيد النورسي: المثنوي العربي النوري، المصدر السابق، ص ث.

[36]. أديب إبراهيم الدباغ: مطارحات في المعرفة الإيمانية عند النورسي، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، 1997م، ط01، ص 10.

[37]. أديب إبراهيم الدباغ، المرجع نفسه، ص 10-11.

ألقاها بدمشق سنة 1910م: "... إن وصفة العلاج لعصر مريض، ولعنصر سقيم، ولعضو عليل هي اتباع القرآن. ووصفة العلاج لقارة عظيمة سيئة الحظ، ولدولة مجيدة سيئة الطالع، ولقوم شرفاء لا حامي لهم ولا صاحب هي الاتحاد الإسلامي"[38].

واستطاع النورسي بجرأته المعهودة أن يهاجم أعداء الإسلام في المجتمع المسلم بقوله: "إنه لا يؤلمني سوى المخاطر المحيطة بالإسلام؛ إذ كانت المخاطر سابقا تأتي من الخارج، وكانت مقاومتها يسيرة، أما الآن فإنها تأتي من الداخل؛ حيث دبّت الديدان في الجسد فتعسرت المقاومة. إنني أخشى ألا تتحمل بنية المجتمع هذا الداء الوبيل؛ لأنه لا يحس بالعدو، ويظن من يقطع شريانه، ويمص دمه صديقا له، وإذا عميت بصيرة المجتمع إلى هذا الحد فقلعة الإيمان إذن في خطر"[39].

وأبدى النورسي في مناسبة أخرى الفزع من انتشار الإلحاد والكفر المعلن، وغلبة الماديات على النفوس (وتلك من الأمراض الداخلية للإنسان)؛ فقال في إحدى رسائله: "في المجتمعات الإسلامية حالتان مفزعتان حسبما ترى رسائل النور؛ أولاهما: انتشار الكفر المطلق الذي يتولد من العلوم والفلسفة المبنية على أسس مادية. ثانيتهما: تفضيل الناس القطع الزجاجية الدنيوية على ألماس الآخرة بسبب غلبة النوازع البشرية على العقل والقلب؛ مع أنهم يعلمون قيمة الألماس"، وعليه اقترح الإمام النورسي الحل بتقديم الأدلة والحجج القاطعة، وذلك "بإثبات أن في الإيمان والإسلام لذات الجنة؛ بحيث يشعر بها الإنسان حتى في الدنيا، وأن في السيئات والآثام آلام جهنم، ويذوقها المرء حتى في الدنيا"[40].

ولم ينفك الإمام النورسي عن تفصيل ماهية الأخطار المحيطة بالإنسان المسلم في الأيام الحاضرة؛ فنجده كتب: "إن أعظم خطر على المسلمين في هذا الزمان هو فساد القلوب، وتزعزع الإيمان بضلال قادم من الفلسفة والعلوم، وأن العلاج الوحيد لإصلاح القلب، وإنقاذ الإيمان؛ إنما هو النور..."[41]. وفي مفارقة ملفتة وضح الإمام توظيف العمل بالسياسة، ودوره في إلهاء الناس، وإبعادهم عن دينهم –لاسيما في عهد الاتحاديين والكماليين –فقال: "صولجان السياسة لا يصلح القلب في مثل هذا الوقت، حيث ينزل الكفر إلى أعماق القلب، ويتستر هناك، وينقلب نفاقا..."، وأوضح "أن السياسة المبنية على المصلحة والمنفعة هي وحش كاسر"[42].

---

[38]. نفسه، ص 11.

[39]. إبراهيم الدباغ، المرجع السابق، ص 12–13. وكان يحرص على تعليم طلابه كيف يفكرون، ويتدبرون في كتاب الكون المفتوح أمامنا، ويشجعهم على مطالعتها، وكانت علاقته قوية بسائر المخلوقات.

[40]. إبراهيم الدباغ، المرجع السابق، ص 15.

[41]. نفسه، ص 27–28.

[42]. نفسه، ص 28.

وقد خصص النورسي جهدا معتبرا في سبيل تنوير وتوعية الناس بعواقب التأخر في علاج الوضع أمام المخططات التدميرية التي يجهزها الغرب، حيث قال: "إن لم تعالج الآن هذه المشاكل المتداخلة بعضها في البعض الآخر، وإن لم تضمد هذه الجروح بأيد متخصصة ماهرة؛ فإن أمراضنا ستزمن، وتستعصي على العلاج، لذا لابد من تشخيص كل مشاكلنا العلمية والاجتماعية والإدارية، وتحليل عللنا المادية والمعنوية لوصف العلاج الشافي لها؛ إذ لابد من إيقاف هذه المشاكل، وإنهاء هذه العلل التي تقوض بنيتنا، وتهدد بقاءنا، وتهز قواعد وأسس وجودنا"[43].

ربط الإمام النورسي أسباب تحقيق السعادة للإنسان (وللمجتمع) في عنوانها العريض في التمسك بتعاليم الدين؛ لأنه "ينظم علاقة الفرد مع نفسه وربه وأسرته ومجتمعه الذي يعيش فيه"، لكنه فصّل ذلك بكثير من الإقناع –ذو الطابع الفلسفي الصوفي أحيانا –فرأى أن "الإنسان هو حجة القرآن على الإنسان نفسه"[44]، حيث كشف عن الصلة القوية بين الإنسان وغيوب ما وراء هذا العالم المعروف لتحصيل "المعرفة الإيمانية" التي خصها بالدراسة في صفحات كثيرة من رسائل النور. وبما أن الإنسان (في نظر الإمام النورسي) هو الرابط بين أبعاد الوجودين: الملموس والمغيب، المعقول والمخفي؛ فإن عقله –أي العقل الإنساني –سيكون موضع نقاشه (في الملموس والمعقول)، وأن قلبه وروحه ستكون متلمس بصيرته (في المغيب والمخفي). وواصل النورسي تحليله بقوله: "إن الإنسان إذا أمعن في دواخل نفسه يجد مفتاح فهم العالم بكل مكوناته"، وأنه "إذا أدار هذا المفتاح في أقفال السماوات والأرض انفتحت له، وكشفت عن أسرارها، وأشارت إلى موجدها، وعينت له موقعه من العالم، وحجمه الذري إزاءك برياء الله وعظمته"[45]. ولكن ""الأنا" البشري كثيرا ما يتضخم، وينسى حجمه، ويغفل عن موقعه؛ فيتيه عُجبا، ويختال افتخارا على السماوات والأرض والجبال بتحمله سر أمانة التكليف، وبمنحه الإرادة، والقدرة على الاختيار والترجيح"[46].

وهنا يحذر الإمام النورسي من السقوط المباشر للإنسان في مهاوي "أناه" المتعالي، وينقلب حاله نتيجة أمراض الغرور والجحود، وتتحول نفسه إلى طاغوت مخيف تستعبد صاحبها والآخرين من حوله، وسرعان ما تتضخم وتستغلظ وتصرخ بلسان فرعون: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ [47].

وانتقل الإمام النورسي في تصوره لملامح الإنسان الكامل؛ بعد تحذيره له من مكائد نفسه، وأمراضه الداخلية؛ إلى خطر آخر لا يقل أهمية، وهو الوقوع في سجن الوجود المادي للكون؛ فدعا الإنسان إلى فهم الظواهر والتحولات الكونية والطبيعية، ولكن دون مبالغة الاستغراق فيها خشية

---

[43]. سعيد النورسي: المثنوي العربي النوري، المصدر السابق، ص ث.

[44]. أديب إبراهيم الدباغ: مطارحات في المعرفة الإيمانية عند النورسي، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، 1997م، ط01، ص 10.

[45]. أديب إبراهيم الدباغ، المرجع نفسه، ص 10–11.

[46]. نفسه، ص 11.

[47]. سورة النازعات، الآية 44. سورة النازعات، الآية 44.

استعبادها له، وبالتالي الابتعاد ونسيان مكونها وخالقها وموجدها حيث قال: "... إن المعرفة الكونية هي حصيلة بحث الإنسان، وتجربته ومعاناته؛ لكنها مسخرة بفضل الله عز وجل لخدمة الإنسان، وكلما اتسعت معرفته بها زادت قدرته على تسخيرها لمنافعه ومصالحه الدنيوية، وليس العكس"[48]. وعليه فالإنسان المتكامل –حسب الإمام النورسي –يرى ما بداخله من مكنونات؛ فيحسن استغلالها لزيادة معرفتها الإيمانية، وربط أواصر محبته لخالقه، ويتأمل المنظومة الكونية فيكرسها لتحقيق مكاسبه المادية، ولزيادة تقوية إيمانه ويقينه بقدرة مولاه تعالى.

ولم يغفل الإمام النورسي في هذا التحليل التنبيه إلى أن هذه المعادلة الصعبة في تحصيل المعرفة الإيمانية تتفاوت درجاتها، وتتباين بين الناس (ويخاطب منهم المسلمين بالأخص)، فكما أن معرفة القمر تختلف بين من يراه بالعين المجردة عن رؤيته بمرصد فلكي أو من قمر صناعي، وأن أوسع هؤلاء معرفة به هو من نزل فوقه ومشى على سطحه، وهكذا فالقرآن الكريم هو محور الإيمان لدى الناس مع اختلاف درجات معرفتهم وبكل حقائقه، وأن أعظم هؤلاء معرفة هو من يهبه الله تعالى سعة الفهم والإدراك؛ فيفتح بصره وبصيرته[49].

ومن جهة أخرى رأى الإمام النورسي أن الإنسان في تلمسه طريق السعادة والرضا عليه أن يعي البعدين المكاني (أي ظروف عيشه، وما يحيط به كما سبق القول) والزماني (أي تطور وتسارع عمره الفاني)؛ خاصة أن الزمن خارج عن حدود السيطرة الإنسانية، وهو لا ينتظر من يتخلف عنه، ولكونه –أي الزمن –من يضمن انسجام حركة الكون، وبالتالي على الإنسان أن يستفيد من حياته، "وأن يصنع قدره" مادام الكل –عاداه –منتظم: "لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون"[50].

خاتمة:

يمكن القول: إن الإمام بديع الزمان سعيد النورسي شخصية مؤثرة في تاريخ تركيا الحديث؛ لاسيما في جانبه الفكري، وضع نصب عينيه خدمة القرآن، وعمل جاهدا في سعيه الحثيث لإصلاح حال الإنسان، وضمان الوصول به إلى طريق الإيمان الصحيح؛ الذي سيكفل له السعادة. كما دعا الإمام إلى التمسك بالقيم الإنسانية العالمية؛ كالدعوة للسلم، وحفظ حقوق الإنسان، والتساوي في الثروة الطبيعية، وحماية البيئة ... ولكن النورسي تميز عن الآخرين في كونه ربط تلك القيم وثيقا بالتعاليم القرآنية.

---

[48]. إبراهيم الدباغ، المرجع السابق، ص 12–13. وكان يحرص على تعليم طلابه كيف يفكرون، ويتدبرون في كتاب الكون المفتوح أمامنا، ويشجعهم على مطالعتها، وكانت علاقته قوية بسائر المخلوقات.

[49]. إبراهيم الدباغ، المرجع السابق، ص 15.

[50]. سورة يس، الآية 40. انظر: المرجع نفسه، ص 18–20.

إن فكر النورسي في بعده الإنساني تعدى مبدأ التعصب لقومية عرقية أو لغوية أو إثنية بعينها؛ إلى عالم الإنسانية أجمع. ولكنه أيضا دعا إلى محاربة الاستبداد؛ لأنه أساس الظلم، ولأن ما يترتب عنه هو محو للروح الإنسانية من كلا الطرفين: الظالم والمظلوم. رأى أن الإنسان الكامل (والمجتمع النموذج) بإمكانه أن يحصل على الكمال والمثالية على أرض الواقع، وضرب لنا مثالا عن عصر النبوة؛ الذي لا يمثل تجربة إنسانية فريدة وحسب؛ إنما يرسم لنا تفاصيل دقيقة بشأن إيجاد قواسم نفعية بين الرؤية المادية للحياة، والارتياح النفسي والروحي والإيماني للفرد. وفي الأخير نقول ونحن نستحضر هذه الذكرى ماذا بقي من فكر النورسي اليوم؟، وماذا قدمنا في مسيرة البناء الجاد الذي أوصانا به؟، وهل كان ليرضى بحالنا وأحوالنا؟.

الدور الإعلامي والتثقيفي للصحافة العثمانية في اليمن 1872 – 1918م.

ا.م.د. أمين محمد علي الجبر

أستاذ مشارك / تاريخ حديث ومعاصر

قسم التاريخ والعلوم السياسية

كلية الآداب جامعة ذمار اليمن

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث الدور الإعلامي والتثقيفي للصحافة العثمانية الصادرة في ولاية اليمن فترة الوجود العثماني الثاني من عام 1872م وحتى عام 1918م. وسوف يناقش علمياً ومنهجيا ماهية الصحافة العثمانية وطبيعتها في اليمن، والأدوار التنويرية والإعلامية المنوطة بها آنذاك، كما يهدف إلى قراءة شاملة وتحليلية لمضامين كل صحيفة ومحتواها على حدة من مجموع الصحف العثمانية الثلاث (يمن، صنعاء، سلنامة سي ولاية اليمن) الصادرة في اليمن آنذاك، مبينا دور كل صحيفة ووظيفتها، وما مدى تأثيرها في الرأي العام، وما تحمله من مدلول واتجاه فكري/ثقافي، وسياسة إعلامية، وقد تضمن، إلى جانب المقدمة والخاتمة، ثلاثة محاور رئيسة: المحور الأول صحيفة يمن، والمحور الثاني صحيفة صنعاء، والمحور الثالث سلنامة ولاية اليمن.

Research Summary:

This research deals with the media and educational role of the Ottoman press issued in Yemen, the period of the second Ottomani era from 1872 AD to 1918 AD. It discusses, scientifically and methodologically, the essence and nature of the Ottoman press in Yemen and the enlightening of media roles assigned at the said time. The role and function of each newspaper and the extent of its impact on public opinion, the intellectual/cultural meaning and direction it bears, and the media policy, and it The first included, in addition to the introduction and conclusion, three main axes. axe deals with Yemen Newspaper, the second axe deals with Sana'a Newspaper, Yemen safety.

مقدمة

يعد الإعلام بكافة أشكاله ومختلف تعبيراته مظهراً أساسيا وهاما مصاحبا لعملية بناء الدولة – أي دولة –، إن لم يكن عنصرا فاعلا وحيويا ملازما مختلف مراحلها، ليس لما يقوم به من دور محوري ووظيفة جوهرية في كافة الجوانب ومختلف الأصعدة، ولاسيما فيما يخص عملية خلق وتكوين مستوى من الرأي العام والتأثير على الجمهور وحسب، وإنما بكونه يعد في نظر الدولة/السلطة الأداة الأنجع في مسألة التعبئة العامة والتحكم في زمام الأمور، والوسيلة المثلى في عملية الضبط الإيديولوجي والإلزام القانوني/التشريعي، بل الأنسب والأجدر في عملية إيصال الخطاب وبث السياسات والاستراتيجيات.

لذا لا نكاد نجد نموذجا من نماذج الدولة التاريخية خلوا من استخدام الإعلام بأي شكل وبأي مستوى، فقد مارسته في مختلف أطوارها لذات الغرض والوظيفة والغاية نفسها. والدولة العثمانية – بطبيعة الحال –ليست استثناء من ذلك، فقد مارست النشاط الإعلامي بأشكاله وأنماطه التقليدية والبدائية كافة، وإن كانت البداية الفعلية لممارسته وفق مفهومه الحديث تعود إلى بداية دخول المطبعة والآلات الحديثة عام 1727م على إثر فتوى دينية تجيز الطباعة[51] لتدشن من ثم بداية مرحلة جديدة للإعلام، وإرهاصا لمفهوم إعلامي آخذ في التشكل والتبلور مقتصراً على وسائل الإعلام الحديثة مثل: الصحافة والنشرات والمطويات ...الخ وما توالى بعد ذلك من وسائل تباعا.

وانطلاقا من ذلك، ولما تمثله وسائل الإعلام وأدواته المتنوعة المستخدمة –زمانا ومكانا – وبما تحويه وتستوعبه من مفردات وخطاب، وأساليب، وكيفية، ...الخ، لتشكل في مجملها مادة علمية تاريخية خامة وثرية، ارتأينا أهمية التأريخ لهذا الجانب المتمثل بالنشاط الإعلامي والدور التثقيفي للصحافة العثمانية في ولاية اليمن حصرا، وذلك من خلال ما تختزنه وتحتويه وسائل إعلامها الصحفية المختلفة والمتنوعة المستخدمة وقتذاك في تلك الولاية. معتمدين بشكل أساسي على منهجية تحليل المضمون واستنطاق المحتوى واستكناهه على اعتبار أن الإعلام وما تختزنه وسائله وأدواته يعد من وجهة نظرنا التعبير الحي –في زمنه–عن طبيعة التوجهات وماهية السياسات للجهة المعبر عنها، إن لم يكن الصياغة الأرقى – في حينه – لفكر الناطق باسمه وثقافته والحامل لمشروعه، لا بل والمطبوع بهويته المعبر عن أيديولوجيته.

ولقد شهدت اليمن إبان الوجود العثماني الثاني في الفترة من 1918 – 1872م نشاطا إعلاميا – صحفيا هادفا وموجها، يحمل رسالة تنويرية / تعبوية ذات مضامين غائية/هادفة، تركزت وظيفيا في التعبئة العامة وتكوين رأي عام ينسجم مع سياسة الدولة العثمانية وتوجهها في اليمن آنذاك،

[51]. المؤيد، عبد الوهاب بن علي، موسوعة الصحافة اليمنية، نقابة الصحفيين اليمنيين، صنعاء، ط1، 2003م، ص 26.

إلى جانب العديد من الوظائف والأدوار التي أداها ومارسها ذلك الإعلام في مختلف الجوانب والمجالات، وإن كان الأكثف والأوسع نطاقا قد تركز في الجانب العسكري / الحربي وأخبار الدولة الرسمية.

تذكر المصادر أن الدولة العثمانية قد استخدمت في هذا النشاط الإعلامي مختلف وسائل الإعلام المتاحة والممكنة آنذاك، أيا كانت بدائيتها وتقليديتها سواء كانت مستحدثة أو مستجدة أتى بها العثمانيون أنفسهم إلى اليمن أو حتى التي كانت موجودة من صنع البيئة المحلية وإنتاجها، تلك الوسائل المتمثلة في النشرات المطوية، والصحافة المطبوعة، وقرع الطبول، ونفخ الأبواق (البورزان)، وإيقاد الشعلة على قمم الجبال (التنصير)، وإطلاق الرصاص الحي جوا (النكف)، والمناداة في الأسواق والأماكن العامة (الظاهرة)، والأهازيج الشعبية (الزوامل)، وغيرها من الوسائل والطرق التي أدت دور الإعلام ووظيفته حينذاك أيا كانت نوعيته ومستوياته، على اعتبار أن الإعلام وخاصة الموجه منه، ما هو في محصلته النهائية سوى: رسالة ومرسل ومتلقٍ وحسب. غائيته الأساسية تكمن في إيصال الأخبار والتأثير على الجمهور، وخلق رأي عام يتناغم وسياسة صاحب القرار والمبادرة ليس إلا.

وهذا البحث المتواضع سوف يقتصر في تناوله المنهجي على جزء الصحافة كنوع ونموذج من الإعلام العثماني في اليمن، على أمل أن يتطور مستقبلاً إلى دراسة شاملة عن الإعلام التركي في اليمن عامة.

مشكلة البحث:

يسعى هذا البحث الى محاولة الإجابة الموضوعية عن جملة من الأسئلة الإشكالية التي يثيرها موضوع الصحافة العثمانية في اليمن ودورها الإعلامي والتنويري حينذاك.

كيف عبرت الصحافة العثمانية في ولاية اليمن عن اتجاه فكري/ إعلامي ساد لفترة من الزمن؟ وكيف كانت بداية لتأسيس الصحافة الرسمية في تلك الولاية في زمن لاحق؟ ما هو الدور الإعلامي المنوط بها وقتذاك؟ ما مدى تأثيرها إعلاميا وتثقيفيا في صناعة الرأي العام؟ وغيرها من الأسئلة الإشكالية التي أثارها البحث وحاول الإجابة الموضوعية عنها.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في أهمية موضوعه والمتركز في تناوله لموضوع الصحافة العثمانية في اليمن والذي نرى جدارته وأهمية تناوله ليس بكونه فريدا في التناول وحسب، إنما لما مثلته الصحافة العثمانية من مخزون وثائقي لمفردات التاريخ العثماني في اليمن آنذاك.

أهداف البحث:

تتحدد أهداف البحث في أنه سوف يناقش علمياً ومنهجيا ماهية الصحافة العثمانية في اليمن وطبيعتها، والأدوار التنويرية والإعلامية المنوطة بها آنذاك، وكذلك التأريخ لجانب من الوجود العثماني الثاني في اليمن من خلال الصحافة ومضامينها. أي مدى تطور الإعلام العثماني في تلك الحقبة التاريخية، فضلا عن الوقوف عند مضامين الرسالة وفحواها (المادة التاريخية) الإعلامية، التي حوتها واستوعبتها تلك الوسائل لا سيما الصحافة منها، واستكناه مدلولاتها ومضامينها التي تعكس طبيعة التوجهات والسياسات السائدة والمتبعة وقتذاك.

منهج البحث:

وسوف يتبع البحث المنهج التاريخي (تحليل المضمون)، أي تحليل المادة الصحفية والخبرية التي احتوتها الصحف العثمانية الصادرة في ولاية اليمن فترة الدراسة 1872–1918م، وكذلك استنطاق وسبر أغوار تلك المادة دون تأويل أو تحوير أو اعتساف. أعني استعراض تلك المادة وتناولها على عواهنها انطلاقا من قاعدة (كما ورد) بحيث لا نقوّلها ما لم تقل أو نحمّلها أكثر مما تحتمل.

على أية حال سوف يتناول هذا البحث في قراءة شاملة وتحليلية لمضامين كل صحيفة ومحتواها على حدة من مجموع الصحف العثمانية الثلاث (يمن، صنعاء، سلنامة سي ولاية اليمن) الصادرة في اليمن آنذاك، مبينا دور كل صحيفة ووظيفتها، وما مدى تأثيرها في الرأي العام، وما تحمله من مدلول واتجاه فكري/ثقافي، وسياسة إعلامية، وغيرها من الأسئلة والقضايا التي سوف يثيرها ويناقشها.

استهلال:

استخدمت الدولة العثمانية في نشاطها الإعلامي في ولاية اليمن في الفترة 1872–1918م وسيلة إعلامية حديثة، مقارنة بما استخدمته من وسائل تقليدية سابقة في هذا المجال، تمثلت هذه الوسيلة في الإصدارات الصحفية الثلاث: (يمن، صنعاء، سلنامة ولاية اليمن)، التي كانت تمثل حلقة الوصل بين الولاية والمركز في العاصمة اسطنبول، كما كانت الناطق الرسمي ولسان حال الدولة العثمانية ممثلة بالإدارة العثمانية في اليمن.

المحور الأول: صحيفة يمن.

أصدرت الإدارة العثمانية في ولاية اليمن صحيفة يمن عام 1289هـ. الموافق 1872م، لتكون لسان حالها في الولاية والمعبر الرسمي/العسكري عنها[52]. وقد صدرت في أربع صفحات ذات حجم متوسط، ولم يرد فيها اسم مسؤول التحرير، وإنما ذكر أن الوالي العثماني مختار باشا أصدرها.

[52]. نفسه، ص 41؛ الزين، عبد الله يحيى، اليمن ووسائله الإعلامية، 1289–1394هـ / 1872–1914م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، مطابع الطبجي التجارية، القاهرة، ط1، 1985م، ص 25.

وهذه الصحيفة تعد أول نشرة رسمية صدرت في اليمن، مطبوعة باللغتين العربية والعثمانية، وبإشراف كادر عثماني وهو ما يعكس ويبين طبيعة وظيفتها وماهيتها، وكنه رسالتها. أي أنها، بطبيعة الحال، ووفقا لكادرها ولغتيْها تبدو عثمانية الرسالة والوسيلة (المرسل)، وأن المتلقي أو المرسل إليه فهو عثماني/يمني الهوية، يمني الخصوصية والانتماء، وهو ما حدد هدفها العام المتمحور أساسا حول استراتيجية العثمنة ليس أكثر، كونها لم تكن توزع إلا بشكل محدود اقتصر على أفراد الحاميات العثمانية والمسؤولين الإداريين.

لا تذكر المصادر المتوفرة للباحث السند القانوني/التشريعي الذي بموجبه تم إصدار هذه الصحيفة، إذ ليس ثمة قانون/تشريع خاص بولاية اليمن ينظم عملية الإصدار آنذاك، وإن كانت هناك مجرد فتوى دينية تجيز الطباعة على مستوى الدولة العثمانية كافة كما مر بنا آنفاً. لكن المصادر تذكر أن هذه الصحيفة صدرت من مدينة الحديدة ابتداء قبل دخول العثمانيين مدينة صنعاء، وكانت بمثابة الصوت الإعلامي الأولي أو الإجراء الإعلامي المسبق الذي وضح وجهة النظر العثمانية حول أسباب عودة العثمانيين إلى اليمن للمرة الثانية ودخولهم مدينة صنعاء، كما أنها مثلت وسيلة دعائية (propaganda) تبريرية تسوغ سيطرتهم على اليمن.

ولأنها كانت طارئة ولحظية في إصدارها حيث أفرزها ظرف عسكري وواقع دراماتيكي؛ تحدد هدفها بدرجة أساسية في رفع معنويات الجنود العثمانيين المرابطين في ثغور اليمن وحماستهم، وكذلك في المقابل إرباك الطرف الآخر المتمثل بالقوى المحلية (القوى الزيدية) وتثبيط همته ومعنوياته، كما اهتمت بنشر القوانين التي تصدرها الدولة العثمانية في مختلف المجالات، ونشر أهم الأخبار الرسمية للعاصمة المركزية (اسطنبول)، وكذلك أخبار التحركات العسكرية في الولاية[53].

تلك هي طبيعة الرسالة والمهام التي أنيطت بها منذ البداية، والتي حددت، إلى حد كبير، هويتها الرسمية/العثمانية ورسمت أفقها العثماني/اليمني العام. لذلك من الصعب أن نستشف منها نفسا وموقفا أيديولوجيا واضحا ومحددا بمنأى عن سياق كونها تمثل الصحيفة الناطقة باسم الإدارة العثمانية في اليمن، والتي يبدو من الضرورة بمكان أن تعكس، بشكل أو بآخر، توجهاتها وفلسفتها السياسية، باعتبارها أداة الربط والتواصل الإعلامي بين المركز (العاصمة) والولاية (اليمن) ولو من الناحية المعنوية.

مثلت ظاهرة صحيفة يمن مرحلة تكوينية (جنينية) في مجال نشأة الصحافة الرسمية في اليمن. وخلال هذه الفترة تفتحت إمكانات أخرى لظاهرة الصحافة الرسمية غير التفنن في تحسين صورة الحاكم والسلطة لدى العامة والجمهور. تمثلت في الوظيفة الأيديولوجية والرسالة التعبوية،

---

[53]. المؤيد، المرجع السابق، ص 40.

والتي مارستها الصحيفة، بشكل أو بآخر، لخدمة أهداف وغايات محددة ومرسومة. فقد مارست الصحيفة، بطريقة أو بأخرى، هذا الدور من خلال تناولها للمعارك التي خاضتها القوات العثمانية مع القوى المضادة في المناطق المتمردة، إذ كانت تصف انتصاراتها العسكرية بـ (الفتح المبين)، والمتمردين بـ (الفاسدين) الخارجين عن الدين الذي يعد بالضرورة، وفق الفقه السياسي السني الذي تبنته الدولة العثمانية منهجا سياسيا رسميا لها، طاعة السلطان (ولي الأمر)[54] ليس إلا.

هذه المسحة الأيديولوجية والخلفية العقدية الموجهة، سواء كانت بريئة أو غير بريئة، أسست مفهوما أوليا للكيفية التي ينبغي أن تكون عليها الصحافة الرسمية اليمنية في الفترة اللاحقة، فعلى ما يبدو أن صحيفة يمن استندت إلى خلفية فكرية وإرث سياسي متراكم منذ آماد، إذ من المعروف أن الدولة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (1905) كانت تتبنى فكرة الجامعة الإسلامية والرابطة العثمانية، التي ركب موجتها ونظّر لها جمال الدين الأفغاني (ت 1897م) ومحمد عبده (ت 1905م)، كإجراء وقائي ومشروع مضاد لتنامي دعوات القومية والنزعات الإثنية، ذات النزعة الشوفينية، والداعية صراحة إلى الانضواء تحت لواء مشروع الخلافة الإسلامية المتجسد في طاعة ولي الأمر(السلطان)، على اعتبار أن أي دعوة أو حركة خارجة عن هذا الإطار أو المنظومة الفكرية–السياسية تعد من وجهة نظر الدولة العثمانية خارجة على القانون، بل على الدين ذاته، وهو ما تبدى من خلال خطاب الصحيفة وما كرسته في تناولاتها لأهم الأحداث.[55]

كما إنها وظفت نوعا من الميثولوجيا والنص الديني لذات الغرض والأهداف، والتي تصب في مجملها في خدمة الدولة وأجندتها، لا سيما العسكرية منها، فقد صورت انتصاراتها العسكرية واقتحام جنودها للحصون الشاهقة في طريق تحركاتها العسكرية، بشيء من الأسطورة المدعومة بالعناية الإلهية، ووصفت المهزومين بالفاسقين ﴿وجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق[56]﴾، بحيث أبدتهم أمام الرأي العام بمثابة الخارجين عن الدين الواجب على الدولة محاربتهم شرعا وقانونا، محذرة في الوقت نفسه من عواقب الخروج والتمرد على سلطة الدولة مستشهدة بنص ديني يبرر عنف الدولة ويسوغ جبروتها[57] ﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾[58]، أوردته على صورة الوعظ والتذكير وإن كان مبطنا بالوعد والوعيد.

على أية حال إن المتصفح لأعداد صحيفة يمن المتوفرة للباحث بنسختيها العثمانية أو العربية، يلحظ أن ثمة جهدا إعلاميا، ودورا تنويريا، اتفقنا معه أو اختلفنا، قد أدته ومارسته هذه الصحيفة، لا سيما في جانب التغطية الإعلامية/الخبرية شبه الكاملة لعملية سير المعارك العسكرية،

---

[54]. صحيفة يمن، العدد 23، محرم سنة 289هـ، ص1.

[55]. يمن، العدد 23، ص 1.

[56]. سورة سبأ، آية 19.

[57]. يمن، العدد 23، ص 2.

[58]. سورة الحشر، آية 2.

وهو ما يجعلنا نؤكد: أن هذا النشاط الصحفي مثل مرحلة متطورة ومتقدمة مقارنة بما سبقه من نشاط في هذا الصدد بوسائل وأدوات إعلامية أخرى تقليدية، كما إن مضامين ما تحويه هذه الأعداد ومفرداتها ومصطلحاتها، وتعج به صفحاتها يعكس، بشكل أو بآخر، طبيعة الصراع/الجدل مع الخصم وخلفياته، وماهية الرسالة التي أدتها الصحيفة يمكن للمؤرخ المحترف والحصيف استنباطه وترجمة مدلولاته.

المحور الثاني: صحيفة صنعاء

تطور النشاط الإعلامي /الصحفي للعثمانيين في اليمن بشكل مطرد. فبعد أن أصدروا صحيفة يمن على شكل نشرة وأدخلوا مطبعة الولاية سرعان ما أصدروا صحيفة أكثر تطورا وانتظاما. فقد أصدروا صحيفة صنعاء عام 1297هـ الموافق 1878م وسموها بهذا الاسم نسبة إلى عاصمة الولاية مدينة صنعاء التاريخية. وكانت تطبع يدوياً باللغة العثمانية ابتداء، وفي أربع صفحات حتى العدد (248) صدر باللغة العربية وفي ثمان صفحات، وكانت تصدر كل يوم ثلاثاء من كل أسبوع ومن ثم كل يوم خميس. كان رئيس تحريرها عند بداية صدورها رجب أفندي. وقيل: إن مَن أمر بإصدارها هو السلطان عبد الحميد الثاني بنفسه لتكون صحيفة رسمية لولاية اليمن على غرار الولايات العربية الأخرى.[59]

تعد صحيفة "صنعاء" ثاني إصدار رسمي مطبوع في اليمن، مثلت لسان حال الدولة العثمانية، إن لم تكن – في نظر البعض – أول إصدار رسمي في اليمن والجزيرة العربية. فضلا عن أنها مثلت لدى عمر الجاوي بداية تاريخ الطباعة وليست الصحافة، كونها كانت – حسب وصفه – لسان حال الاحتلال التركي، وإحدى دعائم حكمه الدعائية[60]وهذا الرأي –من وجهة نظرنا–فيه نوع من المبالغة ولا يخلو من التحيز اللاموضوعي كونه طرح وصيغ في سياق مشبع بكثافة نمط إيديولوجي معين في حينه.

ولأن الصحيفة كانت رسمية الإصدار، رسمية الرسالة والمرسل وحتى المرسل إليه، كونها كانت متخصصة في نشر الأمور الرسمية، من أخبار وقرارات وتحركات ...الخ، وتوزع على الدوائر الحكومية والموظفين، عسكريين ومدنيين؛ بالتالي فإن وظيفتها وعلاقتها بالسلطة قد تحددت على هذا الأساس، كما حددت في الوقت ذاته هويتها وأفقها؛ إذ بدت منذ الوهلة الأولى، لاسيما في صيغتها التركية، بمثابة صحيفة نخبوية –عسكرتارية تقتصر في رسالتها على تبني الخطاب الرسمي للسلطة العثمانية الموجه بالدرجة الأولى إلى النخب الإدارية والعسكرية في الولاية. ولم

[59]. المؤيد، المرجع السابق، ص52.

[60]. الجاوي، عمر، نشأة الصحافة اليمنية وتطورها حتى عام 1948م، مجلة الحكمة (الجديدة)، العدد 26، يناير 1974م، ص 62.

تكن – بأي حال من الأحوال – بريئة من النفَس ذي الطابع الإيديولوجي الموجه، أيا كان مستواه، والذي أملته طبيعة وظيفتها وظروف نشأتها، والذي تجلى بشكل أكبر في إصداراتها باللغتين العربية والتركية ابتداء من العدد (248)[61]، إذ كرست بعض مقالاتها هذا النهج وجسدت بعض افتتاحياتها هذا التوجه–وإن لم يكن بمقاييس الراهن–حتى بات يشكل لديها هاجسا ووعيا ملازمين طوال مراحل صدورها. ففي أحد أعدادها عكست– ضمنا أو صراحة –، في معرض حديثها عن المشاريع العمرانية التي نفذتها حكومة الولاية في بعض مناطق اليمن، رسالة ذات مضمون إيديولوجي نهضوي– تحديثي مؤداه محاولة عثمنة اليمن وتحديثه "وأما القبائل والعشائر الذين مقيمين خيم البداوة في داخل اليمن لما يروا أنوار العمران والمعارف التي بدت بأشعة نور المسرة مرة من حواز الولاية لا يقدرون على الانجذابات في المعارف ومن عالي خصائص اقتدار العمران فسيدخلون دائرة التمدن تدريجيا وسيؤتون الحصول بكمال السهولة في قضية نشر العلوم والفنون التي هي أساس مقاصد علوية الملوكانية "[62]. وتؤكد هذه الرسالة وهذه الغاية بمدحها لليمن وقابلية أهله للتمدن: "وأما الشجاعة والذكاوة والفعالية التي مجبولين بها فطرة أهل اليمن فهي كافلة لإيصال مستقبل عمران قطعة المذكورة إلى درجة تبهر العقول"[63]، معللة ذلك بامتياز اليمنيين بسمتين رئيسيتين، ذاتية وموضوعية " مسعودين بخصيصتين مفتخرتين حيث هم إسلام ذاتاً وأيضاً وجودهم في تابعية السلطنة السنية، وبهذه المناسبة ستشكل لوحة الصداقة في صورة تجذب العقل والوجدان بالشكر المخصوص التي ترتبت لهذه كل ملة العثمانية من العبودية والصداقة"[64]. ولا يتأتى ذلك ويتعمق – من وجهة نظرها – إلا بحسن التربية من خلال ارتياد المكاتب (المدارس)، وهذا بحد ذاته يمثل دورا تنويريا رائدا ونشاطا تثقيفيا متميزا قد مارسته الصحيفة في حينه، وهو ما يؤكد حرص الدولة العثمانية واهتمامها– وقتذاك– بالجوانب الحضارية والثقافية، خصوصا التربية والتعليم، المفضيان بالضرورة إلى التمدن والتحضر لعموم سكان الولاية، أفصحت عن ذلك صراحة بالقول: "وليس محتاج الإيضاح إن المكاتب هي مراكز تربية العمومية مع إن حسن التربية باعثة لترقي الملك والملة ومؤسسة للمدنية والحرية[65]". بالإضافة إلى أن الصحيفة كانت تتناول بعض المواضيع ذات البعد الديني، التي تعكس اهتمام الدولة العثمانية بقضايا الإسلام العامة مثل إيرادها مقالا مطولا في أحد أعدادها بعنوان "الشؤون الإسلامية" استعرضت فيه عظمة الدين الحنيف وعالمية الإسلام، الذي يدعو إلى التوحيد ووحدة البشرية، والذي اعتنقه العديد من الأجناس وأقبلت عليه الكثير من البلدان، لسماحته وعظمته، وأن الدولة العثمانية استطاعت به، أن تفتح الأمصار،

---

[61]. صنعاء، العدد 427، السنة الثانية عشر، 30 ربيع أول سنة 1308هـ، ص 1.

[62]. صنعاء، العدد 435، السنة الثانية عشر، 27 جمادي الأول سنة 1308هـ، ص 1.

[63]. نفسه، ص 1.

[64]. نفسه، ص 1.

[65]. صنعاء، العدد 437، السنة الثانية عشر، 12 جمادي الآخر 1308هـ، ص 1.

وتصل برسالته إلى معظم الأقطار، حتى الصين والهند وأدغال إفريقيا، متجاوزة القومية والإثنية والجهوية، والآن آن الأوان للمسلمين– حسب تعبير الصحيفة– أن يترقوا في العلوم والمعارف كي يحققوا بها ما عجز عنه السيف، مذكرة في الوقت ذاته أن الإسلام في بعض الأقطار الأوربية حقق نوعا من المساواة والأخوة الإنسانية، ينبغي على المسلمين الحفاظ عليها وتغيير أساليب دعوتهم المرتكزة أصلا على العلم والمعارف والأخلاق "وأنه كلما كثر أرباب العلم والمعارف ظهرت مقادير عظمة دين الإسلام"[66]، مجسدة بذلك نفَس الجامعة الإسلامية وروح الرابطة العثمانية الرائجة أيديولوجيا والمباركة رسميا آنذاك، بصفتها كانت تمثل بالنسبة للدولة العثمانية، إطارا أيديولوجيا عاما ومرنا، قادرا على استيعاب وهضم ما استجد من دعوات ونزعات سياسية مغايرة، حفلت بها تلك المرحلة. فعلى سبيل المثال تناولت الآخر اليمني (القوة الزيدية) في كثير من المواقف، من هذه الزاوية؛ لأن الصحيفة كانت رسمية تمثل لسان حال الإدارة العثمانية في اليمن، لذلك تبدو علاقتها بالآخر السياسي–الفكري والمتمثل بالقوة الزيدية، متوترة نوعا ما، حددتها طبيعة الصراع بين الطرفين، تجلى ذلك في نعتها لهذه القوة في كل مراحل صراعها معها بالفاسدة المتمردة على الشريعة.

صحيح أن الصحيفة كانت تمثل أداة الدعاية العثمانية في اليمن – حسب الزين – وأنها إحدى الوسائل التي استخدمتها الدولة العثمانية في فرض سيطرتها على اليمن، لكن هذا لا يكفي لتفسير عزوف اليمنيين عن قراءتها؛ فهناك أسباب أخرى من أهمها الأمية الثقافية التي كانت سائدة في اليمن.

عكست الصحيفة بتناولها لأخبار الولاية وأخبار الدولة العثمانية، صورة نمطية – مثالية عن السلطان وممارساته بلغت أحيانا درجة العصمة، حيث صورته بمثابة الممثل للمشيئة الإلهية والخليفة الشرعي للرسول ﷺ [67]، مستندة إلى مرجعية فقهية – سياسية ترى أن السلطان أو الخليفة يمثل ظل الله في الأرض وخليفة لرسوله على عباده. وهي القاعدة المنبثقة من صميم الفقه السياسي السني، حيث من المعروف أن الدولة العثمانية، قد تبنته كنظرية سياسية ومنهج للحكم منذ تكوينها، فقد أوردت الصحيفة في أحد أعدادها مقالا مطولا بعنوان "آثار الجديدة لحضرة ملجأ الخلافة الجليلة"، تناولت فيه أهمية الشكر والثناء للسلطان وحددت علاقتها به " هل يمكن للإنسان إذا نظر إلى أية من الجرائد المنتشرة في بلادنا الواسعة الأرجاء أن لا يرى في كل عدد منها مقالات حمدا وثناء مبشرة بمآثر سيدنا ومولانا الخليفة الأعظم إما بإحياء المعابد والمساجد ودور العلم، وإما بإنشاء أنواع الخيرات والمبرات، وإما بإعاشة المصابين والمحتاجين، وإما بكل أمر خيري يعود نفعه على الملة والوطن معا. كلا ومنذ سنين عديدة عجز الكتّاب عن أن يحصوا مآثر الحضرة العلية

[66]. صنعاء، العدد 646، شوال سنة 1313هـ، ص 2.

[67]. صنعاء، العدد 518، 24 جماد الآخر سنة 1310هـ، ص 2.

السلطانية ويقدروها حق قدرها، أما الآن فقد استحال عليهم ذلك استحالة كلية وصار إيفاء وظائف الشكر والثناء تجاه تلك العواطف الجليلة خارجا عن استطاعة الألسن والأقلام".[68]

لقد اهتمت الصحيفة –منذ بداية صدورها– بالتركيز على رصد حركة الولاة العثمانيين في اليمن وتنقلاتهم، وعلى نشر الأخبار الرسمية والتعيينات والقرارات وإنجاز بعض المشاريع و...الخ، ليشكل لديها ثابتا اعتياديا وتقليدا صحفيا تمحور بين العناوين الثابتة التالية: "وقوعات ولايت (أحداث الولاية) – شؤنات عسكرية – مقتبسات – توجيهات – إعلان"، وهي العناوين التي اختزلت سياسة الصحيفة، وتوجهها الرامية إلى خدمة المصالح العثمانية في اليمن، إلى جانب إظهار الولاة العثمانيين أمام الرأي العام اليمني بمثابة خدام الشريعة الإسلامية والولاية ليس إلا.[69]

كما أنها تناولت المناسبات الدينية والاحتفالات الرسمية لتكرس هذا المفهوم في عقول الناس ووعيهم، وتضفي على الدولة العثمانية نوعا من القداسة والاحترام، فعلى سبيل المثال تناولَت في أكثر من عدد موضوع الاحتفال بمولد الرسول (ﷺ) بنوع من الرسمية المناسباتية، لتصور الدولة العثمانية، ممثلة بالسلطان والوالي في اليمن، بوصفها حامية الدين والممثلة له المقدرة لشعائره ومقدساته. لترسي بذلك تقليدا –صار معتادا في مراحل تالية –، ينبغي على النخبة (علماء، وفقهاء) وكذلك الرعية على حد سوا، أداؤه في كل مناسبة احتفالية (عيد الجلوس، جمعة رجب ...الخ)، وذلك عن طريق ترديد الدعاء التقليدي "ليعيش سلطاننا كثيرا ووفيرا" حتى وإن كان على ما يبدو عفويا لا واعيا، باعتبار السلطان "ظل الله في الأرض وحامي الدين ووكيل رب العالمين"[70].

والجدير ذكره، أن الصحيفة أولت الجانب الاقتصادي أهمية كبيرة، حيث تناولت مسائل الجباية والضرائب والزكاة وغيرها من الأمور الاقتصادية التي تصب في خدمة الإدارة العثمانية وتنظم ديمومة مواردها، لتبدو في معظم أعدادها وكأن أمور الاقتصاد تمثل القضية المركزية، التي من أجلها جاءت الدولة العثمانية وبها ديمومتها وعليها تقاتل، باعتبار ذلك يمثل فريضة دينية وضرورة سياسية جبلت الدولة العثمانية على تحقيقها كجزء من واجبها الديني – السياسي تجاه (الراعي والرعية)[71]. وهو ما يبرر تعاطيها في بعض أعدادها مع ما هو عقدي – فكري مغاير بنوع من اللامبالاة وعدم الاكتراث، ليس فقط باعتباره آنيا ولحظيا تفرضه حاجيات السياسة الطارئة، وإنما بكونه استثنائيا لا يشكل وقتئذ خطرا سياسيا يمس الوجود.

---

[68]. صنعاء، العدد 426، السنة الثانية عشر، 15 ربيع الثاني سنة 1308هـ، ص 1.

[69]. صنعاء، العدد 389، السنة التاسعة، 26 جمادي الأول سنة 1305هـ، ص 1.

[70]. صنعاء، العدد 425، السنة الثانية عشر، 16 ربيع أول سنة 1308هـ، ص 1؛ العدد 483، السنة الرابعة عشر، 17 شعبان سنة 1309هـ، ص1؛ العدد 564، السنة الخامسة عشر، 11 رجب سنة 1311هـ، ص1؛ العدد 570، السنة الخامسة عشر، 23 شعبان سنة 1311هـ، ص 1.

[71]. للمزيد حول هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى صحيفة صنعاء، الأعداد 323، 425، 428، 505، 512.

فقد طالعت قُرّاءها في إحدى افتتاحياتها بمقال عنوانه "أمور المالية" تناولت فيه طرق جمع الزكاة والجباية، وكيفية توزيعها على بنود المرتبات والإنفاقات العسكرية الباهظة وتوريد بقيتها إلى خزينة الولاية، معتبرة أن عملية إتقان توزيعها وتحسين وإكثار توريدها، يعطي أولوية وأفضلية للقائمين عليها لدى الوالي والسلطان على حد سواء[72]. وفي عدد آخر وتحت عنوان "وقوعات ولاية" أي أحداث الولاية، تناولت بشكل مكثف موضوعات الجباية وتحصيل الضرائب، والتي تنم عن أن ثمة إشكالات وعوائق لازمت عملية الجباية، من أبرزها تدخل المشايخ والوجهاء وبعض القائمين عليها "...اتفقا في أمر التحصيلات لتأمين حسن جريانها في مجاريها اللائقة مصونة عن المظالم والمشكلات السابقة... ".[73]

تكررت المواضيع والإشكالات نفسها في أعداد مختلفة، جعلت الدولة العثمانية تهتم بأمر الطرقات وإصلاحها، لاسيما الرئيسية منها التي تصل عاصمة الولاية (صنعاء) بمراكز الألوية والأقضية والنواحي، لتضمن بذلك استمرارية تدفق المؤن والاحتياجات وتسهيل حركة الجيوش والتنقلات بشكل طبيعي[74]، باعتبار الطرق والمواصلات –حسب وصف الصحيفة– مفاتيح المدنية والتحديث: "إن طرق البلدان كعروق الأبدان في تزييد (تزويد) المعمورية (الأرض) وتسهيل وسائل الثروة وتسريعها بمبادلة المحصولات (المحاصيل) الزراعية والصناعية، كما أن الدماء الحيوانية تتجول في مجالاتها لإدامة الحيات (الحياة)، ونستنهض همم المشايخ والعقال على تسوية الطرق الموصلة إلى منازل الآمال في السهول والجبال..."[75].

وهكذا كانت صحيفة صنعاء أكثر تطوراً من سابقتها. فقد مثلت الإرهاص الأولي للعمل الصحفي الرسمي المنظم في اليمن العثمانية، إذ بإصدارها شهد النشاط الإعلامي في تلك الولاية، لاسيما الصحفي منه، نقلة نوعية، حيث يمكن لنا القول: إنه الانتقال الكمي والكيفي إلى مرحلة العمل المؤسسي إن جاز التعبير، وذلك من خلال وجود أو تكليف الهيئة الإدارية المسؤولة، والمطبعة، والانتظام في الإصدار، وكثافة المواضيع، وشمولية التغطية...الخ، والتي عملت بالضرورة على تجويد الصحيفة إخراجا ومضمونا، وتكثيف اتجاه الرسالة التي حملتها هذه الصحيفة وحجمها، والمفعمة بنفس الجامعة الإسلامية ورديفتها الرابطة العثمانية، في سبيل التحديث والإصلاح، ومكاشحة النزوع القومي والإثني والمذهبي...الخ. الرائج آنذاك.

المحور الثالث: سالنامة ولاية اليمن.

---

[72]. صنعاء، العدد 428، السنة الثانية عشر، 8 ربيع الآخر سنة 1308هـ، ص 1.

[73]. صنعاء، العدد 505، 2 جمادي الآخر سنة 1308هـ، ص 1.

[74]. صنعاء، العدد 512، 12 جمادي الأول سنة 1310هـ، ص 1، 2؛ العدد 518، 24 جمادي الآخر سنة 1310هـ، ص2.

[75]. صنعاء، العدد 521، 12رجب سنة 1310هـ، ص1؛ العدد 519، 10جمادي الآخر 1310هـ، ص1؛ العدد 522، 17 رجب سنة 1310هـ، ص 1؛ العدد 566، السنة الخامسة عشر، 25 رجب سنة 1311هـ، ص 1.

لم تترك الإدارة العثمانية في ولاية اليمن أي وسيلة إعلامية/ صحفية أنتجتها آلة الطباعة إلا واستخدمتها، فإلى جانب الوسيلتين السابقتين استخدمت الحوليات المنتظمة الصدور التي على شكل الدوريات والمجلات الفصلية في وقتنا الحاضر، فقد خصصت لولاية اليمن حولية خاصة.

السلنامة كلمة عثمانية تتكون من كلمتين سال، وتأتي بمعنى سنة، ونامة تأتي بمعنى رسالة رسمية أو كتاب رسمي وتم جمع الكلمتين على شكل سالنامة بمعنى الكتاب الرسمي السنوي، وكانت تصدر سلنامة خاصة بالدولة العثمانية، وسلنامة خاصة بكل ولاية، وسلنامة خاصة بكل نضارة (وزارة) سنويا[76]. وسلنامة اليمن (يمن ولاياتي–سالنامة سي) تعني الحوليات اليمنية، وكانت بمثابة الدورية الرسمية للولاية[77]. صدر أول عدد منها عام 1881م وآخر عدد 1898م، وعددها تسعة أعداد، وقد كانت جميع سالنامات ولاية اليمن تصدر باللغة العثمانية ما عدا السالنامة التي صدرت في عام 1898م فقد صدرت باللغة العربية واللغة العثمانية[78]، وذلك من أجل إشراك المشايخ والأعيان والأشراف في العملية السياسية، التي بدت للعثمانيين منذ الوهلة الأولى عديمة الجدوى، عصية التحقق بدونهم، كما هي حالة اليمن في معظم الفترات "إن السلنامة التي صدرت إلى حد هذا العدد كلها باللغة التركية، وعلى هذا الأساس وبناء على رغبة الأعيان والأشراف والمشايخ المحلية، وتحقيقا للفائدة المطلوبة، تقرر إصدار السلنامة باللغتين التركية للموظفين والعربية مترجمة عن التركية للمشايخ والأعيان والأشراف وغيرهم[79]". والغاية من ذلك كما يبدو هي التنوير والتثقيف وإن بصورة بيروقراطية انتقائية مقتصرة على شريحتي الموظفين الذين يجيدون اللغة العثمانية من جهة، والمشايخ والأعيان والأشراف وكل قارئ من جهة أخرى.

وتأتي أهمية السلنامة في أنها تورد معلومات مهمة عن ولاية اليمن سنويا، وأهم المعلومات التي تناولتها يمكن إجمالها في ما يلي:

– معلومات عامة عن الدولة العثمانية.

– أسماء جميع الولاة الذين حكموا ولاية اليمن ابتداء من عام 1539م إلى العام الذي صدرت فيه السالنامة، مع ذكر نبذة عن الأعمال التي قام بها كل وال في اليمن.

– أسماء جميع المسؤولين المدنيين والعسكريين في الولاية، ابتداء من الوالي وانتهاء بأسماء الموظفين في أصغر وحدة إدارية وهي الناحية، والذين هم على رأس أعمالهم في السنة التي صدرت فيها السالنامة.

---

[76]. صابان، سهيل، مصادر تاريخ الجزيرة العربية في تركيا والرياض، (د.ن)، (د.م)، 2002م، ص 97.

[77]. الزين، عبد الله، المرجع السابق، ص 35.

[78]. الشامي، فؤاد، أوراق بحثية مقدمة إلى مؤتمر الحضارة اليمنية السادس، جامعة عدن، اليمن.

[79]. الزين، المرجع السابق، ص 37.

– تقدم معلومات مختصرة عن كل سنجق من سناجق ولاية اليمن الأربعة، توضح من خلالها أهمية السنجق وجغرافيته ونشاطه الاقتصادي، وفي بعض الأحيان تقدم معلومات عن بعض القضوات والنواحي الكبيرة.

– معلومات عن عدد السكان في الولاية، وطرق البريد، وطرق الحج، والمسافات بين المدن الرئيسية.

– إيرادات الولاية ومصروفاتها.[80]

وقد لا تختلف سلنامة اليمن، كثيرا عن بقية الصحف العثمانية الصادرة في ولاية اليمن، من حيث حمل رسالة إعلامية موجهة، أيا كان شكلها ومضمونها، غايتها خدمة مصالح العثمانيين السياسية في اليمن، وتسويغ مشروعهم الساعي وقتئذ نحو العثمنة، فقد استعرضت، بشكل مسهب وإنشائي إنجازات السلطان عبد الحميد الثاني، التي تركزت في معظمها في الجوانب العسكرية والحربية، التي تدفع باتجاه مركزة الدولة بغية الحفاظ على كيانها ووحدتها حتى وإن كان عن طريق التحكم على الأطراف: "وبهذا الزمان الأخير أيضا مد خط التلغراف ما بين جدة وسواكن والشيخ سعيد وبريم وبين الحديدة وقمران تحت البحر وبه ربطت القطعة الحجازية واليمانية بدار الخلافة العلية"[81]، وهو الأمر الذي يؤدي– من وجهة نظرها– إلى الرقي والمدنية في الجوانب والأصعدة كافة، ويعزز من مسائل التثاقف والحوار بين الشعوب والبلدان كافة، لاسيما المنضوية منها تحت حكم الدولة العثمانية: "والحاصل أنها قد استكملت جميع الأسباب الخادمة لحصول ترقي المعارف والصنايع، وتزايد الثروة والسعادة"[82]، وذلك بفضل تلك الطرق والإنشاءات: "فإن لوسائط النقل درجة عالية مؤثرة في أمر الصنايع، فقد علم من طالع التواريخ ما حازته المحلات التي في السواحل من التقدم في التجارة والصنايع، إذ صارت منشاء لها، وكل ذلك أثر ما نالته بالطبع من تسهيل النقل، وإن الطرق المذكورة قد قربت المحلات البعيدة إلى بعضها، وسهلت وارداتها، فوسائط النقل هي أقوى معين لكافة الصنايع، فكلما تعددت وتوسعت ترقت الصنايع كلها بنسبتها. وأما المحلات غير السهلة في النقل، فإن تجارتها وصنايعها محدودة، ومن المحال تصور أهلها حالا لأمر معاشهم، غير ما انتقل إليهم من آبائهم وتدبرهم أمر المدنية، وأسباب الترقي، فلا نجد أكثرهم إلا أسرا الضرورات. وإن لتوسع وسائط النقل تأثير عظيم في أمر دائرة المدنية أيضا، فإنه بمبادلة الأشياء بين أهل الممالك أيضا يقع تعاطي الأفكار المختلفة، وكلما عرف الإنسان أناسا استعد للتفكير، وأمكنه تعديل أفكار المخاصمة الواهية، واستيقظ حس المنافع المشتركة، واستفادت كل بلدة من

[80]. يمن سلنامة سي، العدد 1314، رولي.

[81]. يمن سلنامة سي، العدد 1314، رولي، ص 76، 87، 94.

[82]. نفسه، ص 94.

تجربة الآخر ومعلوماتها...[83]. وهي هنا تقرن مسألة التمدن والتحضر بوسائل الإنتاج وعلاقة الإنتاج وكذلك بالموقع الجغرافي على اعتبار أن كل ذلك، من وجهة نظرها، يعد أسّ التقدم وجذر التطور والازدهار إذ بدونها يستحيل تحقيق ذلك حسب تعبيرها، وهو ما لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نستشف منه ثمة نزوعا أو نفسا شيوعيا مبكرا، حيث وقد أوردت ذلك في سياق خبري توثيقي ليس غير. لكن الملفت للنظر أن الدولة العثمانية مُمَثّلَة بالإدارة العثمانية في اليمن بذلت في نشاطها الإعلامي /الصحفي جهدا كبيرا في سبيل توصيل رسالتها في مجالي التحديث والإصلاح، خصوصا أن المجتمع اليمني آنذاك قد أبدى استعصاء ونفورا من كل ما هو جديد وحداثي ومن ذلك المشاريع والإنشاءات وهو ما جعل الصحف العثمانية تتحدث عن أهمية المشاريع والإنشاءات تلك وفوائدها.

إن سلنامة اليمن قد أوضحت الغاية من وصول العثمانيين إلى البلاد العربية وهي حجية الدفاع عنها وعن الأراضي المقدسة من الخطر البرتغالي الذي كان يجوب البحار الشرقية والاستيلاء على بعض سواحل الجزيرة العربية وإفريقيا: "فاستجلب ذلك نظر السلطنة السنية التي غاية أفكارها خدمة الدين المبين وحماية المسلمين، فرأى (السلطان) من الواجب المبادرة إلى إزالة ذلك وحفظ وصيانة جزيرة العرب ولا سيما أرض الحجاز المقدسة التي هي مشرق أنوار الدين المبين"[84]، وعلى هذا الأساس المنطلق من رسميتها، صورت حروب العثمانيين في اليمن على أنها حروب دينية مقدسة، تمثلت في إرساء دعائم الخلافة الإسلامية المجسدة بالسلطان العثماني، وحماية الأراضي الإسلامية المقدسة؛ ليصبح بالتالي، كل تمرد وخروج عن طاعتها إنما يمثل خروجا وتمردا على الدين ذاته[85]، وهو ما كرسته كل الصحف والمطبوعات العثمانية في اليمن، وربما غيرها.

الخاتمة:

وهكذا كانت الصحف والمجلات العثمانية الصادرة في اليمن، في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، والتي لم نجد لها أي إصدار قبل عصره وبعده، كانت تمثل وعاءً استوعب خطاب الإدارة العثمانية في اليمن، فقد دارت في فلكها وعبرت عن مصالحها وتوجهاتها، بوصفها منتجا ثقافيا لها، وإفرازا إيديولوجيا لتوجهاتها ومعتقدها، لتؤصل بذلك مبدأ أساسيا، أصبح في مراحل تالية ثابتا إعلاميا ملازما لمعظم الصحف الرسمية اليمنية في فترة لاحقة.

---

[83]. نفسه، ص 95.

[84]. يمن سلنامة سي، العدد 1314، رولي، ص 358.

[85]. نفسه، ص 365، 401.

– كما إنه يمكن القول: إنها بخطابها، مثلت مقدمة، وحالة تجلٍّ لثقافة سياسية – فكرية مميزة، اتسمت في إجمالها بنسق فكري معين، بات يشكل رافدا هاما من روافد أطياف الفكر السياسي اليمني الحديث والمعاصر.

– ومن خلال ما تضمنته الصحف العثمانية الصادرة في ولاية اليمن، والمتمثلة في الإصدارات الثلاثة (يمن، صنعاء، سلنامة سي اليمن)، وما استوعبته تلك الإصدارات من مفردات وخطاب وأحداث، تبين أن الدولة العثمانية قد مارست نشاطا إعلاميا هادفا وموجها، تمحورت رسالته بشكل أساسي في ما يمكن تسميته إجمالا بعملية تحديث وعثمنة ولاية اليمن، علاوة على ذلك فإن استخدام الصحافة في تلك المرحلة يعد في حد ذاته تحديثا ليس إلا.

– خاضت الصحافة العثمانية في اليمن جدلا وصراعا إعلاميا ذو مضامين أيديولوجية مع الخصوم من ذوي التوجهات المغايرة.

– إن الصحافة العثمانية في اليمن، وما لعبته من دور إعلامي كبير وهام، تختزن في طياتها العديد من الأحداث والتفاصيل وتستوعب صفحاتها جما من المفردات والمصطلحات للخطاب الرسمي للدولة العثمانية، قد تشكل في مجملها مادة علمية تاريخية ثرية يمكن للمؤرخ المحترف أن يستفيد منها ويدرسها دراسة علمية مستقلة، وهو ما ينويه ويرجوه الباحث مستقبلا إن توفرت له الإصدارات وتهيأت له الظروف بإذن الله تعالى.

ورقة سياسات

العدالة الجندرية للريفيات بقطاع الزراعة بالمنطقة العربية في ظل التغيرات المناخية

أ.د مرفت صدقي عبد الوهاب

أستاذ دكتور (رئيس بحوث) بقسم بحوث المرأة الريفية معهد بحوث الارشاد الزراعى والتنمية الريفية

بمركز البحوث الزراعية – مصر

drmervat@arc.sci.eg

2023

مقدمة:

التركيز الدولي أشار إلى أنه لا يمكن أن يتحقق هدف القضاء على الجوع في غياب المساواة بين الرجل والمرأة، ولكن تؤدّي القيود المفروضة على حركة المرأة ووصولها إلى العدالة الجندرية وحصولها على الأراضي والموارد الاقتصادية، إلى إقصائها من القوى العاملة المنتجة، وتقويض إمكاناتها، وتعرضها لمزيد من الفقر على الرغم أن المرأة الريفية قادرة على المشاركة على نحو كامل في عملية التنمية الزراعية عبر تعزيز المساواة بين الرجل والمرأة بقطاع الزراعة، الذي يعد المعبر الحقيقي الذي يسهم في الحد من الفقر المدقع، والقضاء على الجوع، وتحقيق العمل اللائق، والحد من مظاهر الضعف الاجتماعي والاقتصادي للريفيات تحت مظلة المساواة، في ظل المتغيرات البيئية الجديدة والتغيرات المناخية وآثارها الاقتصادية والاجتماعية والبيئية؛ حيث تبقى الزراعة من أهم قطاعات التشغيل، وتوليد الدخل في معظم بلدان المنطقة العربية، وتظل المرأة الريفية في المنطقة العربية هي العمود الفقري لقطاع الزراعة؛ بتعدد أدوارها وأهميتها والوجود البنائي والوظيفي لها في المجتمع الريفي.

لهذا أصبح مطلب العدالة الجندرية في قطاع الزراعة مطلبا رئيسا للتكيف والتواؤم مع آثار التغيرات المناخية المستقبلية. وهو ما يستدعي تنفيذ آليات التمكين الزراعي، ويقصد به أن تكون المرأة الريفية العاملة في الزراعة في المنطقة العربية قادرة على المشاركة على نحو كامل في عملية التنمية الزراعية، من خلال تقليل الفجوة بين الرجل والمرأة عن طريق إعطائها القدرة على الاختيار، واتخاذ القرارات المتعلقة بالإنتاج، والقدرة على الحصول على ملكية الأرض الزراعية أو حيازتها، والقدرة على التحكم في الدخل الناتج عن ما تقوم بإنتاجه، وإعطائها مساحة من الحرية للقدرة على عرض آرائها وأفكارها، والتدريب وتنمية القدرات، وإيصال المعلومة الزراعية الحديثة لها أينما كانت،

وحمايتها من الصدمات والأزمات القادمة عبر الإنذار المبكر للأزمات بمعني تطبيق فعلي لآليات عديدة؛ لتحقيق تمكين في مختلف الأبعاد في ظل الآثار المستقبلية للتغيرات المناخية عبر:

– اعتماد نُظم حماية اجتماعية للجميع، ولا سيما للنساء، وضمان الحصول على الموارد الاقتصادية والخدمات الأساسية، وعلى حق امتلاك الأصول والموارد الطبيعية والتصرف فيها، تحت مظلة المساواة الجندرية بين الرجال والنساء.

– إيجاد مصادر رزق بديلة لتأمين سبل العيش؛ لمجابهة الأزمات الناتجة عن آثار التغيرات المناخية.

– لابد من نقل هذا الكم المتراكم والمتجدد من المعلومات من خلال وسائل الاتصال، التي تعد جوهر العمل في التنمية الريفية؛ حيث تتمثل أهمية وسائل الاتصال في القدرة على الوصول إلى المزارعين وأسرهم بأحدث التكنولوجيا الزراعية المادية والمعرفية في أقل وقت ممكن، وفي حالة الكوارث والأزمات.

– مراعاة الفرق بين الجنسين في برامج التكيف ونقل التكنولوجيا؛ لمواجهة آثار التغيرات المناخية.

– الحصول على الخدمات المالية على قدم المساواة.

– دعم قوانين الميراث ومساندتها؛ لمنح المرأة القدرة في الحصول على الموارد الأرضية.

– التوعية بأهمية التمكين الاقتصادي للمرأة، والمساواة في الوصول إلى الفرص بين الرجل والمرأة، وإلغاء الحواجز الهيكلية والقانونية التي تعيق عمال المرأة؛ حتى تستطيع مواجهة الأزمات الناتجة عن آثار التغيرات المناخية المستقبلية.

– بناء قدرات المزارعات بحيث يصبحن قادرات على مضاعفة إنتاجية مزارعهن من خلال التدريب والتعلم على كيفية إدخال مفهوم الزراعة الإلكترونية.

– الوصول المتساوي بين الرجل والمرأة إلى الأسواق والتسويق الإلكتروني.

– التركيز على تنمية قدرات النساء في التخطيط وصنع القرار في إدارة الأرض الزراعية.

– الوصول المتساوي للخدمات الإرشادية وغيرها من الخدمات التي من شأنها زيادة الإنتاجية.

– الابتكار في وصول الريفيات إلى الأرض الزراعية عبر التمويل من الجهات التي تسهم في تمكين الريفيات في قطاع الزراعة.

– الافتقار إلى الوقت من أكثر مظاهر انعدام المساواة بين الرجل والمرأة؛ لهذا لا بد من اعتماد السياسات المناسبة لتمكين المرأة من التغلب على ما تعانيه من افتقار إلى الوقت، حيث يزيد المرأة فقراً وجوعاً.

– دعم التنمية الريفية بإتاحة فرص عمل لائقة في المناطق الريفية، بما في ذلك إعادة إحياء الصناعات الزراعية الصغيرة والمتوسطة، واستحداث المزيد منها، وتنشيط الإمدادات الصناعية للقطاع الزراعي.

– توفير بيانات كمية ونوعية أكثر تفصيلاً وعالية الدقة لأدوار النوع الاجتماعي، حيث يمكن أن توفر البيانات التفصيلية كيفية دمج النوع الاجتماعي في السياسات الزراعية.

– الحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية والبيئية للمرأة مترابطة ولا يمكن تجزئتها، والقصور في إحدى جوانبها ينتج عنه ضرر في الجانب الآخر، وهو ما ينادي بالتناغم المؤسسي بين المنظمات والوزارات في وضع سياسات تمكين الريفيات، والمساواة بين الجنسين من أجل هدف سامٍ ألا وهو العدالة الجندرية في ظل التغيرات المناخية المستقبلية.

التغيرات المناخية قضية تتعلق بالبيئة والتنمية معاً، حيث إنه من المسلمات البديهية أن البيئة والتنمية يجب أن يكون بينهما علاقه ارتباطية، حيث يدعم كل منهما الآخر ولا يجب أن تكون علاقتهما تنافرية، وذلك لأن التنمية البشرية لا تتحقق ما لم يتحقق مبدأ الاستدامة البيئية.

وتعتبر ظاهرة التغيرات المناخية ظاهرة عالمية، أو ما يسمى بأنها بالكارثة الزاحفة، إلا أن تأثيراتها المحلية تختلف من مكان إلى آخر على الكرة الأرضية نظراً لطبيعة النظم البيئية وحساسيتها في كل منطقة وفي كل دولة. وتعد دول المنطقة العربية من أكثر المناطق عرضة للتأثيرات المحتملة للتغيرات المناخية، وهو الأمر الذي يترتب عليه تأثيرات سلبية اقتصاديا واجتماعيا وبيئيا، ومن ثم عرقلة التنمية بشكل أكثر خطورة، وتتمثل هذه التأثيرات المحتملة في نقص الإنتاج الزراعي في بعض المحاصيل كما ونوعا، وزيادة معدلات التصحر، وزيادة التبخر، وتغير في الإنتاج الحيواني وإمكانية اختفاء سلالات ذات أهمية.

وتأثيرات اجتماعية واقتصادية كهجرة العمالة، وتأنيث الزراعة حيث تكون القوى العاملة الأكثر عددًا في قطاع الزراعة من النساء، نظرا لهجرة الرجال للبحث عن العمل في دول أخرى، وأعمال غير الزراعة، وعزوفهم عن العمل في قطاع الزراعة. ومن أخطر آثار التغيرات المناخية على الأسر الريفية، عدم تحقيق الأمن الغذائي على المستوى النسبي نظراً لانخفاض الإنتاجية الفدّانية، وانخفاض نصيب الفرد من المساحة المزروعة، حيث يعتمد قطاع عريض من السكان الريفيين على الزراعة كمصدر وحيد للحصول على الدخل.

وفي الوقت الذي ينظر فيه إلى أن قطاع الزراعة من أكثر القطاعات تأثرًا بآثار التغيرات المناخية، يمكن للزراعة أن توفر مرتكزات إحداث التنمية المستدامة إذا أمكن زيادة الإنتاجية للفدان عبر استنباط أصناف جديدة مقاومة للجفاف يمكن من خلالها التواؤم مع آثار التغيرات المناخية، والتأقلم مع انخفاض الإنتاجية عبر الترشيد، وعدم الهدر من خلال استراتيجية مشاركة النساء على قدم المساواة مع الرجال في إحداث التنمية المستدامة، وعبر إدماج النوع الاجتماعي في السياسيات الزراعية.

الهشاشة الاجتماعية والاقتصادية والتغيرات المناخية:

وعن التغيرات المناخية والنساء اللواتي يعملن في قطاع الزراعة، تعد النساء الريفيات من أكثر الفئات تأثرا بآثار التغيرات المناخية نظرا لانخفاض الدخول والمستوى المعيشي لانخفاض الإنتاجية للفدان؛ حيث وقوع النساء الريفيات فريسة لما يسمى بالهشاشة الاقتصادية؛ حيث تأكل الأصول لمحاولة مجابهة الأزمات والكوارث الناتجة عن آثار التغيرات المناخية مستقبليا، أو التأثر الاقتصادي الذي ينتج عنه الهشاشة الاجتماعية والتأثر الاجتماعي، الذي يظهر في أساليب التكيف المعيشي السلبية، لمحاولة التأقلم مع انخفاض الدخول الناتجة عن انخفاض الإنتاجية ومنها: الزواج المبكر للتخلص من عبء تربية الأبناء، أو تقليل الوجبات الغذائية كما ونوعا، أو خروج الأبناء من بعض المراحل الدراسية المبكرة والاتجاه إلى عمالة الأطفال والاستمرار في الأعمال الهامشية.

لهذا أصبح مطلب العدالة الجندرية في قطاع الزراعة مطلبا رئيسا للتكيف والتواؤم مع آثار التغيرات المناخية المستقبلية. وهو ما يستدعي تنفيذ آليات التمكين الزراعي، ويقصد به أن تكون المرأة الريفية العاملة في الزراعة في المنطقة العربية قادرة على المشاركة على نحو كامل في عملية التنمية الزراعية، من خلال تقليل الفجوة بين الرجل والمرأة عن طريق إعطائها القدرة على الاختيار، واتخاذ القرارات المتعلقة بالإنتاج، والقدرة على الحصول على ملكية أو حيازة الأرض الزراعية، والقدرة على التحكم في الدخل الناتج عن ما تقوم بإنتاجه، وإعطائها مساحة من الحرية للقدرة على عرض آرائها وأفكارها، والتدريب وتنمية القدرات، وإيصال المعلومة الزراعية الحديثة لها أينما كانت. وحمايتها من الصدمات والأزمات القادمة عبر الإنذار المبكر للأزمات، بمعنى تطبيقا فعليا لآليات عديدة؛ لتحقيق تمكين في مختلف الأبعاد في ظل الآثار المستقبلية للتغيرات المناخية.

ونجد أن النساء اللواتي يعملن في الزراعة من أكثر الفئات تأثراً بالهشاشة الاقتصادية والاجتماعية الناتجة عن آثار التغيرات المناخية، ومن ثم أصبحت حمايتهن من أهم المتطلبات لتحقيق الأمن الاجتماعي؛ حيث يعد عاملاً أساسياً لتماسك المجتمع، وتحقيق الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي.

وتعرف الهشاشة vulnerability بأنها مزيج من التعرض للمخاطر، وعدم كفاية القدرات على التأقلم من أجل إدارة هذه المخاطر أو استيعابها أو تخفيفها لدى الأفراد، وللهشاشة عدة أبعاد منها:

البعد الاقتصادي، والبيئي، والاجتماعي. والهشاشة تؤدي إلى الأزمات وانقطاع سبل العيش على فترات طويلة، وأشد الفئات تضرراً هي أفقر شرائح المجتمع، وتمثل الهشاشة الاقتصادية حالة من الضعف؛ بسب عدم كفاية الأصول أمام الصدمات الاقتصادية المفاجئة الواسعة المدى، أو حتى الصدمات الفردية كأن يفقد العامل البسيط قدرته على كسب قوته اليومي (الليثي، 2018: 1)

ويؤكد مفهوم الهشاشة على عدم قدرة الأسرة على الاستمرار في وضعها الحالي من الرفاهية إذا ما تعرضت للصدمات أو الأزمات، ومن ثم نجد العلاقة بين الهشاشة وآثار التغيرات المناخية تتمحور حول انخفاض الدخول نظرًا لانخفاض إنتاجية الفدان، حيث عدم قدرة الأفراد على مواجهة تلك الأزمات، ومن ثم التعرض لما يسمى بتآكل الأصول الاقتصادية، وتعني البيع لبعض الممتلكات والمدخرات لإمكانية توفير المتطلبات للحياة الأسرية، ومن ثم تعرض الأفراد والجماعات للهشاشة الاقتصادية التي تسهم في ظهور تأنيث الفقر "feminization of poverty" حيث يشير إلى أن دخل المرأة المستقل –إن وجد– أقل من دخل الرجل سواء تم تعريف الفقر بدلالة الدخل المتاح للصرف، أو بدلالة فقر القدرة على اكتساب المهارات.

وعليه، فالفقر البشري يغلب عليه الطابع النسائي وفقًا لأبعاد مقياس التنمية البشرية الثلاثة، وهو ما يسمى بالفقر متعدد الأبعاد. وينطوي مفهوم تأنيث الفقر على أن المرأة تكون أكثر تأثرًا وحساسية للمتغيرات الاقتصادية المتمثلة في: انخفاض الدخل والمستوى المعيشي، ومعاناة المرأة من حيث عدم القدرة على إشباع الاحتياجات الاساسية لها ولأسرتها، حيث إن فرصة النساء الفقيرات ضعيفة في الوصول إلى الموارد الحيوية مثل الأرض والإرث، ويعملن بدون أجر أو في الأعمال الهامشية (feminization of poverty ,2015) (مرفت صدقي، 2021: 32).

وهو ما يعكس ضرورة الاهتمام بتحقيق العدالة الجندرية بين الجنسين في قضية التغيرات المناخية، حيث السعي نحو تمكين النساء إيمانا بأدوارهن في مسيرة التنمية؛ فالمساواة بين الجنسين والعدالة الجندرية مطلب رئيس للتكيف ومواجهة آثار التغيرات المناخية، نظرا للأدوار والمهام التي تقوم بها النساء في قطاع الزراعة. والمساواة تعني أن الرجال والنساء يتساوون في الفرص والإمكانيات المتاحة، والقدرة على التمتع بحقوقهن والحصول على الموارد والمنافع، حتى يتم مواجهة الآثار الاقتصادية والاجتماعية، وعدم التعرض للهشاشة من خلال:

- إيجاد مصادر رزق بديلة خاصة للفئات الأكثر هشاشة كالمرأة.
- مراعاة احتياجات وأولويات ومسؤوليات المرأة من حيث: التكنولوجيا المتطورة المتعلقة بتغير المناخ، وتوفير آليات تمويل مرنة تعكس احتياجات المرأة المتعلقة بالتخفيف والتكيف مع تغير المناخ.
- مراعاة الفرق بين الجنسين في برامج التخفيف والتكيف، ونقل التكنولوجيا.

- بناء القدرات وتحقيق المساواة بين الجنسين عن طريق توفير فرص متساوية للائتمان.
- الحصول على التدريب للمشروعات المتعلقة بالتخفيف والتكيف مع تغير المناخ (الاستراتيجية الوطنية لتغير المناخ، 2022)

إن التنوع البيولوجي الذي حبا الله به الطبيعة كنز يدعم ويضمن استمرار الحياة على وجه البسيطة، وهو من إحدى آليات التكيف والتواؤم الطبيعية مع التغيرات المناخية؛ حيث يؤمّن توفير احتياجات الجنس البشري وتطويرها وملاءمتها. وتُعد الموارد الوراثية النباتية الأساس البيولوجي للأمن الغذائي في العالم، وهي تدعم بصورة مباشرة أو غير مباشرة سبل معيشة كل شخص على ظهر الأرض من خلال ما توفره لهم من: أغذية، وأدوية، وأعلاف للحيوانات المستأنسة، وألياف، وملابس، وسكن، وطاقة، وعدة منتجات وخدمات أخرى. فهي المادة الخام المستخدمة في إنتاج الأصول والسلالات الجديدة، وتمثل مستودعا للتكيف الوراثي الذي يعمل كحاجز ضد التغيرات البيئية والاقتصادية المحتمل أن تكون ضارة، ويشكل تآكل هذه الموارد تهديدا خطيرا للأمن الغذائي في العالم على المدى الطويل.

الريفيات والتنوع البيولوجي في الوطن العربي:

يؤدي فقدان التنوع البيولوجي إلى سلاسل متوالية للانقراض؛ حيث يؤدي فقدان أحد الأنواع إلى فقدان نوع آخر، والذي يؤدي بدوره إلى سلسلة جديدة من الفقد؛ وعندما تُدمر النظم البيئية تطلق الكربون بدلا من تخزينه، ومن ثم تسريع عملية تغير المناخ، وفي حين أن فقدان التنوع البيولوجي قد يؤدي إلى نقطة تحول في تغير المناخ أو المحيطات، والأسوأ من ذلك هو أن العلماء يحذروننا من أننا نقترب بشكل خطير من احتمال تجاوز نقاط تحول متتالية. ولقد تم بالفعل تحديد العديد من نقاط التحول الرئيسة للبيئة في العالم، التي تؤدي إلى خطر الانهيار البيئي (المفوضية الاوروبية، 2021: 7).

يعتبر الوطن العربي منشأ وموطناً أصلياً لأعداد كبيرة من الأنواع والسلالات الرئيسة المستخدمة في التغذية وإنتاج الألياف والمواد الصيدلية على الصعيد العالمي؛ غير أن هذا التنوع يعرف اليوم تحديات لم يشهدها في تاريخه، تهدد بتقليصه، وربما انقراضه، بفعل عوامل شتى منها: سوء الاستغلال وتدمير الأنظمة البيئية الطبيعية، وفقدان التنوع البيولوجي يجعل من المستحيل تحقيق أهداف التنمية المستدامة المتعلقة بالفقر، والجوع، والصحة، والمياه، والمدن، والمناخ، والمحيطات، وتدهور الأراضي بسبب الاتجاهات السلبية الكبيرة في الطبيعة وتأثيراتها على الأفراد، ويشكل تآكل هذه الموارد تهديدا خطيرا للأمن الغذائي في العالم في المدى الطويل.

حيث تشير الإحصائيات إلى أن عدد الجياع في العالم أخذ في التزايد ببطء منذ عام 2014 وحتى عام 2019، حيث أصبح عدد من يعانون من النقص التغذوي اليوم أكثر مما كانوا عليه منذ عام 2014 بزيادة تبلغ 60 مليون نسمة، أي بزيادة قدرها 10 ملايين نسمة بين عامي 2018 و 2019، وتشير التقديرات الأولية المستندة إلى التوقعات الاقتصادية العالمية في ظل كوفيد 19 إلى أنه قد يزيد عدد الذين يعانون من النقص التغذوي بين 83 إلى 132 مليون نسمة لعام 2020 وفقاً للنمو الاقتصادي (تقرير الأمن الغذائي والتغذية في العالم، 2020: 15).

وتعتبر الزراعة المسؤول الأول عن تحقيق الأمن الغذائي، فهي أحد الأنشطة الرئيسة للتنمية الاقتصادية. كما تعتمد الزراعة على العديد من الموارد الطبيعية والبيئية بصفة أساسية لتحقيق الأهداف التنموية، ويعتبر الوطن العربي وبحكم موقعة الجغرافي من أكثر مناطق العالم ندرة في موارد الأراضي الزراعية والمياه، والعالم أجمع يسعى إلى تحقيق الأمن الغذائي عبر معارف، ومهارات، واتجاهات الرجال والنساء نحو حفظ الموارد الوراثية النباتية وصيانتها آملا بغد لتحقيق تنمية زراعية مستدامة.

وفي هذا الوسط العالمي يأخذ الوطن العربي بموقعه المتوسط في العالم أهمية خاصة، حيث تمتد فيه ثلاثة من الأقاليم الجغرافية للتنوع الوراثي للمحاصيل الزراعية الرئيسة هي: إقليم غرب آسيا، وإقليم جنوبي المتوسط، وإقليم شرق أفريقيا، وتحيط به خمس من الأقاليم الأخرى شهدت تواصلاً في فترات مختلفة من التاريخ مع أجزاء من هذا الوطن العربي؛ مما أدى إلى تراكم العديد من التنوع البيولوجي والوراثي في الموارد الوراثية النباتية خاصة التي أدخلت إلى هذا الوطن من الأقاليم الأخرى . فالوطن العربي بموقعه وتفاعله مع عالم اليوم لا يقف بمعزل عن كافة التغيرات والأحداث التي ذكرناها، ومنها على وجه الخصوص ما يمس أمر الموارد الوراثية النباتية للأغذية والزراعة، وما يخدم حولها من تحديات الأمن الغذائي والصحي، والمحافظة على البيئة، والتقليل من وطأة الفقر (رزق، وصدقي، 2015: 4).

ويعتبر الإنسان جزءا من البيئة، وذلك بتأثيره عليها، واستغلاله لها، أو إقدامه على الإساءة إليها بتلويثها، ويمكن أن يلعب –أيضا– دورا كبيرا في المحافظة على استقرار هذا النظام. وتؤدي النساء دورا حيويا في إدارة الموارد البيولوجية، ويتأثرن بشكل غير متناسب من جراء فقدان التنوع البيولوجي، وخدمات النظم الأيكولوجية. ويمكن أن يؤدي فقدان التنوع البيولوجي والنظم الأيكولوجية المتدهورة إلى إدامة عدم المساواة بين الجنسين عن طريق زيادة الوقت الذي تقضيه النساء والأطفال في أداء مهام معينة، مثل: جمع الوقود، والأغذية والمياه، وتقليل الوقت المتاح لأنشطة التعليم، والأنشطة المدرة للدخل. ويعد ضمان الحقوق المتساوية في الأرض، والميراث، والموارد الطبيعية تدبيرا هاما في تمكين النساء؛ لتعزيز الممارسات الزراعية المستدامة، وممارسات إدارة الأراضي،

لا سيما عندما تصبح النساء هن المسؤولات بشكل متزايد في الزراعة؛ بسبب هجرة الذكور، ويمكن أن توفر حقوق الحيازة الآمنة القدرات المطلوبة للالتزام بتدابير الحفظ. وتتيح ملكية الأرض حصول النساء على دعم للخدمات، التي تعزز قدراتهن على إدارة الأراضي بطريقة مستدامة تسهم في حفظ التنوع البيولوجي.

وتثبت البيانات أن المرأة الريفية هي صمام الأمان والعمود الفقري للقطاع الزراعي، حيث تشير بيانات البنك الدولي إلى العمالة في القطاع الزراعي وفقا للنوع الاجتماعي في الدول العربية، حيث تبلغ نسبة النساء العاملات في دولة المغرب في الزراعة 54% مقابل 29% للرجال، وفي مصر 35% للنساء مقابل 21% للرجال، و87% للنساء مقابل 82% للرجال في دولة الصومال (مؤشرات التنمية العالمية، 2020).

وتلعب المرأة الريفية دوراً كبيرا في المحافظة على الموارد البيئة المحدودة وإمكانية إحداث ما يسمى بالإصحاح البيئي، حيث علاقتها الوثيقة من حيث التعامل مع الموارد البيئية، فهي التي تدير شؤون أسرتها، وتلعب دوراً مهما داخل المنزل وخارجه؛ لهذا فالعلاقة بين المرأة والبيئة أثر وتأثر، حيث إن المرأة الريفية قد تكون من أهم العناصر المسببة للتدهور البيئي، أو من أهم العناصر التي تحافظ على البيئة وتحميها، وتقوم بإصحاح ما يطرأ عليها من أفعال حتى تستطيع البيئة استعادة عافيتها جراء أفعال البشر بها، ومن ثم تحقيق التنمية الزراعية المستدامة.

ولحماية الموارد الطبيعية الموجودة لدى النساء الريفيات، يجب تمكينهن من المشاركة في اتخاذ القرارات التي تؤثر في احتياجاتهن وأوجه ضعفهن. إن معالجة الأبعاد النوعية لإدارة الموارد الطبيعية، ستساعد واضعي السياسات على صياغة تدخلات أكثر فعالية؛ من أجل صون تلك الموارد واستخدامها بشكل مستدام. كما يتضح –أيضا– الارتباط الوثيق بين التنوع البيولوجي والحد من فقر النساء الريفيات لدى المجتمعات المحلية؛ ذلك لارتباط حياتهن ومجالات عملهن بالتنوع البيولوجي والممارسات المحلية، والمعارف التقليدية المرتبطة به.

أدوار المرأة الريفية في المنطقة العربية:

تشارك المرأة الريفية العربية في غالبية الأنشطة الزراعية، كما تسهم في كثير من الأنشطة الإنتاجية، التي تتم داخل المنزل وخارجه، وتنفيذ أنشطة ومشروعات إنتاجية صغيرة، إضافة إلى قيامها بتسويق بعض المنتجات الزراعية، إضافة إلى مشاركتها في صناعة العديد من القرارات الزراعية، التي لها انعكاسات مهمة على الزراعة وعلى الإنتاج.

أما في المجال الأسري، فالمرأة الريفية تلعب دوراً رئيساً في مجال التنشئة الاجتماعية لأبنائها، وتسهم –بشكل أساسي– في تشكيل نظم القيم لأجيال المستقبل؛ حيث تغرس القيم المرتبطة بالعمل، والإنتاج، وبناء الأسرة، وخدمة المجتمع، هذا بجانب دورها الأساسي في رعاية الأسرة وتغذيتها، وإدارة شؤون المنزل، وتدبير اقتصادياته.

كما إن المرأة الريفية لها تأثير كبير في البيئة، وفي صيانة مواردها، والمحافظة عليها بحكم الصلة الوثيقة بين الأنشطة اليومية التي تقوم بها المرأة الريفية وارتباطها المباشر بالموارد البيئة الطبيعية، كما هو موضح في الشكل التالي:

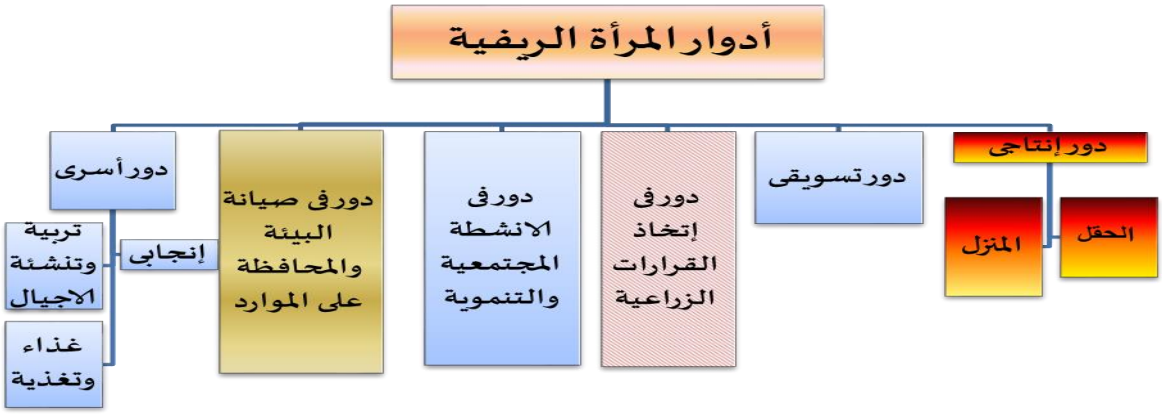

ونجد أن المرأة الريفية العربية تستمر في العطاء، وفي الأدوار المتميزة، وهي حفظ الموارد الوراثية النباتية صمام الأمان وصيانتها؛ لتحقيق الأمن الغذائي. وتشكل النساء أغلبية قوة العمل الزراعية، وهو ما يوضح تعامل المرأة مع الموارد الطبيعية الزراعية يومياً في سياق دورها كمزارعة، وكمتكفلة بأسرتها المعيشية؛ فهي تكون مسؤولة عن زراعة محاصيل كفافية، وكثيراً ما تكون لديها معرفة بأنواع المحاصيل المحلية، وكثيراً ما تعتمد المرأة الريفية المعدمة على الموارد الطبيعية، التي تمثل ملكية مشتركة، ويشكل الاستخدام المفرط لتلك الموارد تهديداً خطيراً لسبل العيش في الريف.

- وتسهم المرأة الريفية في المحافظة على التنوع البيولوجي، وعلى أنواع النباتات التي تستوطن المنطقة التي تعيشها، وذلك من خلال التعرف على هذه الأنواع، وعلى كيفية المحافظة عليها ومحاولة إكثارها. فالموارد الوراثية النباتية هي مصدر لكائن حي نباتي قد يكون كاملا أو جزءا منه وله قيمة اقتصادية، ويستخدم في الزراعة، وإنتاج الغذاء، وتنقسم إلى موارد وراثية نباتية خاصة بالمحاصيل الحقلية، والمحاصيل البستانية، والنباتات الطبية والعطرية، وحفظها يشكل صيانة للموارد الطبيعية وعدم إهدارها، ويعتبر المزارعون هم عصب حفظ الموارد الوراثية النباتية، واستدامة استخدامها لصيانة الموارد الطبيعية (دليل التشريعات في حفظ وصون الموارد الوراثية، 2010: 3)

- وتعتبر المرأة الريفية من أكثر الأفراد تأثيراً وتأثراً بالبيئة نظراً لاحتكاكها الوثيق بها، ولتأثيرها على الأجيال في نقل القيم البيئية سواء الإيجابية، أو السلبية من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية، ومن خلال ما يمكن أن تسهم به لتقليل التلوث والتدهور الذي يصيب البيئة.

- وهناك نماذج كثيرة على مستوى العالم توضح إسهامات المرأة في حماية البيئة والمحافظة عليها منها: قيامها بعمل الأسمدة العضوية لزيادة خصوبة التربة الزراعية، وتصنيعها للأعلاف

غير التقليدية من المنتجات الثانوية للمحاصيل كالقش والتبن والحطب وما شابه ذلك، وقيامها بزراعة الأشجار، وعمل المشاتل، واستخدامها لبعض المنتجات البيئية في عمل مصنوعات تدر دخلا لها، والمساهمة في تحقيق الأمن الغذائي على المستوى النسبي في الأسرة.

- كما تسهم المرأة الريفية في المحافظة على التنوع البيولوجي، وعلى أنواع النباتات والحيوانات والطيور التي تستوطن المنطقة التي تعيشها، وذلك من خلال التعرف على هذه الأنواع، وعلى كيفية المحافظة عليها ومحاولة إكثار زراعة النباتات التي تنمو في المناطق الصحراوية، ومناطق الغابات الموجودة في بعض الدول العربية مثل: لبنان، وسوريا، والمغرب.
- وتسهم المرأة الريفية عبر إنشاء الحدائق المنزلية، وزراعة الأسطح والاستفادة منها بتحقيق الاكتفاء الذاتي لغذاء الأسرة.
- تدريب النساء الريفيات على زراعة البيوت البلاستكية والتي تعد من الممارسات الزراعية الذكية مناخيا.

ومن ثم، فتمكين النساء في قطاع الزراعة، وتحقيق المساواة بين الجنسين مرتبط ارتباطا وثيقاً بالحفاظ على التنوع البيولوجي في ظل آثار التغيرات المناخية القادمة، حيث حقوق النساء في امتلاك الأرض الزراعية، والحصول على الخدمات، والوعي تجاه كيفية استخدام الموارد الطبيعية دون استنزاف، والحفاظ على التنوع البيولوجي، ومعرفة الآثار السلبية للتغيرات المناخية، وكيفية التكيف معها للإسهام في تحقيق الأمن الغذائي، وتقليل الفقر المدقع والعديد من أهداف التنمية المستدامة 2030، التي تمثل أهدافا وغايات تسعى إلى تحقيق العدالة الاجتماعية، والحفاظ على حقوق الأجيال القادمة وتمكين النساء.

التوصيات:

- اعتماد نُظم حماية اجتماعية للجميع، ولا سيما الفقراء والضعفاء، وضمان الحصول على الموارد الاقتصادية والخدمات الأساسية، وعلى حق امتلاك الأصول والموارد الطبيعية والتصرف فيها.
- الحصول على التكنولوجيا والخدمات المالية.
- دعم قوانين الميراث ومساندتها؛ لمنح المرأة القدرة في الحصول على الموارد الأرضية.
- التوعية بأهمية التمكين الاقتصادي للمرأة، والمساواة في الوصول إلى الفرص بين الرجل والمرأة، وإلغاء الحواجز الهيكلية والقانونية التي تعيق عمالة المرأة، بطرق منها: تعديل قوانين العمل التمييزية، وإنشاء شبكات النقل المأمونة لا سيما في المناطق الريفية.

- بناء قدرات المزارعات بحيث يصبحن قادرات على مضاعفة إنتاجية مزارعهن من خلال: التدريب والتعلم على كيفية إدخال مفهوم الزراعة الإلكترونية.
- الوصول المتساوي بين الرجل والمرأة إلى الأسواق والتسويق الإلكتروني.
- التركيز على تنمية قدرات النساء في التخطيط، وصنع القرار في إدارة الأرض الزراعية.
- الوصول المتساوي للخدمات الإرشادية، والتقاوي وغيرها من الخدمات التي من شأنها زيادة الإنتاجية.
- الابتكار في وصول الريفيات إلى الأرض الزراعية عبر التمويل من الجهات التي تسهم في تمكين الريفيات في قطاع الزراعة.
- الافتقار إلى الوقت من أكثر مظاهر انعدام المساواة بين الرجل والمرأة؛ لهذا لا بد من اعتماد السياسات المناسبة لتمكين المرأة من التغلب على ما تعانيه من افتقار إلى الوقت حيث يزيد المرأة فقراً وجوعاً.
- دعم التنمية الريفية بإتاحة فرص عمل لائقة في المناطق الريفية، بما في ذلك إعادة إحياء الصناعات الزراعية الصغيرة والمتوسطة واستحداث المزيد منها، وتنشيط الإمدادات الصناعية للقطاع الزراعي.
- توفير بيانات كمية ونوعية أكثر تفصيلاً وعالية الدقة لأدوار النوع الاجتماعي، حيث يمكن أن توفر البيانات التفصيلية كيفية دمج النوع الاجتماعي في السياسات الزراعية؛ لتحقيق المساواة بين الجنسين في قطاع الزراعة.
- الحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية والبيئية للمرأة مترابطة ولا يمكن تجزئتها، وأي قصور في إحدى جوانبها ينتج عنه ضرر في الجانب الآخر، وهو ما ينادي بالتناغم المؤسسي بين المنظمات والوزارات في وضع سياسيات تمكين الريفيات، والمساواة بين الجنسين من أجل هدف سامٍ ألا وهو العدالة الجندرية في ظل التغيرات المناخية المستقبلية.

المراجع

- عبد الوهاب، مرفت صدقي، 2021، المساواة بين الجنسين في قطاع الزراعة في المنطقة العربية، منظمة المرأة العربية، جامعة الدول العربية.

- مؤشرات التنمية العالمية 2020، العمالة بقطاع الزراعة (رجال / نساء)، البنك الدولي، بنك البيانات.

- تقرير الأمن الغذائي والتغذية في العالم، 2020، منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة.

- المفوضية الأوروبية، 2021، مجموعة أدوات لحشد الدعم من أجل الطبيعية.

- دليل التشريعات في حفظ الموارد الوراثية بالوطن العربي، 2010، المنظمة العربية للتنمية الزراعية، جامعة الدول العربية.

- الاستراتيجية الوطنية لتغير المناخ في مصر 2050، 2022، وزارة البيئة، جمهورية مصر العربية.

- الليثي، هبة، 2018، استهداف الفقر، منظمة المرأة العربية، جامعة الدول العربية.

- رزق، رضا محمد، وعبد الوهاب، مرفت صدقي، 2015، دور المرأة الريفية في الحفاظ على الموارد الوراثية النباتية بالوطن العربي، ورقة عمل منشورة، بمؤتمر "نحو استراتيجية جديدة لتفعيل دور الاتحادات العربية في النهوض بالعمل الاقتصادي العربي المشترك، الاتحاد العربي لحماية الحياة البرية، مجلس الوحدة الاقتصادية العربية، جامعة الدول العربية.

- The feminization of poverty, 2015, gender equality and the empowerment of women, national department of publication information, united nation.

استثمار المعجم التاريخي الإلكتروني في تعليم وتعلم اللغة العربية وثقافتها: (المعجم التاريخي للغة العربية بالشارقة نموذجا)

د. عماد الفزازي/ د. أحمد بوعنان

جامعة محمد الخامس بالرباط/ المغرب

ملخص البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى بيان أهمية المعجم العربي التاريخي الإلكتروني في تعليم وتعلم اللغة العربية وثقافتها. وذلك بالاستناد إلى إطار نظري قوامه المعجم التاريخي للغة العربية بالشارقة، وعينة بحثية من طلاب الصف التاسع بالمدرسة الإماراتية، علاوة على مراجع ومصادر معجمية وثيقة الصلة بالموضوع. وتروم هذه الدراسة تحقيق هدفين على الأقل، أولهما: الإسهام في رفع الوعي المعجمي لدى الطلاب في التعليم العام. وثانيهما: السعي إلى تقديم أفضل التقنيات الحديثة في تعليم اللغة العربية وثقافتها.

وتقتضي الأهداف المرسومة لهذه الدراسة معالجة موضوعها في ثلاثة محاور. أمّا الأول، فيختصّ بتعريف مفهوم المعجم التاريخي الإلكتروني وعلاقته باللسانيات الحاسوبية، وأما الثاني، فيهتمّ ببيان كيفية توظيف المداخل المعجمية الإلكترونية في تنمية الوعي المعجمي لدى المتعلمين. وأمّا الثالث، فسوف ندرس فيه عيّنة من الطلاب بالصف التاسع، ونحاول استقصاء آرائهم حول دور المعجم التاريخي الإلكتروني في تعلم اللغة العربية وثقافتها. ثم سننتهي بتسجيل الخلاصات والنتائج المتوصّل إليها من الدراسة.

الكلمات المفتاحية: المعجم الإلكتروني – المعجم التاريخي – الوعي المعجمي – اللسانيات الحاسوبية

مقدمة

لا يخفى أن اللغة العربيةَ لغةٌ حيّةٌ أثبتتْ كفاءَتها منذ أكثر من ألفَيْ سنة، بتفاعلها مع مختلف التحولات والتغيرات التي يشهدها العالم، نظرًا لِما تتفرّدُ به من خصائصَ تميّزها عن اللغات الأخرى، لاسيما غنى مفرداتها. ولمّا كانت هذه الحقيقةُ ثابتةً في الدراسات المهتمّة بتاريخ اللغات، فإنّه من الجُور أن تظل اللغة العربية بعيدةً عمّا تعرفه مسألة تعليم اللغات على الصعيد العالمي من تطوير وتجديد. ولعلَّ أوّلَ ما يجب أن تتوحّد حوله جهودُ أبنائها من المهتمين بمجال اللسانيات التطبيقية، والباحثين التربويين، والفاعلين في مجالات وثيقة الصّلة بتعليم اللغة العربية، هو الحرصُ على التحديث والتجويد في إعداد المناهج ووضع البرامج الخاصة بتعليم العربية وتعلمها؛ سواءٌ للناطقين بها أو للناطقين بغيرها. ومن أهم هذه البرامج، في نظرنا، العمل على توظيف المعجم بما يخدم غاية تعليم العربية، ويساعد على بلوغها. لأننا نعتبر أن استعمالَ اللغة استعمالا فعليا، وأداءَها أداءً سليما، يستلزمان، بالضرورة، تحصيلَ معرفةٍ معجميةٍ واسعةٍ.

إن المستوى المعجمي، بهذا المعنى، هو المحور الذي تنتظِمُ حوله المستوياتُ اللغوية الأخرى من أصوات وصرف وتركيب. ولا شكّ أن المعجمَ، إذا أحْسَنّا تصنيفَهُ وتوظيفَهُ، بإمكانه أن يكون وسيلةً تعليمية فعّالة تساعدُ على تحقيق الجودة في تعليم العربية وثقافتها. ومن هنا جاءت فكرة هذه الدراسة التي نروم من خلالها الإسهام، ولو بالنزر اليسير، في تقديم مقترحات لتطوير تعليم اللغة العربية بتوظيف المعجم، ونشر الوعي المعجمي بين مستعملي اللغة عموما، وطلاب المدارس على نحو مخصوص.

وعليه، يمكن إجمال الأهداف المراد تحقيقها من خلال إنجاز هذه الدراسة فيما يلي:

– محاولة نشر الوعي المعجمي بين طلاب المدارس من أجل تنمية رصيدهم اللغوي؛

– الإسهام، قدر المستطاع، في تعزيز الجهود الرامية إلى الارتقاء بوضعية اللغة العربية في الميدان التربوي، والطموح إلى تجويد طرائق تدريسها من منظور حديث ومتطور، وذلك من خلال بيان أهمية المعجم، والتدليل على كفايته التعليمية.

وبناء على ملاحظتنا لشبه غياب لتوظيف المعجم في مجال تعليم العربية في مدارسنا، حاولنا من خلال هذا البحث بيان إلى أيّ حدّ يمكن للمعجم أن يلعب دوره التعليمي في تعليم وتعلم اللغة العربية وثقافتها.

وقد اقتضى موضوع هذا البحث، والأهداف المرسومة له، أن نعالجه في ثلاثة محاور:

1. في تحديد المفاهيم: المعجم والقاموس، المعجم التاريخي والمعجم الإلكتروني، اللسانيات الحاسوبية؛

2. المعجم الإلكتروني وتعليم اللغة العربية وثقافتها: نماذج تحليلية من المعجم التاريخي للغة العربية؛

3. المحور الثالث: قياس الوعي المعجمي لدى عينة من طلاب التعليم العام.

المحور الأول: في تحديد المفاهيم الأساسية

تأتي الحاجة إلى تحديد المفاهيم الأساسية لهذه الدراسة، في سياق سعي علم المصطلح الحديث (Terminology) إلى تخصيص المفهوم العلمي الواحد بمصطلح واحد تحريا للدقة والإحكام. ما يقتضي التخلص من الترادف والاشتراك اللفظي في المصطلحات، الذي قد يؤدي إلى اللَّبْسِ والتشويش الدلاليين.

بناءً على هذا المبدأ النظري، سنحاول وضع الحدود الفاصلة بين كل مصطلح من المصطلحات التي تشكل هيكل الدراسة، ونحددها فيما يلي: المعجم والقاموس، المعجم التاريخي والمعجم الإلكتروني، اللسانيات الحاسوبية.

أولا: المعجم

بالعودة إلى المعاجم التراثية بحثًا عن المعاني التي تُفيدها كلمة المعجم، نقف على المعاني الآتية:

المعجمُ مشتقّ من مادة (عَ جَ مَ) و(العُجمة) تعني الغموض والإبهام، والعُجْمُ والعَجَمُ خِلافُ العُرْب والعَرَب، والأعجمُ هو الذي لا يُفصِحُ ولا يُبينُ كَلامَه، وأعجمْتُ الكتابَ: خِلاف قولك أعرَبْته[86].

والأعجم: الأخرسُ، والعجْماءُ: البهيمةُ، سُمّيتْ كذلك لأنها لا تتكلم. ويقول ابن جني: "اعلمْ أنّ (عَ جَ مَ) إنّما وقعتْ في كلام العرب للإبهام والإخفاء وضدّ البيان والإفصاح"[87].

من الملاحظ أن المعاني التي وردت في لسان العرب جاءت بخلاف المعنى المراد من كلمة (المعجم)؛ إذ تتصل بـ"الإبهام" و"الإخفاء" كما يؤكد ذلك ابن جني، في حين أن الغاية من استعمال المعجم إنما هي رفعُ الغموض والإبهام عن الكلمات والعبارات، وبيان مدلولاتها ومختلف المعلومات اللغوية المتعلقة بها. فما الرابط المعنوي، إذا، بين المعجم بهذا المعنى، الذي يفيد إزالة الغموض والإبهام، ومادة (عجم) التي وقعت في المعاجم التراثية للإبهام والإخفاء؟

من المقرّر في علم الصرف أن وزن "أفْعَل" الأصل فيه الإثبات والإيجاب، كقولك: أكرمْتُ الضيفَ، وتعني أنك أوْجَبْتَ له الإكرام، وتقول: أحبَبْتُ أمّي، وتعني أنك أوجبتَ وأثبتّ لها المحبة،

---

[86]. لسان العرب مادة (عجم).

[87]. ابن جني، سر صناعة الإعراب، ص 40.

إلا أن هذا الوزن قد يأتي للسلب[88]؛ أي أن الهمزة في صيغة "أفعل" قد تَقلبُ معنى صيغة "فعل" إلى ضده. نحو أشكيتُ زيدا أي أزلتُ شكواه، وأعجمتُ الحرفَ: بيّنتُه بوضع النقط السوداء عليه، وأعجمَ الكتابَ: نقّطه وأزال استعجامه، والإعجام هو تنقيط الحروف المتشابهة لتمييزها من حيث الشكل مثل (ب – ت – ث – ح – ج – خ).

ومن هذه الدلالة الأخيرة جاءت تسمية الكتاب الذي يهدف إلى رفع الالتباس والغموض والإبهام عن الكلمات بـ"المعجم". والمعجَم من الناحية الصرفية اسم مفعول من "أعجم" ويُجمَع على معاجم ومعجمات.

لقد استعملت كلمة (معجم) بالمعنى الشائع اليوم، أوّلَ مرّةٍ من قبل علماء الحديث، ويعدّ "معجم الصحابة" لأبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي (ت307هـ) أول كتاب يحمل عنوان (معجم). وعن علماء الحديث أخذَ علماءُ اللغة كلمة المعجم بالمعنى الذي يقصد به ذلك الكتاب الذي يشرحُ معاني الألفاظ، وتُرتب فيه المعلومات على نحو مخصوص.

ثانيا: القاموس

كلمة قاموس، في لسان العرب، مشتقة من مادة (قَ مَ سَ)، وقمَسَ في الماء يقمِسُ قموسا: انغطّ فيه ثم ارتفع، والقاموس والقومَس: قعر البحر، وقيل القاموس: معظم ماء البحر أو وسطه.

ويبدو أن إطلاق أسماء البحر أو صِفة من صفاته على التصانيف المعجمية كان تقليدا شائعا بين علماء العربية الأقدمين، فأطلق الصاحب بن عباد (ت385 هـ) على معجمه اسم "المحيط"، وأطلق ابن سيده (ت 458هـ) على معجمه اسم "المحكم أو المحيط الأعظم" وسمّى الصاغاني (ت650 هـ) معجمه "العباب" أو "مجمع البحرين"، إلى أن جاء الفيروزآبادي (ت816 هـ) فأطلق على معجمه اسم "القاموس المحيط"[89].

لقد عرَف "القاموس المحيط" انتشارا واسعا، وحظي بثقة العلماء وطلاب العربية نظرا لما يمتاز به من إيجاز وضبط ودقة، وبالتالي سهولة استنساخه وتداوله في مجالس العلم.

ولشهرة هذا القاموس، اتخذته مجموعة من التصانيف المعجمية، فيما بعد، مُنطلقا وأساسا لها، ومنها "تاج العروس من جواهر القاموس" للمرتضى الزبيدي (ت1205 هـ) و"محيط المحيط" لبطرس البستاني (1819–1883م)، ولا ريب في أن أحمد فارس الشدياق (1804–1887م) بوضعه لمؤلفه "الجاسوس على القاموس" قد ساهم في شيوع كلمة (قاموس) بمعناها المولَّد الجديد؛ أي بمعنى كلمة (معجم). وقد تطورت كلمة (القاموس) في دلالتها على مراحل ثلاث؛ فاستعملت أولا

---

[88]. عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، ص33.

[89]. إيميل يعقوب، المعاجم اللغوية العربية؛ بداءتُها وتطورُها، ص13 بتصرف.

بمعنى وسط البحر أو معظمه، ثم أصبحت علَماً على كتاب الفيروزآبادي، وأصبحت تعني أخيرا كل كتاب لغوي يحتوي على طائفة من الكلمات المرتبة والمشروحة[90] .

إلا أننا نجد من اللغويين من يرفض استعمال القاموس بمعنى المعجم، ومنهم الدكتور إبراهيم السامرائي إذ يقول في هذا السياق: "وقد تقول: هل يعدُّ خطأ أن نستبدل بالمعجم القاموس؟ والجواب عن هذا أنه خطأ إذا ورد هذا المولّد الجديد في مبحث لغوي، أو في كلام أحد المختصين"[91]، ولكنه يُجوِّزُ (الخطأ) نفسه إذا ورد في كلام غير المختصين، ودليل الدكتور السامرائي في ذلك أن كلمة (قاموس) قد شاعت في عصرنا "بسبب من الترجمة في حيّز النشر مما يغلب عليه الطابع التجاري، فذاعت هذه الكلمة وكُتب لها السيرورة فكانت أوفى في الاستعمال العام من كلمة معجم التي لم يكن لها تصوّر واضح في أذهان المُعربين"[92] .

ومهما يكن من أمر، فإن كلمة (قاموس) أصبحت مرادفةً لكلمة (معجم) في اللغة العربية المعاصرة؛ إذ حافظ واضعو المعاجم العربية حديثا على هذا المعنى المُولَّد للكلمة، فدخلت معجم "الوسيط" لمجمع اللغة العربية في القاهرة، وفي "المعجم العربي الأساسي" للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وقبلهما في "المنجد" للويس معلوف (1946–1867م)[93].

وهكذا ننتهي إلى أن لفظَتَيْ (معجم) و(قاموس) استُعمِلتا في اللغة العربية المعاصرة على سبيل الترادف. والترادف، وإن كان يفيد الأدباء بإمدادهم بمفردات متنوعة تُغني إنتاجاتهم الإبداعية، فإنّ المختصين في علم المصطلح، كما سبقت الإشارة، قد دعوا إلى التخلص منه، حيث يفضلون اختصاص المفهوم العلمي الواحد بمصطلح واحد لضبط الدلالة ودقتها في نصوصهم.

وما دامت كلمة (معجم) هي الأصل في التداول العلمي، وكلمة (قاموس) قد استُعملت للدلالة على المعاجم بتوسيع المعنى، فإننا نعتمدُ في هذه الدراسة كلمة معجم (Dictionary) للدلالة على الكتاب الذي يشرح ألفاظ اللغة.

ثالثا: المعجم التاريخي

بعد أن حدّدنا الفرق بين المعجم والقاموس بقي أن نوضح مفهوم "المعجم التاريخي" وَفقا لما يُتداول في الأدبيات المعجمية العربية. يقول الدكتور علي القاسمي: "المعجم التاريخي هو نوع من المعاجم، عادةً ما يكون أحادي اللغة، يرمي إلى تزويد القارئ بتاريخ الألفاظ، مبنى ومعنى، من خلال تتبُّع تطورها أو تغيّرها منذ أقدم ظهور مسجّل لها حتى يومنا هذا. فهو لا يقتصرُ على تناول اللغة في عصر من عصور تاريخها، بل يتناولها في جميع العصور. وذلك يعني أمرين: الأول؛

---

[90]. عبد العلي الودغيري، "قضية الفصاحة في القاموس العربي التاريخي"، مجلة اللسان العربي، العدد 33.

[91]. إبراهيم السامرائي، معجم ودراسة في العربية المعاصرة، ص 121.

[92]. نفس المرجع والصفحة.

[93]. ينظر: مادة (قمس) في كل من "المنجد" و"المعجم الوسيط" و"المعجم العربي الأساسي".

أن يضمّ المعجم التاريخي كل لفظ استُعمل في اللغة، سواء أكان يُستعمل في الوقت الحاضر أم لا. وهذا يعني كذلك أن المعجم التاريخي يصف اللغة في جميع الأماكن التي استُعملت فيها، داخل بلاد الناطقين بها أو خارجها. الثاني؛ أن يوثّقَ المعجمُ تاريخَ كل لفظ في "شكله ومعناه واستعماله" مُمثّلا لهذا اللفظ بعدد من الشواهد، ابتداء من أقدم ظهور مسجل معروف لذلك اللفظ حتى آخر استعمال له.

فالمعجم التاريخي يؤرّخ لتغيّر الألفاظ في شكلها (هجائها، ونطقها)، وفي دلالتها (تعميما وتخصيصا، رُقيا وانحطاطا)، وفي استعمالها (شيوعا، وندرة، ومكانا، وزمانا، وموضوعا، ومستوى) منذ ولادتها في اللغة أو منذ اقتراضها من لغة أخرى حتى سباتها أو مماتها، باعتماد المنهج التاريخي العلمي"[94].

رابعا: المعجم الإلكتروني

يُعرِّف الدكتور عزالدين البوشيخي المعجمَ الإلكتروني بأنه: "قاعدة بيانات آلية تقنية للوحدات اللغوية، وما تعلّق بها من معلومات، من قبيل كيفية النطق بها، وأصولها الصرفية ودلالاتها واستعمالاتها، بحيث تحفظ تلك الوحدات والمعلومات بنظام معين في ذاكرة تخزين ذات سَعة كبيرة، ويقوم جهاز آلي بإدارة معطياتها الفنية، والمضامين التي يحتويها المعجم الإلكتروني، ومن برنامج محدد مسبقا"[95]. ومن هنا فإن اختيارَنا المعجم الإلكتروني التاريخي للغة العربية[96] مجالا تطبيقيا لهذه الدراسة، رُوعي فيه مدى ملاءمة النسخة الإلكترونية من المعجم لعالمنا المعاصر الذي يتّسمُ بإيقاع حياةٍ سريعٍ، بفضل شيوع وانتشار التقنية في كل مكان. ولمّا كانت الوسائلُ والأجهزة الإلكترونية قد باتت تأخذ حيّزا هامّا من وقت الطالب سواء في المدرسة أو في البيت، كان من اللازم علينا أن نفكّر في إيجاد وسائل تعليمية بديلة ومفيدة، يتمُّ توجيه الطلاب إليها للاستفادة منها، وإغناء رصيدهم المعرفي، ومساعدتهم على اكتساب اللغة على نحو سليم. ولعل المعجم الإلكتروني، بما يوفره من مميزات سهولة البحث وإمكانية تصفحه على كل الأجهزة الحاسوبية واللوحات الإلكترونية والهواتف الذكية، كفيلٌ بأن يكون وسيلة من بين وسائل أخرى، لتعليم اللغة العربية وثقافتها بكفاءة وفعالية.

خامسا: اللسانيات الحاسوبية

تُعرَّفُ اللسانيات الحاسوبية عادة بأنها: "نظام بيني بين اللسانيات وعلم الحاسوب المعني بحوسبة الملَكة اللغوية، وتنتسب إلى العلوم المعرفية، وتتداخل وحقل الذكاء الاصطناعي، وهو فرعٌ

---

[94]. علي القاسمي، صناعة المعجم التاريخي للغة العربية، ص 45.

[95]. يُنظر: عزالدين البوشيخي، المعاجم العربية الإلكترونية وآفاق تطويرها (مقال).

[96]. علمًا بأن المعجم التاريخي للغة العربية بالشارقة صَدرتْ أجزاؤه الأولى في نسختين: ورقية، وإلكترونية: (www.almojam.org).

من علم الحاسوب يهدف إلى وضع نماذج حاسوبية للإدراك الإنساني"[97]، وذلك من خلال معالجة اللغة الطبيعية حاسوبيا. وتهتم اللسانيات الحاسوبية بجانبين: أحدهما نظري يبحث النظريات الصورية للمعرفة اللغوية الضرورية لتوليد اللغة البشرية وفهمها، ما من شأنه أن يُمكّن الإنسان من فهم كيفية عمل الحاسوب لحل المشكلات اللغوية. أما الجانب الثاني الذي يهتمّ به علم اللغة الحاسوبي فهو تطبيقي يختصّ بالعمليات الخوارزمية الرياضية، ومحاولة نمْذَجة الاستخدام الإنساني للغة، لإنتاج برامج ذات معرفة باللغة الإنسانية لتحسين التفاعل بين الإنسان واللغة[98]. وبيِّنٌ أن المعجم الإلكتروني يقع في محور اهتمامات اللسانيات الحاسوبية، ومن صميم عملها.

مما سبق اتّضحت المفاهيم الأساسية للدراسة، والآن ننتقل إلى المحور الثاني الذي سيختصُّ بتحليل نماذج من المداخل المعجمية، المُستقاة من المعجم التاريخي للغة العربية بالشارقة، وذلك من أجل الاستدلال على كفايته التعليمية.

المحور الثاني: المعجم الإلكتروني وتعليم اللغة العربية وثقافتها: نماذج تحليلية من المعجم التاريخي للغة العربية بالشارقة[99]

لقد أضحى من بديهيات تعلُّم وتعليم اللغات في العالم[100]، القولُ إنّ متعلمَ لغةٍ أجنبيةٍ، لابدّ أن يستعين من حين لآخر بمعجم تلك اللغة، كيفما كانت طبيعة هذا المعجم، ذلك أن استعمال لغة، أيّ لغة، يستلزم بدرجة أولى، اكتسابَ قدر مُعيّن من مفرداتها الأكثر تداولا، وكلما ارتفع الرصيد المعجمي للمتعلم تقدّمَ في تعلمها، واستطاع التعبير عن مختلف حاجياته اليومية، والتواصل على نطاق واسع.

بَيْدَ أننا نلاحظ، في هذا الصدد، مفارقة مثيرة للانتباه في مجال تعليم اللغة العربية وثقافتها؛ إذ بينما يضطر المتعلمُ العربي للغةٍ أجنبيةٍ، استقصاءَ من حين لآخر معاجمَ تلك اللغة، ورقية كانت أم إلكترونية، كلما اعترضته مفردة غامضة، فإنه في الوقت نفسه، يكاد لا يُعيرُ أيّ اهتمام

---

97. نهاد الموسى، العربية نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية، ص53.

98. سناء منعم، مصطفى بوعناتي، اللسانيات والترجمة الآلية، بعض الثوابت النظرية والإجرائية، ص99.

99. المعجم التاريخي للغة العربية: معجم تاريخي عربي يحتوي على الكلمات العربية والدخيلة، ويذكر تأثيل كل كلمة، وتواريخ ومصادر استعمالها عبر الأجيال المتعاقبة، كما تُذكر فيه نظائر الكلمة العربية في اللغات السامية الأخرى. ويعتمد هذا المعجم ترتيب الجذور المعروف. يشرفُ على إنجازه اتحاد المجامع العلمية اللغوية بالقاهرة، ويتولى مجمع اللغة العربية بالشارقة إدارة لجنته التنفيذية. صدرت أجزاؤه الخمسة الأولى في حفل افتتاح الدورة الأربعين من معرض الشارقة الدولي للكتاب سنة (2021). وما يزال مشروع المعجم مستمرا، بحيث تصدر أجزاؤه تباعا كل سنة.

100. تؤكد الكثير من الدراسات والأبحاث على أهمية المعجم ودوره في تعليم اللغات وتعلمها، ولعل من أهم تلك الدراسات التي وقفنا عليها:

. vocabulary increase and collocation learning, by HAIYAN MEN, 2015.

. separation and acquisition of two languages in early childhood, by maria 54ulia Carbajal, 2018.

لمعجم لغته العربية، ولعله يصدر في ذلك عن فكرة مفادها أن اللغة العربية لغته الأم، وهو يعرفها بالسليقة، وبالتالي فهو في غِنًى عن البحث عن معاني مفرداتها.

والحقيقة أن هذه الفكرة، إذا كانت تبدو منطقية في ظاهرها، فإنها خاطئة في جوهرها، ذلك أن العربي لا يعرف كل مفردات لغته، وذلك لاعتبارات عديدة، من بينها:

–أولا: لأن اللغة مستويات؛ (العربية الكلاسيكية، العربية المعيار، اللهجات)، فإذا تمكّنَ من معرفة مستوى معين غابت عنه، في الغالب، مستويات أخرى.

– ثانيا: لأن الكلمة الواحدة قد تأخذ أكثر من معنى وتختلف دلالتها باختلاف سياقات استعمالها؛

–ثالثا: إن المعجم ليس مجرد كتاب لشرح المفردات، بل إلى جانب وظيفة الشرح، يضطلع بوظائف أخرى على قدر كبير من الأهمية، منها تقديم معلومات صرفية، ونحوية، وتاريخية، وثقافية.

لكل هذه الاعتبارات، وغيرها، بات من الضروري اعتماد المعجم كوسيلة أساسية لتعليم اللغة وثقافتها. ومن أجل التدليل على الكفاية التعليمية للمعجم، فإننا نصدر في هذا البحث من فرضية أساسية هي: أن نشاط تصفح المتعلم للمعجم الإلكتروني التاريخي بشكل تلقائي سيحصّل لديه مجموعة من الفوائد المنهجية واللغوية والثقافية. مما يُساعده في تعلم اللغة العربية وثقافتها. وهذا الافتراض جاء بناءً على إشكالية مطروحة في الدراسات المعجمية الحديثة هي: كيف يُمكن للمعجم أن يُعلّم اللغة العربية وثقافتها؟

للإجابة عن هذا السؤال، سوف نتصورُ مُتَعلِّما استشارَ مُعجمًا إلكترونيًا، لِيَكُنْ هو المعجم التاريخي للغة العربية بالشارقة[101] في موقعه على شبكة الإنترنت (www.almojam.org) فوقعت عيناه على جذر لغوي ما، لِيَكُن هذا الجذر هو (حَ بَ بَ) الذي ينْتظِمُ تحت حرف (الحاء). لا رَيبَ أن فضولَه المعجمي سيدفعُه إلى القيام بجولة قصيرة سيكتشف خلالها مجموعة من المعلومات المتنوعة، والتي من شأنها إثراء رصيده المعجمي. تلك النماذجُ المختارةُ، التي سنشرع في تحليلها بعد قليل، لعلّها كافيةٌ للتدليل على حُجِّية المعجم وأهميته في تعليم اللغة العربية وثقافتها. وإننا نرى أن نقدمَ النماذج التحليلية على شكل نشاط تطبيقي؛ بحيث يعيش معنا القارئ تجربة "السفر" في مدخل واحد، وجذر لغوي واحد، فيكتشف، بنفسه، الفوائد التي يمكن أن يجنيها المُطَلع على المعجم،

[101]. لقد اخترنا هذا المعجم دون سواه، لأننا نعتبره من أهم المشاريع المعجمية التاريخية العربية التي صدرت إلى حد الآن، وذلك لمجموعة من الأسباب أهمها: أولا، لأنه صادر عن مؤسسات علمية رصينة هي اتحاد المجاميع اللغوية بالقاهرة، بإشراف مجمع اللغة العربية بالشارقة، وثانيا لأنه أُنجز بتعاون نخبة من الباحثين، وثالثا لأنه من المحاولات المعجمية الراهنة الجادة التي اهتمت بالجانب التاريخي في المعجم. ومعلوم أن هذه الشروط من أدق الشروط العلمية لتأليف معجم مرجعي.

لعلها تكون حافزا له على الاستمرار في مطالعة مداخل معجمية أخرى، وتحصيل مزيد من الفوائد اللغوية والثقافية الجَمّة.

أولا: دراسة وصفية للمعطيات المعجمية

إن معالجتنا للعينات المدروسة من المداخل المتعلقة بجذر (حَ بَ بَ)، ستتمُّ من زاويتين: من حيث الشكل، ومن حيث المحتوى. نقصد بالشكل كل العناصر التي يلتزم بها المعجم في إخراجه، ويهتدي بها المستعمِل، في سياق بحثه عن كلمة ما، عن طريق الملاحظة البصرية، ونعني بالمحتوى مجمل المعطيات التي يكتشفها قارئ المعجم عن طريق القراءة الفاحصة للمَتن.

معلوم أن أول مستوى من مستويات قراءة أيّ نصّ هو الملاحظة البصرية لشكله الخارجي ومختلف عناصره السيميائية، إذ إنها تكوّنُ الانطباعَ الأوّل لدى القارئ حول المقروء، فيشكّلُ ذلك استعدادا أوليا لمواصلة القراءة، وتصورا مبدئيا يساعده على فهم المحتوى، ومن ثمّ فإن عرضَ مادة المعجم التاريخي للغة العربية في صيغته الإلكترونية، وتوزيعها حسب ترتيب الجذور اللغوية للكلمة، وترقيمها، ثم تمييزها باللون الأحمر، علاوة على وضع خط أحمر (ـ) بدل إيراد الكلمة نفسها، إذا كانت لها أكثر من دلالة، تفاديا لإثقال متن المعجم بالتكرار، وكذا الاهتمام بالإخراج الفني الجميل. كلُّ ذلك إشارات بصرية تلفتُ انتباهَ المتعلم وتثير في ذهنه فكرةَ الاتساق والدقّة والترابط بين العناصر، وتساهم بالتالي في إشاعة النظام والروح العلمية بين المتعلمين.

وتعتبر صفة التنظيم من أهم صفات التفكير العلمي، وهي صفة منهجية يقصد بها "أننا لا نترك أفكارنا تسير حرة طليقة، وإنما نرتبها بطريقة محددة، وننظمها عن وعي، ونبذل جهدا مقصودا من أجل تحقيق أفضل تخطيط ممكن للطريقة التي نفكر بها"[102].

إنّ تمثُّلَ المتعلم لفكرة التنظيم التي يُعلمه إياها المعجم، لا بد أن تساعده على تنظيم ليس طريقة تفكيره، ونشاطه العقلي فحسب، بل ستساعده على تنظيم حياته ومحيطه الخارجي أيضا.

ونظرا لما يتضمنه المعجم من معلومات غزيرة ومتنوعة، فإننا نفترضُ أن المتعلّم لن يغادر موقع المعجم إلاّ وقد حصّل ما يلي:

إنّ أوّلّ ما يكتشفه المتعلم هو أنه قد ورد الجذر) حَ بَ بَ) في عدد من النقوش العربية الجنوبية، من بينها نقش سَبَئِي يعود تاريخُه إلى القرن الثالث ميلادي (إرياني 16/1)' ورد فيه الاسم (ح ب ب hbb) أي: (مُحِبٌّ أو صاحب)، فجاء في النقش: "و ب ن/ب ت ع/ م ح ب ب ت/ ي ف ر ع" أي: "وبنو بتع أصحاب بني يفرع". (الإرياني، 1990م: 122–123).

[102]. فؤاد زكريا، التفكير العلمي، ص 23.

وسوفَ يَعرِفُ المتعلّمُ أن للكلمة معنى في النظائر السامية؛ إذ احتفظت الساميات بهذا الجذر من العربية الأم، فقد ورد الجذر (ح ب ب):

في الآرامية: ورد الفعل חַבִּיב (حبيف) habbeb بمعنى (ودّ/ مال إلى) ويُوافق الفعل العربي (أحبّ) مبنى ومعنى، ومن مجيئه بمعنى (أحبّ) ماورد في تَرْجوم أنْكلوسَ:

''אַף חַבִּיבִינוּן לְשִׁבְטַיָּא כָּל- קַדִּישׁוֹהִי בֵּית-יִשְׂרָאֵל''، أي: "فأحبّ الأسْبَاطُ جميعَ قديسيه".

وكذلك الأمر بالنسبة لباقي النظائر السامية من اللغات، حيث معنى (أحبّ) يتكرر وروده، بالمعنى ذاته، في الأوجاريتية، والعبرية، والسريانية، والجعزية[103].

ثم ينطلق المعجم التاريخي في سرد المعاني الكلية لجذر (حَ بَ بَ) ويذكُر منها ثلاثة: (1. اللّزوم والثَّبات. 2.الحبَّةُ من الشيء. 3. المحبَّة والمودَّة).

ويحصُرُ المعجم عدد الكلمات الإجمالي لمدخل (ح ب ب)، التي وقف عليها المُحرِّرُون، في (31) كلمة. ثم يشرع في شرحها بشكل متواتر.

ولعلّ المتعلّم، وهو مستغرقٌ في قراءة المعاني المتعلقة بهذا المدخل، لن يغادره إلا وقد أغنى مخزونه اللغوي والثقافي. فيفهم، مثلا، أن: (*حَبّ): (كضَرَبَ) فلانٌ يَحِبُّ (بكسر الحاء) حَبًّا: وقَفَ. وأن استخدام هذه الكلمة بمعنى (وَقَفَ) يرجع تاريخيا إلى (ع= العصر العباسي) (133هـ/750م) (656هـ/1258م). ويُعزّز المتصفِّحُ ثقافتَه حول هذا المعنى من خلال شاهد من كتاب (تهذيب اللغة للأزهري، تح: عبد الله درويش، ج: 4، ص: 8.) جاء فيه: "قال: ابن الأعرابي: "وحَبَّ: إذا وقَفَ". وينصّصُ المعجم على أن (هذه الدلالة سجّلتها المعاجم في بقية العصور). ويورد دلالة أخرى لفعل (حَبَّ) الذي يأتي بمعنى: تَوَدَّدَ. مستشهدا بقول لابن الأعرابي الذي جاء فيه: "وحبَّ: إذا توَدَّدَ". من المرجع ذاته. ثم يزيد المعنى إيضاحا بإيراد الفعل (حبَّ) في تركيب: "و ـــ فلانا يحِبّهُ (بكسر الحاء) حُبّا وحِبّا: وَدَّهُ". (ق.س) (480 ق هـ/169م) (1ق هـ/621م).

يُتابعُ المتعلمُ التطورات الدلالية للفظ (حَبَّ) عبر العصور اللاحقة، فيلْحَظُ احتفاظَ اللفظ بمعناه الدال على "الودّ" مع مجيء الإسلام، إذ يرد في القرآن الكريم (1هـ/ 622م)، على قراءة أبي الرجاء العطاردي، قال الله تعالى: (فاتّبِعوني يحْبِبْكُمُ اللهُ) (آل عمران: 31). والمعنى ذاته سجله الحديث النبوي. قال النبي ﷺ: (أوثقُ عُرى الإيمان، الحُبُّ في الله، والبُغْضُ في الله).

وفي رحلته اللغوية هذه، يكتشف المتعلّمُ مختلف المشتقات المرتبطة بجذر (ح ب ب)، فيتعرّف على (حَبّ) بحالاتها الصرفية الثلاث في المضارع: (حَبَّ= يحِبُّ بكسر الحاء)، و(حَبَّ=

---

[103]. لمزيد من المعلومات يُنظر جذر (حَ بَ بَ) في موقع المعجم التاريخي للغة العربية: ((www.almojam.org.

يحَبُّ بفتح الحاء)، و(حَبَّ= يحُبُّ بضم الحاء). وكلها تدل على معنى: (صارَ حَبيبًا لهُ). ويتعرّف على مركب لغوي من (حبَّ+ ذا= حبّذا) والتي تعني: (حبّذا فلانٌ: أي هو حبيبٌ إليّ، صيغةٌ للمدح، مركّبٌ من (حبّ فعل ماض)، و(ذا اسم إشارة فاعل)، وتُطلق على المذكر والمؤنث في الإفراد والتثنية والجمع، وإنْ أردتَ الذّمّ قُلتَ: لا حبّذا. وهي الدلالة التي سجلتها المصادر منذ عصر ما قبل الإسلام. قال امرؤ القيس، يمدح بني ثُعَل:

وَاثُعَلاً وَأَيْنَ مِنّي بَنُو ثُعَلْ ... أَلاَ حَبّذَا قَوْمٌ يَحُلُّونَ بِالجَبَلْ

ومن صيغة المبني للمعلوم، ينتقل المتعلّمُ للتعرف على المبني للمجهول من خلال لفظ (حُبّ)، و(حُبَّ فلانٌ: صار محبوبا). وهي الدلالة المسجَّلة للفظ عبر كل العصور. وبعد أن ينتهي من معرفة معاني الجذر (حَ بَ بَ) في الفعل الثلاثي المجرد، ينطلق المتعلم في اكتشاف معاني أخرى في الأفعال المزيدة، فيعرف أن (أحبَّ) تأتي بمعاني مختلفة، ومنها: (أَحَبَّ البعيرُ: برَكَ وحَرِنَ)، و(يُقالُ: أَحَبَّ البعيرُ: إذا قامَ. ورد هذا المعنى عند ابن فارس في مقاييس اللغة)، (وأَحَبَّ: أصابَهُ كسرٌ، أو مرَضٌ، فلم يبرح مكانه، حتى يبرأ، أو يموت)، و(أحبَّ الزّرْعُ: صار فيه الحَبُّ)، و(أَحَبَّ فلانٌ: برئ من مرضه، إذ قال ابن سيده في المحكم: والإحبابُ: البرء من كل مرض)، و(أَحَبَّ فلانٌ فلانًا: ودَّهُ، ومالَ إليه).

يُواصِلُ المتعلم تتبّعَ الكلمات المتواترة فيجد فعلا آخر هو (حَابَّ)، و(حَابّ فلانٌ فلانًا: ودّهُ، وصادَقَهُ). وفعل (حبَّبَ) الذي يأتي بمعاني مختلفة منها: (حبّبتِ القطاةُ ونحوُها: امتلأ بطنُها رِيّا)، و(حبّبَ اللبنُ ونحوُهُ: ظهرتْ قِطعٌ فيه؛ لفساده)، و(حبَّبَ الشيءَ: نثرَهُ وفرّقَهُ في شكلِ حُبيباتٍ)، (وحبَّبَ الشيءَ إلى فلانٍ: جعَلهُ محبوبا إليه). وفعل (تحابَّ) الذي يعني (تحابّ القومُ: أحبّ بعضُهم بعضا). و(تحبّبَ) الذي يحمل جملة من المعاني ومنها: (تحبّبَ فلانٌ وغيرُه: امتلأ ريّا)، و(وتحبّبَ الزّرعُ: ظهر فيه الحَبُّ)، و(وتحبّبَ اللبنُ: تخثّرَ وتقطّعَ)، و(تحبّبَ فلانٌ: أظهر الحُبَّ)، و(تحبّبَ فلانٌ إلى فلانٍ: تودّد إليه). وفعل (استحبَّ) الذي يعني: (استحبّت الإبلُ: إذا أمسكتِ الماء وطال ظِمْؤُها)، و(استحبَّ فلانٌ الشيءَ: أحبّهُ واستحسنه)، و(استحبَّ الشيءَ على غيره: آثرَهُ).

ولأنَّ المعجم التاريخي قد اعتمد في منهجيته تقديمَ الفعلِ على الاسم، فإنه بعد الانتهاء من سرد الأفعال المتعلقة بجذر (ح ب ب) يمضي في ذكر الأسماء ومنها: (الاستِحْبَابُ) ويعني: (عند الفقهاء: طلبُ الشارع للفعل طلبا غيرَ جازم، وهذا الفعلُ يسمّى مستحبًّا ومندوبا وتطوّعا ونفْلا). و(حَباب) يدلّ على معنى (حَباب الماء ونحوه: فقاقيعه التي تطفو فوقه: واحدُهُ: حَبابةٌ). و(الحُبابُ: الحبيبُ)، و(الحُبابُ: الشيطانُ) كما ورد في الحديث النبوي: (دعِ الحُبابَ فإنّهُ اسم شيطان)، و(الحُباب: الحُبّ والمحبّة)، و(الحِبابُ: القُرطُ من حبّة واحدة). و(حِبٌّ) وتأتي بمعاني: (الحبيبُ، وهي: حِبٌّ، وحِبّة. (ج) أحبابٌ، وحِبّانٌ، وحُبوبٌ، وحِبَبَةٌ، وحُبٌّ. و(الحَبّةُ: بذر القمح والشعير ونحوهما. (ج) حَبٌّ. و(المَحَبّةُ: صفةٌ فعلية ثابتة لله تعالى تليق بجلاله غيرَ صفتيْ الإرادة والرضا؛

فهو سبحانه يحبُّ الصالحين من عباده المتّقين المحسنين، ويُحب الأعمال الصالحة الصادرة عنهم). و(حِبْ (عند المحدثين): رمز وضعه السيوطي لِما أخرجه الحافظ ابن حِبّان البُستيّ (ت: 354هـ/ 965م)، من الأحاديث في كتابه (التقاسيم والأنواع) المشهور بصحيح ابن حِبّان. قال السّيوطي يذكر رموز كتابه الجامع الصغير: (هذا كتابٌ أودعتُ فيه من الكلِم النبوي ألوفا، ومن الحكم المصطفوية صنوفا (...) وهذه رموزه: (...) حِبْ: لابن حِبّان في صحيحه).

ثانيا: دراسة تحليلية للمعطيات المعجمية

وبَعْدُ، فإنّ السؤال المطروح الآن هو: ماذا يجني المتعلم من هذه الجولة المعرفية، على قِصَرها، من معلومات وفوائد لغوية وثقافية؟

لا يخامرنا شكٌّ أن المتعلم، عَنْ وَعْيٍ أو عَنْ غَيرِ وعْيٍ، سوف يُغني رصيده اللغوي والثقافي بجملة من المعلومات المتنوعة. وتَبعًا لطبيعة العيّنات المختارة، وسنحاول تصنيف تلك المعلومات إلى أصناف: معلومات منهجية، ومعلومات لغوية (صوتية، وصرفية، ونحوية ودلالية)، ومعلومات ثقافية واصطلاحية، ثم معلومات تاريخية.

1. المعلومات المنهجية:

وقد رصدنا من بينها ما يلي:

- توزيع المداخل وفق الجذور وتفريعاتها، مع ترقيمها، وإيراد تطور معانيها عبر العصور؛
- تمييز كل مدخل معجمي رئيس بعلامة (*)؛
- تمييز ألفاظ المداخل باللون الأحمر؛
- توظيف الرموز (ج)= لبيان الجمع، و_ = للدلالة على تكرار الكلمة لمعنى جديد، و(ق س)= لعصر ما قبل الإسلام، و(س)= للعصر الإسلامي، و(ع)= للعصر العباسي، و(د م)= لعصر الدول والإمارات، و(ح)= العصر الحديث)؛
- ترتيب الأسماء حسب الجذور، وَفق الحرف الأول، فالثاني، فالثالث من حروف الهجاء.

2. **المعلومات اللغوية:**

وتشمل هذه المعلومات مختلف الفوائد المتحصّل عليها لبناء اللغة، من معلومات صوتية، ومعلومات صرفية، ومعلومات نحوية. وهي إجمالا ما يُمكّنُ مستعمل لغة ما من التواصل بها شفاهةً وكتابةً على نحو جيد. ونعرضها كما يلي:

1.2. المعلومات الصوتية:

ومنها: ضبط المداخل بالشّكل التام (الحركات) لمساعدة المتعلم على نطق تلك الكلمات بصورة صوتية سليمة، ومثاله: (حَبَّ، أَحَبَّ، حَابَّهُ، اسْتَحَابَّ...)، وتمييز الكلمات المتشابهة في الصورة الصوتية، والمختلفة في المعاني، أو ما يسمى بالمثلثات، ومثاله: (الحُبُّ، الحِبُّ، الحَبُّ).

2.2. المعلومات الصرفية:

تصريف الأفعال، ومثاله: (حَبّ، أحَبَّ، حبّذا...). واشتقاق اسم الفاعل، والمفعول، والمصدر، ومثاله: (أحبّ فهو مُحِبٌّ، وحَبّ فهو حبيبٌ، ومحبوبٌ، وحُبٌّ ومَحَبّة). وصيغ المجرد والمزيد، ومثاله: (حَبّ، أحبّ، حابّ، حبّب، تحابّ، تحبّب، استحبّ)، وصيغ التفضيل، ومثاله: (أحبُّ إليّ).

3.2. المعلومات النحوية:

من المعروف أن المعجم ليس كتابا للنحو، وإنما هو كتاب يوظف، من بين ما يوظفه، المعطيات النحوية في الشرح، وذلك بإيراد شروح الكلمات في تراكيب تنضبط للقواعد النحوية العربية، ومن ذلك: الجملة الفعلية، ومثالها: (تحابّ القوم: أحبّ بعْضُهم بعضا)، والجملة الاسمية، ومثالها: المحبّةُ صفةٌ فعلية ثابتة لله تعالى.

3. المعلومات الدلالية:

وتشمل كل المعطيات والوسائل التي يستخدمها المعجم في شرح المداخل، وأهمها: تصنيف وترتيب المعلومات الدلالية، واختيار نوع من أنواع التعريف، وإيراد المداخل بحسب المعنى الأصلي للجذر، والمعنى العام للأسرة اللفظية والأوزان الصرفية، وتوظيف الشواهد.

1.3. تصنيف المعلومات الدلالية وترتيبها:

بما أن كل كلمة قد تكتسب من جراء الاستعمال الطويل معاني متعددة، فإن المعجم يعمل على تصنيف وترتيب هذه المعاني، ووفق ذلك قدّم المعجم التاريخي للغة العربية، في النماذج المدروسة، المعنى الحسي على المعنى العقلي، ومثاله: تقديم (أحبَّ الزّرْعُ: صار فيه الحَبُّ) على (أحَبَّ فلانٌ فلانًا: ودَّهُ، ومالَ إليه)؛ حيث المعنى الأول مادي ملموس يرتبط بما يمكن أن يلاحظه المتعلم في بيئته ومحيطه، فيما يتعلق المعنى الثاني بمجال الوجدان والعاطفة.

2.3.اختيار نوع من أنواع التعريف:

يكاد يتفق المعجميون على أن التعريف هو الأداة الأساس في تقديم المعلومات الدلالية، إلا أن خلافَهم قائمٌ حول نوع التعريف المفيد، ومن ثمّ تتعدد التعريفات في المعاجم. ومن بين تلك التعريفات التي وظفها المعجم التاريخي للغة العربية لشرح المداخل السابقة ما يلي:

–التعريف المنطقي: ويهدف إلى معرفة خصائص الشيء الذي تدل عليه الكلمة. ويميز المناطقة بين نوعين من التعريف المنطقي؛ التعريف بالحدّ؛ الذي يحدد الخصائص الجوهرية فقط، ومثاله: (الحبّة: بذر القمح). والتعريف بالوصف؛ ويأتي على خصائص المعرَّف الجوهرية وغير الجوهرية، ومثاله: (المحبّةُ: صفةٌ فعلية ثابتة لله تعالى تليق بجلاله غيرَ صفتيْ الإرادة والرضا)؛

– التعريف اللغوي: ويرمي إلى توضيح معنى الكلمة في سياقها اللغوي، أي اعتمادا على علاقتها بالكلمات الأخرى في الجملة، وهذه العلاقات هي: الترادف، ومثاله: (الحُبابُ: الحبيبُ)، والاشتقاق، ومثاله: (الحُباب: الحُبّ والمحبّة)؛

– التعريف بالمثال: ويهدف إلى شرح الكلمة بضرب مثال توضيحي، ومثاله: (حبَّبَ الشيءَ: نثرَهُ وفرّقَهُ في شكلِ حُبيباتٍ)؛

3.3. المعنى الأصلي للجذر:

وهي الظاهرة التي اقترح الدكتور علي القاسمي تسميتها بـ"الاشتراك الجذري[104]"، ويتجلى المعنى الأصلي للجذر في جميع الألفاظ المشتقة من ذلك الجذر، ومثاله: (وحبَّ: إذا توَدَّدَ)، و(حُبَّ فلانٌ: صار محبوبا)، و(تحابّ القومُ: أحبّ بعضُهم بعضا)، و(وتحبّبَ فلانٌ: أظهر الحُبَّ)، و(تحبّبَ فلانٌ إلى فلانٍ: تودّد إليه). فالمعنى الأصلي للجذر (حَ بَ بَ) الدالّ على (الوَداد وإظهار الحُبّ)، هو الخيط الناظم للألفاظ السابقة.

4.3. المعنى العام للأسرة اللفظية والأوزان الصرفية:

تتيح خاصية الاشتقاقية في اللغة العربية إمكانية هامة في تيسير إمداد المتعلم بالمعلومات الدلالية؛ إذ كل مفردة في الأسرة اللفظية تُصاغُ وفق وزن صرفي له معنى معلوم شعوريا أو لا شعوريا لدى الناطقين باللغة العربية، ومثالها: (حَبّ: وزنه؛ فعَلَ، معناه؛ فعل تام أو حدث بالماضي). و(مَحبوب: وزنه؛ مفعول؛ ومعناه؛ الذي وقع عليه الفعل وهو مفرد، مذكر). إن مفردات الأسرة اللفظية تشترك في معنى عام واحد يُخصّص في كل مفردة طبقاً لمعنى وزنها الصرفي.

5.3. الشواهد اللفظية:

لكَيْ يزيد المعنى المطلوب جلاءً ووضوحا، يستخدمُ المعجمُ التاريخي للغة العربية مجموعةً من الشواهد اللفظية، وقد رصدنا منها في النماذج المدروسة: شواهد من القرآن الكريم، ومثالها: قوله تعالى: (فاتّبِعوني يَحْبِبْكُمُ اللهُ) (آل عمران: 31). وشواهد من الحديث الشريف، ومثالها: قال النبي ﷺ: "أوثقُ عُرى الإيمان، الحُبُّ في الله، والبُغْضُ في الله". وشواهد من الشعر، ومثالها: قال امرؤ القيس، يمدح بني ثُعَل:

---

[104]. علي القاسمي، المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق، ص 78.

واثْعلاً وأين مني بنو ثُعلْ ... ألا حبّذا قومٌ يحُلُّون بالجبَلْ

4. المعلومات الاصطلاحية والثقافية

وتسمى كذلك بالمعلومات الحضارية أو الموسوعية، والمقصود بها مجمل المعلومات التي تمثل جانبا من جوانب الحضارة العربية الإسلامية والمعطيات التاريخية والجغرافية وأسماء أعلام مشهورة وأعمال أدبية وفكرية، ومصطلحات أدبية ونقدية وعلمية وفقهية، وغيرها. وغني عن البيان أن لهذا النوع من المعلومات فوائدَ جمّة في إغناء الرصيد الثقافي والفكري للمتعلم. ومما ورد منها في المداخل السابقة: معلومات اصطلاحية، ومثالها: (الاستِحْبابُ (عند الفقهاء): طلبُ الشّارع للفعل طلبا غيرَ جازم، وهذا الفعلُ يُسمّى مستحبًّا ومندوبا وتطوّعا ونَفْلا)، ومعلومات ثقافية، ومثالها: و(حِبْ (عند المحدثين): رمز وضعه السيوطي لِما أخرجه الحافظ ابن حِبان البُستيّ (ت: 354هـ/ 965م)، من الأحاديث في كتابه (التقاسيم والأنواع) المشهور بصحيح ابن حِبّان. قال السّيوطي يذكر رموز كتابه الجامع الصغير: "هذا كتابٌ أودعتُ فيه من الكلِم النبوي ألوفا، ومن الحكم المصطفوية صنوفا (...) وهذه رموزه: (...) حِبْ: لابن حِبّان في صحيحه".

5. معلومات تاريخية:

ثابِتٌ أنّ أهمّ ما يميزُ المعجمَ التاريخي عن أنواع المعاجم الأخرى هو اهتمامه بالجانب التاريخي في عرض المداخل المعجمية وشرحها، وتتبع التغيرات الدلالية الطارئة على كل لفظ أو مصطلح عبر الزمن. ومعلوم أن اللغة العربية انتظرت قرونا طويلة لكي تشهد معجما تاريخيا؛ يُنظّم ذخيرتها اللغوية، ويُسجل تاريخها الحضاري الحافل بالأحداث الكبرى والإنجازات العظمى. ونأمل أن يكون اطلاع المتعلم العربي على المعجم التاريخي للغة العربية فرصةً ثمينةً لاكتشاف تاريخ أمته المجيد، وإثراء مخزونه العلمي والأدبي بما خلفه أجداده من تراث غني، لعل ذلك يكون حافزا له على استنهاض مجد أمته، ورفع رايتها بين الأمم.

وتتجلى المعطيات التاريخية في المدخل السابق في جملة من العناصر، منها:

– رصد تطور دلالات الألفاظ، ما أمكن ذلك، عبر العصور التاريخية للغة[105]، من أقدم معنى إلى أحدثه؛

– ذكر المعنى الأقدم أولا، ثم تتوالى المعاني الأخرى مرتبة ترتيبا زمنيا حتى يصل إلى المعنى الأحدث؛

[105]. حصَرَ معجم الشارقة تلك العصور في خمسة هي: 1. عصر ما قبل الإسلام (ق س): (... ق.هـ -1 ق.هـ)، 2. العصر الإسلامي (س): 1هـ -132هـ)، 3. العصر العباسي (ع): (133 هـ -656هـ)، 4. عصر الدول والإمارات (د م): (657هـ -1213هـ)، 5. العصر الحديث (ح): (1214هـ/ 1798م) -1441هـ/2020م).

– وضع الشاهد عقب المعنى مباشرة مضبوطا بالشكل ضبطا كاملا، مسبوقا برمز العصر فاسم قائله، فالتاريخ الدقيق للنص ما أمكن ذلك، فإن تعذّر فالتاريخ التقريبي الذي تُرَشّحُه القرائن (مثل دخول الشاعر على أحد الخلفاء أو شهوده يوما معينًا من أيام العرب)، ويمكن في هذه الحالة استعمال عبارات مثل: حوالي، تقريبا، فإن تعذّر فتاريخ الوفاة.

هكذا، وبعد أن قدمنا عينات تمثيلية من مدخل الجذر (حَ بَ بَ) من المعجم التاريخي للغة العربية بالشارقة، وسعينا إلى تصنيف مختلف المعلومات المنهجية واللغوية والثقافية المتضمنة فيها، بات واضحا أن أيّ محاولة لتعليم اللغة عموما، والعربية على وجه الخصوص، لا تأخذُ الجانب المعجمي في اعتبارها، تظل محاولة ناقصة. ولمّا كان الأمر كذلك، لم نكتف بتحليل المعطيات الواردة في المعجم التاريخي للغة العربية، بل سعينا إلى قياس الوعي المعجمي في الوسط التربوي، من خلال إنجاز استبيان تم توزيعه على عينة من الطلاب في المدرسة الإماراتية (في الصف التاسع)، وهذا ما سيختص به المحور الثالث من هذه الدراسة.

المحور الثالث: قياس الوعي المعجمي لدى عينة من طلاب التعليم العام

لقد سعينا في هذا المحور إلى اختبار الفرضيات السابق ذكرها، في الواقع المدرسي الإماراتي من خلال إنجاز استبيان يتضمن خمسة (5) أسئلة؛ تهدف إلى قياس الوعي المعجمي لدى المتعلم. وقد تم توجيه هذا الاستبيان إلى فئة محدودة في عشرين (20) طالبا وطالبة يتابعون دراستهم بالحلقة الثالثة (الصف التاسع) في مجموعة من المدارس الحكومية والخاصة المطبقة لمنهج وزارة التربية والتعليم بدولة الإمارات العربية المتحدة، في الموسم الدراسي (2021–2022). وتجدرُ الإشارة إلى أن اختيار هذه العينة قد جرى بطريقة عشوائية، مع مراعاة التنوع والشمول من حيث الجنس والسن والجنسية، وذلك تماشيا مع الغرض من هذه الدراسة، والمتمثل في معرفة مدى استخدام المعجم العربي في الوسط المدرسي، وكيفية تعامل الطلاب معه، ومدى وعيهم بأهمية التعلم من المعجم، من أجل بيان جوانب التميز وتثمينها، وكشف مكامن الخلل والسعي لتحسينها. ويمكن إجمال المعلومات العامة المرتبطة بهذه العينة المدروسة في الجدول الآتي:

الجدول (1): توزيع العينة المستجوَبة من الطلاب حسب: الجنس، والسن، والجنسية

العدد الإجمالي للعينة المستجوَبة من الطلبة		20 طالبا وطالبة			
التوزيع حسب الجنس		التوزيع حسب السن		التوزيع حسب الجنسية	
ذكور	إناث	أقل من 15 سنة	15 سنة أو أكثر	الإماراتيون	المقيمون
40%	**60%**	**50%**	**50%**	**75%**	**25%**

يلاحظ من خلال معطيات الجدول (1)، هيمنة جنس الإناث من الطلبة بنسبة (60%) مقابل (40%) من الذكور، بينما نلاحظ تكافؤ العينة المستجوَبة من حيث السن بنسبة (50%) للفئتين. أما من حيث جنسية العينة المدروسة فهيمنت نسبة الطلاب الإماراتيين بـ (75%) مقابل نسبة (25%) للطلاب المقيمين. وواضح أن الدراسة قد حرصت على التنوع والشمول في اختيار العينة مما يجعلها أقرب إلى تحقيق الموضوعية في النتائج المتوصل إليها.

وبعد عمليات تفريغ الاستمارة والفرز والإحصاء مُستعينين بالبرمجة المعلوماتية، ومعالجة المعطيات بواسطة الحاسوب، حصلنا على النتائج المُوضّحة في الرسوم البيانية التي سنأتي على تحليلها بعد قليل، وهذه المعطيات وإن كانت تبدو للوهلة الأولى متباينة ومتباعدة، فإنها في الواقع مُترابطة ومُتعَالِقة؛ إذ كل معطى منها يترابط ويدخل في علاقة مع معطيات أخرى، وذلك ما سنبيّنه في العناصر الآتية:

1. قياس مدى التوافر على المعجم

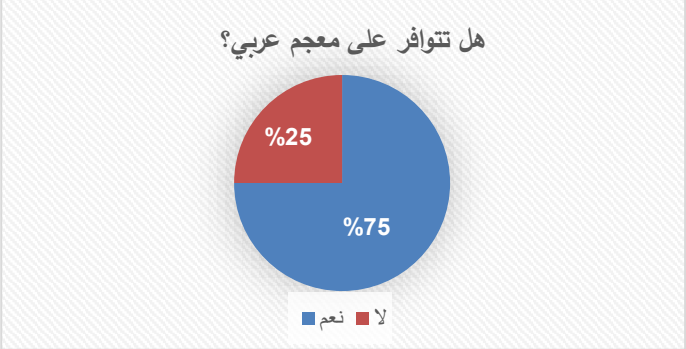

إن نسبة التوافر الهامة على المعجم (75%)، مقابل نسبة (25%) من عدم توافره، تدعو إلى التفاؤل، وتكشف عن الوعي المعجمي في واقع مؤسساتنا التعليمية العربية. بيد أن السؤال الذي يتبادر إلى ذهن الباحث الآن هو ما نوع هذه المعاجم التي تتوافر لدى طلابنا؟ لقد وجهنا هذا السؤال للطلاب الذين أجابوا بـ(نعم) لنتبين ما مدى الفائدة التي يجنيها المتعلم العربي من المعجم، سِيَمَا وأننا في عصر تهيمنُ فيه التقنية على شتّى مناحي الحياة. وقد صُغنا السؤال بطريقة أخرى: ما نوع المعجم الذي يتوافر لديك: ورقي أم إلكتروني؟ فكانت نسبة الإجابات كما هو موضح في الشكل الثاني.

2. قياس نوعية المعجم المستخدم: ورقي/ إلكتروني

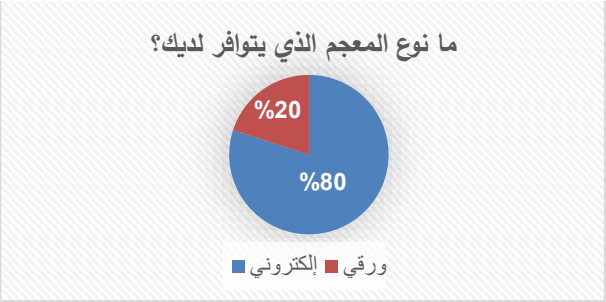

يبدو جليا أن نسبة الهيمنة كانت للمعجم الإلكتروني، حيث أظهر الاستبيان أن (80%) من الطلاب المستجوبين يعتمدون المعجم الإلكتروني في شرح المفردات اللغوية، بينما نسبة ضئيلة منهم، لم تتجاوز (20%) هي التي تلجأ إلى المعجم الورقي. وواضِحٌ أن ما يفسر هذا التباين الشاسع بين النسبتين، هو سهولة التمكن من المعجم الإلكتروني، وتداوله في أي مكان وزمان، دون تحمل مشقة وزنه، عند حمله، أو مشقة البحث فيه؛ إذ يكفي أن ينقر الطالبُ في محرك البحث على جهاز الحاسوب أو الهاتف الذكي ليحصل بسرعة فائقة على كمّ هائل من المعلومات التي يبتغي البحث عنها، أو المفردات التي يريد شرحها.

3. قياس حالات استخدام المعجم

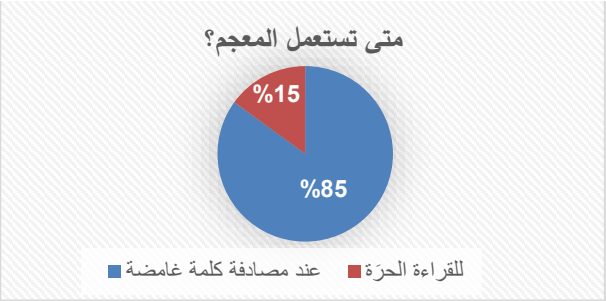

لقد بيّنت الإجابات عن السؤال المتعلق بحالات استخدام المعجم، أن نسبة (85%) من العينة المستجوبة لا تلجأ إلى المعجم إلا في الحالة التي تعترضها كلمات صعبة، في حين أن نسبة (15%) فقط من تلك العينة هي التي تطلع على المعجم في أوقات القراءة الحرة.

ويكشفُ هذا الاعتقاد السائد حول استعمال المعجم، أن الفكرة التي مفادها أن المعجم ما هو إلا كتاب لشرح الكلمات الغامضة قد شاعت في صفوف المتعلمين، والمستعملين عامة.

4. قياس سهولة/ صعوبة استعمال المعجم

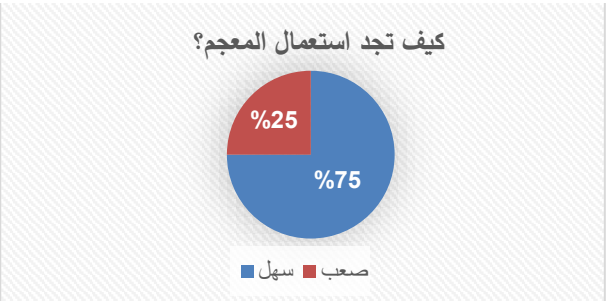

يُلاحظ تباينٌ من حيث درجة صعوبة وسهولة استعمال المعجم من قبل المتعلمين، إذ بلغت نسبة الصعوبة (25%)، مقابل (75%) من نسبة السهولة. وقد تُعْزى هيمنةُ نسبة الاعتقاد بسهولة استخدام المعجم، إلى النسبة الكبيرة التي أشرنا إليها سابقا في صفوف الطلاب المستخدمين للمعجم الإلكتروني؛ إذ إنّ أهمّ ما يدفع المستخدم لاستعمال المعجم الإلكتروني هو مطلب السهولة قبل كل شيء.

بيد أن تسجيل نسبة الصعوبة، ولو بمعدل بسيط، يكشف عن سبب مهم من أسباب الإعراض عن المعجم، خصوصا الورقي، وهو صعوبة استعماله، وإذا حاولنا البحث عن العامل الأساس وراء هذه الصعوبة سنجد أن إهمال حفظ الحروف الهجائية مرتَّبة وفق ترتيب معين، خاصة الترتيبين الألفبائي والأبجدي، بالإضافة إلى ضعف المعرفة بترتيب الجذور، تعد عوامل أساسية تُعيق طريقة استعمال المعجم بسهولة ومن ثمّ ضياع الجهد والوقت، والوصول إلى المراد بعد عناء وملل قد يتولد عنهما موقف سيء من المعجم.

5. قياس انطباع المتعلم حول المعجم

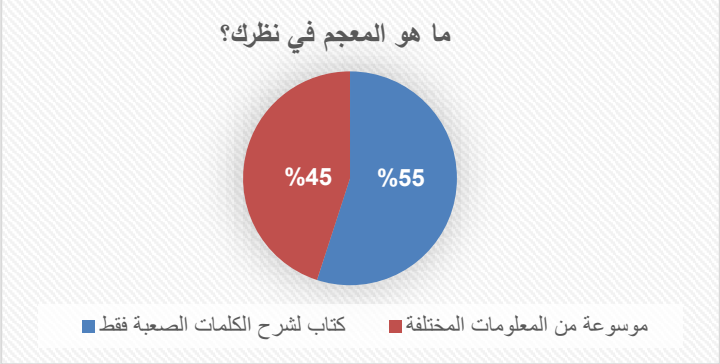

يتكامل قياس انطباع المتعلم حول المعجم مع البحث عن حالات استخدام المعجم، وهو ما كشفت عنه النتائج المتوصل إليها، ذلك أن نسبة (55%) من العينة المستجوبة، ترسّخَ لديها انطباعٌ بأن المعجم ما هو إلا كتاب لشرح الكلمات الصعبة فقط، في مقابل نسبة (45%) من المتعلمين الذين خلصوا من اطلاعهم على المعجم بأنه عبارة عن موسوعة من المعلومات المختلفة. ويبدو أن النسبة الأولى تنسجم مع نسبة حالات استخدام المعجم عند مصادفة كلمة صعبة فقط؛ أي الالتجاء إليه عند الضرورة. فيما تنسجم النسبة الثانية مع نسبة المتعلمين الذين يطلعون على المعجم ضمن نشاط القراءة الحرة.

خاتمة

لقد حاولت هذه الدراسة بيان كفاءة المعجم الإلكتروني في الاضطلاع بدور تعليم اللغة العربية وثقافتها. وذلك بافتراض إمكانية تعلم الطالب العربية وثقافتها عن طريق تصفحه الذاتي للمعجم الإلكتروني التاريخي للغة العربية. وفِعلاً، لقد تحققتْ صحّةُ هذا الافتراض إلى حد ما،

وخلصنا إلى أن المعجم بما يحويه من معلومات منهجية ولغوية وثقافية وتاريخية غنية، في وُسعه أن يصبح وسيلة بيداغوجية فعالة لتعلم العربية وثقافتها. ولتدعيم وتأكيد صحة افتراضنا، عقدنا المحور الثالث لتحليل معطيات استبيان وجّهناه إلى عينة من طلبة المدرسة الإماراتية.

وبالنظر إلى النتائج المتوصل إليها من الدراسة الميدانية، يمكن القول إن هذه النتائج تعزّز الفكرة السائدة لدى المتعلمين من أن المعجم مجرد كتاب لشرح الكلمات الصعبة عن طريق تقديم دلالاتها المعجمية. ولا يُلتجأ إليه إلا إذا اعترضت المتعلم مفردة صعبة. أما المعلومات الصرفية والنحوية، أساسا، والدلالية والثقافية والتاريخية بدرجة أقل، فيعتقد المتعلم أنه لا يُمكنُ التِماسُها إلا في الكتب والمناهج الخاصّة بها.

ويزداد الأمر تعقيدا وتعميقا لمشكلة فصل المعجم عن النحو، إذا ما استحضرنا نُفورَ مُعظَمُ المتعلمين من الدرس النحوي والصرفي الذي يُقدّم في مدارسنا بطرائق ما تزال، في عمومها، معقدة وجافة، فتقِفُ عائقا أمام النمو اللغوي للمتعلم. بيد أن نظام اللغة، كما هو مقرّر لدى الباحثين اللغويين، يقوم على معجم خاضع للنحو، وليس على نحو تخدمه المفردات. إن النحوَ تابعٌ للمعجم، ودوره مراقبة عملية التواصل، وبهذا المعنى، ينبغي توجيه الطلاب في المدارس إلى التماس اللغة من المعاجم وليسَ كتب النحو والقواعد الجافة فقط. إن النحو وُضع لضبط استخدام المفردات. إنه يأتي في مرحلة موالية بعد أن يكون الرصيد المعجمي قد تشكّلَ لدى الطالب.

وبناء على كل ما تقدم، أوصلتنا الدراسة إلى الخلاصات والتوصيات الآتية:

– التأكيد على دور المعجم في تعلم وتعليم اللغة العربية وثقافتها، باعتباره ليس وسيلة لشرح ما استعصى فهمه من مفردات فحسب، بل إنه، علاوة على ذلك، كتاب تعلم وتعليم لغة وثقافة في آن واحد؛

– فعالية نشاط التصفح الذاتي للمعجم الإلكتروني في إغناء الرصيد المعجمي للمتعلم؛

– دعوة الباحثين والمعلمين إلى توحيد جهودهم من أجل تطوير تعليم اللغة العربية وثقافتها، وإيلاء العناية الفائقة لاستعمال اللغة في سياقات تواصلية، وتنمية الثروة المعجمية، بديلاً عن حفظ وتحفيظ القواعد الجافة.

المصادر والمراجع

المراجع العربية:

– ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط.1، 1990.

– ابن جني، سر صناعة الإعراب، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ط.1، 2000.

– علي القاسمي، صناعة المعجم التاريخي للغة العربية، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط.1، 2013.

– علي القاسمي، المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط.1، 2003.

– عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.ت.

– إبراهيم السامرائي، معجم ودراسة في العربية المعاصرة، مكتبة لبنان ناشرون، ط.1، 2000.

– يعقوب، إميل، المعاجم العربية بداءتها وتطورها، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1981.

– نهاد الموسى، العربية نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية، دار الفارس، عمان، ط.1، 2000.

– سناء منعم، مصطفى بوعناني، اللسانيات والترجمة الآلية، دار عالم الكتب الحديث، الأردن، ط.1، 2005.

– فؤاد زكريا، التفكير العلمي، مجلة عالم المعرفة، العدد 3، مارس 1978.

– عبد العلي الودغيري، قضية الفصاحة في القاموس العربي التاريخي، مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب بالرباط، العدد 33، 1989.

– عزالدين البوشيخي، المعاجم العربية الإلكترونية وآفاق تطويرها، المؤتمر الدولي الرابع في اللغة والترجمة والصناعة المعجمية، مركز أطلس العالمي للدراسات والأبحاث، جامعة الشارقة، 2004.

– موقع المعجم التاريخي للغة العربية: (www.almojam.org).

المراجع الأجنبية:

. -vocabulary increase and collocation learning, by HAIYAN MEN, 2015

- Separation and acquisition of two languages in early childhood, by Maria Julia Carbajal, 2018.

تحقيق المستشرق تشارلس لايل (ت1920م) ديوانَ عامرِ بنِ الطُّفَيْلِ (ت11هـ): "دراسة تحليلية نقدية"

د/ صبري فوزي أبو حسين

أستاذ ورئيس قسم الأدب والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بمدينة السادات

مقدمة:

يمثل الاستشراق حلقة من حلقات الصلة بين الشرق والغرب، والتي تتنوع حسب المتصلين حوارًا أو جدالاً أو تعصبًا، إنصافًا أو انتقاصًا. وما يهمنا في هذا البحث أن نقدم جانبًا مضيئًا من هذه العلاقة: جانبَ الخدمة الاستشراقية البَحْتة للتراث العربي؛ إذ يقدم الدراسات المُطوَّلة والمُعمَّقة عن الحضارات القديمة، أو ينشط في تجميع المخطوطات العربية وتحقيقها ونشرها وفهرستها، أو تأليف الكتب، أو التدريس في الجامعات، أو المشاركة في أبحاث المجامع اللغوية والعِلْمية في العالم العربي، وإصدار الموسوعات والمعاجم. وكان هذا الاستشراق الإيجابي المضيء ذا منهجية علمية واضحة وموضوعية صادقة في التعامل مع التراث العربي الأدبي، أفدنا بلا ريب منها في عملية إحياء التراث؛ فحركة بعث تراثنا بدأت منهم وفي بلادهم؛ ولما كان الشعر الجاهلي يمثل فجر تاريخ أمتنا، كما يمثل عصرها التأسيسي الأول، وتمثل لغته اللغة المثال، فقد بلغت عناية المستشرقين بالدواوين الشعرية الجاهلية شأوًا عاليًا؛ إذ كان لهم دور بارز في تحقيق الدواوين والمجموعات الشعرية، ودراسة قصائد مفردة، وتحقيقها ونشرها وترجمتها، ورصد ظواهرها الفنية ودراستها، والعناية بقضايا التوثيق والرواية والتدوين للشعر الجاهلي، بطريقة علمية منهجية بحتة.

ونعيش في هذا البحث مع دلالة نصية على تلك الرؤية، مع ديوان شاعر جاهلي فذ، وتحقيق مستشرق إيجابي جيد. أما الشاعر فهو عامر بن الطفيل (70ق.هـ- 11هـ = 554- 632م) أحد شعراء الحماسة في الجاهلية، وأشهر فرسان العرب بأساً وشدَّة ونجدةً. أما المستشرق فهو الإنجليزي "تشارلس لايل" الذي يعد واحدًا من المستشرقين الكبار في خدمة الشعر العربي القديم، بطريقة علمية منهجية خالصة من أية توجهات سياسية أو دينية مُغرضة، والدليل على ذلك الاطلاع على جهده العلمي الفريد البِكْر في تحقيق هذا الديوان تحقيقًا علميًّا سديدًا، يدل على تمكُّن سديد من اللغة العربية: متنًا وأسلوبًا، نحوًا وصرفًا وعروضًا، تاريخًا وجغرافيةً. وهذا ما يحاول البحث قوله وتقديم الدلائل عليه؛ ومن ثَمَّ جاء تحت عنوان: "تحقيق المستشرق "تشارلس لايل" ديوان عامر بن الطفيل دراسة تحليلية نقدية"، وجاء في تمهيد وثلاثة مباحث على النحو التالي:

التمهيد: حياة المستشرق "تشارلس لايل" وآثاره

المبحث الأول: عامر بن الطفيل وديوانه

المبحث الثاني: منهج تحقيق المستشرق للديوان

المبحث الثالث: إيجابيات تحقيق المستشرق للديوان وسلبياته

ثم كانت الخاتمة التي أوجزت ما قيل في البحث وقدمت توصيات ومقترحات علمية للباحثين والمؤسسات البحثية.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

التمهيد: حياة المستشرق "تشارلس لايل" وآثاره.

أولاً: حياة المستشرق:

هو السيد تشارلس جيمس لايل [Charles James Lyall Sir] (1261 – 1338 هـ / 1845 – 1920م). وقد اختلف في إملاء اسمه؛ حسب نطقه في اللغات الأوربية المختلفة، فقد يكون المسمّى إنكليزيا: (Charles) فيلفظه الإنكليز (تشارلس)، ويجعله من يأخذه عن الفرنسية (شارل) وعن الإسبانيولية (كارلوس) وعن الإيطالية (كارلو) وعن الألمانية (كارل)[106]. وقد كتب المستشرق اسمه بالعربية على ديوان المفضليات: "كارلوس يعقوب لايل[107].

وهو من المستعربين الإنجليز الذين ينتمون إلى مدرسة كمبردج، تخرج في جامعة كامبردج، استكمل دراسته في أكسفورد، ودخل في خدمة الحكومة سنة 1867 والتحقَ بالعملِ في إدارةِ البنغال المدنية وهو في الثانية والعشرين من عمرِه، وتقلّدَ بعضَ المناصبِ الرفيعةِ في حكومةِ الهندِ حتى انتهى به الأمرُ أنْ صارَ المندوبَ الرئيسي للولاياتِ المركزية في الهندِ في الفترة ما بين (1895–1898م). ثُمَّ تركَ "لايل" الهند عائدًا إلى لندن، حيثُ عملَ سكرتيرًا للقسم القضائي والعمومي في الديوان الهندي بلندن، واستمرَّ في هذا المنصبِ حتى أُحيل إلى التقاعدِ عام 1910م[108].

تعلمه الفصحى:

---

[106]. مقدمة الأعلام للزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ) 14/1، نشر دار العلم للملايين، سنة2002 م.

[107]. الأعلام5/248، 85/2، وراجع: المفضليات مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت على نفقة كلية أكسفورد، سنة 1920م.

[108]. مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، د/محمود الطناحي، رحمه الله، ص242، طبع دار الخانجي بالقاهرة سنة 1984م. وراجع ترجمة المستشرق في "المستشرقون" لنجيب العقيقي ص575، طبع دار المعارف بالقاهرة: 1981م، والأعلام5/144.

وفي أثناءِ عملِه في الهندِ درسَ اللغةَ العربيّةَ، ولمّا عادَ إلى أوروبا تتلمذَ على يدِ المُستعرب الألمانيّ الشهير "نولدكة[109]" في جامعةِ إشترسبورج، والذي أرجعَ إليه الفضل –كما سنرى– في نشر ديوانِ عبيدٍ. وقد درس اللغة العربية وأتقنها، وعُني بشعرها وبخاصة شعر ما قبل الإسلام، وكان يشغل وقت فراغه بهذا الشعر، وقد رفع لواء العلوم الشرقية في وطنه خمسين عامًا.

ثانيًا: آثار "تشارلس لايل"

تنوعت آثار المستشرق بين ترجمة وتحقيق ودراسة على النحو التالي:

1_ في الترجمة:

كانت باكورةُ أعمالِ "لايل" في ميدان التراثِ العربيّ سلسلةً مِن الترجماتِ، التي نشرها في مجلة الجمعيّة الملكية الآسيوية –وقد كان أحدَ رؤسائها–في السنوات: 1877م، و1878م، و1881م. ثُمَّ جَمَعَها بعد ذلك في كتابٍ نُشِرَ بلندن عام 1885م بعنوان: تراجم شُعراء العرب والشعر الجاهلي. (London Translation of Ancient Arabian Poetry, Chiefly pre–Islamic, 1885) ... وأعقبه بثان من نوعه سماهTen Arabic Poems وله في هذه المجلة مقالات ممتعة في آداب الشرق. وكتب فصولاً في دائرة المعارف البريطانية. ثم حاول أن يجعل مواطنيه يتذوقون جمال هذا الشعر بتقديم ترجمات له مثل دراسته التي بعنوان: The pictorial aspects of ancient Arabian poetry, JRAS 1912,13_152. وفي الكتاب التذكاري لبراوني Brone_festschrfنشر ترجمة[110]

---

[109]. هو تيودور نولدكه: (1251 – 1349 هـ = 1836 – 1930 م): **Theodor Noldeke** من أكابر المستشرقين الألمان. ولد في هاربورج (بألمانيا) وتعلم في جامعات غوتنجن وفينة وليدن وبرلين. وانصرف إلى اللغات الساميّة والتاريخ الإسلامي فعُين استاذاً لهما في جامعة غوتنجن (سنة 1861) فجامعة كيل (1864) ثم في جامعة ستراسبورج (1872 ومات في كارلسروه **Karlsruhe**)) له كتب بالألمانية عن العرب وتاريخهم منها (تاريخ القرآن) و(حياة النبي محمد) و(دراسات لشعر العرب القدماء) و(النحو العربيّ) و(خمس معلقات) ترجمها إلى الألمانية وشرحها. ونشر في مجلات الغرب وموسوعاته بحوثا كثيرة. وله بالعربية (منتخبات الأشعار العربية – ط) واشترك في الإشراف على طبع (تاريخ الطبري) وترجمته إلى الألمانية. قال الأب أنستاس الكرملي: لم نجد بين حملة العلم – المعاصرين – من بلغ تحقيقه. كان يحسن اللغات الشرقية كلها كالعربية والأرمية والعربية والصابئية والحبشية وغيرها، وله تصحيحات وتحقيقات في هذه الألسنة فضلا عن معرفته بلغات الغرب كاليونانية واللاتينية والفرنسية والإنكليزية والإيطالية والإسبانية ولغته الألمانية. راجع ترجمته في الأعلام96/2، ومعجم المؤلفين، لعمر بن رضا كحالة الدمشقي (المتوفى: 1408هـ) 97/2، نشر مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

[110]. هو إدورد غرنفيل براون **Edward Granvill Brown** (1278– 1343 هـ = 1861 – 1926 م) مستشرق إنكليزي. ولد في قرية بمقاطعة (كلُستر شاير) بانكلترة، وتعلم في مدرسة (ترينتي كلدج) باسكتلندة، ثم في كليتي إيتون وبمبروك، بكمبردج، حيث تلقى الطب واللغات الشرقية وفي سنة 1877 م، رحل إلى فارس، ثم عين محاضرًا في الفارسية بجامعة كمبردج، فأستاذًا للعربية بها. وظل كذلك إلى أن توفي بلندن. وكان من أعضاء المجمع العلمي العربيّ بدمشق. له بالإنكليزية كتاب في (الطب عند العرب) وصنف (فهارس المخطوطات

لقصيدة للأعشى(ت7 هـ =629 م) في البحر نفسه الذي نظم فيه قصيدته[Oriental studies .285_292][111]

– الشعر الجاهلي مرجع للمعلومات التاريخية لسير "تشارلس لايل"، المجلة الآسيوية 1941م.

_ معلقة الأعشى: السير "تشارلس لايل" الإنجليزي 1922م[112].

وفي مجال التأثر والتأثير نطالع بحثه: "صلات الشعر الجاهلي بالأدب اليهودي والتوراة" في المجلة الآسيوية 1914م[113].

_ وقد أشار الأستاذ علي عبدالغفار شاكر في مقدمة تحقيقه ديوان تأبط شرا [نشر دار الغرب الإسلامي سنة 1992م]: إلى بحث للمستشرق "لايل" بعنوان: "أربع قصائد للشاعر تأبط شرًّا (نحو 80 ق هـ =نحو 540 م)، ذكر أنه قدم فيه وصفًا جيدًا للمنطقة التي سكنها بنو فهم قوم تأبط شرا في تهامة والحجاز، وترجمة مختصرة لحياة تأبط شرا، ثم ترجم فيها أربع قصائد للشاعر[114].

2_آثاره في التحقيق:

الإسلامية) التي في جامعة كمبردج، في أربع مجلدات. وكتب بالإنكليزية "تاريخ فارس الأدبي". وتوفي بلندن، الأعلام1/283.

111. مقدمة د/عوني عبدالرؤوف، ناشر تحقيق المستشرق " لايل" ص 7_8، دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة سنة 1430هـ_2009م، والأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديمًا وحديثًا ص38، نشر دار الفكر، الطبعة الأولى 1987م. هذا وقد انتقد الدكتور عبد الله الطيب الآراء التي أبداها هذا المستشرق في مقدمة قصيدة الشاعر العربي سويد بن أبي كاهل اليشكري التي زعم عندما فرغ من ترجمتها أنها تتكون من قصيدتين معاً من وزنٍ واحدٍ وقافيةٍ واحدة، والأولى تبدأ من البيت الأول إلى البيت الرابع والأربعين، والثانية تبدأ من البيت الخامس والأربعين إلى آخر القصيدة. وقد زعم تشارلس جيمس أن القصيدة الأولى متماسكة وجيدة وأن القصيدة الثانية فيها اضطراب وفجوات، وتنتهي بوصفٍ قوي للمساجلة التي كانت بين الشاعر العربي: سويد بن أبي كاهل وخصمه! وتعقيباً على آراء المستشرق تشارلس جيمس قال الأديب الكبير عبد الله الطيب: لقد نظرت في القصيدة وتأملت معانيها وعجبت للزعم الذي زعمه تشارلس جيمس، إذ القصيدة بلا ريب كل واحد متماسك جداً، ليس فيه فجوات أو اضطراب! وروح القصيدة وصياغتها وكثير من معانيها وأساليب بيانها يدل على أنها نظمت في الإسلام وأن تسميتها باليتيمة كانت في الإسلام لا الجاهلية. راجع مقال الكاتب مصطفى عوض بشارة: ماذا قال عبد الله الطيب عن شكسبير وكوليردج وتشارلس وجونز؟ بالرابط: **http: //www.sudaress.com/alintibaha**

112. ترجمه إلى العربية الأستاذ/ عبد الله أحمد مهنّا"، بعنوان: " الشعر العربي القديم مصدرًا للمعرفة التاريخية"، ونشره في مجلة الشعر، القاهرة، العدد 13, يناير 1979م، ص9–20.

113. راجع: الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديمًا وحديثًا، د/ عفيف عبد الرحمن، ص27 وما بعدها، وبيبلوغرافيا العصر الجاهلي للدكتور عفيف عبد الرحمن المنشور في مجلة المورد العراقية المجلد التاسع العدد الثالث سنة 1400هـ–1980م. ومدخل إلى نشر التراث ص 206 وما بعدها.

114. راجع موقع نيل وفرات على الرابط: http: //www.neelwafurat.com/itempageMobile...

عُنِي بتحقيق بعض قصائد الشعر الجاهلي ونشرها وترجمتها، فتوالت تحقيقاتُه المُتقنة في مجالِ النُّصوصِ العربيّة الأدبيّة، فقام بنشر:

1_ (شرح المعلقات السبع) للتبريزي (421 – 502 هـ).

2_ ديوان: عبيد بن الأبرص (نحو 25 ق هـ =نحو 600 م)، ليدن، 1913م[115].

3_ديوان عمرو بن قميئة (نحو 180 – 85 ق هـ) ليدن، 1913م. و(كمبريدج 1919م)[116].

4_المفضليات للمفضل الضبي (168 هـ =784 م)، بشرح أبي محمد[117]القاسم بن محمد بن بشار الأنباري، وقد اعتمد أساسًا على مخطوطة برلين التي كان يمتلكها ثوربكة[118]. وهي من شرح المقريزي (766 – 845 هـ)، وهي غير كاملة ثم بيَّن ضرورة الاستعانة بمخطوطات أخرى بشرح الأنباري. وقد قام الأستاذ لويس شيخو[119] بمراجعة النص العربي للمفضليات، كما قام باحث

---

[115]. ويعد هذا التحقيق من أفضل طبعات الديوان؛ فقد بذل فيه المستشرق جهدًا عجيبًا، وقد طَبع هذا الديوان بعد نقل حواشيه إلى العربية دارُ الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، وطُبع طبعة أخرى، أخرجها د. حسين نصَّار، واعتمد فيها على طبعة المستشرق لايل، مع إضافة بعد القصائد والتعليقات، وطبعتها دار الحلبي بالقاهرة بتحقيق: حسين نصار1957م، بيروت، دار صادر، 1958م، ثمَّ طبعتها مؤخَّرا مكتبة الثقافة الدينيَّة بالقاهرة...

[116]. له تحقيق آخر صنعه الأستاذ حسن كامل الصيرفي، نشر بمعهد المخطوطات العربية، بالقاهرة 1956م، وله طبعة تجارية من دار صادر ببيروت..

[117]. كثيرًا ما ينسب شرح هذه المجموعة الشعرية إلى ابن الأنباري، أبي بكر محمد ابن قاسم ابن محمد ابن بشار الأنباري (متوفى عام 328 هـ الموافق 940 م). وفقًا لرأي كل من فريدريش كرن **Friedrich Kern** وتشارلس جيمس لايل **Charles James Lyall** أبو وابن المراجعين هما المؤلفان الحقيقيان للشرح (انظر فوللرس **Vollers**، ص 156 ورسالة تشارلس جيمس لايل **Charles James Lyall** المؤرخة بتاريخ 1904/03/11 والمرفقة بالمخطوطة، والشرح الوارد في هذه المخطوطة لم تتبق منه إلا قطع. وفقا لرأي تشارلس جيمس لايل **Charles James Lyall** تحوي ق1ب–8ب بداية الشرح وق9أ–39ب نهاية الجزء الرابع من الشرح (انظر رسالة تشارلس جيمس لايل **Charles James Lyall** المؤرخة بتاريخ 1904/03/11. إذن ينسبه كثير من القدامى والمحدثين لابنه أبي بكر محمد بن القاسم، والصواب أنه للأب أبي محمد، وقد قرأه عليه ونقحه ابنه أبو بكر. راجع مقدمة تحقيق كتاب الزاهر ص27، والأعلام 181/5، ومدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، د/محمود الطناحي، رحمه الله، هامش (1) ص240.

[118]. هو يوهان رودلف ثوربكه (1875م–1292هـ). رجل دولة هولندي صاغ الدستور

14/http: //www.marefa.org/index.php

[119]. لُوِيس شَيْخُو (1275 – 1346 هـ = 1859 – 1927 م): لويس شيخو **(Louis Cheikho)** اليسوعي: منشئ مجلة "المشرق" في بيروت، وأحد المؤلفين المكثرين. كان اسمه قبل الرهبنة " رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو ". ولد في ماردين " بالجزيرة الفراتية " وانتقل إلى الشام يافعاً، فتعلم في مدرسة الآباء اليسوعيين في غزير (بلبنان) وانتظم في سلك الرهبانية اليسوعية سنة 1874 وتنقل في بلاد أوربا والشرق، فاطلع على ما في الخزائن من كتب العرب، ونسخ واستنسخ كثيرا منها، حمله إلى الخزانة اليسوعية في بيروت.

عربي[120]بمضاهاة نص المخطوطة التي حققها "تشارلس لايل"(سنة 1908م) على النسخ الموجودة بدار الكتب في بيروت عام(1910م) إلا أن الجزء الأول من هذه المفضليات الذي يشتمل على هذا النص تأخر صدوره بسبب الحرب العالمية، ولم ينشر إلا عام 1921م، بعد وفاة لايل بعدة شهور، وكان الجزء الثاني المشتمل على ترجمة أشعار المفضليات قد نشر في أكسفورد عام 1918م. وقد راجع "بيفان[121]" الجزأين وصوبهما، ثم صدر الجزء الثالث المشتمل على فهارس المفضليات عام 1921م، وهو صورة مُثلى لوضع الفهارس لأي عمل أدبي، وبهذا اكتمل العمل الرائع للمفضليات التي حققها ونشرها "تشارلس لايل" مع الفهارس التي أعدها بيفان، وأصبح شاهدًا على التعاون المثمر بين المستشرقين.

إن دراسة حياة المستشرق "تشارلس" العلمية وتتبع صلاته العلمية، تدلنا على تلك الحقيقة الاجتماعية الإيجابية؛ فقد التقى بالعديد من المستشرقين الذين قدموا له الكثير من المساعدات فيما أصدره من تحقيقات وشروح وترجمات للشعر العربي، منهم (بيفان)، و(دي خويه[122])، و (أ.

وانصرف إلى تعليم الآداب العربية في كلية القديس يوسف، كتب العرب راجع ترجمته في الأعلام5/246_247.، ومعجم المؤلفين8/161.

120. ويسمى في بعض الكتابات الأستاذ أحمد صلحاني! ولم أطلع له بهذا الاسم على ترجمة فيما بين يدي من مصادر في ترجمة المحدثين أو المعاصرين! أما الأب أنطون صالحاني فقد ولد سنة 1847م، وهو ممن اختصر الأغاني، وسمّاهُ: رنّات المثالث والمثاني في روايات الأغاني، نُشر في بيروت سنة 1888 م، وطبع للمرّة الثالثة سنة 1923م. وهو ممن نشر تاريخ مختصر الدول للعبري، وكتاب ألف ليلة وليلة، ونشر ديوان شعر الأخطل في خمسة أجزاء، ونقائض جرير والأخطل، وله كثير من المقالات والأبحاث...وتوفي سنة 1941م. وممن ترجم له الأب لويس شيخو، في كتابه (تاريخ الآداب العربية) (دار المشرق، بيروت 1991)، والأستاذ فيليب دي طرازي، في كتابه(تاريخ الصحافة العربية) (الجزء الثاني) (المطبعة الأدبية، بيروت 1913)، والأستاذ أدهم الجندي، في كتابه(أعلام الأدب والفن) (الجزء الثاني) (مطبعة الاتحاد، دمشق 1958)...

121. هو أنتوني آشلي بيفان(1859_1933م)، تلقى العلم في لوزان ودرس على المستشرق الألماني نولدكة، في ستراسبورج وعلى وليم رايت، من أعماله الباقية نشر نقائض جرير والفرزدق لأبي عبيدة معمر بن المثنى في مجلدين، عدد صفحاتهما (1102) ثم صنع لها فهرسًا جامعًا في مجلد عدد صفحاته (637). وقد عني بتحقيق النقائض عناية بالغة فروى زميله المستشرق إدوارد براون أنه دخل عليه يومًا فألفاه حزينًا يائسًا فاستعلم عما أصابه فأخبره أنه وجد بعد نشره للنقائض خللاً في وزن أحد أبياتها. الأعلام 24/2، والمستشرقون ص510، ومدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، د/محمود الطناحي، رحمه الله، ص240.

122. دي خُويُهْ (1252 – 1327 هـ = 1836 – 1909 م): ميخيل يوهنّا دي خويّه **Michiel: Johanna de Goge** مستشرق هولندي، من أرسخ المستشرقين قدما في الدراسات العربية. تعلم في جامعتي ليدن وأكسفورد، ودرّس في الأولى. وكان من أعضاء المجمع الشرقي في ليدن ومجامع أخرى. ونشر نفائس من الكتب العربية، منها (تاريخ الأمم والملوك) للطبري، في 18 مجلدا، وكان (كوزيغارتن) قد سبقه إلى نشر قسم منه. وأنشأ مكتبة الجغرافيين العرب، ونشر فيها (مسالك الممالك) للاصطخري، و (أحسن التقاسيم) للمقدسي، و (المسالك والممالك) لابن خرداذبه، و (المسالك والممالك) لابن حوقل، و (التنبيه والإشراف) للمسعوديّ، و (مختصر كتاب البلدان) للهمذاني، و (الأعلاق النفيسة) لابن رستة، وجعل لها فهرسا أبجديا عاما.ونشر (فتوح البلدان) للبلاذري، و (ديوان مسلم بن الوليد) وغير ذلك. وتوفي في ليدن راجع ترجمته في الأعلام 388/3.

فيشر[123])، و(د. جاير[124])، (نولدكة) الذي كان "لايل" يعده مثله الأعلى. وأهداه تحقيق ديواني عبيد بن الأبرص، وعامر بن الطفيل، مع الترجمة، والذي نشر في لندن 1913م عرفانًا بفضله وجميله، بقوله: ....

وقد حرصنا على أن ننقله في هذه الطبعة التي نقدمها للقارئ العربي[125]... ومن ثم جعل الدكتور الطناحي[126] هذا التحقيق العلمي الفريد من "أعظم أعمال هذا المستشرق، وآية من آيات إبداع المستشرقين في إخراج النصوص العربية. وقد أحسن ... صاحب مكتبة المثنى ببغداد رحمه الله كل الإحسان حين أعاد نشر هذا الكتاب بالتصوير، في مجلد ضخم. ويا ليته نشر فهارسه التي صنعها بيفان! وكنت قد حدثته في ذلك رحمه الله، ولكنه اعتذر بأن لديه نسخًا من الطبعة الأصلية من ذلك الفهرس[127].

أثره التربوي: مما يدل على هذا الأثر اطلاعنا على ترجمة المستشرق الألماني فريتش كرنكو[128]، الذي يُصنَّف أنه من المستشرقين المبرزين؛ فقد كان غزير العلم، واسع الاطلاع صادق

---

123. فِيشَر (1282 – 1368 هـ = 1865 – 1949 م): آوغست فيشر **August Fischer** مستشرق ألماني. من أهل ليبسيك كان أستاذا في جامعة (هالّه) ومن أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية. أشهر آثاره (معجم فيشر – خ) قضى أربعين سنة في جمعه وترتيبه وإعداده للطبع. وله (زمام الغناء (المطرب في النظم السائر في أقاصي المغرب – ط) بالعربية مع ترجمته إلى الألمانية. ونشر كتابا لمحمد بن إسحاق في تراجم من روى عنهم. راجع ترجمته في الأعلام 26/1.

124. هو رودلف جاير، مستشرق ألماني عاش في الفترة (1861_1929)، وله جهد في التحقيق والترجمة.

125. طبع في ثلاثة أجزاء، جاء في صفحة الغلاف: " عُني بطبعه ومقابلة نسخه وتذييله بحواشٍ وروايات لعدة لغويين وعلماء الفقير إلى ربه" كارلوس يعقوب لايل". وهي مذيلة بتعليقات مع ترجمتها إلى الإنكليزية، وضع فهارسها المستشرق الإنجليزي أنتوني بيفان، في مجلد، بالمطبعة الكاثوليكية ببيروت 1908م_1931م_1934م. وبمطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت سنة 1920م.

126. هو محمود محمد الطناحي: (1935–1999م) ولد بقرية كفر طبلوها بمحافظة المنوفية، جمهورية مصر العربية. انتقل إلى القاهرة في الثامنة من عمره. أتم حفظ القرآن الكريم برواية حفص في الثالثة عشرة من عمره. وتدرج في البحث العلمي حتى صار أستاذ النحو والصرف والعروض بكلية الآداب في جامعة حلوان، والخبير بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ومحقق كثير من ذخائر التراث العربي. راجع ترجمته في الرابط: http: ///ar.wikipedia.org/wiki

127. مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، د/محمود الطناحي، رحمه الله، ص240.

128. كُرِنْكُو (1289 – 1372 هـ = 1872 – 1953 م): فريتس كرنكو: **Freitz Krenkow** مستشرق ألماني، من أعضاء المجمع العلمي العربيّ. كان يسمي نفسه بالعربية " سالم كرنكو " وجاء في مقدمة " الدرر الكامنة " المطبوع في حيدر اباد الدكن: " قال الدكتور الفاضل سالم الكرنكوي الألماني مصحح الكتاب إلخ " ومعنى " فريتس" بالألمانية " سالم "... قال كرد علي (في مجلة المجمع): " أحبَّ الأستاذ كرنكو العرب والإسلام محبة لا ترجى إلا من العريق فيهما، يتعصب للعرب على سائر أمم الإسلام، من الفرس والترك والهند، ويعتقد – كما كتب لي في 23 آذار، مارس، سنة 1935 – أن زوال الدولة العربية، أي خلافة بني أمية، وانتقال مركز الإسلام من دمشق إلى العراق، وظهور الفرس على العرب، كان أول سبب للحيلولة دون انتشار الإسلام في الأمم النازلة في الشمال الغربي، أوربا". وقال كاظم الدجيلي – وكان صديقا حميما له – يؤبنه: " كان كرينكو

القول، أبيّ النفس، بهيّ الطلعة، محباً للشرقيين عامة، وللمسلمين خاصة، وكانت مكتبته تحوي مئات الكتب الثمينة النادرة من مخطوطات ومطبوعات في الآداب والثقافة العربية والإسلامية...إلا أنه قد صرفه المستشرق زاخاو[129] عن الاستشراق لتطلبه وقتًا ومالاً لم يتوفرا له، فانشغل فعلاً بالتجارة حينًا من الدهر، ثم اضطر بعد الحرب العالمية الأولى إلى تصفية تجارته، واتصل بالمستشرق "تشارلس لايل"، الذي يعد محطة بارزة في حياة هذا المستشرق؛ إذ يسجل له الباحثون في مجال الاستشراق أنه كان الأساس في توجيهه فكريًّا؛ إذ حثّه على التزود من علوم العربية والفارسية والأردية وآدابها، وحببه إلى العربية، وحثه على العودة إلى الاستشراق، وهو ما ساعده في تكوين إنتاج خصيب ولا سيما في تحقيق المخطوطات النادرة[130].

رأي تشارلس في قضية أولية الشعر:

يذهب بعض الباحثين إلى أن هناك شعرًا عربيًّا ينتمي إلى القرن الرابع قبل الإسلام. أي أن الشعر الجاهلي لا يعود إلى ما قبل دين محمد [ﷺ] بقرن أو قرن ونصف فقط كما كنا نردد. لا بل لا بد أنه يمتد إلى ما وراء القرن الرابع نفسه؛ لأنه لا يُعْقَل أن يكون العرب قد وصلوا إلى نظم مثل تلك الأغاني إلا بعد أن كان فن الشعر قد نضج عندهم تمامًا. وقد لفتت هذه المسألة أنظار الباحثين فأَبْدَوْا استغرابهم أن يكون الشعر الجاهلي بما فيه من فنٍّ متقدمٍ وليدَ تلك المدة القصيرة؛ فإن "الشعر الذي وصل إلينا من الجاهلية يمثل دورًا راقيًا لا يمكن أن يكون الشعر قد بلغ إليه في أقل من ألفي سنة على الأقل، غير أنه لم يصل إلينا من ذلك الشعر الأول شيء. وهذا ما أكده المستشرق "تشارلس لايل" أن "تعدد البحور التي كان يستعملها الشعراء الجاهليون وتعقدها، وكذلك القواعد الراسخة التي تتعلق بالوزن والقافية، فضلا عن الأسلوب الواحد الذي كانوا ينتهجونه في بناء قصائدهم رغم المسافات التي تفصل كلاً منهم عن الآخر، كل ذلك يشير إلى دراسةٍ وممارسةٍ طويلةٍ سابقةٍ لفن الشعر وإمكانات اللسان العربي، وإن لم يكن بين يدينا سجل لشيء من هذا[131]"،

غزير العلم، واسع الاطلاع، صادق القول، أبيّ النفس، بهيّ الطلعة، محبا للشرقيين عامة والمسلمين خاصة، ولا أدري ما تم في أمر خزانته التي تحوي آلاف الكتب الثمينة النادرة من مخطوطات ومطبوعات إذ في ضياعها وتفرقها خسارة للآداب العربية والإسلامية ". ترجمته بالأعلام 144/5.

[129]. هو إدوارد زاخاو (1845_1930): رحالة ومستشرق ألماني، له الفضل في تأسيس معهد دراسات الشرق الحديث، ومعهد اللغات الشرقية في برلين سنة 1887م، راجع: معجم أسماء المستشرقين، يحيي مراد، ص649_650، دار الكتب العربية بالقاهرة سنة 2006م، وتطور مفهوم الشرق في الفكر الأوربي ص45، د/حيدر الرويعي، مجلة القادسية مج10، ع 3، 4، ص48، سنة 2011م.

[130]. مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، د/محمود الطناحي، رحمه الله، ص242، وراجع ترجمة المستشرق في "المستشرقون"، ص575، والأعلام 144/5.

[131]. راجع: تاريخ الأدب العربي، 73/1، ط4/ دار العلم للملايين، بيروت، 1981م، وتاريخ الأدب العربي ص 28، أحمد حسن الزيات، ط24، دار نهضة مصر، و تاريخ الأدب العربي، ص52، حنا الفاخوري، دون دار نشر أو تاريخ...إلخ

وهو ما يوافقه عليه رينولد نيكلسون[132] وبالمثل يقرر إجناطيوس جويدي[133]، أن القصائد الجاهلية الرائعة التي وصلتنا عن القرن السادس الميلادي تشير إلى أن وراءها صنعة طويلة، ويعلل كليمان هوار اختفاء الشعر السابق على ذلك التاريخ بأن الذكريات البشرية، ما لم يتم حفظها كتابة على الجدران أو الحجارة أو الأوراق، فإنها حَرِيّةٌ أن تضيع مع الأيام. ومن ثم يضيف قائلا: إن الشعر العربي الذي وصلنا لا يرجع إلى أبعد من القرن السادس الميلادي عندما استُعْمِلت الألفباء النبطية في تسجيل ذلك الشعر[134].

رحيله: عاجلت المنية المستشرق في أول سبتمبر 1920 ولم يرَ الكتابَ في صورته المطبوعة، فتولّى المستشرق الإنكليزي أنتوني آشلي بيفان Antony Ashley Bevan مراجعةَ تجارب الطبعَ وخرج بعد وفاة لايل بعدة أشهر[135].

---

[132]. رينولد ألين نيكلسن **Reynold Allen: Nicholson** (1868 – 1945 م): مستشرق إنجليزي، عالم بالتصوف الإسلامي. تعلم في كمبردج وغيرها. ودرس العربية والفارسية، ودرّسهما. واشترك في نشر (تذكرة الأولياء) للعطار، و (اللمع) للسراج، و (ترجمان الأشواق – ط) مقالات في التصوف لابن عربي. وله كتب بالإنكليزية، منها (تاريخ الآداب العربية) و (متصوفو الإسلام) و (دراسات في التصوف الإسلامي) ترجمه إلى العربية أبو العلا عفيفي، ونشر بها، و (ترجمات من الشعر والنثر) عن العربية والفارسية. ترجمته بالأعلام 39/3.

[133]. أغناطيوس جويدي: (1844–1935م): أغناطيوس جويدي. مستشرق إيطالي. عالم باللغات العربية، والحبشية، والسريانية، من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق. ولد في رومة، ودرس بالجامعة المصرية القديمة. من آثاره: محاضرات ادبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب، فهارس كتاب الاغاني، وشرح بانت سعاد (خ) فهرس المؤلفين بالظاهرية (ط) سركيس: معجم المطبوعات 724 725، ترجمته بالأعلام 1: 341، ومعجم المؤلفين 306/2.

[134]. راجع مقال "ابن سلام والشك في الشعر الجاهي طرح جديد، د/إبراهيم عوض، على رابط ملتقى أهل التفسير: **http: //vb.tafsir.net/tafsir**، نقلا عن: **I. Guidi, L'Arabie Antéislamique, Paris, 1921, P**.21)، و(**Clément Huart, A History of Arabic Literature, William Heinmann, London, 1903, P**.7).

[135]. ولد عبد السلام هارون في مدينة الإسكندرية في1909م م، ونشأ في بيت كريم من بيوت العلم. عني أبوه بتربيته وتعليمه، فحفظ القرآن الكريم، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة، والتحق بالأزهر سنة 1921م، حيث درس العلوم الدينية والعربية، ثم التحق في سنة1924م، بتجهيزية دار العلوم بعد اجتيازه مسابقة للالتحاق بها، وكانت هذه التجهيزية تعد الطلبة للالتحاق بمدرسة دار العلوم، وحصل منها على شهادة البكالوريا سنة 1928م، ثم أتم دراسته بدار العلوم العليا، وتخرج فيها سنة**1945** م. بدأ عبد السلام هارون نشاطه العلمي منذ وقت مبكر، فحقق وهو في السادسة عشرة من عمره كتاب "متن أبي شجاع" بضبطه وتصحيحه ومراجعته في سنة1925م، ثم حقق الجزء الأول من كتاب "خزانة الأدب" للبغدادي سنة 1927م، ثم أكمل أربعة أجزاء من الخزانة وهو طالب بدار العلوم. وتدور آثاره العلمية في التحقيق حول العناية بنشر كتب الجاحظ، وإخراج المعاجم اللغوية، والكتب النحوية، وكتب الأدب، والمختارات الشعرية. أما عن مؤلفاته فله: الأساليب الإنشائية في النحو العربي، والميسر والأزلام، والتراث العربي، وحول ديوان البحتري، وتحقيقات وتنبيهات في معجم لسان العرب، وقواعد الإملاء، وكناشة النوادر، ومعجم شواهد العربية، ومعجم مقيدات ابن خلكان. وخلاصة القول أن ما أخرجه للناس من آثار سواء أكانت من تحقيقه أو من تأليفه تجاوزت 115 كتابًا، و إلى جانب هذا النشاط في عالم

يحرص المستشرقون على الفهرسة التفصيلية للكتاب المحقق، وقد أعانهم على ذلك ما أقاموه من دراسات تراثية جادة عميقة، وذلك أن كتب التراث العربي بدون فهارس كنز بلا مفتاح. ومن أبرز جهودهم في ذلك فهرس النقائض الذي نشره المستشرق الهولندي بيفان، وفهارس شرح المفضليات الذي نشره المستشرق الإنجليزي لايل، وفهرس الكامل للمبرد الذي نشره المستشرق الإنجليزي رايت، وفهارس معجم البلدان الذي نشره المستشرق الألماني وستنفلد"[136].

مكانته: يعد "تشارلس لايل" من الآباء الأوائل للاستشراق، والذين ترجموا ونقحوا التراث العربي، وتعد كتاباته من النصوص التأسيسية للاستشراق. وقد أشاد به كبار المحققين العرب مثل الأستاذ عبدالسلام هارون[137] رحمه الله الذي جعله من أعلام المستشرقين وثقاتهم الذين يُطْمَأَنُّ إلى تحقيقهم ونشرهم ويوثَق بهم بجوار وستنفلد الأماني (1808_1889)، وجاير الألماني (1861_1929)، وبيفان الهولندي(1859_1934)، وأن نشراتهم أصول، ورواياتهم لأصولهم إن لم نتمكن من الظفر بتلك الأصول رواية ينتفع بها في مقابلة النصوص؛ لأنهم بمنزلة الرواة الثقات وروايتهم منزلة ما يسميه المحدثون بالوجادة[138]".

وهذا الدكتور حسين نصار حسين نصار[139] يُعجَب بتحقيقِ "تشارلس لايل" لديوان عبيدِ بن الأبرصِ، ويشهدَ له بما بذلَه مِن جهدٍ واضحٍ في مقدّمتِه الضافيةِ للديوان، وتحقيقِه له اعتمادًا على النسخةِ الوحيدةِ التي وصلت إلينا مِن الديوان. فما كانَ منهُ إلا أنْ قامَ أولًا بترجمةِ تلك المقدمة الوافية للديوانِ ليقدّمها هديةً إلى المعنيين...

ويجعله الدكتور أحمد عبد الباسط[140] بعيدًا عن الضرب الاستشراقي السيء السلبي، فليس من أولئك الذين لم يملكوا ناصية اللغة، وأخطأوا في نشر الكتب وفي فهم النصوص، وبالغوا في إثبات أمور شكلية لا فائدة منها، كما قرر أنه بعيد –أيضًا–عن التأثّر في دراساتِهم بمآربُ السياسةِ

التحقيق كان الأستاذ عبد السلام هارون أستاذًا جامعيًا متمكنًا، تعرفه الجامعات العربية أستاذًا محاضرًا ومشرفًا ومناقشا لكثير من الرسائل العلمية التي تزيد عن 80 رسالة للماجستير والدكتوراه. راجع ترجمته في "المجمعيون في خمسين عامًا"، د/مهدي علام، وفي موقع: http: //ar.wikipedia.org/wiki.

136. مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي ص225.

137. السابق ذاته.

138. تحقيق النصوص ونشرها ص31_32، مكتبة السنة الطبعة الخامسة سنة 1410هـ.

139. هو أديب، مؤلف، محقق ومترجم مصري، ولد في25 أكتوبر1925م، وتدرج في الوظائف الجامعية حتى أصبح عميد كلية الآداب عام 1979م، له دراسات، ومحققات، و وترجمات كثيرة لعدد من أبرز أعمال المستشرقين تشهد بتمكنه من اللغة الإنجليزية. راجع ترجمته في الرابط: http: //www.marefa.org/index.php

140. محقق مصري لبعض كتب التراث، وباحث في قضايا تحقيق التراث، وله غير بحث في نقد التحقيقات. من الكتب التي حققها "باعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس"؛ لابن الفرْكاح الفزاري، تحقيق/ أحمد عبد الباسط حامد، أحمد عبد الستار عبد الحليم؛ تصدير عصام محمد الشنطي – القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، 2005م، صدر بمناسبة رعاية الدار للندوة الدولية، القدس في المصادر التاريخية 19 – 20 يونيو 2005م.

والتعصبُ للدين، فوجهوا الحقائقَ وفسّروها بما يوافقُ أغراضَهم أو ما يسعونَ إليه. إنه حقًّا من الضرب الاستشراقي الإيجابي الذي أُوتيَ الكثيرَ مِن سعةِ العلمِ والتمكُّنِ مِنَ العربيّةِ والإخلاصِ للبحثِ، والتحرر والإنصافِ، فكانت دراساتُهم مثمرةً وأعمالُهم مباركةً، وكانوا جديرين بكلِّ إجلالٍ. إنّه واحد مِن أفذاذ الاستشراق الذين أتقنَوا العربيّةَ وانتحوا نحو أشعارِ الجاهليين بصفةٍ عامةٍ، وأشعار عبيد بن الأبرصِ بصفةٍ خاصّةٍ. دلَّ على ذلك نشرُه عام 1885م لكتاب: تراجم شُعراء العرب والشعر الجاهلي[141] .

وهذه الشهادات دالة على الجانب الآخر من الاستشراق: جانب الإفادة للتراث العربي، وخدمته بإخلاص ودقة وحيدة، وبعد عن التعصب الأعمى الموجود عند مستشرقين آخرين!

-المبحث الأول: عامر بن الطفيل وديوانه

أولاً: الشاعر:

هو "أبو علي عامر بن مالك بن جَعْفَر بن كِلاب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصعة بن قَيس بن عَيْلاَن بن مُضَرَ بن نِزار بن مَعَدّ بن عَدْنان. ولد سنة70ق.هـ= 554م، وتوفي سنة 11هـ= 632م)، ويعد أحد شعراء الحماسة في الجاهلية، وهو فارس قومه، وأشهر فرسان العرب بأسًا وشدَّة ونجدةً، ومن الذين يُخشى جانبهم. وأحد فتاك العرب وشعرائهم وساداتهم في الجاهلية. وكنيته أبو عليّ. ولد ونشأ بنجد. وكان يأمر مناديا في (عكاظ) ينادي: هل من راجل فنحمله؟ أو جائع فنطعمه؟ أو خائف فنؤمنه؟؛ فقد كان _كما يذكر شارح ديوانه_ أنه مع شجاعته سخيًّا حليمًا. وقد عَوِرَت عينه يوم فيف الريح[142] أثناء المعركة التي دارت هناك بين قومه بني عامر وقبائل اليمن. وقد عُرف "عامر" بخصال كثيرة مذمومة منها عُقمه فهو لا ينسل، وجفاء طبعه وعُنْجُهِيّتُه وظلمه

---

[141]. راجع: ديوان عبيد بن الأبرص بين تحقيقين، مجلة معهد المخطوطات، العدد الثامن ص 5، سنة 2013م، وراجع في بيان أضرب الاستشراق واتجاهاته: تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره، ص 181، عبد المجيد دياب دار المعارف سنة 1993م.

[142]. فيف الريح: معروف بأعالي نجد، أغارت فيه قبائل مذحج وخثعم ومراد وزبيد، ورئيسهم ذو الغصّة الحصين بن يزيد الحارثي، على بني عامر وهم منتجعون فيه، فأفنت يومئذ بنو عامر، ورئيسهم ملاعب الأسنّة، فقئت فيه عين عامر بن الطّفيل، فقأها مسهر الحارثي بالرمح. قال عنها عامر:

لعمري، وما عمري عليّ بهيّن ... لقد شان حرّ الوجه طعنة مُسِهرِ
فبئسَ الفتى إن كنتُ أعورَ عاقرا ... جبانًا فما عُذْري لدى كلّ مَحضرِ؟
وقد علموا أنّي أكرّ عليهمُ ... عشيّةَ فيفِ الريحِ كرّ المدوّرِ
فلو كان جمعٌ مثلَنا لم نُبالِهِمْ ... ولكنْ أتتْنا أسرةٌ ذاتُ مفخرِ
فجاؤوا بشهرانِ العريضةِكلّها ... وأكلبَ طُرًّا في لباسِ السّنَوَّرِ

راجع: معجم البلدان لياقوت الحموي (المتوفى: 626هـ)285/4، نشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، 1995م، ومعجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع لأبي عبيد عبد الله بن البكري الأندلسي (المتوفى: 487هـ) 1038/3، نشر: عالم الكتب، بيروت، سنة، 1403هـ.

وبخله غير أن قومه لم يلتفتوا إلى كل ذلك فسوّدوه عليهم بعد أن شاخ سيدهم، عمه "أبو براء المُلقّب بمُلاعب الأسنة"، فأبى أن تسوّده الوراثة؛ لأنه كان يري في نفسه وأعماله ما يُمكّن له السيادة"[143] ويقول ابن الطفيل عن ذلك:

وإني وإن كنتُ ابنَ سَيّدِ عَامِرٍ وفارِسَهَا المَنْدوبَ في كلّ مَوكِبِ
فما سَوَّدَتْني عامِرٌ عن قرابةٍ أَبَى اللهُ أن أسْمُوْ بأُمٍّ ولا أبِ
ولكنَّني أحمْي حِمَاها... وأتَّقي أذاها وأرْمي مَنْ رمَاها بَمْنكِبِ

وخاض المعارك الكثيرة، وأدرك الإسلام شيخا، فوفد على رسول الله ﷺ وهو في المدينة، بعد فتح مكة، (في السنة العاشرة من الهجرة)، يريد الغدر به، فلم يجرؤ عليه. فدعاه إلى الإسلام، فاشترط أن يجعل له نصف ثمار المدينة، وأن يجعله ولي الأمر من بعده، فرده، فعاد حنقًا، وسمعه أحدهم يقول: لأملأنّها خيلاً جردًا ورجالاً مُردًا ولأربطنّ بكل نخلة فرسًا! فقال النبي (ﷺ): اللهم اكفني عامرًا واهد بني عامر! وفيما كان عامر عائدًا، أصيب بالطاعون في عنقه فاحتبس في بيت امرأة من قبيلة سلول وهي من القبائل المستضعفة، فكان يصيح غيظًا وألمًا: يا موت أبرز لي! أغُدّةٌ كغُدّة البعير وموتٌ في بيت سلولية[144]؟! فمات في طريقه قبل أن يبلغ قومه. وكان أعور أصيبت عينه في إحدى وقائعه، عقيمًا لا يولد له. وهو ابن عم لبيد الشاعر. أخباره كثيرة متفرقة. وله (ديوان شعر –ط) مما رواه أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري. وممن أشاد بشعره من القدماء الأصمعي (ت216هـ) بقوله: "كان يلقب محبرًا لحسن شعره[145]"، والآمدي (ت370) بقوله: "الفارس المشهور والشاعر المجيد[146]"، وابن نباتة(686–768هـ) بقوله: "لعامر شعر جيد سري متمكن[147]". وأما عن مكانته فقد جاء في البيان والتبيين: وقف جبار ابن سليمان الكلابي على قبر عامر فقال:

---

143. ديوان عامر بن الطفيل، دار صادر، بيروت، 1399هـ–1979م، ص 6.

144. انظر ترجمته في: الوافي بالوفيات للصفدي (14: 137–138)، وخزانة الأدب للبغدادي 1: 471 – 474 ورغبة الآمل 2: 176 ثم 8: 165 و243، والشعر والشعراء 118، والإصابة، ت 6550، والبيان والتبيين 1: 32، والمحبر 234 و 472، ومعجم المطبوعات1260، والعقد، طبعة اللجنة، 2: 17 ثم 3: 128 و 410، وفي ثمار القلوب للثعالبي ص 78 أنه كان يلقب بملاعب الأسنة، وأما عامر بن مالك بن جعفر، المعروف بملاعب الأسنة، فلقبه (ملاعب الرماح)، والأعلام ج 3، ص 252، و معجم المؤلفين، ج 5، ص 54. بروكلمان: تاريخ الأدب العربي: ج 2 ص 175...

145. الكامل في اللغة والأدب للمبرد (المتوفى: 285هـ) 133/1. تحق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار الفكر العربي – القاهرة، طبع سنة 1417 هـ –1997م. وهذا غلط، وخطأ؛ لأن المسمى محبرًا، إنما هو الطفيل بن عوف الغنوي، وعامر بن الطفيل عامري! راجع: القرط على الكامل، وهي الطرر والحواشي على الكامل للمبرد لأبي الحسن علي بن إبراهيم بن محمد بن عيسى بن سعد الخير الأنصاري (المتوفى: 571هـ).

146. المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم للآمدي (المتوفى: 370هـ) ص200، تحقيق/ الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، نشر دار الجيل، بيروت، طبع سنة، 1411 هـ –1991م.

147. سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون ص168. تحق/محمد أبو الفضل إبراهيم مطبعة المدني سنة 1964م.

كان والله لا يظل حتى يضل النجم، ولا يعطش حتى يعطش البعير، ولا يهاب حتى يهاب السيل، وكان والله خير ما يكون حين لا تظن نفس بنفس خيرًا[148].

ثانيًا: شروح الديوان وطبعاته:

جُمِع ديوان عامر من أفواه الأعراب وشرح مرات عدة، وقد أشار البغدادي (1030 –1093هـ) إلى شراح ديوانه ولم يسمهم قال معلقًا على قول عامر:

لا ضيرَ قدْ عركَتْ بِمرَّةَ بَركَها***وتركْنَ أَشْجَعَ مثلَ خُشْبِ الْغَرْقَدِ

هَذَا الْبَيْت لم يروه الْمفضل فِي المفضليات وَلَا شرّاحها[149] "أي شراح القصيدة. وقد حمل جمع غفير من الرواة منذ عصر التدوين شعر عامر إلى يومنا هذا، منهم رواة أعراب[150]، ورواة علماء[151].

أما عن شروح الديوان فيمكن أن نستنتج ثلاثة شروح اعتمدها العلماء ونقلوا عنها، هي:

1– شرح يعقوب بن السكيت (ت315هـ)، وهو من الشروح الضائعة[152].

2– شرح علي بن سليمان الأخفش الصغير(ت315هـ). اطلع عليه المبرد (210–286هـ) وأشار إليه. ونقل عنه رواية لقصيدة كاملة وشرحها. وهذه القصيدة لم يروها ابن الأنباري ولم يطلع عليها[153].

3–شرح أبي بكر بن محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن الأنباري (ت328هـ)، وكان أشهر تلاميذ أبي العباس ثعلب (200–291 هـ)، وأحفظ الكوفيين المتقدمين. كان يملي كتبه

---

148. البيان والتبيين، للجاحظ، 54/1 تحقيق الأستاذ/ عبد السلام هارون، نشر الخانجي، بالقاهرة، سنة 1418هـ، 1988م.

149. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب 78/3، لعبد القادر بن عمر البغدادي (المتوفى: 1093هـ) تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة 1418 هـ –1997م.

150. مثل سليمان بن حسان بن عطارد، أشهر رواة أخبار بني عامر، وأبو زياد الكلابي، وبشر بن عبد الله العامري، ومحمد بن حرب الهلالي، والحرمازي، وحنظلة بن قطرب. راجع في ذلك تقديم الدكتور أنور أبو سويلم للديوان ص 59_60.

151. مثل المفضل الضبي (ت171هـ)، وابن الكلبي(ت204هـ) الذي روى أخبار منافرة عامر بن الطفيل ويزيد بن عبد المدان، وحكم عليها الأصفهاني بأنها مصنوعة مولدة ركيكة غثة! وأبو عبيدة معمر بن المثنى (ت نحو210هـ)، وابن الأعراب(ت230هـ)، والأثرم (ت232هـ)...إلخ راجع في ذلك تقديم الدكتور أنور أبو سويلم للديوان ص 60_64.

152. وقيل: إنه نشر في الهند سنة 1317هـ.

153. الكامل 21/1_213. وفي روايته نقول عن محمد بن الحسن الأحول وابن الخروف، واطلع على شرحه البكري في كتابه "معجم ما استعجم"، وأشار إلى روايته، واطلع عليه كذلك البغدادي في الخزانة، ونقل عنه في مواضع كثيرة. وكان يشير إليه بعبارة: "وقال جامع ديوانه أو يقول: "قال شارح ديوانه".

المصنفة ومجالسه المشتملة على الحديث والأخبار والتفاسير والأشعار كل ذلك من حفظه[154]. قرأ ابن الأنباري شعر عامر بن الطفيل على أبي العباس ثعلب، وزاده أشياء لم تكن في نسخته وأثبتها في مواضعها. ويبدو أن الصاغاني(577_650هـ) قد اطلع على هذا الديوان...

ومخطوطة الديوان المحقق برواية أبي بكر محمد بن الأنباري عن شيخه أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، وقد شرح منه بعض الأجزاء، والمخطوطة تقع ضمن مجموعة تحمل رقم (6771OR) في مجموعة المتحف البريطاني ورقمها داخل مجموعة المكتبة البريطانية بوحدة الميكروفيلم بمكتبة الإسكندرية يبدأ من الميكروفيش رقم (29512) والمخطوطة حالتها متوسطة ويوجد بها الكثيرة من المواضع السيئة غير الواضحة، وذلك ربما نتج عن سوء حفظها، وقد كتبت بقلم نسخي مشكول في سنة 430 هجرية، وذلك بحسب ما جاء في خاتمتها، حيث جاء فيها ما نصه "..كمل شعر عامر بن الطفيل العامري... وذلك في شهر جمادى الآخرة سنة ثلثين (ثلاثين) وأربع مائة" وبآخرها تملك عليه شطب خفيف باسم إبراهيم محمد الموسوي[155].

وقد بدأ الأنباري المخطوطة بترجمة لابن الطفيل تحدث فيها عن شجاعته وقوته وذكر فيها كثيراً من خصاله، وقد ذكرنا بعضاً من هذه الخصال في حديثنا عن ابن الطفيل ثم إنه يشرح ويفسر بعض الألفاظ والعبارات الواردة في الديوان، ويروي السبب الذي دعاه إلى نظم هذا الشعر، فهو بمثابة عرض للديوان وأخبار صاحبه. ولو قرأنا شعر عامر لوجدناه صورة ناطقة بشخصيته، فترى فيه عُنْجُهيّته وكبرياءه، واعتزازه بشجاعته وفروسيته، وإباءه، وفخره بقومه، وحبه لفرسه، وقليلا ما تحس فيه العواطف الرقيقة. وهو شعر قليل الحواشي واضح التعابير في معظمه ولغته أقرب إلى الإفهام من لغة الذين تقدموه من شعراء الجاهلية. وهي مخطوطة فريدة لم تر النور من قبل، عثر عليها المستشرق الإنجليزي "تشارلس لايل" فنسخها وعلق عليها الحواشي ثم نقلها إلى الإنجليزية. وقد أفاد من ملحوظات مهمة على شعر عامر بن الطفيل سجلها "فرتز كرنكو"، و"رودلف جاير"، و"نولدكة".

وعنوان المخطوطة: "كتاب ديوان شعر عامر بن الطفيل العامري، رواية أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، عن أبي العباس أحمد بن يحيي ثعلب(ت291هـ)، رحمهما الله، قال في مقدمته: "قرأت شعر عامر بن الطفيل على العباس ثعلب، وزادني فيها أشياء ولم تكن في نسختي، وأنا أبينها في مواضعها إن شاء الله[156]". وقد آلت هذه النسخة إلى المتحف البريطاني بلندن وصنفت ضمن مخطوطات شرقية وأعطيت الرقم 2/1776. وهذه النشرة تتسم بالدقة والاقتضاب. ويبلغ عدد

---

[154]. طبقات اللغويين لليزيدي ص154، ومقدمة تحقيق الدكتور أنور للديوان ص66.

[155]. مخطوطات اللغة والأدب في المكتبة البريطانية، شريف محروس مصري، راجع الرابط:
www.almaktabah.net، و*manuscriptcenter.org/millenary/Researches/Sherifmahrous.doc*

[156]. ديوان عامر بتحقيق المستشرق ص51، قدمه للطبعة الثانية وأعدها للنشر وترجم التعليقات إلى العربية الدكتور عوني عبد الرؤوف...

قصائد الديوان بها وقطعه سبعًا وثلاثين تشتمل على مائتين وستة وسبعين بيتًا. وقد ضم الديوان قصيدة للنابغة الذبياني مكونة من سبعة أبيات، وقطعة لضبيعة بن الحارث العبسي[157] مكونة من ستة أبيات، ردًّا على شعر لعامر. وأشار لايل في تعليقه على أشعار الديوان إلى ستة أبيات أخرى لم يضمها إلى الديوان ناقلاً إياها من مصادر أدبية قديمة.[158]

طبعات الديوان:

نشر الديوان في أربع طبعات تقريبًا هي:

1_طبعة المستشرق "لايل" حقق ونشر النص العربي لديوان عبيد بن الأبرص وديوان عامر بن الطفيل عن هذه المخطوطة مع ترجمة إنجليزية لشعر الديوانيين عام 1913م[159]. وفي المبحث التالي مزيد تفصيل عنها؛ فهي محل البحث والدراسة.

2_ وتوجد منه نشرة أيضًا عن دار صادر ببيروت 1959م، وسنة 1963م، ثم سنة1979م، من إعداد الأستاذ كرم البستاني[160]، وهي نقل حرفي لنص نسخة "تشارلس لايل" بترتيب جديد للديوان على وفق ترتيب القصائد الهجائية، وأخلت هذه النشرة بالفهارس العامة. وحذف الناشر ملحوظات لايل وتعليقاته وتحقيقاته. وما أشار إليه من أبيات، ومقدمة المستشرق وترجمته الديوان إلى الإنجليزية، كما قام بوضع عناوين للقطع والقصائد، وقدم لكثير منها بكلمات قصار، على أنه لم يضف جديدًا للديوان. وفي هذه النسخة أخطاء طباعية كثيرة، وإغفال لضبط ما ينبغي ضبطه من الأعلام والنصوص والأشعار. وهذه النشرة_ على رداءتها وإخلالها_ اعتمد عليها أكثر الباحثين المحدثين، وأصبحت مصدرًا أصيلاً لكثير منهم في غياب النص الموثق المحقق المدقق[161]. إنها

---

157. هو ضُبيعة بن الحارث بن خليف، شاعر، وهو ابن عم حيّان بن الحصين بن خليف بن ربيعة بن معيط بن مخزوم العبسي، الشاعر. راجع تبصير المنتبه بتحرير المشتبه لابن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ) 1307/4، تحق/: محمد علي النجار، نشر: المكتبة العلمية، بيروت – لبنان.

158. راجع: تقديم الدكتور عوني عبد الرؤوف ديوان عامر بتحقيق المستشرق ص 9...

159. نشر في سلسلة نشرات جب التذكارية رقم 21، ليدن – لندن 1913م. راجع تقديم الدكتور عوني عبد الرؤوف ديوان عامر بتحقيق المستشرق ص 9...

160. هو: كرم بن سليمان بن حسن البستاني (1311 – 1386 هـ = 1894 – 1966 م): أديب لبناني. ولد بدير القمر وتعلم بها المبادئ في مدرسة للآباء اليسوعيين. وعلم في عدة مدارس وكتب في بعض الجرائد. ووضع كتبا مدرسية، طبعت، منها " الحصائد " جزآن، منتخبات أدبية، وكتبًا عامة طبعت أيضًا، منها " أساطير شرقية " و"المجاني الحديثة " و"أميرات لبنان " و"النساء العربيات " و"حكايات لبنانية " ووقف على طبع عدة دواوين قديمة حلاها بشرح غريبها. وترجم عن الفرنسية "مشاهدات في لبنان – ط " وشرح ورتب "العقد الفريد – ط " و"قطوف الأغاني – ط". الأعلام 222/5.

161. راجع: مقدمة د/عوني عبد الرؤوف، ناشر تحقيق المستشرق " لايل" ص11، ومقدمة الأستاذ الدكتور أنور أبو سويلم محقق ديوان عامر ص84، طبع دار الجيل بيروت سنة 1416هـ_1996م.

طبعةً تجاريةً، ساطيةً على جهد المستشرق بلا ذكر لاسمه! لا فائدة منها سوى تكثير نسخ مشوهة من شعر ذلكم الشاعر الجاهلي.

3_رسالة ماجستير للطالب جمال الدين رضوان محمد طحان بإشراف الأستاذ الدكتور أحمد الحوفي، نوقشت بكلية دار العلوم سنة 1975م، بعنوان "عامر بن الطفيل: حياته وشعره" وتقع في ثلاثمائة وأربع وتسعين صفحة ومعها ملحق يقع في مائة وثلاث صفحات. وقد اطلع عليها وأشاد بها الدكتور عوني عبد الرؤوف[162].

4_طبعة الدكتور أنور أبو سويلم[163] في عام 1996م، مع دراسة قدمها مع التحقيق بعد أن لاحظ أن ثمة قصائد لم تنشر في طبعة المستشرق. وللبحث نقاش معمق ونظر متتابع في هذه الطبعة، وموازنة بينها وبين طبعة المستشرق. إذ أرفض هنا حكم الدكتور عوني عليها بأنها أفضل طبعة يمكن الاعتماد عليها عند الرجوع إلى شعر عامر بن الطفيل! فهي نسخة واهية، أخذت كثيرًا من جهد المستشرق الإنجليزي، ووقعت في أخطاء كثيرة. وكل ما يمكن أن يحسب لهذا المحقق هو استدراكه بعض الشعر الذي جمعه من مظان لم توجد في عصر المستشرق فقط. فهي استدراك على نسخة المستشرق في المقام الأول، وإعادة تحقيق ضعيفة في المقام الثاني. كما سيتضح في قادم الصفحات. إن شاء الله.

ويوجد استدراك على الديوان للدكتور عبد العزيز المانع بعنوان[164]: "ديوان عامر بن الطفيل والأمانة العلمية لدى بعض محققي التراث[165].

---

[162]. راجع: مقدمة د/عوني عبد الرؤوف، ناشر تحقيق المستشرق " لايل" ص 11. وقد نشرت في دار البلاغة للطباعة والنشر سنة 1975م.

[163]. هو أنور عليّان محمّد أبو سويلم وُلِد سنة 1951م في قرية سلواد/ رام الله، أنهى الثانويّة العامة في الأردن سنة 1970م، ثم درَس الأدب العربي فحصل على شهادة البكالوريوس من جامعة الكويت (1974م)، ثم شهادة الماجستير من جامعة القاهرة (1978م)، فشهادة الدكتوراه من الجامعة نفسها (1980م). عمل في التدريس الجامعي في الأردن وفي بلدان عربية قبل أن يستقرّ في جامعة مؤتة التي شغل منصب عميد كليّة الآداب فيها (1990–1992م). نال جائزة عبد الحميد شومان للعلماء الشبّان العرب في العلوم الإنسانيّة سنة 1978م، كما نال ثلاث جوائز في التفوّق العلمي من جامعة الكويت (1970، و1972 و1973). وله أعمال أدبية كثيرة منشورة. راجع ترجمته في معجم–الأدباء–الأردنيين/13624على الرابط: **http: //culture.gov.jo/new/**

[164]. سعودي الجنسية، وُلِد عام 1365هـ/1945م في محافظة شقراء، حصل على شهادة البكالوريوس من كلية اللغة العربية بالرياض عام 1966م، حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة إكستر ببريطانيا في نوفمبر عام 1976م، وموضوعها: «ابن باطيش الموصلي وكتابه غاية الوسائل إلى معرفة الأوائل: دراسة وتحقيق، اشتغل بالتدريس في قسم اللغة العربية بجامعة أم القرى، ثم في جامعة الملك سعود منذ عام 1397هـ/1977م، وفي غيرهما. راجع كرسي الدكتور المانع لدراسات اللغة العربية وآدابها في الرابط:
http: //blogs.ksu.edu.sa/almanichair/almanicv

[165]. منشور في مجلة العرب، الرياض، 31، ج9–10، الربيعان 1416هـ/أغسطس–سبتمبر 1996م، الصفحات 602–608.د/عبد العزيز المانع.

المبحث الثاني: منهج تحقيق المستشرق للديوان

أولاً: الإطار الشكلي للديوان:

بمطالعة الطبعة الثانية من تحقيق المستشرق "تشارلس لايل" الديوان، والذي نشرته دار الكتب والوثائق القومية ضمن سلسة الذخائر 1430هـ – 2009 م، نجده مقسمًا إلى قسمين: قسم للدراسة وقسم للتحقيق. أما قسم الدراسة فقد تكون من الآتي:

التقديم للطبعة: بقلم الأستاذ الدكتور/ محمد عوني عبدالرؤوف[166]، وجاء في الصفحات (7–17) وتناول الحديث عن شروح ديوان عامر بن الطفيل، والتعريف بالمستشرق المحقق، وجهده في التحقيق، والطبعات التالية للديوان، والتعريف بصاحب الديوان "عامر بن الطفيل"، ثم حديث عن هذه الطبعة للديوان بتحقيق "تشارلس لايل"، وترجمة الدكتور/ محمد عوني عبدالرؤوف، مع الإشادة بجهد الدكتورة / جيهان شعبان – الأستاذ المساعد بكلية الدراسات الإنسانية بالجامعة الأزهرية لترجمتها إلى العربية مقدمة الكتاب، والدكتورة /إيمان السعيد جلال، التي ساعدت في البحث عن نسخ الديوان المطبوعة بمكتبات الجامعات والهيئة العامة للكتاب.

التصدير: بقلم المستشرق، وترجمة الدكتورة / سهير جمال الدين محفوظ[167] – جاء في صفحتين، وقد دار حول المخطوطة الأصلية للديوان، والصعوبات التي واجهت المحقق، والشراكة الاستشراقية في سبيل إخراج الديوان، ومنهجية التحقيق، والأمانة العلمية في ذكر المصادر والمراجع التي اعتمد عليها في التحقيق.

مقدمة تشارلس لايل للديوان:

جاءت في إحدى وثلاثين صفحة (21–50) دارت حول حديث مفصل عن قبيلة عامر بن الطفيل فأسرته، والموقع الجغرافي للبيئة التي نشأ فيها، ثم الحديث عن ميلاده وصولاته الجريئة، وحياته من شعره وفي حديثه هنا افتراضات خاصة بعمر عامر وعلاقاته الاجتماعية قابلة للنقاش[168]! ثم درس المحقق قضية الانتحال في شعره، مطبقًا المنهج التاريخي، وصلة عامر بن الطفيل برسولنا محمد (ﷺ)، ثم حديث موجز عن رأي النقاد القدامى في شعره.

قسم التحقيق:

---

166. هو محمد عوني سيد حسن عبدالرؤوف، ولد بالقاهرة في1929/9/1م، المدير العربي السابق للمدرسة الألمانية الإنجيلية بالقاهرة، والعميد السابق لكلية الألسن جامعة عين شمس. له مؤلفات ومشاركات علمية كثيرة. راجع ترجمته في الموسوعة الحرة http: //ar.wikipedia.org/wiki

167. أستاذة جامعية بكلية الألسن، جامعة عين شمس.

168. تحقيق المستشرق " لايل" للديوان ص28، 29.

جاء في جزأين: الأول جزء تحقيق النسخة في اثنتين وستين صفحة ضمت سبعة وثلاثين عملاً شعريًّا بين البيت والنتفة والقطعة والقصيدة، وقد جاء في آخر الديوان ما نصه: "كمل شعر عامر بن الطفيل العامري، عمل أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري النحوي. والحمد لله كثيرا وصلى الله على محمد وآله وسلم. وذلك في شهر جمادى الآخرة سنة ثلاثين وأربعمائة[169] ".

والثاني الملحق: وهو: " أشعار تنسب إلى عامر بن الطفيل لم ترد في ديوانه[170]"، والكشاف الآتي يحصرها:

ملاحق التحقيق: وبعد تحقيق المستشرق الديوانَ وعمله الملحق بالأشعار التي لم ترد في الديوان، ألحقَ بالديوان الآتي: قائمة التصويبات في أربع صفحات، وفهرس القوافي في ثلاث صفحات، وفهرس الأعلام في أربع عشرة صفحة، وفهرس المواضع الجغرافية في ثلاث صفحات، وفهرس الألفاظ المختارة في ثلاث عشرة صفحة، وقائمة المراجع في خمس صفحات. وهذا الإطار دال على التزام "لايل" المنهج العلمي الكامل في تحقيق الدواوين ونشرها.

ثانيًا: منهج التحقيق:

بذل لايل في تحقيق مخطوطة الديوان جهدًا كبيرًا تمثَّل في الآتي:

*اعتمد على مخطوطة قديمة احتفظ بها المتحف البريطاني في بيروت سنة 1907م، وهي مخطوطة فريدة.

*قسم لايل قصائد الديوان وقطعه مضيفًا إليه ملحقات أخرى من المصادر.

*علَّق على الأشعار تعليقاتٍ تفيد إيراد روايات أخرى لها، وقع عليها بمصدر آخر، وعين بحر كل قصيدة، وأشار إلى الانحراف العروضي الموجود بها أحيانًا.

* ذكر المحقق القصائد التي تعد ردودًا على شعر عامر بن الطفيل، وهي قصيدة للنابغة الذبياني (نحو 18ق.هـ) مكونة من سبعة أبيات، وقطعة لضبيعة بن الحارث العبسي مكونة من ستة أبيات.

*أشار لايل في تعليقه على أشعار الديوان إلى ستة أبيات أخرى لم يضفها إلى الملحق ناقلاً إياها من الأغاني والنقائض التي حققها بيفان، والكامل لابن الأثير (ت630هـ)، وشرح شواهد المغني، ونوادر أبي زيد (ت215هـ). وشك في نسبة بعض الأشعار إلى عامر معللا تارة، وغير معلل تارة أخرى.

---

[169]. ديوان عامر بتحقيق المستشرق ص62.

[170]. السابق ص63.

*أعد أربعة فهارس فنية مفصلة لمعلومات الديوان الأساسية من مواقع جغرافية، وأعلام، وقواف، وكلمات خاصة وردت في الديوان تفيد في صناعة المعجم التاريخي للُّغة العربية.

*ترجم أشعار الديوان وملحقاته إلى اللغة الإنجليزية، وقدم لها بالإنجليزية أيضا، ونشر الأصل العربي والترجمة إلى الإنجليزية للديوان وملحقاته في كتاب واحد، مع ديوان "عبيد بن الأبرص" في الأصل العربي والترجمة إلى الإنجليزية.

*تعرض في المقدمة لتاريخ بني عامر وحياة عامر، وزيارته النبي (ﷺ)، مختتمًا إياها بتناول أشعار الديوان، والملحق الذي أضافه بالشك في صحتها، أو توثيق نسبتها إليه، ملاحظًا أن عامرًا أكثر من قول الشعر وأنه شاعر جيد.

*استشعرَ لايل خطورةَ اعتمادِ المُحقّقِ في تحقيقِه على نُسخةٍ خطيّةٍ وحيدةٍ، وهو مَا قرّرَهُ شوامخُ المُحقّقين العرب بعد ذلك بعشراتِ السّنين، مِن أنّه لا يجوزُ لشداة المحقّقين الاعتمادُ على نُسخةٍ خطيّةٍ وحيدةٍ لإخراجِ النصّ. وقد استطاعَ عَنْ طريقِ عرضِ أبياتِ الديوانِ على المصادرِ الأخرى أنْ يستخلصَ معظمَها مِن تلك المصادر، ليقارنَ ما ورد بها وما هو مذكورٌ في تلك النُّسخةِ السقيمةِ. وقد آثرَ كتابةَ التعليقاتِ المُهمّة التي تعودُ بالنَّفعِ والإفادةِ لدى القارئ[171].

المبحث الرابع: إيجابيات تحقيق المستشرق وسلبياته

أسهم هذا المستشرق بلا ريب في تحقيق تراثنا ونشره وتحويله من مخطوطات إلى كتب منشورة نقرؤها، وفي توثيق هذا الشعر، وفي فهرسته وتحديد أماكن وجوده في مختلف أصقاع العالم، وفي ترجمة بعض هذا التراث إلى لغاتهم وتعريف شعوبهم به؛ مما أسهم في خلق جيل من الباحثين العرب مسلَّح بأدوات المعرفة والبحث. وكان الهدف من العمل بالاستشراق عنده هو شغل وقت الفراغ، ونقل الشعر العربي إلى المثقف الإنجليزي عن طريق الترجمة. والدليل على ذلك الإيجابيات الآتية في تحقيقه ديوان عامر بن الطفيل:

تطبيق المنهج التاريخي:

والقارئ لمقدمة المستشرق للديوان يلحظ تطبيق المنهج التاريخي في الدراسة حيث تحدث عن عناصر المكان والزمان والعرق الخاصة بصاحب الديوان، إذ تحدث عن مكانة قبيلة الشاعر، وهي قبيلة عامر بن صعصعة بين القبائل، وعن جغرافية القبيلة من حيث الحدود والجيران، ثم تحدث عن ميلاد عامر وحياته، وأبرز الصولات الحربية التي شارك فيها، واستعان في ذلك بالإشارة إلى قصائده الدالة على ذلك أو المشيرة إلى ذلك، وكأنه –هنا– يطبق المنهج الاجتماعي، حيث يتناول حياة الشاعر من خلال شعره، كما فعل الأستاذ العقاد في كتابه الرائد "ابن الرومي حياته

[171]. راجع تقديم الدكتور عوني عبد الرؤوف للديوان بتحقيق المستشرق ص 8.

من شعره". وعند حديث المستشرق عن معركة "فيف الريح" قال: "وتشير القصائد رقم 10، 11 في الديوان إلى هذه المعركة، ويمكننا تقدير تاريخها تقريبًا عن طريق حقيقة أنها حدثت في اليوم التالي مباشرة لمعركة المشعر للقصيدة في البيت (6)[172]. ويقول عن الشاعر: "أما عامر فكان يقول عن نفسه أنه ابن "حرب"، القصيدة 14 البيت (1)، القصيدة 23 البيت (4)، والقصيدة 29 البيت (10) وأنه لا يجب أن يتغنى إلا بشعر الحرب فقط، ولذلك لا يجب أن نتوقع أن نجد في شعره التنوع والخيال الشعري الواضحين في شعر عبيد بن الأبرص[173]. وهوامش المحقق وملاحقه تدل على تطبيقه الأدوات الأساسية لفن التحقيق بدقة وجودة، وأن قول الأستاذ أنور أبو سويلم: "وهذه النشرة على وفق الأصول العلمية الحديثة في تحقيق النصوص[174]" ادعاء مرفوض!

الأمانة العلمية:

من يقرأ تعليقات المستشرق يلحظ أنه أمين في توثيقه كل معلومة يذكرها سواء في نقلها من مصدر قديم أو مستشرق زميل له. ودليل ذلك أنه شكر كل من أعانه في إخراج هذا الديوان، وحدد الجهد الذي أفاده منه[175]. فهذا الديوان دليل على جهد كبير وتفرغ تام لأجل إخراج النص الشعري سليمًا صحيحًا، يدل على ذلك كثرة ما صححه من أخطاء وما أكمله من نقص، معتمدًا في ذلك على شرح الأنباري للديوان وعلى المراجع الأخرى التي ينص عليها، وبخاصة شرح المفضليات الذي قام بتحقيقه. وقراءة فهرس مصادره ومراجعه تظهر لنا هذا الجهد العلمي المبذول؛ فقد اعتمد على ستة وأربعين مصدرًا أدبيًّا، وثلاثين ديوانًا ومجموعًا شعريًّا، وهو كم كبير من المراجع بالنسبة إلى المنشور من تراثنا العربي في عصره. وقد أفاد الكثيرون بعده – بلا ريب – من جهده هذا!

التعاون الاستشراقي:

هذا الديوان أنموذج لصورة استشراقية إيجابية بناءة كاشفة عن التراث، ورمز تعاون استشراقي مثمر؛ إذ قدم له عدد من زملائه عونًا ومؤازرة في تجميع النص الأصلي في صورته الكاملة، مع القطع التي يضمها الملحق، والفحص للمسودة الأولى مع الصورة الفوتوغرافية للمخطوطة، بل المسودة النهائية عند إعدادها للطبع، وقد اعترف بفضلهم وجهدهم معه في سبيل إخراج الديوان[176].

---

[172]. ديوان عامر بن الطفيل بتحقيق المستشرق ص 36.

[173]. ديوان عامر بن الطفيل بتحقيق المستشرق ص 50.

[174]. ديوان عامر بن الطفيل بتحقيق د/انور أبو سويلم ص 83.

[175]. ديوان عامر بن الطفيل بتحقيق المستشرق ص 19_20.

[176]. هم كرينكوف، ولايستر، وهومل، ورودلف جاير، الذي أعطاه مجموعته عن ديواني عبيد وعامر تحت تصرف، ونولدكة صاحب الأيادي الكريمة في الفحص والمراجعة، وقد جعله المستشرق الدرة الغالية في جبين علماء

الدقة في التوثيق:

تتضح قدرة هذا المستشرق على التوثيق للنصوص، ولما ورد بها من أماكن وأعلام في غير تعليق له بهامش تحقيقه، من ذلك تعليقه على قول عامر:

فأصبحتُمُ لا في سواءِ فِدائِهِ وأصبحَ في تَيْمانَ يَخْطِرُ نَاعِمَا

"وردت نصًّا لدى البكري ص 210 س6 ويبدو أن البكري أخطأ في إيراد هذا البيت كشاهد على أن تيمان موضع من ديار عبس، إذ يفهم أن زيدا كان في موطنه أي طيء[177].

وقوله معلقًا على استشهاد الشارح بقول مُعَقِّر بن جعار البارقي:

وذُبْيانيةٍ وضَنتْ بنيها ومَأْقى دمعِها خَذِلٌ نَطُوفُ

هذا البيت المستشهد به مثال قوي على ضعف ذاكرة ابن الأنباري وهو أمر سبقت الإشارة إليه في المقدمة صـ3, وهي إشارة لافتة إذ إن شطري البيت الواحد في النص الأول لا يتساوقان من حيث وحدة الموضوع أو المعنى. ويرد شرح ضاف لكامل النص في الخزانة ج2 ص 289... ويعد البيت الأول من أشهر الأبيات التي استشهد بها في المعجمات وكتب اللغة الأخرى، وذلك من أجل إبراز الاستخدام المتميز للفعل "كذب" لإثارة مشاعر التحريض والاستنفار....."[178].

وعند تعليقه على قول أوس بن حجر:

وخَارِجِيٌّ يَزُمُّ الأرضَ مُعتزِمًا وقَيْنةٌ ذاتُ شِمراخٍ وأحجالِ

"البيت غير موجود بديوان أوس بن حجر تحقيق جاير GEYER ويمكن أن يكون من القصيدة 32 بهذه المجموعة[179]. هذا إضافة إلى بيان المستشرقين للأشعار المنحولة على عامر والمشكوك في نسبتها إليه في مقدمة التحقيق[180].

أدوات المستشرق:

بقراءة تقديم المستشرق للديوان وهوامشه وملحقاته يتضح لنا أن المستشرق يمتلك أدوات علمية جادة عميقة، هي:

أوروبا المتخصصين في هذه الدراسات. راجع ديوان عامر بن الطفيل بتحقيق المستشرق ص19_20. وراجع مقدمة الدكتور عوني عبد الرؤوف في ص9 أيضًا.

[177]. ديوان عامر بن الطفيل بتحقيق المستشرق ص48.

[178]. السابق ص 75، وراجع ص 24 س11.

[179]. السابق ص 38، وراجع نقدًا آخر للشارح ص 76–77.

[180]. انظر ص 48 –50.

الإلمام بمتن اللغة وعلومها:

إذ نجد لدى المستشرق قدرة على التحليل اللغوي والنحوي، من ذلك قوله معلقا على قول عامر:

وإن قومي لأسرتها عدو لتبلى بينها سجلا وخاما

"وخاما" بوضوح بدلا من "وخامي". وهذا جمع وخيم لتأتي القافية مناسبة. ويمكن أن تكون مفردة "أرض وخام" في اللسان ص16 س3 ولدى أبي زيد ص 84 س4[181]؛ ففي هذا النص إدراج لعلم الإملاء بالتفريق بين الألف اليابسة في "وخاما" والألف اللينة في "وخامى"، وعلم الصرف، وعلم القافية، ونقل من المعجم وكتب اللغة.

وفي قوله معلقا على قول عامر:

وأنبأتُه أنَّ الفِرارَ خَزايَةٌ على المرءِ ما لم يُبْلِ عذرًا فيُعذَرِ

"معنى خَزِيَ" غير موجود بالمعجمات. بالمفصليات "وقع في الهلاك" وباللسان ج 18 ص 247 س19: وقع في بلية وشهرة فذلَّ بذلك وهان[182]".

وفي تعليقه على قول عامر:

فلو كان جمعًا مثلَنا لم يبزَّنا ولكن أتتنا أُسْرةٌ ذاتُ مَفخرِ

"كذا بالمخطوطة، تكوين الجملة غير جائز "لو كان الجمع جمعا" المفضليات جمع مثلنا، وقارن بما ورد قبل في القصيدة. البيت 3 (صـ31). يقصد قوله:

فلو كان جمع مثلثا لم يبزنا وبين جنوبِ القهرِ ميلُ الشمائلِ[183]

وقوله معلقا على قول عامر:

لا تَسقِني بيديكَ إنْ لم أغترفْ نعمَ الضجوعُ بغارةٍ أسراب

"البيت مدون كما ورد باللسان الذي نقله عن الصحاح، على أن التشكيل غير صحيح، ونسبته لعامر بن الطفيل غير صحيحه أيضًا، فالقراءة الصحيحة هي:

---

[181]. ديوان عامر بن الطفيل بتحقيق المستشرق ص 5.

[182]. السابق ص 28.

[183]. ديوان عامر بن الطفيل بتحقيق المستشرق، ص26، ص31.

لا تسقني بيديك إن لم ألتمسْ نعمَ الضَّجوعُ بغارةٍ أسرابِ

والبيت من قصيدة للبيد (الخالدي ص 144)، والتركيب نعم الضجوع مستحيل نحويًّا، فالعلم لا يأتي اسمًا لنعم (عن نولدكة naldeke). وثمة باللسان ج 2 ص 58، وتاج العروس جـ1 صـ 3061، ج7 ص 340، والمحيط 1312، بيت آخر من القطعة نفسها بصياغة أخرى ينتهي بكلمة الأضراب، منسوب إلى عامر[184]. ففي هذا التعليق نلحظ مدى دقة المستشرق في التوثيق نسبة وضبطًا، لكنني لا أرى استحالة نحوية في ذلك لأن الضجوع ليس علمًا، بل صفة مقترنة بأل. وعلى زعم أنها علم فقد قال النحاة عنها: " وورد مجيء الفاعل علما أو مضافا إلى علم؛ كقول بعض العبادلة: بئس عبد الله أنا إن كان كذا. وقول النبي –عليه السلام: "نعم" عبد الله هذا. وأول على أن الفاعل ضمير مستتر حذف تمييزه، والعلم مخصوص بالمدح، وما بعده بدل أو عطف بيان[185]".

الدقة في قراءة النص الشعري:

يعلق المستشرق على لفظه الحلم بقول عامر:

ولا ردُّوا مَحُورةَ ذاكَ حتى أتانا الحلمُ وانخرقَ الحِجابُ

هذا اقتراح الأستاذ نولدكة (NOLDEKE) للفظة الحلم. وهذا واضح جدًّا بالمخطوطة. ويجب أن تكون القراءة "الحكم" ويدعم هذا الرأي بيت 3 من القطعة 16/أ وشرحها. ويمكن أن تضاف عند الأبيات 3–5 من قصيدتنا. والأكثر احتمالاً أن تكون القطعة 16 ردا على القطعة: 16/أ وبهذا يمكن أن يفسر بيت 1 من القطعة: 16/أ والأبيات 6، 7 من القطعة: 16[186]".

ويعلق على القصيدة الرابعة والثلاثين بقوله: "وعنوان القصيدة غير صحيح إطلاقا فالأبيات لا يمكن أن تكون إجابة عن الأبيات السابقة وهي لا تعدو أن تكون جزءا من قصيدة؛ لأنها ليست كما تطلب مقتضيات السياق في نفس البحر والقافية، ولا تتضمن الأبيات – فضلا عن هذا أي شيء يدل على إشارة شخصية لعامر ما لم يكن في البيت الخامس. وكلها جزء من قصيدة. [187]

الإلمام بعلم العروض:

في هوامش تحقيق المستشرق ما يدل على إلمامه بعلم العروض، إذ نجده يشير إلى ما في شعر عامر من كسر عروض أحيانًا كما في تعليقه على قول شاعر بالمخطوطة (إذا الكواكب

---

184. السابق ص .65. وراجع أمثلة وشواهد أخرى في (ص 38، 45).

185. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام (المتوفى: 761هـ)242/3، تحف/ يوسف الشيخ محمد البقاعي، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. وشرح الأشموني على ألفية ابن مالك 279/2، للأُشْمُوني (المتوفى: 900هـ)، نشر: دار الكتب العلمية بيروت–لبنان 1998م.

186. السابق ص . 40.

187. السابق ص 59 وراجع مثالاً آخر في ص 56.

التوقد الفحم) وبهذا يكون البيت مكسورًا، ويكون المعنى غير منطقي[188]. وفي الصفحة نفسها إشارة إلى كسر عروض ثانٍ، صوبه ونقل تصويبه المحقق العربي دون الإشارة إلى ذلك[189]!

وها هو ذا المستشرق يعلن عن قدرته اللغوية والعروضية فيكمل موضعًا تالفًا بالمخطوطة حيث يقول عامر:

يَقُودونَ جُردًا كالسراحينِ تَسْتَمي***صدورَ العَوالي[...] وأدْهَما

فيقول في الحاشية معلقًا على ما بين المعكوفين: "تالف بالمخطوطة ربما يمكن أن تقرأ: "من كميت[190]."

ويقول في موضع آخر معلقًا على قول الشاعر: "وَفَقْدُ المَسيمِ [و] هُلك السوامِ" وضع الواو قبل "هلك" ضرورة لإقامة الوزن. إذا لم يُضفْ مقطعٌ جديدٌ كان الوزن غيرَ صحيح[191]".

وقوله في مقدمة التحقيق: "ويوجد أربع مقطوعات فقط في الديوان وهي المقطوعات أرقام (2, 7, 28, 32) يوجد بها قافية مزدوجة، وتعتبر من بواكير الأعمال التي مهدت لظهور الموشحات أو الأغاني[192]". وهذه الملحوظة تساعد في دراسة تطور شكل الشعر العربي، وتضيف جديدًا في هذه الإشكالية[193]. كما أشار المستشرق إشارة سريعة! إلى ما يشعر عامر من إقواء في صنعته فهرس أشعار الديوان[194]، والعجيب أن راوي الديوان وشارحه لم يشر إلى هذه المحاذير؛ وكأنه ينظر إليها بأنها مما يغتفر للشاعر؛ انطلاقًا من أن الشعراء أمراء الكلام، يجوز لهم ما لا يجوز لغيرهم!

الاعتدال في قضية الانتحال:

عزا الباحثون في قضية انتحال الشعر الجاهلي معالجة الدكتور طه حسين (1889 –1973 م) القضية إلى تأثره بالمستشرق الإنجليزي سمويل مرجليوث[195]، وكان هذا المستشرق قد نشر بحثًا

---

188. السابق ص8.

189. راجع تحقيق د/انور ص133 هامش 116.

190. راجع تحقيق المستشرق ص54.

191. راجع تحقيق المستشرق ص10.

192. راجع تحقيق المستشرق ص50.

193. راجع: بحثي "الشعر السطري مفهومه وأسسه، بحث علمي محكم للنشر في مجلة عيدان الخيل الإماراتية.

194. راجع فهرس القوافي بتحقيق المستشرق ص81، والإقواء في [قصائد: 39، 14، 13، 8].
ونسي المستشرق أن يذكر ما يشبه أن يكون إيطاءً في القصيدتين: 15ص38، و37ص61. والخرم [في قصائد: 25، 22، 10، 1]، وسناد الإشباع [قصائد: 23، 20، 19، 14، 13، 12، 8]

195. هو: دافيد صمويل مرجليوث بن حزقيال**David Samuel Margoliuth** (1274 – 1359 هـ = 1858 – 1940 م) الإنجليزي البروتستانتي. من كبار المستشرقين. من أعضاء المجمع العلمي العربيّ بدمشق، والمجمع اللغويّ

في سنة 1916 في المجلة الآسيوية الملكية وقد تحدث عن وضع الشعر الجاهلي في مادة (محمد) المعارف. (Encyclopedia of Religion and Ethics) والأديان. وفي كتابه عن محمد وظهور الإسلام ((Mohammed and the rise of Islam وقرر الباحثون أن من أوائل من تصدى للرد عليه مواطنه "تشارلس لايل" (Lyal) في مقدمة ترجمة المفضليات التي تولى نشرها[196].

وبالنظر في تعليق "تشارلس" على شعر عامر نجده يشيد بجامع الديوان، فهو موثوق منه، وأن النسخة تخلو من المنتحل، أما الملحق الذي صنعه المستشرق فقد أشار إلى ما به من مقطوعات إما مشكوك في أمرها أو منحولة، ويعلل لذلك، بالقول: "فمثلاً القطعة الحادية عشرة في الديوان (وهي القطعة الوحيدة الطويلة) تعتبر موضع شك بسبب إقامتها على موضوع هزيمة تميم في شعب جبلة؛ لأنه لو كان عمر قد ولد في يوم معركة شعب جبلة؛ فإنه من غير المحتمل أن يتحدث عن هذه المعركة كما لو كانت حادثة قريبة أو بارزة في حياته فالبيت الثامن عشر مثلا والذي ذكر في التعليق يشير إلى قائد بني الحارث بن كعب الذي كان بالتأكيد من معاصري عامر ربما يشير في الواقع إلى قائد آخر تمامًا، ويدعى الحصين. كما أن معركة نجب لو كانت هي الاشتباك المشار إليه في النقائض، وقد كانت هزيمة وليست نصرًا لقبيلة عامر بن صعصعة فلا بد إذًا أن الأبيات تشير إلى موقعة أخرى، ومن المقطوعات المشكوك فيها أيضًا المقطوعة السابعة والعشرون بسبب إشارتها لعنترة من قبيلة عبس، والمقطوعة الثامنة والعشرون أيضًا[197]. فلم يقل المستشرق بالانتحال في بعض شعر عامر إلا فيما اقتنع فنيًّا وتاريخيًّا أنه منتحل، أو روي عن رواة متهمين بالكذب والوضع. وظاهر من خلال تدبر شخصية عامر وتتبع أحداث حياته أن سبب الانتحال في شعره هو كثرة خصوماته، ونزاعاته القبلية، ودور العصبية القبلية في عصر التدوين، والخلط بينه وبين العامريين الآخرين!

الدقة في النقد الأدبي:

البريطاني، وجمعية المستشرقين الألمانية. مولده ووفاته بلندن. تعلم في جامعة أكسفورد، وعين أستاذا للعربية فيها سنة 1899 م. وعمل في مجلة الجمعية الأسيوية الإنجليزية، وترأس تحريرها، ونشر فيها بحوثا منها (فهارس) لديوان أبي تمام، بناها على طبعة بيروت (شرح الشيخ محيي الدين الخياط) وزار الشرق الأوسط مرارا. وألف بالعربية كتاب (آثار عربية شعرية – ط) وامتاز بكثرة ما نشره من مؤلفات العرب، كمعجم ياقوت (إرشاد الأريب) و(الأنساب) للسمعاني، و (ديوان ابن التعاويذي) و(حماسة البحتري) و(نشوار المحاضرة) للتنوخي، و(رسائل أبي العلاء المعري) مع ترجمتها إلى الإنجليزية. وله في لغته كتب عن الإسلام والمسلمين، لم يكن فيها مخلصًا للعلم، على الرغم من توسعه في معرفة المسلمين وأدبهم. ترجمته بالأعلام 329/2.

[196]. راجع: تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي للأستاذ على الجندي 178/1.

[197]. ديوان عامر بتحقيق المستشرق ص49. وراجع تعليق المستشرق على شعر عامر في معركة الرقم ص 33 وما بعدها، إذ علق على القصيدة السادسة عشرة ص40، والسابعة عشرة ص 41، والثالثة والعشرون ص 49. وراجع الجهد النفيس للأستاذ أنور أبو سويلم عن توثيق شعر عامر بمقدمته لتحقيق الديوان ص 71_83.

لم يبالغ المستشرق في الحكم على شاعرية عامر بن الطفيل متأثرًا بمقولات القدامى عن شعره، بل اكتفى بقوله: "وذكر الأصمعي أن عامرًا شاعر جيد ذو أسلوب جزل، كما ذكر أنه كان يدعى المحبر؛ إشارة إلى تحسينه وتجميله لشعره بالمحسنات البديعية. أما عامر فكان يقول عن نفسه أنه "ابن حرب"(القصيدة 14 البيت 1، القصيدة 23 البيت 4، القصيدة 29 بيت 10)، وأنه لا يجب أن نتوقع أن نجد في شعره التنوع والخيال الشعري الواضحين في شعر عبيد بن الأبرص. وقد يوحي إلينا شعره بمقارنته بشعر عنترة – شاعر الحرب العظيم – إلا أننا لا نجد لعامر أي نسيب تتجلى فيه الصحراء بمغانيها، وهكذا لا نستطيع مقارنة أي من هذين الشاعرين بالآخر"[198].

فظاهر هنا أن المستشرق ذواقة لشعر عامر، وناقد له نقدًا داخليًّا تطبيقيًّا، وواضع له في مكانه الصحيح بين شعراء الجاهلية، فلم يبالغ في مكانة شعره تسويقًا أو إعلانًا له! بل إنه ليرفض حكم الأصمعي على شعر عامر، وهو محق في ذلك؛ فهذا الوصف الذي ذكره الأصمعي لعامر ذُكِر منسوبًا إلى الأصمعي على شاعر آخر، وشكك بعض القدامى فيه[199].

بين تحقيق المستشرق الديوان وتحقيق آخر:

مما لا يخفى قيمة الكتاب المحقَّق العلمية، وبخاصَّة إذا ما قورن بالطبعات التجارية المسروقة التي أغرقت الأسواق، والتي لا تخلو من سقط وتحريف وعبث بالنصوص، إضافة إلى عدم خدمة النصّ، والدواوين الشعرية تحتل الجانب الأكبر من هذا العبث، رغم أهميَّتها، لا سيما ما كان منها لشعراء متقدمين، كشعراء عصر الاحتجاج، من جاهليين وإسلاميين وأمويين، وديوان عامر بن الطفيل بتحقيق المستشرق "تشارلس لايل" من الأعمال العلمية الجادة الرصينة؛ فقد استطاع – بما أوتي من صبر وأناة أن يؤدي النص على أقرب صورة يمكن أن يؤديها عالم ثَبْت ثقة في عصره ومرحلته[200]".

وفي هذا الصدد أرفض الإحصاء الذي ذكره المحقق أنور أبو سويلم للكتاب بقوله: "وقد لاحظت أن عدة قصائد أخلَّ بها ديوان عامر بن الطفيل بما لا يقل عن ثمانين بيتًا[201]"؛ فالموازنة

---

198. ديوان عامر بتحقيق المستشرق ص50.

199. راجع: فحولة الشعراء للأصمعي (المتوفى: 216هـ) ص10، تحق/: ش. تورّي، قدم لها: الدكتور صلاح الدين المنجد، نشر: دار الكتاب الجديد، بيروت – لبنان، طبع سنة، 1400 هـ –1980م، والعمدة في محاسن الشعر وآدابه لابن رشيق القيرواني (المتوفى: 463 هـ)133/1، تحقيق الشيخ: محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر دار الجيل، سنة 1981 والكامل في اللغة والأدب للمبرد (المتوفى: 285هـ) 133/1. تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم نشر دار الفكر العربي – القاهرة، طبع سنة 1417 هـ –1997م. وهذا غلط، وخطأ؛ لأن المسمى محبرًا، إنما هو الطفيل بن عوف الغنوي، وعامر بن الطفيل عامري! راجع: القرط على الكامل، وهي الطرر والحواشي على الكامل للمبرد لأبي الحسن علي بن إبراهيم بن محمد بن عيسى بن سعد الخير الأنصاري (المتوفى: 571هـ).

200. ديوان عامر بن الطفيل بتحقيق د/أنور أبو سويلم ص 83.

201. السابق ذاته.

بين الملحق الذي صنعه المستشرق" تشارلس" والصلة التي أعدها المحقق (د/أنور أبو سويلم) تشير إلى:

* أن الملحق الذي صنعه "تشارلس" به تسعة وسبعون بيتًا. وأنه ذكر ستة أبيات في نص الديوان المحقق من مصادر أخرى غير النسخة المخطوطة.

*أن صلة الديوان التي صنعها د/ أنور أبو سويلم بها مائة وأربعة وأربعون بيتًا.

*أن الفارق بينهما تسع وخمسون بيتًا فقط، وليس ثمانين كما ادعى الأستاذ أنور أبو سويلم!

وقد أجاد الدكتور "أنور" حين قال: " ومصادر لم تكن متاحة للمحقق، ثم إن نشرته مضى على طبعتها أكثر من ثمانين سنة. وخلال هذه المدة ظهرت مصادر جديدة لم يطلع عليها "لايل" وتحوي شعرًا لعامر بن الطفيل ليس بالقليل[202]". فمما "لا شَكّ أَنّ جَمْعَ شِعْرِ شاعرٍ ما أَمْرٌ هُوَ منَ الصُّعوبَةِ بمكانٍ، فالباحثُ لا يستطيعُ، مهما أُوتيَ مِنْ صبْرٍ وجَلَدٍ، ومَهْما تَوافَرَ لدَيْهِ مِنْ مراجعَ ومصادرِ، أَنْ يجمعَ كلَّ ما بقيَ في بُطونِ الكُتُب من أَبياتٍ ومقطوعاتٍ وقصائدَ منسوبةٍ إلى هذا الشّاعرِ، وذلكَ لكثرةِ المظانّ المطبوعةِ وخلوّ الكثيرِ منها من الفَهارسِ، ناهيكَ عمَّا لا يزالُ مخطوطاً من تُراثِنا. فلا عَجَبَ إِذَنْ مِنْ أَنْ يَقَعَ القارئ بينَ الحينِ والحينِ على أبياتٍ منسوبةٍ إلى الشّاعر أخلَّ بها ديوانُهُ المجموعُ، في مصدَرٍ فاتَ الجامعَ الرجوعُ إليهِ، أو كانَ مخطوطاً إبّانَ عملِهِ وطُبعَ بعدَ ذلكَ، أَو غَيْرِ هذا.. وقدْ يكونُ مِنَ المفيدِ نشْرُ استدراكاتٍ على دواوينَ مجموعةٍ، ولكنَّ ذلكَ يجبُ أن يَتْبَعَ منهجاً واضحاً محدّداً، ذا أُسسٍ لا يصحُّ الخروجُ عَنها[203].

ومن الادعاء المرفوض عند الأستاذ أنور قوله: "لذلك جاءت نشرته في ستين صفحة ليس غير[204]"؛ فقد نشر في طبعة الذخائر بدار الكتب المصرية، في مائة وأربعة عشرة صفحة. وكان الخط فيها صغيرًا جدًّا، على النحو المعهود عن المطبوعات الاستشراقية العربية الأولى! والمطلع على هامش تحقيق الدكتور أنور يلحظ أن ضخامة نسخته راجعة إلى إطنابه الشديد في تعليقاته، نقلاً من معاجم اللغة، وكتب البلدان والتاريخ والتراجم!

كما أن قول الأستاذ أنور عن نسخة لايل: "وغدت نسخة لايل عزيزة المنال لا يمكن الاطلاع عليها إلا في المكتبات الكبرى القديمة[205]"؛ يحتاج إلى مساءلته عن عدم عمله على نشر هذه النسخة العزيزة، وإدخال ما يراه من تعليقات واستدراكات عليها كما فعل الدكتور عوني عبد الرؤوف؛ فقد نشرها في دار الكتب ضمن سلسة الذخائر، وفيها كل جهد المستشرق من مقدمة للتحقيق

---

202. السابق ص 83_84.

203. بحث "دَواوينُ الشُّعراءِ والاستِدْراكُ عَلَيْها"، المهندس: حاتم غنيم، منشور على موقع مجمع اللغة العربية الأردني: http: //www.majma.org.jo/majma/index

204. مقدمة تحقيقه ديوان عامر بن الطفيل ص 84.

205. السابق ص 84.

وتعليقات، وجاء بصفحة العنوان عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت291 هـ) . ومعه مقدمة وبحث سير "تشارلس لايل"[206]. وفي ذلك توحيد للجهد وإتمام للنقص، بدل إخراج نسخة جديدة من الديوان متخمة بالتعليقات والاستطرادات!

هلَّا كان الدكتور أنور منصفًا مع هذا المستشرق كما فعل المرحوم الدكتور الجليل محمد محمد حسين [ت سنة 1402هـ = 1982م] في مقدمة تحقيقه ديوان الأعشى الكبير الذي قال منوهاً بالطبعة الأولى للديوان: "وقد نشر المستشرق الألماني رودولف جاير هذا الديوان للمرة الأولى سنة 1928م، نشره عن ست نسخ، هي كل ما أمكن جمعه من النسخ المخطوطة للديوان، واستعان بعدد ضخم من الكتب العربية بلغ في مجموعه خمسمائة وتسعة وستين مؤلفاً، استخرج منها جميعاً كل ما روي للأعشى من شعر، وأثبت في الملحقات رواية كل بيت من أبيات الديوان جاء ذكره في واحد من هذه الكتب، مع قراءات النسخ المختلفة. والواقع أنَّ مجهود الناشر للديوان يُعتَبَرُ مثالاً للدقةِ، وللأمانةِ العلميَّةِ، وللجَلَدِ على العمل الطويل الذي اتصل في خدمة هذا الكتابِ أربعينَ عاماً، وقد اعتمدتُ على هذا المَجهودِ القيّم في طبعتي هذه، فبدأتُ من حيثُ انتهى جاير، ولذلك كان من حقِّ هذا المستشرق عليَّ أَنْ أعتَبِرَ عملي في الديوان إتْماماً لِمَجهوده المضني، وثَمرةً لِعَمَله المتصلِ الدؤوب[207]".

تأثير المستشرق في المحقق العربي:

إن قراءة أولى في موقف المحقق العربي من تعليقات المستشرق تبين أن الأستاذ الدكتور أنور أبو سويلم قد أفاد أيما إفادة من جهد هذا المستشرق، وأن كم هذه الإفادة كبير جدًّا، ويحسب للمستشرق –كما يتبين– أن قول الدكتور "أنور" في مقدمة تحقيقه: " وصححت ما وقع فيه الناسخ من سهو وهم وخطأ، وصححت بعض قراءات الأستاذ لايل، وحاولت جهدي قراءة النصوص المطموسة من الأرض والرطوبة[208]"، كلام لا يخلو من مبالغة وتزيد، والدليل على ذلك الموازنات الآتية بين جهد المحققينِ:

---

[206]. ديوان عامر بن الطفيل تحقيق المستشرق الإنجليزي تشارلس لايل. قدَّم له وأعدَّه للنشر وترجم التعليقات إلى العربية: د. محمد عوني عبد الرؤوف. الطبعة الأولى: مركز تحقيق التراث، دار الكتب والوثائق القومية، سلسلة ذخائر التراث العربي من تحقيق المستشرقين رقم 2، 2003م. الطبعة الثانية: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، 2009م.

[207]. ديوان الأعشى الكبير، شرح وتعليق د. محمد محمد حسين، المكتب الشرقي للنشر والتوزيع، بيروت، 1968م.

[208]. ديوان عامر بن الطفيل بتحقيق الدكتور أنور ص85.

*" فاجتمعت بنو عامر على ماء [النظيم]".. قال المحقق العربي: "زيادة يقتضيها المعنى سقطت من الأصل المخطوط[209]، وفات المحقق أن يذكر أن المستشرق "لايل" أثبتها ووثقها من المفضليات[210].

* وآل الجون قد ساروا إلينا ... [مع ابن الجون] فاصطلحوا اصطلاحًا[211]" هكذا عند المحقق العربي دون تعليق! وعند المستشرق: وآل الجون قد ساروا إلينا ... [غداة الشعب] فاصطلحوا اصطلاحًا. وعلق قائلا: غير واضحة بالمخطوطة والتصويب حدسًا وضعناه بين معقوفين[212]. فضلاً عن أن تعليق المحقق العربي فيه تكرار لا دلالة له [آل الجون/ابن الجون]!

* "وهو [ببيّن] الجونة[213]" عند المحقق العربي، وعند المستشرق: [وهي الجونة][214]، وعلق المستشرق بقوله: " بالمخطوطة "وهو" ربما تكون القراءة الصحيحة: "واسمه هو الجونة ..." والأقرب تعديل المستشرق؛ لأنه ورد في المعاجم اللغوية [جون]: "وهي جونة بينة الجونة[215]".

الضاربون الكبش ضاحية***كالكوكب المتوقد الفحْم

أفاد المحقق العربي من تعليق المستشرق بقوله: عجز البيت جاء مصحفًا في الأصل المخطوط: إذا الكوكب المتوقد الفحم، وأعتقد أن "القحم" أنسب للمعنى ومعناه الكبير المسن..."[216]

أما المستشرق فعلق قائلا: "المخطوطة: إذا الكواكب، وبهذا يكون البيت مكسورا، ويكون المعنى غير منطقي، وجاء باللسان ج – 2 ص 216 س 15 بيت ورد به كوكب فخم بنفس الاستخدام دلالة على الجيش، ويبدو أن البيت من قصيدة من نفس الوزن وردت بحماسة أبي تمام الأبيات (97 – 99)، وإن كان كذلك فهو لذهل بن شيبان وليس للجرمي، وثمة من يدعي وعلة بن الحارث الجرمي حضر موقعة الكلاب الثانية، وهو صاحب قصيدة وردت بالمفضليات برقم 32 وانظر النقائض ص 154، ص 156[217]". وظاهر مدى عمق المستشرق والجهد الذي بذله في التعليق على البيت، على عكس ما فعله المحقق العربي!

---

209. ديوان عامر بن الطفيل بتحقيق الدكتور أنور ص 106.
210. ديوان عامر بن الطفيل بتحقيق المستشرق ص 2 هامش 16.
211. ديوان عامر بن الطفيل بتحقيق الدكتور أنور ص 136.
212. ديوان عامر بن الطفيل بتحقيق المستشرق ص 9.
213. ديوان عامر بن الطفيل بتحقيق الدكتور أنور ص 136.
214. ديوان عامر بن الطفيل بتحقيق المستشرق ص 9.
215. راجع: المحكم والمحيط الأعظم 555/7، دار الكتب العلمية – بيروت سنة2000م، ولسان العرب 102/13، دار صادر – بيروت سنة1414 هـ، وتاج العروس 384/4، نشر دار الهداية.
216. ديوان عامر بن الطفيل بتحقيق الدكتور أنور ص 132.
217. ديوان عامر بن الطفيل بتحقيق المستشرق ص 8.

- يقال: حُمَّ ذلك عليه وقُدِّر بمعنًى [واحد] [والأسنة]. قال المحقق العربي: "بياض في الأصل والزيادة من لايل[218].
- كأني أنا المطروق دونك بالذي***طُرِقْتَ به دوني وعيني تهملُ

خرجه أنور أبو سويلم من كتاب "أمية بن أبى الصلت حياته وشعره" لخديجة الحديثي ص 355[219]!

أما لايل فخرجه من حماسة أبى تمام ص 355 سطر 8، والأغاني جـ 3 ص 191 س 4، وشولتيز أمية ابن أبى الصلت القصيدة 8 البيت 3، حيث وردت إذا بدلا أنا وهذا خطأ في الطباعة[220] .

- وتقوى الله خير العتاد، وهو مختل عروضيًّا، وقد صوبه لايل:

وتقوى الإله خير العتاد

ولا تستقيم على الخفيف إلا بإضافة "إن" ليصبح:

إن تقوى الإله خير العتاد[221]

وقد ظلم الدكتور أنور أبو سويلم المستشرق "لايل" في تعليقه هذا؛ فنص المستشرق: "وتقوى الله... نصف بيت من البحر الخفيف، ويلزم إضافة مقطع أول البيت[222]، وهذا يدل على حسن لغوي عروضي جيد. بل وقع الأستاذ أنور فيما لم يقع فيه المستشرق من روايته مطلع قصيدة مكسورًا، وهو قول عامر:

لقد تعلم الخيل أننا***إذا ابتدر الناسُ الفِعالَ أسودُها[223]

فالقصيدة من البحر الطويل التام، والصدر تنقصه كلمة حتى يتم وزنه هي كما ذكرها المستشرق: لقد تعلم الخيل المغيرة أننا.....[224] .

وقد نسي هذا المحقق _وكذلك المستشرق، بل وشارح الديوان! أن يشيروا إلى ما عيب الإيطاء في قصيدتين من شعر عامر. هما القصيدة الخامسة عشرة حيث يقول عامر:

---

[218]. ديوان عامر بن الطفيل بتحقيق الدكتور أنور ص 135.
[219]. ديوان عامر بن الطفيل بتحقيق الدكتور أنور ص 180.
[220]. ديوان عامر بن الطفيل بتحقيق المستشرق ص 20.
[221]. ديوان عامر بن الطفيل بتحقيق الدكتور أنور ص 241.
[222]. ديوان عامر بن الطفيل بتحقيق المستشرق ص 37.
[223]. ديوان عامر بن الطفيل بتحقيق الدكتور أنور ص 171.
[224]. ديوان عامر بن الطفيل بتحقيق المستشرق ص 18.

للمُقرَباتِ غدُوٌّ حين نُحضرُها***وغارةٌ تستثيرُ النقعَ في رهجِ

وبعدها ببيتين يقول:

عليهمُ البَيض والأبدان سابغة***يقَحِّمون كأن القوم في رهجِ[225]

وبالديوان إيطاء آخر في القصيدة السابعة والثلاثين، حيث يقول عامر:

لله غارتُنا والمَحْلُ قد شَجِيَتْ***منه البلادُ فصارَ الأفْقُ عُرْيانا

حتى صبَبْنا على همدانَ ضَيِّقةً***سُؤْرَ الكِلابِ وما كانوا لنا شانا

فظلَّ بالقاعِ يومٌ لم ندَعْ كَتَدًا***إلا ضرَبنا ولا وجهًا ولا شانا[226]

- ومن الأبيات التي حدث فيها اختلاف بين المستشرق والمحقق العربي قول عامر:

وبالفَيْفَا مِنَ اليَمَنِ اسْتَثارَتْ***قَبائِلُ كانَ أَلْبَهُمْ فِخَارَا[227]

فقد جاء هكذا في نسخة "تشارلس"، لكن المحقق العربي رواه"...فخاروا" نقلاً من كتاب العمدة لابن رشيق القيرواني(ت463هـ). ولا شك في أن تقديم رواية المخطوط مقدمة في التحقيق على رواية مصدر متأخر جدًّا، ما دامت الصياغة مستقرة والمعنى بَيِّن واضح. فـ"فخارًا" مفعول لأجله، جاء علة التأليب أي لأجل الفخر!

- "ويجئ فعيل بمعنى فاعل [مثل] قعيدة بيت بمعنى قاعدة [بيت]، وعلق في الهامش: زيادة قد يحتاجها النص[228]... أما لايل فقد اكتفى بالنقطتين الفوقيتين بعد لفظة "فاعل"، ولم يزد لفظة "بيت" التي ذكرها الدكتور أنور؛ لأن المعنى يتم بدونها فلا يحتاجها، فيكون النص كما في أصل المخطوطة، وعند المستشرق: "ويجئ فعيل بمعنى فاعل: قعيدة بيت بمعنى قاعدة"[229].

- وكأن هاديَهُ إذا استعرضتَه جِذْعٌ تحسَّر ليفُه مجرودُ

---

[225]. ديوان عامر بن الطفيل بتحقيق الدكتور أنور ص243، وص247، وقد ضبط الدكتور أنور لفظة البيض بالفتح والصواب – كما عند المستشرق – بالضم لأنها مبتدأ مؤخر! راجع ديوان عامر بن الطفيل بتحقيق المستشرق ص 38.

[226]. ديوان عامر بن الطفيل بتحقيق الدكتور أنور ص338، وديوان عامر بن الطفيل بتحقيق المستشرق ص 61.

[227]. ديوان عامر بن الطفيل بتحقيق الدكتور أنور ص371، وديوان عامر بن الطفيل بتحقيق المستشرق ص 67، ووردت في نسخة كرم البستاني "فَخارا" بفتح الفاء. ص80، طبع دار صادر بيروت سنة 1979م. والعمدة 213/2.

[228]. ديوان عامر بن الطفيل بتحقيق الدكتور أنور ص 334.

[229]. ديوان عامر بن الطفيل بتحقيق المستشرق ص 60.

هذا البيت شاذ في موقعه، وهو في وصف فرسه، ويبدو أن القصيدة مبتورة ناقصة[230]. أما تعليق المستشرق "لايل" فنصه: " يبدو أن هذا البيت جزء من وصف الحصان ولا صلة له بما سبقه[231]. وهذا يدل على دقة متابعة المستشرق لأفكار النص الشعري ورؤاه، وأن المحقق العربي تابعه، مع تغيير في تعليقه أدى إلى لبس.

- "والبارح: [ما لقيت] مياسرة مياسرك"...علق د/أنور قائلا: "هذه الكلمة طمست من رطوبة أو أرضة[232]"، ولم يذكر أن الزيادة التي أثبتها مأخوذة من المستشرق "لايل"[233]!

* كما أرفض ادعاءه عن نسخة المستشرق: " وهذه النشرة على أهميتها لم تُحَقق وفق الأصول العلمية الحديثة فأكثر القصائد والشواهد والأخبار والأعلام لم يتمكن الناشر من تحقيقها وبدا جهده ضئيلاً في تحقيق الإشارات التاريخية والأيام المشار إليها في الديوان[234]...فهذا الكلام يتناقض مع ثنائه على جهد المستشرق من قبل، ويتناقض أيضًا مع إفادته الكثيرة والكاملة من تعليق المستشرق في هوامشه، فلم يخالفه إلا مرات معدودة فقط! هي:

*خطأ في قراءة لفظة: جاء في نسخة المستشرق: "ورجل مشل: طارد"[235]. وعند المحقق العربي: "طراد". وعلق قائلاً: "كلمة غير واضحة تبين منها "راد" ورسمها لايل "طارد" خلافاً لرسمها ومعناها[236].

*خطأ في نقط حرف: جاء في نسخة المحقق العربي: "قطع غلاظ بين حبلي رمل"[237]، وفى الأصل المخطوط ولايل: "جبلي" وهي مصحفة[238]. والصواب ما قاله الدكتور أنور فقد وردت هذه الدلالة في المخصص لابن سيده المرسي الأندلسي (المتوفى: 458هـ): "أَبُو عبيد: الشَّقِيقَة: قطع غِلَاظ بَين حبلي رملٍ[239]".

---

230. ديوان عامر بن الطفيل بتحقيق الدكتور أنور ص 333.
231. ديوان عامر بن الطفيل بتحقيق المستشرق ص 59.
232. ديوان عامر بن الطفيل بتحقيق الدكتور أنور ص 331.
233. ديوان عامر بن الطفيل بتحقيق المستشرق ص 59.
234. السابق ذاته.
235. ديوان عامر بن الطفيل بتحقيق المستشرق ص 8.
236. ديوان عامر بن الطفيل بتحقيق الدكتور أنور ص 132.
237. ديوان عامر بن الطفيل بتحقيق الدكتور أنور ص 201.
238. ديوان عامر بن الطفيل بتحقيق المستشرق ص 25.
239. المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: 458هـ)، 87/3، تحقيق خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت طبع، 1417هـ 1996م.

*علق الدكتور أنور على قول الراجز: لولا تكميك ذرا من جارا... أي لولا قمعك [رؤوس الجائرين] [وسموا الكمأة كمأة] لأن الأرض تكميها"؛ ففي الأصل المخطوط آثار رطوبة طمست بعض النص. ولم يتمكن "لايل" من تكملة النص واكتفى به على هذه الصورة: "لولا قمعك الأرض لأن الأرض تكميها في تسترها[240]" وهي جملة ناقصة، وأعتقد أن ما أضفته أو شيئًا قريبًا منه يتمم المعنى[241].

*"والإجرار "قرأها لايل (وشريه) ولا موضع لها في النص، وأظن ان الكلمة "الإجرار"، أو أن الكلمة "خللته" وهو أن يشق لسان الفصيل ثم يجعل فيه عود لئلا يرضع أمه[242]. والصواب أن "لايل" قرأ النص هكذا: هو من أجررت الفصيل اللاهج باللبن وشربه، وأنه نسي كلمة "الإجرار" أو لم يتوصل إلى قراءتها[243].

*ويقال: جدا: حدب" قرأها لايل "جلب" ولم أجد لها وجهًا في القاموس[244].

*ومما آخذه – ولم يُشر إليه الدكتور أنور! على تحقيق المستشرق قوله معلقا على قول عامر:

شككت به مجامع رُحْبَيْه فصار رداؤه منه طميلُ

"معنى كلمة طميل" غير موجود باللسان ج 13 ص 434 س15 وما يليه ولا دلالة لها هنا[245]. والصواب أن المعنى موجود في اللسان. جاء فيه: " والسَّهم الطَّمِيل والمَطْمُول: المُلَطَّخ بِالدَّمِ... وطَمَلَ الدَّمُ السهمَ وغيرَه طَمْلًا، فَهُوَ مَطمولٌ وطَمِيلٌ: لطَّخَه[246]".

- **ومن التعليقات على المستشرق التي يمكن أن يكون فيها أخذ ورد قول الدكتور أنور:**

*ما جاء في نسخة المستشرق: "وهو عامر بن يثرب السعدي[247]"؛ إذ "أضاف تشارلس لايل [ابن] قبل عامر بين قوسين معقوفين. وهذه الإضافة لا مبرر لها كما سنوضح في الفقرة التالية. وفي الفقرة التالية قال: هو السليك بن عمرو، وقيل اسمه الحارث، وقيل: اسمه عمير واسم أبيه

[240]. ديوان عامر بن الطفيل بتحقيق المستشرق ص 15.
[241]. ديوان عامر بن الطفيل بتحقيق الدكتور أنور ص 151.
[242]. ديوان عامر بن الطفيل بتحقيق الدكتور أنور ص 154 – 155.
[243]. ديوان عامر بن الطفيل بتحقيق المستشرق ص 13.
[244]. ديوان عامر بتحقيق الدكتور أنور ص 156، وراجع نسخة المستشرق ص 14.
[245]. السابق ص 61.
[246]. اللسان [ط/م/ل] وراجع المخصص لابن سيده في الحديث عن الدم وأسمائه 58/2.
[247]. راجع تحقيق المستشرق ص 100.

عمرو أو عمير أو يثرب، وقيل اسمه سنان بن عمير بن الحارث، وربما كان اسمه عامر بن يثربي[248] .

*"وكان جبار بن سلمى بن سلمى بن مالك بن جعفر..." في الأصل المخطوط: سلمى بن عامر بن مالك. وهو خطأ بين (انظر الفترة السابقة). وهذا الخطأ لم يتبين له "تشارلس لايل[249]".

*مِن الناسِ إلا يعرفون عليهم لنا في جسيم الأحزان أن تتكرما

قال الأستاذ أنور: "صوب لايل الأصل، واقترح أن يكون النص "مَنِ الناسُ" وأظن الأصل صحيح وهو متصل بالبيت السابق أي. ولم أر قومًا من الناس يرفقون سواءهم إلا يعرفون[250] ..."

وهكذا تبين هذه النماذج إيجابيات المستشرق "تشارلس" وسلبياته في تحقيق ديوان عامر بن الطفيل من خلال موازنة تحقيقه بتحقيق آخر من طبع الديوان ونشره، وهو الدكتور أنور أبو سويلم.

الخاتمة:

بعد هذه الرحلة في تحقيق المستشرق الإنجليزي "تشارلس لايل" ديوان عامر بن الطفيل، أستطيع أن أقرر النتائج الآتية:

1- أن الشعر الجاهلي نال عناية ملحوظة من قبل المستشرقين منذ بداية القرن العشرين، إذ حققوه ونشروه وترجموه، وتكاد تكون تحقيقاتهم ونشراتهم وترجماتهم الأولى في العصر الحديث، وكانت هذه العناية ذات منهجية واضحة، وحيادية عند بعضهم ومنهم المستشرق المدروس في هذا البحث. ولا أدل على تلك الدقة مما رواه المستشرق إدوارد براون أن المستشرق أنتوني آشلي بيفان(1859_1933م) دخل عليه يومًا فألفاه حزينًا يائسًا فاستعلم عما أصابه فأخبره أنه وجد بعد

---

[248]. انظر في هذه الخلافات: المحبر ص 307 وألقاب الشعراء 304/2، والأغاني 345/2، 347، والمؤتلف 9/2، والمستقصي في أمثال العرب 238/1, والشعر والشعراء: 365/1، ومقدمة حميد ثويني، وكامل عواد لكتاب "لسليك بن السلكة: أخباره وأشعاره: ص 6-7.

[249]. وكذلك البستاني ومحققو جمهرة الأمثال: 93/2، الأغاني (ص 6335)، دار الشعب، والعقد الفريد 205/1". وجاء في التعليق السابق: بضم السين وقيل بفتحها كما نص ابن حجر في الإصابة (ص 1051) من أولاد مالك عامر (أبو براء ملاعب الأسنة) والطفيل (والد عامر بن الطفيل) ومعاوية (معود الحكماء) وعبيدة (الوضاح) وسُلمى (نزال المضيق) وربيعة (ربيعة المقترين والد لبيد). فسلمى بن مالك وليس عامرًا، كما جاءت المخطوطة، وعند لايل وكرم البستاني ومن تابعهم من مثل صاحب سمط اللآلئ، والعسكري في جمهرة الأمثال 93/2 والميداني 86/2، والزمخشري. (ص 108)، وجاء اسمه في سمط اللآلئ: جبار بن سلمى بن عامر بن ملاعب الأسن بن مالك، وصحف اسمه إلى حيان بن سليمان (ثمرات الأوراق ص 102) وفي سرح العيون (ص 167) بعضه وله، وفي نشوة الطرب 676/1 وقف أعرابي على قبر عامر... وفي جمهرة الأمثال 93/2 حيان بن سلمى. راجع تحقيق الدكتور أنور ص 102.

[250]. راجع تحقيق الدكتور أنور ص 221.

نشره للنقائض خللاً في وزن أحد أبياتها[251]. فعلينا ألا نبخس الناس أشياءهم، وألا يجرمنا شنآن قوم على ألا نعدل. اعدلوا هو أقرب للتقوى أيها الباحثون العرب!

2- يعد المستشرق "تشارلس لايل" أنموذجًا للصنف الإيجابي من المستشرقين في التعامل مع التراث العربي بكل دقة وأمانة وحيدة. ومن ثم أشاد به كبار العلماء الأفذاذ في العصر الحديث أمثال الأستاذ/ عبد السلام هارون، والدكتور/ محمود الطناحي، والدكتور/ عوني عبد الرؤوف.

3- استطاع المستشرق تشارلس لايل أن يخرج لنا ديوان عامر بن الطفيل في ثوب قشيب مقبول منهجيًّا وعلميًّا؛ إذ تكاد تكون الأخطاء به محدودة معدودة. وظاهر أن المستشرق ذواقة لشعر عامر، وناقد له نقدًا داخليًّا تطبيقيًّا، وواضع له في مكانه الصحيح بين شعراء الجاهلية، فلم يبالغ في مكانة شعره تسويقًا أو إعلانًا له! بل إنه ليرفض حكم الأصمعي على شعر عامر!

4- من مميزات تحقيق المستشرق الدقة في قراءة المخطوطة، والأمانة في التوثيق، والقدرة على إكمال المخطوط بالألفاظ التي تنقصه، وصناعة صلة بالأشعار التي أخل بها الديوان ووجدت في مظان أخرى أتيح للمستشرق الاطلاع عليها، وصناعة فهارس فنية بارزة ومميزة، ومعبرة عن المادة العلمية القيمة بالديوان: أعلامًا، وأماكن، وألفاظ غريبة، وأشعارًا.

5- من سلبيات تحقيق المستشرق إخفاقه في تفسير بعض المفردات وإكمال بعض العبارات، واستدراك الباحثين اللاحقين عليه تسعة وخمسين بيتًا شعريًّا لم يذكرها في صلته، وإن كنا نلتمس له العذر في ذلك بكونه في بداية عصر النهضة قبل ظهور كثير من مجاميع الشعر.

6- بموازنة عمل المستشرق في الديوان بعمل الدكتور أنور أبو سويلم _آخر من حقق الديوان_ نجد أن الدكتور أنور يكاد يكون ناقلاً كل جهد المستشرق بتصرف، بل ومخففًا أحيانًا في التوثيق والتعريف! فجهده يكاد يكون إعادة تدوير لجهد المستشرق واستدراكًا لبعض الأبيات.

توصيات ومقترحات:

- أوصي بإعادة طباعة تحقيق المستشرق للديوان مع إدخال بعض التعديلات المأخوذة عليه، وإلحاق المستدركات اللاحقة عليه.
- أوصي بالإفادة من الرسائل الجامعية عند نشر الدواوين؛ فخير نشر لديوان عامر كان في رسالة جامعية لم أطلع عليها، ولا اطلع عليها آخر من حقق الديوان بسبب كونها مخطوطة!
- هذا البحث يفتح المجال أمام الباحثين للدخول في واحة التراث الاستشراقي ومحاورتها بمثيلاتها عند العرب المحدثين: محققين ودارسين ومترجمين؛ ففي ذلك حوار فكري جديد وعميق،

[251]. مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي ص240، د/محمود الطناحي.

لاسيما في أخطر مناطقها: "سرقة بعض الباحثين العرب من المستشرقين في مجال تحقيق النصوص!".

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

- ديوان عامر بن الطفيل، تحقيق المستشرق الإنجليزي تشارلز لايل. قدَّم له وأعدَّه للنشر وترجم التعليقات إلى العربية: د. محمد عوني عبد الرؤوف. الطبعة الأولى: مركز تحقيق التراث، دار الكتب والوثائق القومية، سلسلة ذخائر التراث العربي من تحقيق المستشرقين (رقم 2)، 2003م. الطبعة الثانية: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، 2009م.

- ديوان عامر بن الطفيل، تح/ الدكتور أنور أبو سويلم، طبع دار الجيل بيروت سنة 1416هـ_1996م.

- عامر بن الطفيل: حياته وشعره، رسالة ماجستير من إعداد الباحث جمال الدين رضوان، بإشراف الدكتور أحمد الحوفي. كلية دار العلوم، سنة 1975م.

- ديوان عامر بن الطفيل، تعليق كرم البستاني، دار صادر، بيروت، 1399هـ-1979م.

- **أهم مراجع البحث**

- الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديمًا وحديثًا، د/عفيف عبد الرحمن، نشر دار الفكر، الطبعة الأولى 1987م.

- الأعلام لخير الدين الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ)، نشر دار العلم للملايين، سنة2002 م.

- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام (المتوفى: 761هـ)، تحق/ يوسف الشيخ محمد البقاعي، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

- بيبلوغرافيا العصر الجاهلي للدكتور عفيف عبد الرحمن المنشور في مجلة المورد العراقية المجلد التاسع العدد الثالث سنة 1400هـ-1980م.

- البيان والتبيين، للجاحظ، تحقيق الأستاذ/ عبد السلام هارون، نشر الخانجي، بالقاهرة، سنة 1418هـ، 1988م.

- تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره، د/عبد المجيد دياب دار المعارف سنة 1993م.

- تحقيق النصوص ونشرها، الأستاذ عبد السلام هارون، مكتبة السنة الطبعة الخامسة سنة 1410هـ.

- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر بن عمر البغدادي (المتوفى: 1093هـ) تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة 1418 هـ -1997م.

- ديوان الأعشى، شرح وتعليق د. محمد محمد حسين، المكتب الشرقي للنشر والتوزيع، بيروت، 1968م.

- ديوان عبيد بن الأبرص بين تحقيقين، د/ أحمد عبد الباسط، مجلة معهد المخطوطات، العدد الثامن، سنة 2013م.

- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، للأُشْمُوني (المتوفى: 900هـ)، نشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان 1998م.

- شرح المعلقات العشر للتبريزي، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، الطبعة الثالثة: 1399هـ= 1979م، دار الآفاق الجديدة -بيروت.

- الشعر العربي القديم مصدرًا للمعرفة التاريخية لـ "تشارلس لايل"، ترجمه إلى العربية الأستاذ/ عبد الله أحمد مهنّا ونشره في مجلة الشعر، القاهرة، العدد 13، يناير 1979م، ص9-20.

- العمدة في محاسن الشعر وآدابه لابن رشيق القيرواني (المتوفى: 463 هـ)، تح/ الشيخ: محمد محيي الدين عبد الحميد نشر دار الجيل سنة 1981 م.

- فحولة الشعراء للأصمعي (المتوفى: 216هـ)، تح/: ش. تورّي، قدم لها: الدكتور صلاح الدين المنجد، نشر: دار الكتاب الجديد، بيروت – لبنان، طبع سنة، 1400 هـ -1980م.

- الكامل في اللغة والأدب للمبرد (المتوفى: 285هـ). تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم نشر دار الفكر العربي – القاهرة، طبع سنة 1417 هـ -1997م.

- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر – بيروت سنة1414 هـ

- المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، 1421 هـ -2000م.

- المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: 458هـ)، تح/ خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت طبع، 1417هـ 1996م.

- مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، د/محمود الطناحي، طبع دار الخانجي بالقاهرة سنة 1984م.

- المستشرقون، أ/نجيب العقيقي، طبع دار المعارف بالقاهرة: 1981م.

- معجم البلدان لياقوت الحموي (المتوفى: 626هـ)، نشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، 1995م.

- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع لأبي عبيد عبد الله بن البكري الأندلسي (المتوفى: 487هـ)، نشر: عالم الكتب، بيروت، سنة، 1403 هـ

- معجم المؤلفين، عمر بن رضا كحالة الدمشقي (المتوفى: 1408هـ) 97/2، نشر مكتبة المثنى –بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

- المفضليات، مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت على نفقة كلية أكسفورد، سنة 1920م.

- مواقع على الشبكة العنكبوتية "إنترنت":

- موقع نيل وفرات على الرابط: **http: //www.neelwafurat.com/itempageMobile**

- موقع الموسوعة الحرة: **http: //ar.wikipedia.org/wiki/**

- معجم–الأدباء–الأردنيين على الرابط: **http: //culture.gov.jo/new/**

- موقع مجمع اللغة العربية الأردني: **http: //www.majma.org.jo/majma/index**

الأحوال الطبية والصحية بالمشرق الإسلامي

(21–617هـ/642–1220م)

Medical and Health Conditions
in the Islamic East
(1220-642AD/617–21H)

د. رياض نعيم ابراهيم أبورزق

باحث في التاريخ الاسلامي

دكتوراه في الدراسات الاسلامية تخصص الإدارة الصحية/ جامعة الإمام الأوزاعي–بيروت

Reyadaburizq@yahoo.com

– ملخص الدراسة:

تطرقت الدراسة لأنواع الأمراض والأوبئة في تلك الفترة، كالأمراض المتوطنة والأمراض الوافدة، وأهم الأسباب لتلك الأمراض والأوبئة، والتي قسمت الي قسمين جاء الأول بعنوان: أسباب طبيعية لانتشار الأمراض والأوبئة، وأما الثاني: أسباب بشرية لانتشار الأمراض والأوبئة.

كما بينت الدراسة دور الدولة الإداري والرقابي علي الأحوال الصحية والطبية، وأهم مبادئ التنظيم الإداري لعمل الأشخاص والمؤسسات والمنشآت الطبية، كما وركزت علي دور الدولة الرقابي نحو الوضع الصحي والطبي، وقد تضمن ذلك طبيعة ودور المحتسبين الرقابي علي منشآت الأطعمة والأشربة، ودورهم أيضا الرقابي علي المؤسسات الطبية والتعليمية والمهن الصحية، ثم ختمت الدراسة بخاتمة اشتملت على أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، ثم قائمة المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية:

الأمراض – الأوبئة – الرقابة – الإدارة – المحتسب.

Abstract

The study presented the types of diseases and epidemics that were common at that period, including the local and immigrant ones, and their most important causes, which were divided into two parts: the natural causes for the spread of diseases and epidemics, and the human causes for the spread of diseases and epidemics.

The study also demonstrated the administrative and supervisory role of the state over the health and medical conditions, and the most important organizational

principles to manage the individual and institutional work in this regard. The study also focused on the supervisory role of the state over the health and medical situation, which included the supervisory role of those practicing, monitoring, of the food facilities, in addition to the medical, educational and health professions institutions, then the study concluded with a conclusion that included the most important results, which the study reached, then a list of sources and references.

key words:

. Diseases- epidemics- supervisory- administrative- accountant

- **المقدمة:**

لقد ابتكر المسلمون الأوائل أفضل الوسائل والتقنيات للحفاظ على بيئة نقية ونظيفة وخالية من الأمراض والأوبئة. ويعتبر أبرز إنجازات المسلمين الحضارية والتي تمثلت بالحضارة العلمية، التي حثت على الارتقاء في المجالين الطبي والصحي في حياة المسلمين وغير المسلمين، حيث حفظت للعالم تراث البشرية، وقد برز من المسلمين الكثير من العلماء والأطباء الذين أبدعوا في هذين المجالين، أمثال الرازي، وابن سينا، وأبي منصور الهروي، والكثيرين غيرهم، حيث قدموا الكثير للبشرية في المجالين الطبي والصحي وقد شهد لهم القاصي والداني بذلك. وقد كان لزاما على المسلمين وعلمائهم أن يهتموا بصحة الإنسان وجسده؛ ولذلك عملوا جاهدين على تطوير وبناء قاعدة صحية قوية ومتينة، من مراكز طبية تعليمية وصحية خدماتية ؛ ولذلك كانت تعد قضية الصحة العامة وبناء البيمارستانات والمراكز الصحية في المشرق الإسلامي جانب حضاري مهم، حيث أن هذه المباني الحضارية الضخمة، قد ظهرت في العهد الساماني بوضوح، وقد عالجت الكثير من الأمراض والأوبئة، وأصبحت مظهراً للتحدي العلمي والتراثي وفي النظافة والجمال، وقد قدم الخلفاء والعلماء جهودا جبارة في تطوير وبناء هذه المؤسسات، حيث ظهر أشهر وأمهر الاطباء والعلماء فيها في تلك الفترة.

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية الدراسة من خلال النقاط التالية:

1. قلة الدراسات الأكاديمية الجادة التي تناولت هذا الموضوع بالرغم من أهميته.
2. إبراز مدى أهمية وتأثير هذه المرحلة الحضارية المشرقة من الناحية الصحية والطبية في حياة المسلمين في بلاد المشرق الإسلامي.
3. الكشف عن أهم إنجازات المسلمين في المجالين الطبي والصحي في تلك المرحلة.

4. الحاجة الماسة اليوم لمثل هذه الدراسات التي تظهر أسباب قوة المسلمين في جميع المجالات، وتسلط الضوء علي المجالين الطبي والصحي في تلك المرحلة، ودفع أبناء الأمة للاقتداء بعلمائهم السابقين.

5. تفنيد مزاعم بعض المؤرخين الغربيين والشرقيين التي تطعن في قدرات وانجازات المسلمين في مختلف المجالات علي وجه العموم، ومن الناحية الطبية والصحية على وجه الخصوص في تلك الحقبة الزمنية.

- **منهج الدراسة:**

اتبع الباحث منهج البحث التاريخي الوصفي التحليلي.

- **حدود الدراسة:**

الحد الزماني: تبدأ الدراسة من (21هـ/642م) وهو العام الذي بدأ فيه النعمان بن مقرن فتح نهاوند، وتم بعد ذلك بعامين فتح خراسان علي يد معاوية وزالت في أيامه دولة الفرس علي يد جيوش المسلمين. وقد انتهت الدراسة حتى بداية الغزو المغولي) التتري (للدولة الإسلامية في المشرق الإسلامي، حتى تاريخ (617هـ/1220م).

الحد المكاني: بلاد المشرق الإسلامي والتي تضم (بلاد ما وراء النهر، وسجستان، خراسان) وما تضم كل منها من تقسيمات للأقاليم والنواحي.

تقسيمات الدراسة:

قسمت الدراسة الي مقدمة وأربع عناوين وخاتمة، وأورد عددا من المصادر والمراجع.

أولا: الأسباب الطبيعية لانتشار الأمراض والأوبئة.

ثانيا: الأسباب البشرية لانتشار الأمراض والأوبئة.

ثالثا: دور المحتسب الرقابي على منشآت الأطعمة والأشربة.

رابعا: دور المحتسب الرقابي على المهن الصحية والمؤسسات الطبية التعليمية.

وأما الخاتمة فقد احتوت على أهم النتائج التي توصلت اليها الدراسة، ثم احتوت الدراسة على قائمة بأهم المصادر والمراجع، ثم مجموعة من الملاحق المهمة.

الأحوال الطبية والصحية بالمشرق الإسلامي

(21–617هـ/642–1220م)

أولا: الأسباب الطبيعية لانتشار الأمراض والأوبئة.

لقد ذكر ابن القيم الجوزية (ت751هـ/1350م) رحمه الله الأسباب التي تؤدي إلى حدوث الأمراض وذكر أسباب حدوث الأوبئة، وتطرق الي الطاعون بقوله: "فساد الهواء جزء من أجزاء السبب التام والعلة الفاعلة للطاعون، فإن فساد جوهر الهواء الموجب لحدوث الوباء وفساده يكون لاستحالة جوهره إلى الرداءة؛ لغلبة إحدى الكيفيات الرديئة عليه كالعفونة والنتن والسمية في أي وقت كان من أوقات السنة وإن كان أكثر حدوثه في أواخر الصيف وفي الخريف غالبا لكثرة اجتماع الفضلات المرارية الحادة وغيرها في فصل الصيف وعدم تحللها في آخره وفي الخريف لبرد الجو وردغة الأبخرة والفضلات التي كانت تتحلل في زمن الصيف، فتحصر فتسخن وتعفن فتحدث الأمراض العفنة ولا سيما إذا صادفت البدن مستعداً قابلاً رهلاً قليل الحركة كثير المواد فهذا لا يكاد يفلت من العطب"[252].

وقد وصف النووي (ت676هـ/1277م) بعض أعراض الطاعون بقوله: "وأما الطاعون فهو قروح تخرج في الجسد فتكون في المرافق أو الآباط أو الأيدي أو الأصابع وسائر البدن، ويكون معه ورم وألم شديد وتخرج تلك القروح مع لهيب ويسود ما حواليه أو يخضر أو يحمر حمرة بنفسجية كدرة، ويحصل معه خفقان القلب والقيء، وأما الوباء فقال الخليل وغيره هو الطاعون، وقال هو كل مرض عام والصحيح الذي قاله المحققون أنه مرض الكثيرين من الناس في جهة من الأرض دون سائر الجهات، ويكون مخالفا للمعتاد من أمراض في الكثرة وغيرها ويكون مرضهم نوعاً واحداً بخلاف سائر الأوقات، فان أمراضهم فيها مختلفة، قالوا وكل طاعون وباء وليس كل وباء طاعوناً، والوباء الذي وقع في الشام زمن عمر كان طاعوناً وهو طاعون عمواس"[253].

ومن الأسباب الطبيعية لانتشار الأمراض والأوبئة:

1. انتشار الحشرات:

لقد كان لوجود الأماكن المفتوحة والصحراوية والتقلب في أحوال المناخ والطقس، أثر كبير في انتشار البرك والمستنقعات المائية في بلاد المشرق الإسلامي، حيث أثر ذلك سلبا في توالد وانتشار الحشرات والجراثيم التي أدت الي نقل العدوي والإصابة بالأمراض والأوبئة في تلك الفترة،

---

[252]. انظر: ابن القيم الجوزية، بدائع الفوائد (ج2/132–139)؛ مجهول المؤلف، زاد المعاد (ج4/34)؛ عبد الوهاب، تيسير (ص364).

[253]. انظر: النووي، المنهاج (ج14/204–213)؛ انظر: المنهج، الإسلام (ج5/378).

ومن الحشرات التي كانت منتشرة مثل، الذباب والبعوض، والتي كانت تسبب مرض الملاريا وحمي التيفويد وأمراض أخرى[254].

2. انتشار المجاعات:

يعتبر حدوث المجاعات من مسببات حدوث الأمراض والأوبئة، وقد تحدث عنها المقريزي (ت845هـ/1441م) في كتابه "إغاثة الأمة بكشف الغمة"[255]، وقد وصف المجاعات التي حدثت في بلاد المسلمين منذ أقدم الأزمنة حتي سنة (808هـ/1405م)، وفسر بأن المجاعات وقوعها ليس قدرا محتوما، ولا يمكن للإنسان التدخل فيه؛ ولكنها أسباب مرتبطة بتدخلات وحلول الأشخاص، فعلي الإنسان أن يرفض الاستسلام للحلول المبتكرة ويأخذ بمبدأ السببية، ويؤكد المقريزي أيضا، أن ما يحدث من مجاعات أو كوارث طبيعية يمكن أن يتجاوزه الإنسان الذي بمقدرته تحاشي الكوارث الطبيعية والمجاعات؛ وذلك بالعلم والتخطيط والتصرف المستند الي معرفة الدوافع والأسباب، فإن تم معرفة الأسباب والسيطرة عليها من قبل الأشخاص والدولة، فقد تجنب حدوثها الإنسان[256].

يرى الباحث أنه يمكن تجنب الوقوع بالمجاعات والامراض والكوارث البيئية؛ وذلك بمعرفة الاسباب، عن طريق العلم والمعرفة والتخطيط المستند للبحث العلمي السليم في حل المشكلات والسيطرة عليها.

كما وقد تحدث ابن خلدون (ت808هـ/1405م)، بأن من أهم أسباب كثرة المجاعات في البلدان، وربط ذلك بانتهاء أجلها، فقد اهتم بتخصيص فصلا كاملا في مقدمته لهذا الموضوع، وقد أورد أن عدم الاهتمام بأمور الزراعة والفلاحة بالإضافة الي الانشغال بأمور أخري مثل الحروب، فكل ذلك يوقع المجاعات[257].

3. طبيعة المناخ:

يعتبر تقلب المناخ من أهم الأسباب التي تؤدي الي حدوث الأمراض والأوبئة[258]، ويعتبر مناخ أي بلد وعناصره المختلفة من جفاف ورطوبة وحرارة وبرودة، مسبب بدرجة كبيرة في انتشار أو الحد من الأوبئة والأمراض، فقد نجد البيئة المناسبة لانتشار أمراض معينة في مناخ معين في بلد ما دون أخر، فالبلاد الحارة تعتبر من أكثر المناطق عرضة لتكاثر الحشرات والجراثيم والتي تنقل الامراض والعدوي[259].

---

254. انظر: الغزي، نهر الذهب (ج 3/450–452).
255. انظر: المقريزي، إمتاع الأسماع (ج 12/12–13).
256. انظر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون (ص 112)، (ص 375–376).
257. انظر: ابن خلدون، مقدمة (ص 36)، (ص 166)؛ السامرائي، تاريخ العرب (ص 465).
258. الشحود، دائرة معارف (ص 153).
259. المقريزي، أحمد، المواعظ والاعتبار (ج 1/87).

ولقد أورد "المقريزي" أن من أحد أهم الأسباب التي تؤدي الي حدوث المجاعات والأمراض، قد ترجع الي أسباب مرتبطة بأحوال الجو وتقلباته، حيث أن القحط الذي يحدث لقلة هطول الأمطار، يعتبر من أهم هذه الأسباب، ومنها حدوث أغارات لاسراب الجراد علي الزرع، كما ويوضح المقريزي أن أسباب حدوث هذه الأمور يرجع الي عقاب الله عز وجل للناس؛ وذلك بسبب مخالفتهم أمره وكثرة ارتكابهم المحرمات[260].

4. الكوارث الطبيعية:

تعتبر الزلازل من الكوارث الطبيعية التي يترتب عليها الكثير من المخاطر والتي تحدث للأحياء علي وجه المعمورة، حيث ينتج عنها أيضا خسائر في الأموال والأنفس، فتكون سببا في انتشار الأوبئة والأمراض، وقد كان يتبع الزلازل ظهور الأوبئة والأمراض؛ وذلك بسبب تعفن جثث الموتى تحت الهدم، وقد كان يؤثر ذلك علي الناحية الصحية للناس[261]، ومن أمثلة الزلازل التي وقعت في بلاد المشرق الإسلامي، زلزال عام (224هـ/838م) وقع بفرغانة فهدم كثيرا من المنازل[262]، وفي عام (331هـ/942م) وقع زلزال مشهور بناحية نسا من خراسان، فخربت منه قرى كثيرة، ومات تحت الهدم الكثير من الناس[263]، ووقوع زلزال عام (444هـ/1053م) وهو زلزال عظيم وقع بخراسان وهلك بسببه كثير من الناس، وكان أشده بمركزه في مدينة بيهق[264]، وفي جمادى الآخرة من عام (458هـ/1065م) كانت بخراسان زلزلة مكثت أياما تصدعت منها الجبال وهلك علي أثرها جماعة كبيرة من الناس، وخسف بعدة قرى وخرج الناس إلى الصحراء وأقاموا هنالك[265]، وفي عام (508هـ/1144م) وقع زلزال هائل بأرض الجزيرة، هدمت علي أثره بيوتا كثيرة، وبعض دور خراسان، ودورا كثيرة في بلاد شتى من المشرق الإسلامي، فهلك من أهلها نحو مائة ألف شخص، وخسف بنصف قلعة حران، وخسف بمدينة سمسياط، وهلك الكثير من الناس تحت الردم[266]، وأيضا وقع في ما وراء النهر زلزال في عام (565هـ/1170م)، وغيرها الكثير من الزلازل والكوارث الطبيعية[267].

يرى الباحث بوجوب الأخذ بعين الاعتبار مخاطر الكوارث الطبيعية عند وقوعها على حياة الإنسان؛ لذلك ينبغي أخذ الاحتياطات اللازمة والمبنية على أساس علمي؛ لكي نتجنب أو نقلل

---

260. انظر: المقريزي، إمتاع الأسماع (ج 12/12-14).
261. انظر: وِل ديورَانت، قصة الحضارة (ج 41/148-150)؛ انظر: غوانمة، الزلازل (ص 63-64).
262. جرديزي، زين الأخبار (ص 199).
263. المصدر السابق، ص 217.
264. انظر: وِل ديورَانت، قصة الحضارة (ج 41/149-151).
265. انظر: الجرديزى، زين الأخبار (ص 199)، (ص 217)؛ انظر: المزي، تهذيب الكمال (ج 312/1).
266. المزي، تهذيب الكمال (ج 312/1).
267. المصدر السابق، ص 315-316.

من وقوع الخسائر الكبيرة في الأرواح، مثل مراعاة الية تشيد المباني بشكل هندسي صحيح ومتقن ضد صدمات الزلازل والكوارث الطبيعية.

ثانيا: الأسباب البشرية لانتشار الأمراض والأوبئة:

لقد اهتم الإسلام بالإنسان ونظافته الشخصية، وحثه علي ضرورة الوقاية الصحية وذلك بإتباع الإجراءات والاحتياطات التي يتخذها الإنسان لحفظ صحته من الإصابة بالأمراض والأوبئة التي قد تصيب جسده، ومن ثم كانت الوقاية خيرا من العلاج، و قد اهتم الإسلام بهذا الجانب و جعله من مقاصده السامية؛ و لذلك باتت التربية الصحية ضرورية لسلامة الفرد في نفسه و جسده و بيئته[268]، ولقد قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا[269]﴾، وقد نهى الله ﷻ عن قتل النفس وكل ما يؤدي إلى هلاكها أو إلحاق الأذى بالإنسان في عقله أو في جسده و ذلك بوقايته من مختلف الأمراض و الأوبئة الفتاكة، ومن أجل هذا حرم الله الخمر، والمخدرات، والزنا لما تسببه من الآفات الصحية، فإن الإسلام ما حرم شيئا إلا لخبثه وضرره بالإنسان[270].

ومن توجيهات الإسلام الصحية و الوقائية الحث على نظافة الجسم و التي يعبر عنها بالطهارة، وجعل من شروط الصلاة الوضوء والطهارة بما فيه من غسل الوجه و اليدين إلى المرافق ومسح الرأس وغسل الرجلين إلى الكعبين إضافة إلى المضمضة والاستنشاق والاستنثار، وهذه كلها أعضاء تتعرض للغبار والأوساخ وما قد تحمله من جراثيم و مكروبات كما أوجب الاغتسال من الجنابة وعند انقطاع دم الحيض ودم النفاس ومما يدل على عناية الإسلام بالوقاية[271]، ويؤكد ذلك ما رواه أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: " الْفِطْرَةُ خَمْسٌ أَوْ خَمْسٌ مِنْ الْفِطْرَةِ: الْخِتَانُ وَالِاسْتِحْدَادُ وَتَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ وَنَتْفُ الْإِبِطِ وَقَصُّ الشَّارِبِ"[272].

ويرى الباحث أن جعل كل ذلك وقاية مما قد يحدثه إهمال هذه الأعضاء من تجمع لجراثيم قد تسبب أمراض مختلفة.

كما حث رسولنا ونبينا الكريم محمد ﷺ علي الاهتمام والاستمرار بتنظيف الفم، فعن السيدة عائشة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " السِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ "[273].

---

268. انظر: البيروني، الجماهر في معرفة الجواهر (ج 1/ 8).

269. [النساء: 29].

270. انظر: الهيتمي، الإعلام (ص 125–130)؛ الشحود، المفصل (ص 255).

271. انظر: ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد (ج 3/187–188).

272. [الحميدي: مسند الحميدي، 2/177: رقم الحديث 965]؛]النيسابوري: المسند الصحيح، 1/221: رقم الحديث 257[؛ [الواحدي: مسند أبي عوانة، 1/163: رقم الحديث 471].

273. [الثعالبي: الجواهر الحسان، 4/28: رقم الحديث رقم 11]؛ [الحُمَيْدي: مسند الحميدي، 1/242: رقم الحديث رقم162]؛ [الشافعي: مسند الإمام الشافعي، 1/177: رقم الحديث رقم 56].

ومن الأسباب البشرية لانتشار الأمراض والأوبئة في المشرق الإسلامي:

1. إهمال نظافة البدن:

إن للنظافة الشخصية أثارها البالغة سواء على المدى القصير أو البعيد للإنسان، خصوصًا وأنها من وصايا ديننا الحنيف، وللاستحمام العديد من الفوائد الصحية و النفسية للإنسان، ويساعد الاستحمام على الاسترخاء وإراحة الحالة النفسية والمساعدة على الإبداع و ابتكار الأفكار الجديدة، بالإضافة الي الوقاية من كثير من الأمراض الجلدية والأوبئة الأخرى التي قد تهدد صحة وسلامة حياة الإنسان[274]، ويذكر بأن الناس في المشرق الإسلامي كانت منتشرة بينهم بعض الامراض وبالتحديد في غزنه[275]؛ وذلك لقلة العناية بنظافة البدن، حيث يرجع ذلك الي الفقر المنتشر بين الناس، وعدم وجود ثقافة صحية كافية لديهم؛ ولكن غزنه كانت تتميز كغيرها من المدن بجودة مناخها الطبيعي، وهذا بدوره أدي الي خلوها وبعض المدن من بعض الأمراض المنتشرة بالمدن الاخرى مثل مرض الجذام[276].

يرى الباحث أن للاهتمام بالنظافة الشخصية ونظافة البدن، لها أثارا إيجابية ملموسة على المديين القصير والبعيد في حياة الإنسان، وتقي من كثير من الأمراض الجسدية والتي قد تصيب الجسم إن أهملها صاحبها، فهنا يجب تعزيز الوعي بالمواظبة على النظافة الشخصية لدى الافراد في المجتمعات.

2. عدم الوعي الصحي للأفراد:

يعتبر عدم الوعي الصحي للفرد من أهم أسباب انتشار الأمراض والأوبئة، ويعود ذلك الي عدم معرفة الفرد أو المجتمع بالطرق السليمة للوقاية من تلك الأمراض، ومن المحتمل أن يعود ذلك الي مجموع العادات والتقاليد والقيم والأعراف والموضات التي يكتسبها الفرد من مجتمعه وذلك عن طريق انتقال هذه الثقافة عن طريق الآباء والأجداد، وانتقالها أيضا من السلف إلى الخلف عبر اكتساب الثقافات الخاطئة، أو عدم إتباعه للطرق الحديثة للوقاية من تلك الأمراض والأوبئة المحتمل حدوثها[277].

---

274. انظر: ابن قيم الجوزية، تحفة المودود (ص 188–189).

275. غزنه: مدينة أفغانية، واليها نسب جماعة من العلماء منهم سراج الدين أبو حفص، حيث ولى قضاء الديار المصرية، وترك آثارًا ملموسة بين الناس، منها: كتابه "الشامل" في الفقه، وكتاب "شرح عقيده الطحاوى"، وتوفى سنة (773هـ/1332م)، وغزنه قديمة جدا وشهدت غزوات عسكرية كثيرة في فترة ما قبل الإسلام، وكان يسكنها البوذيين حتى وصل المسلمون العرب في القرن السابع لنشر الإسلام فيها، انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان (ج 343/11).

276. انظر: المقدسي، أحسن التقاسيم (ص 300)، (ص 323).

277. انظر: موقع منظمة الصحة العالمية، رابط الكتروني، www.who.int.

يعتبر من أهم المسببات للأمراض في المشرق الاسلامي، عدم وجود الوعي الصحي الكافي عند الأفراد، ومن شأن ذلك أن يصيبهم بالأمراض، حيث كان لجهود ونصائح العلماء والأطباء في توعية وارشاد الناس في تلك الفترة، الأثر الايجابي في تقليل امكانية حدوث الامراض والاوبئة بين الناس، ومن بعض النصائح العامة للأطباء، مثل: الطبيب أبو الحسن البسطامي، حيث قال: "تجنب الغبار والنتن والدخان، والاقبال علي الدسم والحمام والطيب بصورة مناسبة"[278]، وقد كان لبعض الأطباء نصائح غذائية، وسلوكية توعوية قد تصحح السلوك الخاطئ عند الناس، أمثال الطبيب: أبو زكار النيسابوري[279]، حيث قال: " إن للنصارى شياطين يدعونهم الي تناول لحم الخنزير، وللمسلمين شياطين يدعونهم الي شرب الخمر، وأكل الجبن اليابس، والقديد، والكواميخ"[280].

ويرى الباحث أن للوعي الشخصي للأفراد في المجتمعات، نتائج ايجابية في تجنب وقوع الأمراض والأوبئة، وأيضا لنصائح وارشادات العلماء والأطباء دور مهم وفعال في التأثير على الناس لاتباع وسائل الوقاية السليمة، والتي بدورها قد تقلل من نسبة حدوث الأمراض والأوبئة.

3. كثرة الحروب:

إن كثرة الحروب والمعارك تودي بحياة الكثير من الأبرياء، وقد تنتشر في المجتمعات المجاعات والأمراض والأوبئة، وهذه من علامات قيام الساعة التي أخبرنا بها النبي[281]ﷺ، عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْهَرْجُ ", قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ, وَمَا الْهَرْجُ ؟ قَالَ: "الْقَتْلُ الْقَتْلُ الْقَتْلُ"، ثَلاثَ مَرَّاتٍ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا لَنَقْتُلُ فِي الْعَامِ الأَلْفَ وَالأَلْفَيْنِ, قَالَ: " لا أَعِنِّي ذَلِكَ, وَلَكِنْ قَتْلَ بَعْضِكُمْ بَعْضًا"، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ, أَنَقْتُلُ بَعْضُنَا بَعْضًا, وَنَحْنُ أَحْيَاءُ نَعْقِلُ, قَالَ: "يُمِيتُ اللَّهُ قُلُوبَ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ كَمَا يُمِيتُ أَبْدَانَهُمْ"[282] رواه مسلم.

ومن أمثلة الملوك الذى غابت لفترة ثم ظهرت خلال فترة حكمهم الأمراض والأوبئة، مثل: يعقوب بن الليث الصفار (ت 265هـ/879م)[283]، كان شجاع في القتال، حيث أوقع بالخوارج، عدة هزائم وكسر شوكتهم في سجستان، فتغلب على أمير سجستان ونصب لاحقا أميرا لها، حيث نشر

---

278. البيهقي، حكماء الاسلام (ص 34)، (ص 133)؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء (ج 74/4).

279. أبو زكار النيسابوري: كان طبيبا ماهرا في عصره، وكان حاذقاً عالماً بأجزاء العلوم الحكمية في خراسان، وصنف كتاباً وسماه "المبتدى والمنتهى"، انظر: البيهقي، تتمة صوان الحكمة (ص 2)، (ص 46).

280. انظر: البيهقي، حكماء الاسلام (ص 34–35).

281. انظر: ابن عبد البر، الدرر في اختصار المغازي (ص 254–259).

282. [النيسابوري: المسند الصحيح، 2215/4: رقم الحديث 157]؛ [النيسابوري: الجامع الصحيح، 170/8: رقم الحديث 7439]؛ [ابن الأثير: جامع الأصول، 383/10: رقم الحديث 7880].

283. يعقوب بن الليث الصفار: هو الملك أبو يوسف يعقوب بن الليث الصفّار التركماني، حيث أسس السلالة الصفارية الشيعية، وينسب الي سيستان، وهو من أصل فارسي، وحكم فارس وما وراء النهر فترة من الزمن، وقد كان يعمل صفارًا للأواني النحاسية في بداية حياته، ثم انخرط جنديًا في فرقة عسكرية في سجستان، فعلا شأنه وصار قائدًا عظيمًا، فاستولى على سجستان وما حولها، انظر: ابن الدَّوَاداري، كنز الدرر (ج 259/5).

العدل فيها بعد أن توالت الهجمات علي المنطقة من قبل الخوارج، فكانت تنتشر الأمراض والأوبئة فيها في تلك الفترة؛ وذلك لكثرة القتل والظلم بين الناس من قبل الخوارج ونتيجة لتحلل الجثث بعد المعارك والهجمات، حيث تخلص يعقوب بن الليث الصفار من بطش الخوارج، وفي فترة من فترات حكمه قضي علي الأمراض والأوبئة بين الناس[284].

لقد أبدى الملك يعقوب الصفار قوة وثباتًا وعزيمة في القتال، جعلت القاصي والداني والعدو والصديق يتوجس خيفة من شدة بأسه وسطوته وطموحاته الكبيرة، وبعد أن سيطر على أجزاء شاسعة من خراسان، أخذت نفسه تحدثه بالسيطرة على باقي مدن خراسان، وكان عليه أن يصطدم وقتها بالدولة الطاهرية، وأيضًا بالدولة الزيدية[285] في طبرستان وجرجان، وهو ما قام به بالفعل بعد حروب طاحنة تعتبر كلها حروب مصالح وأطماع، حيث أدي ذلك الي تحلل الجثث في الطرقات والساحات العامة، وانتشار الأمراض والأوبئة من جديد[(286)]، حيث اضطر الخليفة المعتمد[(287)]، أن يصمت عن هذه الأطماع والتوسعات فترة طويلة، حتى أخذت أطماع يعقوب الصفار تخرج عن طورها وتذهب به لأبعد مدى، حيث فكر في الاستيلاء على بغداد وأن يتولى الخلافة بنفسه، وعندها حاربه الخليفة وهزمه، وقد توفي يعقوب الصفار في (265هـ/789م)، بعد أن انفض جنوده عنه[288].

يستنبط الباحث ومن خلال ما سبق أن المعارك الطاحنة والصراعات المستمرة بين الملوك والشعوب بعضها البعض، هي إحدى الأسباب البشرية الهامة لحدوث الأمراض والأوبئة في المجتمعات، والتي قد ينتج عنها تحلل وتعفن الجثث، والتي قد تؤدي الي انتشار الروائح الكريهة والأمراض والأوبئة بين الناس.

ثالثا: دور المحتسب الرقابي علي منشآت الأطعمة والأشربة.

---

284. انظر: أبو الفداء، المختصر (ج 52/2)؛ انظر: الذهبي، تاريخ الإسلام (ج203/20).

285. الدولة الزيدية: هي دولة تم انشائها في منطقة طبرستان في الفترة (250–316هـ/864–928م)، علي يد الحسن بن زيد، حيث تنسب له، وهو علوي من نسل الحسن بن علي، حيث اقتطع من ملك بني العباس وآل طاهر طرفًا عظيمًا من طبرستان والديلم جنوب بحر قزوين، ثم حكم بعده أخوه محمد بن زيد، وتوالت الأسرة على الحكم، إلى أن استولى "مرداويج بن زيار" على السلطة، وقد كان من القادة العسكريين للزيديين (316–323هـ/928–934م)، وتعاقبت بعد ذلك ذريته على الحكم حتى سنة(471هـ/1078م)، انظر: العسيري، موجز التاريخ الإسلامي (ص 220).

286 انظر: وِل ديورَانت، قصة الحضارة (ج 222/2).

287 الخليفة المعتمد: وهو أبو العباس أحمد المعتمد على الله (ت279هـ/892م)، وابن المتوكّل على الله جعفر بن المعتصم بالله محمد بن الرشيد العّباسي، ويذكر بان ابو العباس قد قام هو وأخوه الموفق بنشر الخلافات بين نفوذ الأتراك؛ لإعادة الخلافة العباسي إلى سابق عهدها، كما فعل المهتدي بالله قبل خلعه، انظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص 264)؛ انظر: الزركلي، الأعلام (ص 106).

288. انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج 235/6)؛ انظر: ابن خلدون، ديوان المبتدأ (ج 376/3).

لقد كان للمحتسب عدة مهام وأدوار يقوم بها بالإشراف والمتابعة علي عمل منشآت الأطعمة والأشربة والأماكن العامة، وكان منها كالتالي:

1. الرقابة على تنظيم عمل الأسواق:

لقد اهتم الخلفاء والسلاطين والقائمين علي الحكم بالمشرق الإسلامي في تخصيص مهام عمل الأسواق، فجعلوا لكل أهل مهنة وصنعة سوقا خاصا بهم، بحيث تتوفر فيه كل وسائل الراحة، وتم وضع عليهم المراقبين، فكان سوق القصابين في آخر السوق؛ وذلك لخطرهم على الناس[289]، وتم تنظيم سوق الخياطين[290]، والبقالين[291]، والخبازين[292]، وجعل كل سوق على شكل صفوف، وألحق به مسجد خاص بأهله[293]، وجعل عرض الشوارع خمسين ذراعا والدروب ستة عشر ذراعا[294]، وقد كان المحتسب يقوم بالحث على إضاءة الأسواق ووضع أزيار الماء للشرب فيها، ومراقبة سير العمل وتصويب التجاوزات في الأسواق[295] .

ومن أمثلة الأسواق التي كان المحتسبين يقومون بمتابعتها ومراقبة سلامة العمل فيها، مثل: "سوق الأهواز"، حيث يقع في مدينة[296] خوزستان[297]، و"سوق سمرقند"، الذي يقع في مدينة سمرقند، والذي عرف تاريخيا بتجارة الحرير[298]. ففي بداية الإسلام كان الخلفاء والأمراء هم من يتولون أمر الحسبة بأنفسهم، لكن عندما اتسعت رقعة الدولة كثيراً في العصر الأموي، أصبحَ لها رجال خاصون يُعنون بها في كل منطقة، وكان يُختار لوظيفة المحتسب أكثر الرجال هيبة وقوة لضمان عدم خروج الناس عن القانون[299]، ومن أمثلة المحتسبين من الأمراء: الوليد بن عبد الملك، حيث كان يمر بالأسواق يساوم ويناقش الأسعار مع البقالين وغيرهم[300].

---

289. ابن كثير، البداية والنهاية (ج 35/11)؛ عباس، شذرات (ج 453/2).
290. ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج 270/6).
291. ابن بطوطة، تحفة النظار (ج 198/1).
292. الشيزري، نهاية الرتبة (ص 9)؛ ابن الجوزي، المنتظم (ج 198/8).
293. اليعقوبي، معجم البلدان (ص 6).
294. المقريزي، اتعاظ الحنفاء (ج 277/1)؛ عباس، شذرات (ج 453/2).
295. ابن الأخوة، معالم القربة (ص 7)، انظر: الماوردي، الحاوي الكبير (ج 19/16–20).
296. انظر: الاصطخري، المسالك والممالك (ص 90)، (ص 65).
297. خوزستان: مدينة خوزستان الفارسية، هي إحدى محافظات إيران حاليا، ومركزها مدينة الأحواز، حيث تعتبر مركزاً هاماً لزراعة القمح والرز وقصب السكر، انظر: المقريزي، إمتاع الأسماع، ج 6، ص337.
298. انظر: النسفي، القند في ذكر علماء سمرقند (ص 231).
299. عبد اللطيف، السيرة النبوية (ص 350).
300. انظر: الصلابي، الدولَة الأمويَّة (ج 299/1–300)، (ص 453)، (ج 59/2).

وفي عصر الدولة العباسية في عهد الخليفة المهدي، دخلت ولاية السوق في نظام الدواوين خلال فترة توليه الخلافة سنة (159هـ/775م)، وقد كان ينزل الي الاسواق بنفسه ويتأكد من الاسعار ويراقب عمل البائعين، ويدعم ويشجع عمل المحتسبين[301].

لقد كان المحتسب في المشرق الإسلامي يحافظ على القوانين والنظم التي وضعت لكل مدينة، فيتابع ويمنع خروج البناء بغير الحد الذي وضعه الخليفة[302]، وإذا اتسع الطريق عن حده المخصص، يهدم ما فيه زيادة من البناء وحتى لو كان مسجدا؛ لأن الطرق وضعت للمسالك لا للبناء، وجعل على جانبي السوق ممران كانا مخصصان للسير في أوقات الشتاء[303].

وللحفاظ علي سلامة وصحة الناس، كان من صلاحيات المحتسب في المشرق الإسلامي، منع أي شخص من وضع البضائع في الطرقات لنقلها، إلا إذا لم تكن تضر أحد وكانت موضوعة بشكل مؤقت[304]، أما المحلات فكان كل تاجر يلزم حدود حانوته ولا يخرج عنها، وقد كان المحتسب يزيل كل مصطبة تخرج عن حد السقف الخاص بالحانوت؛ وذلك حتى لا يصدم بها الناس، وكذلك يمنع زرع الأشجار في طريق الناس؛ لأن ذلك كان يعتبر تعدي على حقوق المارة في الطريق[305].

كما وقد كان المحتسب يمنع أي تاجر من اتخاذ سوق غير التي خصصت له؛ لأن ذلك أيسر على التجار والباعة، وأنفق لبضائع أصحاب السوق، وأسهل للمشترين[306].

لقد كان المحتسب يعمل على إزالة الضرر من عدة نواحي، ففي مسألة الجلوس في الطرقات من الباعة وأصحاب الدكات أو البسطات كان يجب أن يمنع جلوس أي أحد في طرقات الأسواق إذا كانت تضر بالناس من حيث تضييق الطريق أو التعطيل على المارة[307].

كما وقد كان المحتسب يقوم بمنع الضرر بين التجار وأصحاب الحوانيت، فكان يمنع من تحتاج حرفته إلى النار وما ينتج عنها من الدخان، كالخباز والطباخ والحداد، يمنعهم من مجاورة العطارين وغيرهم ممن يحصل له الضرر من الدخان والنار[308].

---

301. انظر: ابن فهد، الدر الكمين (ج 287/1).
302. ابن الأخوة، معالم القربة (ص 7).
303. الشيزري، نهاية الرتبة (ص 9–10).
304. الماوردي، الأحكام السلطانية (ص 290)؛ ابن تيمِيَّة، الحسبة في الإسلام (ص 35).
305. ابن الأخوة، معالم القربة (ص 91).
306. الشيزري، نهاية الرتبة (ص 9)؛ الجبرتي، تاريخ عجائب (ج 580/3).
307. الماوردي، الحاوي الكبير (ج 495/7).
308. الشيزري، نهاية الرتبة (ص 9).

كما وكان يمنع راكبي الدواب من تركها بدون عقال في الأسواق أو قيادة الدابة النزقة فيها، خاصة في وقت المطر أو بوجود الوحل وإلزام المخالف بالضمان؛ وذلك حفاظا على صحة وسلامة الناس في الأسواق[309].

يذكر بأن الحفاظ على النظافة في الأسواق كان من أهم واجبات المحتسب، إذ أن النظافة من معالم الحضارة والمدنية في مدينة بخاري، ولذا فقد عمل المحتسب للحفاظ على النظافة العامة في الأسواق، فعمل علي إلزام أصحاب كل سوق بكنس السوق وتنظيفه من الأوساخ والطين المتراكم في الطرقات[310]، وقام بمنع إلقاء النفايات وبواقي المبيعات في الطرقات[311]، وقد كان يأمر الباعة بالمحافظة على نظافتهم الشخصية ونظافة حوانيتهم ومكاييلهم وموازينهم ومغارفهم[312].

ويرى الباحث بوجوب الحث الدائم على نظافة الأسواق والأماكن العامة؛ وذلك لتجنب الوقوع في مشكلات النظافة البيئية؛ مما قد يسبب ذلك حدوث الامراض والاوبئة، حيث يقع ذلك على عاتق المحتسب بالمراقبة والمتابعة الدائمة والمستمرة للأسواق والأماكن العامة.

كما وقد كان المحتسب يوصي بمنع وضع اللحوم على أبواب الحوانيت؛ حتى لا تلوث بدمائها ثياب المارة من الناس، ويمنع القصابين[313] من الذبح على أبواب الحوانيت، لما يترتب عليه من تلويث الشارع بالروث والدم، وفيه يكون نجاسة وإزاء للمارة[314].

ففي عصر الدولة العباسية تطور عمل المحتسب، ففي عهد الخليفة المعتضد[315] (ت 279هـ/892م)، كان المحتسب يتابع عمل الخبازين، ويقوم بالمراقبة والتأكد من موافقة الأدوات المستخدمة للشروط اللازمة والموافقة للصحة العامة، ويقوم بتفحص الأفران من حيث فتحات خروج الدخان، كما فعل المحتسب إبراهيم بن بطحا في سمرقند؛ وذلك لكي لا يختلط بالخبز، ومن حيث النظافة الشخصية للخباز، كحلق شعر اليدين أو نظافة اليدين وغير ذلك؛ لكي لا يسقط منه شيء

309. ابن الأخوة، معالم القربة (ص 91)؛ الغزالي، الوسيط (ج 537/6).
310. انظر: الشيزري، نهاية الرتبة (ص 12)، (ص 115).
311. ابن الأخوة، معالم القربة (ص 91).
312. المقريزي، السلوك (ج 266/3)؛ الشيزري، نهاية الرتبة (ص 26).
313. القصابين: هم الجزارين (بائعين اللحوم)، انظر: الطبراني، المعجم الكبير (ج 264/4).
314. ابن الأخوة، معالم القربة (ص 124)؛ الشيزري، نهاية الرتبة (ص 26).
315. المعتضد: هو أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب (ت289هـ/903م)، ويلقب أبو العباس أحمد المعتضد بالله، وهو خليفة عباسي، بويع له بعد موت عمه المعتمد على الله، وكان شجاعا مهيبا وظاهر الجبروت، وشديدا الوطأة على المفسدين، انظر: أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر (ج 56/2)؛ انظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص 268).

في العجين، والتأكد من وضعه الكمامة علي الأنف أثناء العجن؛ لكي لا يتناثر رذاذ العطاس أو غيره على العجين[316].

2. الرقابة الصحية على الأطعمة والأشربة:

لقد كان من مهام المحتسب في أسواق خراسان، مراقبة عمل جميع العاملين في مجال الأطعمة والأشربة، ومن بعض النماذج لذلك، مراقبته عمل جميع العاملين في مجال الشواء بالأسواق، كوزن الحملان قبل بداية شوائها، والتأكد من عدم حشوها بالحديد لزيادة وزنها، ويتأكد أن جميع ما ذبح قد عرض عليه دون نقصان، كما ويتأكد من صلاحيته[317].

لقد كان المحتسب يأمرهم ألا يضعوا اللحوم ساخنة في أواني الرصاص أو النحاس؛ وذلك لأن الأطباء قالت: "أنه بالإمكان أن يصبح سما"، ويأمرهم بعدم أخذه مباشرة من أرض المذبح، لاختلاطه بالدم النجس؛ مما يعرض الطعام للنجاسة؛ وذلك إلا بعد تنظيفه جيدا[318].

كما وكان يأمرهم بأن يعرضوا اللحوم الطازجة وليست البائتة، ويمنعهم من خلطها بالكبود والكلى ولحوم الرؤوس، وذلك دون العلم المسبق للمشتري أو طلبه لذلك؛ وذلك لأن سعر كل نوع يختلف عن النوع الأخر، وحتى لا يقع الغش والتدليس على المشتري[319].

لقد كان يتوجب على المحتسب أن يعرف طرق غشهم وتدليسهم، فبعضهم يقوم بطلاء اللحوم بالعسل، لتحمر سريعا في التنور ليظن الناظر نضجها وهي نيئة، ومنهم من يرش اللحم البائت متغير الرائحة بالماء والليمون لكي يخفي على المشتري طعمه ورائحته حين الشواء[320].

3. الرقابة الصحية على السلع والمواد التموينية:

كان يعتبر كل ما في الأسواق سلعة متى وضع للبيع أو الشراء، حيث شملت كتب الحسبة علي تفصيلات دقيقة تختص بالمهن والحرف والتجارة وشروطها وما يجب على المحتسب من الرقابة عليها ومتابعتها، ولما كانت مهام المحتسب حماية الأسواق من الغش والتدليس والحفاظ على جودة محتوياتها، فكان يجب عليه مراقبة ومتابعة كل ما يجلب إلى الأسواق من السلع والمواد التموينية، ومعرفة مصدرها وأماكن وجودها ومعرفة أسعارها أيضا، ويوكل لمعاونيه من لديه الخبرة والحنكة اللازمتين للقيام بهذا العمل[321].

---

316. انظر: ابن الأخوة، معالم القربة (ص 111–112).
317. الشيزري، نهاية الرتبة (ص 29)؛ ابن الأخوة، معالم القربة (ص 144).
318. ابن منظور، لسان العرب (ج 171/3)؛ الشيزري، نهاية الرتبة (ص 29).
319. ابن الأخوة، معالم القربة (ص 116)؛ ابن تيمِيَّة، الحسبة في الإسلام (ص 35)، (ص 56)، (ص 77).
320. الشيزري، نهاية الرتبة (ص 29–30)؛ الجبرتي، تاريخ (ج 565/3).
321. الشيزري، نهاية الرتبة (ص 26)؛ الزمانان، آداب مهنة الطب (ج 5/3).

يرى الباحث بضرورة المتابعة المستمرة من قبل المحتسب علي الاسواق للسلع والمواد التموينية؛ وذلك لضرورة الحفاظ عليها من الغش والتدليس؛ وكذلك للمحافظة على جودتها عند شرائها من قبل الناس.

لقد شهد العصر الأموي في المشرق الإسلامي، رقابة علي الأسواق ومعرفة صلاحية البضائع فيها، لما لهذا الأمر من خطورة علي صحة أبدان الناس؛ ولكن أخذ الأمر يزداد شدة وتنظيما في العصر العباسي في عهد الخليفة المهدي[322]، حيث شدد علي عمل المحتسبين في المتابعة والرقابة علي صلاحية السلع والمواد التموينية، وكشف التالف والمغشوش من السلع، وذلك كما حدث في "سوق الأهواز" في خوزستان، عندما وصل الي الخليفة أن مجموعة من التجار تحتكر أصناف فاسدة من السلع الغذائية، فأمر الخليفة المحتسبين بمراقبة الأمر وتشديد العقوبة علي المذنبين من التجار والباعة؛ وذلك لكي يكونوا عبرة لغيرهم من أقرانهم[323].

كان على المحتسب أيضا، أن يتأكد من وفرة جميع الأصناف في الأسواق وما يتعلق بها من مستلزمات للناس، فمثال علي ذلك، يجعل المحتسب على الطحانين وظائف يرفعونها للخبازين كل يوم، وبالمثل يجعل على الخبازين وظائف يخبرونها كل يوم للطحانين وغيرهم؛ وذلك بعد قياسه لحاجة الناس والمرضي منهم، ويشجع بيع أنواع معينة من الدقيق[324]، ويقوم المحتسب بإجبارهم بذلك إذا امتنعوا عن فعله، وكان يحضر معه سجلا بالخبازين وأسمائهم وأماكن حوانيتهم وأصناف الدقيق المطلوبة وتفصيلا أخرى[325] .

وقد كانت من إحدى مهام والي الحسبة أن يراقب الأسعار، وكان يجبر البائعين بالبيع بسعر البيع المثل، ويمنع تواطؤ البائعين المشتركين في بيع ذات السعلة حفاظا على مصالح الناس، والغالب أن المحتسب قد تعامل مع مسألة التسعير حسب المكان الذي وجد فيه، وبما يلائم السعر كلا من البائع والمشتري ويحقق المصلحة العامة[326].

أما عن الجودة الصحية للأطعمة والسلع، فقد كان على المحتسب أن يتأكد من صحة المواد التموينية والمواد المستخدمة في الطعام، خاصة عند محلات الطعام العامة، كالنقاقين والخبازين

---

322. الخليفة المهدي: هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي المهدي بالله، وهو ثالث خلفاء الدولة العباسية (ت169هـ/785م)، ولي الخلافة بعد وفاة أبيه أبي جعفر المنصور عام (158هـ/ 775 م)، وكان أبوه قد أمره على طبرستان وما والاها، انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج 432/2)، (ص451).

323. انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج 351/1)، (ج365/2)؛ انظر: الكلاعي، الاكتفاء (ج 285/2)، (ص 549)، (ص631).

324. ابن الأخوة، معالم القربة (ص 109)؛ المقريزي، اتعاظ الحنفاء (ج 71/2)؛ ابن حجر، الدرر الكامنة (ج 285/4)؛ المكي، التاريخ القويم (ج 381/4)، (ص 383).

325. الشيزري، نهاية الرتبة (ص 20).

326. ابن الأخوة، معالم القربة (ص 72–73).

والقصابين، وكانت هذه الأماكن غالبا تبيع الطعام بشكل جاهز للناس ولا يتمكن الناس من التحقق من صحتها، وغالبا كانت هذه الملاحظات مدونة في كتب وسجلات الحسبة وكان المحتسب يحضرها معه[327]، وقد كانت أسواق المشرق الإسلامي في تلك الفترة تشتهر بجودة الأطعمة والأشربة فيها، مثل: سوق سمرقند الذي كان يتوافد اليه الناس من أماكن بعيد، لشراء الأطعمة والأشربة وحاجياتهم منه[328].

فقد كان من مهام المحتسب مراقبة جودة وصلاحية السلع والأطعمة والمواد التموينية[329]، حيث كان يراقب بائعي الأطعمة والأشربة، كما وكان يمنع القصابين من ذبح ذبيحتهم المريضة، وإن ذبحت يمنع بيعها وخلطها مع لحوم الذبيحة الصحيحة، وكانت تباع لوحدها وبحضور أحد معاوني المحتسب المتخصصين بفحصها وتقيم سلامتها الصحية[330]، فقد كان يمنع خلط الدابة الضعيفة مع السمينة والمريضة مع السليمة[331].

وقد كان من مهام المحتسب في أسواق سجستان، أن يجبر الخبازين والدقاقين بالابتعاد عن استخدام الشعير، واستخدام القمح بدلا منه، والتحذير بعدم الخلط بينهم وغش الناس، وكان يرسل معاوينه بالتفتيش والمتابعة الدائمة على الأماكن التي يباع ويصنع فيها الخبز[332].

كما وقد كان للمحتسب دورا هاما في المحافظة علي السلع والمواد التموينية؛ وذلك من خلال المتابعة المستمرة وتوجيه أصحاب الاختصاص بالحفاظ على النظافة في الأسواق، ولذا فقد عمل المحتسب للحفاظ على النظافة العامة في الأسواق، فالزم أصحاب كل سوق بكنس السوق وتنظيفه من الأوساخ والطين، وعدم تجميع الأوساخ بجوار السلع حتي لا تفسد[333].

رابعا: دور المحتسب الرقابي على المهن الصحية والمؤسسات الطبية التعليمية:

لقد كانت الرقابة على المؤسسات الطبية التعليمية والمهن الصحية من مهام مؤسسة الحسبة في الدولة الإسلامية، وذكر المختصون في أمر الحسبة ما ينبغي للمحتسب أن يتابعه في هذا المجال، وفيما يتعلق في مجال المهن الصحية وبالتحديد مهنة الطب، حيث كان دور المحتسب في بلاد المشرق الإسلامي على النحو التالي:

1. الرقابة على أصحاب المهن الصحية:

---

327. انظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج 12/467-468).
328. انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك (ج 6/537)، (ص558).
329. الماوردي، الأحكام السلطانية (ص 350)، الزمانان، آداب مهنة الطب (ج 3/5).
330. ابن الأخوة، معالم القربة (ج 1/122)؛ الونشريسي، المعيار المعرب (ج 1/96).
331. الشيزري، نهاية الرتبة (ص 27).
332. الشيزري، نهاية الرتبة (ص 27)؛ محمد كرْد عَلي، خطط الشام (ج 5/125).
333. انظر: ابن الأخوة، معالم القربة (ج 1/124).

لقد كانت احدى مهام المحتسب في بلاد المشرق الإسلامي، تكليف الطبيب بأن يكتب دواءه للمريض كتابةً ويحتفظ بالنسخة الورقية لأهل المريض، وإذا ساءت حالة المريض أو تُوُفِّي، كان لأهل المريض أن يرجعوا بالرُّقَع التي كُتِب عليها الدواء إلى شيخ صناعة الطب، فإن كانت على مقتضى ما يقول به العلم، كانت الوفاة قضاء وقدرًا، وإن كانت على خلاف ذلك كان لأهل المريض مطالبة الطبيب بِدِيَّة المتوفَّى؛ بسبب سوء صناعته وإهماله للمريض[334].

كان نظام امتحان الأطباء الجدد في المشرق الاسلامي، يتم تحت إشراف المحتسب، فمن وجده مقصِّرًا في علمه، أمره بزيادة الدراسة، وأوقفه عن مزاولة مهنة التطبيب لحين ثبوت أهليته بالمهنة، بعد اجتيازه لاختبار جديد[335]، ومن تثبت أهليتهم في ممارسة تخصصاتهم الطبية، يُقْسِمون القَسَم الطبي أمام المحتسب[336]، فقد كانت مهام المحتسب واسعة النطاق في الإشراف على أعمال الأطباء، والصيادلة، وأصحاب التخصصات الأخرى، في سلوكهم المهني[337].

وقد كان المحتسب يراقب ويتفقد الأدوات والمستلزمات الطبية، والأدوية التي يستعملها الأطباء والصيادلة، ويتفحص مدي ملائمة صلاحيتها للمريض[338].

كما وكانت من مهامه التصدي لمن يمارس مهنة الطب دون علم أو خبرة[339]، كما كان عليه أيضا أن يأخذ عهد أبقراط[340] على الطبيب المجاز بمهنة الطب[341]، والذي قام بشرحه وتوضيحه أبو القاسم عبد الرحمن بن علي[342] بن أحمد[343].

---

334. انظر: الشيزري، نهاية الرتبة (ص 97–98).

335. انظر: المقريزي، إمتاع الأسماع (ج 9/389–390)، (ج 10/58).

336. انظر: ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر (ج 3/194).

337. انظر: المقريزي، إمتاع الأسماع (ج 9/386)، (ص393)، (ص 395)؛ ابن الجوزي، المنتظم (ج 8/70)، (ص 194).

338. انظر: ابن تيمِيَّة، الحسبة في الإسلام (ص 97)، (ص 108).

339. انظر: المصدر السابق، ص97–99.

340. عهد أبقراط: هو قسم أبقراط، وهو نص عادة ما يقسمه الأطباء قبل مزاولتهم لمهنة الطب، و يعتبر أبقراط الملقب بأبو الطب من أعظم أطباء عصره، وهو أول مدون لكتب الطب، فقد كان طبيباً يونانياً، وصاحب فكرة هذا القسم الشهير، انظر: ابن تيمِيَّة، الحسبة في الإسلام (ص98)؛ انظر: وِل ديورَانت، قصة الحضارة (ج4/253– 254).

341. انظر: ابن تيمِيَّة، الحسبة في الإسلام (ص98)؛ عيسي، تاريخ البيمارستانات (ص55)؛ الزمانات، آداب مهنة الطب (ج3/5).

342. انظر: البيهقي، حكماء الإسلام (ص133–134).

343. عبد الرحمن بن أحمد: هو أبو القاسم عبد الرحمن بن علي بن أحمد بن أبي صادق النيسابوري، طبيب برع في العلوم الحكمية، وكثير الدراية في صناعة الطب، ويقال بأن له حرص شديد في التطلع على كتب جالينوس، وشديد الفحص عن أصولها وفروعها، وكان فصيحاً بليغ الكلام، وما فسره من كتب جالينوس فهو في نهاية

يتضح للباحث ولمن يطلع على التفاصيل التاريخية التي تتحدث عنها كتب الحسبة في مهنة الطب والمهن الأخرى، حيث ندرك مدى الرعاية والاهتمام الطبي، والرقابة المشددة التي كان يفرضها نظام الحسبة في الإسلام وكيفية تطبيقها ومتابعتها من خلال الأمراء والسلاطين والقائمين على الحكم في المشرق الإسلامي في تلك الحقبة الزمنية، ونفسر ذلك للمحافظة على مهنة الطب والمهن الأخرى، وللوقاية من أخطار الجهلة والمشعوذين.

2. الرقابة على عمل المؤسسات الطبية وتعليم الطب:

لقد أكدت كتب الحسبة علي الحرص الكبير والمتابعة الدقيقة للمحتسبين في مجال الرقابة علي المؤسسات الطبية والتعليمية في عهد الدولة الإسلامية[344]، ونذكر كمثال على ذلك، ما كتبه عبد الرحمن بن نصر الشيزري، مؤلف كتابه الشهير "نهاية الرتبة الظريفة في طلب الحسبة الشريفة"، حين شرح بعض الأمور التي ينبغي للجراحين أن يلتزمون بها، وعلى أساسها يقوم عمل المُحْتسِب في مراقبة أعمالهم[345]، حيث كان يتم تطبيق هذا النظام في بلاد المشرق الإسلامي، ومثال علي ذلك، حيث كان في بخاري الطبيب أبي يعلي حمزة بن عبد العزيز النيسابوري(ت406هـ/1015م)، والذي لقب بشيخ الأطباء في زمنه، يقوم بالعمل كمحتسب، حيث يتابع ويراقب سير العمل في المؤسسات الطبية[346].

ويري الشيزري، بأن الطبيب يجب أن يعتني عناية تامة بجراح المريض، ويحافظ علي مهارة أنامله في الجراحة وقوة بصره، ثم عليه أن يستأذن أولياء المريض إن كان قاصرًا، وضرورة أن يكون الأمر مستدعيًا للجراحة[347]، وكما يجب أن تتم الجراحة في الوقت المناسب من حيث الأجواء القائمة واستعداد جسد المريض لذلك، وتجهيزات المكان من حيث الإضاءة القوية، وكذلك الحالة النفسية للجراح، وطبيعة المشرط المستعمل في الجراحة[348]، وتوفير الأدوات التي ينبغي للطبيب إحضارها في حال الجراحة، ومعرفته الجيدة بالحالات التي يكون فيها خطر الجراحة، والحالات التي يحذر فيها إجراء الجراحة، وعليه إمساك المشرط بحيث يكون متمكنًا منه ومسيطرًا على حركته وبالدقة المطلوبة[349]، وكل هذه المهارات يكون الطبيب مسؤول عليها أمام المحتسب[350].

الجودة والإتقان، حيث أجهد نفسه في تفسير كتاب "منافع الأعضاء لجالينوس"، وأجاد في تلخيص معانيه، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء (ص 308)، (ص 461)؛ ابن فندمه، تتمة صوان الحكمة (ص 22).

344. انظر: الشيزري، نهاية الرتبة (ص 89).

345 انظر: المصدر السابق، ص 90–92.

346 انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج 13/164–165).

347 الشيزري، نهاية الرتبة (ص97–98).

348 انظر: الشيزري، نهاية الرتبة (ص 265)، (ص 293).

349. انظر: المصدر السابق، ص 345–346.

350. ابن تيمية، الحسبة في الإسلام (ص 56)، (ص97)؛ النووي، تهذيب الأسماء (ج 4/122).

ويضيف "الشيزري" قائلا: "لا يتصدى للفصد[351] إلا من اشتهرت معرفته بتشريح الأعضاء والعروق والعضلات والشرايين، وأحاط بمعرفة تركيبها وكيفيتها؛ وذلك لكي لا يقع المبضع (المشرط) في عِرْقٍ غير مقصود أو في عضلة أو شريان؛ فيؤدي إلى زمانة العضو[352] وهلاك المقصود؛ فكثيرٌ هلك من ذلك"[353].

ومن أراد تعلم الفصد فليدمن فصد ورق نبات الشلق؛ لكي تستقيم يده، وينبغي للفاصد أن يمنع نفسه من العمل في صناعة مُهِينة تُكْسِب أنامله الصلابة، ولا يتأتى معها نبش العروق؛ وأن يراعي بصره بالأكحال المقوية له، إن كان ممن يحتاج إليها، وألا يفصد عبدًا إلا بإذن مولاه، ولا صبيًّا إلا بإذن وليِّه، ولا حاملاً ولا طامثًا (امرأة في وقت الحيض)، وألا يفصد إلا في مكان مضيء وبآلة ماضية) مشرط حاد)، وألا يفصد وهو منزعج الجنان (مضطرب أو غاضب)[354].

وقد كانت من مهام المحتسب في بلاد المشرق الإسلامي أيضا، أن يأخذ العهد والميثاق علي الأطباء بألا يفصدوا في عشرة أمزجة (حالات)، ويحذروا فيها حذرًا شديدا، ولا يكون ذلك إلا بعد مشاورة الأطباء بعضهم البعض، والأمزجة العشر هي كالتالي: في السن القاصر عن الرابع عشر، وفي سن الشيخوخة، وفي الأبدان الشديدة القضافة (الأجساد النحيفة)، وفي الأبدان الشديدة السمنة، وفي الأبدان المتخلخلة، وفي الأبدان البيض المُرَهلة، وفي الأبدان الصُفْر العديمة الدم (المصابة بفقر الدم)، وفي الأبدان التي طالت بها الأمراض، وفي المزاج الشديد البرد، وعند الوجع الشديد، فهذه الأحوال العشر يجب أن تكشف للفاصد عند وجودها، ويكون حذرا منها قبل اجراء الفصد[355].

ونتيجة لشدة الرقابة والمتابعة في بلاد المشرق الإسلامي علي المؤسسات الطبية والعاملين فيها، فقد منع الأطباء بعضهم البعض، من إجراء الفصد في عدة حالات، والتي مضرتها كانت دون مضرة العشرة حالات السابق ذكرها؛ كالفصد بعد الجماع، وبعد الاستحمام، وفي حالة امتلاء المعدة والأمعاء من الطعام، وفي حالة شدة البرد والحر؛ فهذه أحوال يتوقى الأطباء أنفسهم الفصد فيها، خشية علي صحة المريض، وتعرضهم للمسائلة[356].

---

351. الفصد: هو شق العرق وإخراج الدم الفاسد من أحد أجزاء الجسم عن طريق إحداث شق في وريد رئيسي من الجسم، ويستخدم الفصد في الحالات المرضية مثل، زيادة كرات الدم الحمراء، وفي حالات هبوط القلب الشديد، سالم، شرح بلوغ المرام (ج8/25)؛ الشحود، المفصل (ج25/16).

352. زمانة العضو: وهو المرض الذي يصيب العضو ويطول فيه، ومنه أخذ تعبير المرض المزمن، انظر: ابن خلدون، ديوان المبتدأ (ص522–523)؛ أبو بكر الرازي، الحاوي في الطب (ج 427/7).

353. الشيزري، نهاية الرتبة (ص 81)، (ص 89)؛ ابن الأخوة، معالم القربة (ص 159)، (ص 205).

354. الشيزري، نهاية الرتبة (ص 81)، (ص 89).

355. ابن الأخوة، معالم القربة (ص 160)، (ص 205).

356. انظر: الشيزري، نهاية الرتبة (ص 82)؛ المقريزي، إمتاع الأسماع (ج 377/2)؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء (ج 101/1)؛ القفطي، إخبار العلماء (ص 138).

وقد كان معلوم أن الفصد له وقتان، وقت اختياري ووقت اضطراري، فأما الوقت الاختياري، فهو ضحوة النهار بعد تمام الهضم، وأما الوقت الاضطراري، فيأتي في الوقت الذي لا يتسع تأخيره، ولا يلتفت فيه إلى سبب مانع[357]، وكان ينبغي للمفتصد ألا يمتلئ من الطعام بعد الفصد، بل يتدرج في الغذاء بل يميل إلى الاستلقاء، وكان يحذر من النوم بعد الفصد؛ فإنه يحدث انكسارا في الأعضاء، ومن افتصد وتورمت عليه اليد افتصد في اليد الأخرى، بمقدار الاحتمال لذلك[358] .

فقد كان ينبغي أن يكون مع الفاصد مباضع كثيرة، من ذوات الشعيرة وغيرها (مختلفة الأحجام والمقاسات)، وأن يكون معه كبة من حرير، أو شيء من آلة القيء، من خشب أو ريش، وينبغي أن يكون معه وبر الأرنب، ودواء الصبر والكندر الذي كان يؤخذ من الكندر والصبر المر، من كل واحد جزء، ومن القلقطار والزاج[359] من كل واحد نصف جزء.

ويجمع الجميع ويعمل بهم كالمرهم؛ ويرفعه عنده لوقت الحاجة إليه، وينبغي عليه الا ينسي أخذ شيء مما تم ذكره؛ لان الرقابة والمتابعة من المحتسب كانت شديدة عليهم وعلي المؤسسات الطبية التي يعملون بها[360]، ولا يضرب الفاصد بمبضع كال (غير حاد)، فإن في ذلك مضرة كبيرة علي المريض؛ لأنه يخطئ فلا يلحق العِرْق، فيورم ويوجع، وليمسح رأس مِبْضَعِه (مشرطه) بالزيت، فإنه لا يوجع عند البضع، غير أنه لا يلتحم سريعًا[361]، وإذا أخذ المبضع فليأخذه بالإبهام والوسطى، ويترك السبابة للجَسّ، ويكون الأخذ على نصف المبضع، ولا يكون فوق ذلك، فيكون التمكن منه مضطربًا، ولا يدفع المبضع باليد غمزًا، بل يدفع بالاختلاس، ليوصل طرف المبضع حشو العروق[362]، ومتى تغير لون الدم، أو حدث غشي (إغماء) وضعف في النبض، فليبادر الفاصد إلى شد العِرْق ومسكه"[363].

ومضى الشيزري في شرح أنواع العروق وطريقة العمل في كل منها، والضوابط الموضوعة علي هذا العمل من قبل مؤسسة الحسبة، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى كتاب " نهاية الرتبة الظريفة في طلب الحسبة الشريفة "، وكما كان القصد أيضا، بيان الدرجة التي وصل إليها أمر متابعة

---

357. انظر: الشيزري، نهاية الرتبة (ص 83)، (ص 170).
358. أبو بكر الرازي، الحاوي في الطب (ج 39/1)، القاضي، عبد الجبار (ج 626/2).
359. الزاج: هو الاسم التاريخي العربي الذي كان يطلق على أملاح الكبريتات، وهي أملاح حمض الكبريتيك، وكانت أملاح الزاج المختلفة معروفة عند العلماء العرب والكيميائيون ويستخدمونها في تجاربهم، وكانوا يميزونها حسب الألوان، وكان منها، الزاج الأبيض وهو سلفات الزنك، والزاج الأحمر هو القلقطار (اكسيد الحديد الاحمر الخام)، والزاج الأخضر هو سلفات الحديد، ومنه أيضا الزاج الأزرق وهو سلفات النحاس، انظر: موقع القاموس الطبي الإلكتروني، رابط http: //www.altibbi.com/.
360. انظر: ابن الجوزي، المنتظم (ج 17/12)؛ العمري، مسالك (ج 245/24).
361. انظر: الشيزري، نهاية الرتبة (ص 84)، (ص 91)؛ ابن الأخوة، معالم القربة (ص 161)، (ص 207).
362. ابن الأخوة، معالم القربة (ص 161)، (ص 207).
363. انظر: الشيزري، نهاية الرتبة (ص 89–92).

الطب والمؤسسات الطبية في بلاد المشرق الإسلامي، وكيف كانت الرقابة من قبل مؤسسة الحسبة في الدولة الإسلامية على العمل الطبي ومؤسسات تعليم الطب في تلك الفترة[364] .

لقد كانت البيمارستانات من أهم المؤسسات التعليمية والأماكن التي يدرس فيها الطب في بلاد المشرق الإسلامي؛ ولم يكن القانون يجيز لأي إنسان أن يمارس هذه الصناعة، إلا إذا تقدم إلى امتحان يُعد لهذا الغرض، وينال إجازة من الدولة بذلك[365]، وكانت الدولة تكلف المحتسبين بالمراقبة والمتابعة واختبار الطلبة المتقدمين في تخصص الطب والتخصصات الأخرى[366].

لقد كان للمحتسب في عصر الدولة الإسلامية حق الرقابة والإشراف الصحي علي سائر المؤسسات الطبية والتعليمية؛ وذلك لأنه مفوض وله حق تفقد أحوال البيمارستانات والمؤسسات الطبية والإشراف علي نظافتها وسير العمل فيها، والضرب علي أيدي المخالفين والمقصرين في تأدية واجباتهم، سواء كانوا من الأطباء أو العاملين في المجال الطبي[367].

ومن أمثلة الرقابة والمتابعة لسير العمل والتدريب في البيمارستانات، كالبيمارستان الذي أنشأه أبو سعد عبد الملك بن أبي عثمان الخركوشي (ت406هـ/1015م) في نيسابور، حيث كان المحتسب يأمر بعض الأطباء أصحاب الكفاءات العلمية الرفيعة، من أقصي نيسابور، لتدريب طلبة الطب فيه[368]. وعلى ما يبدو أن أهل نيسابور قد عرفوا تنظيم البيمارستانات منذ فترة مبكرة؛ لذلك يستعين المحتسبين بأطبائهم وخبراتهم العلمية، للعمل وتدريب طلبة الطب في أنحاء متفرقة من بلاد المشرق الإسلامي[369].

كما وقد كان المحتسب في المشرق الإسلامي يشرف علي المدارس، والبيمارستانات التعليمية، والخانقاوات، والعديد من المؤسسات الطبية والتعليمية بمختلف مسمياتها، وكان مفوض من أعلي هرم للسلطة في الدولة؛ وذلك حرصا علي سير الخدمات الصحية والتعليمية للمترددين علي المؤسسات التعليمية والطبية بأفضل السبل، وللطلبة والمدرسين أو القائمين علي الخدمة في هذه المؤسسات، فكان يعين لكل مدرسة طبيب مجبر، وكحال، وطبائعي، بالإضافة الي توفير ما يحتاجونه من الأدوية والمستلزمات الطبية، وكل ذلك كان يوضع بخزانة في مكان مكوثهم[370].

كما ويذكر بأن دور العلم والمدارس الطبية التعليمية في المشرق الإسلامي، لم تكن تفي بالغرض المطلوب؛ لأن الطب من العلوم التجريبية و كان لا بد من دراسته العملية؛ ولذلك ظلت

---

364. انظر: المصدر السابق، ص 90–99.
365. وِل ديورَانت، قصة الحضارة (ج 190/13).
366. انظر: الزمانان، آداب مهنة الطب (ج 55/3)، (ص107).
367. انظر: ابن تيميَّة، الحسبة في الإسلام (ص 56)، (ص 107).
368. انظر: السمعاني، الأنساب (ج 351/2)؛ ياقوت، معجم البلدان (ج 360/2–361).
369. انظر: المقدسي، أحسن التقاسيم (ص 300).
370. انظر: الشيزري، نهاية الرتبة (ص 334)، (ص 388).

البيمارستانات هي كليات الطب المفضلة لتدريس المقررات للطالب[371]، وكانت مكان تتوافر فيه الحالات المرضية ويتم فيها طرق العلاج والتدريب، وأيضا يكون التدريس من خلالها، ويأتي اليها الطلاب من مناطق وبلدان بعيدة، حيث كان يسافر الأطباء من بلاد المشرق الإسلامي الي البلدان المجاورة، كمصر، والعراق، والشام؛ وذلك لتعلم وتعليم الطب بهذه المدارس[372].

حيث كان للمحتسب في تلك الفترة في بلاد المشرق الإسلامي، دورا مهما في الرقابة والمتابعة علي جميع المؤسسات الطبية والأعمال والنشاطات التي يقوم بها الأطباء في تطبيب مرضاهم وتعليم طلبتهم من طلبة الطب[373]، وكان يقوم بالمتابعة والإرشاد ورفع التقارير اللازمة لجهات الاختصاص التي كان من شأنها تصويب أي خطا متداول ولم يصوب بعد، أو رفع بعض التقارير الدورية عن سير العمل في مجال التعليم والتطبيب في تلك المؤسسات[374].

يرى الباحث ومن خلال ما سبق ذكره، بأن عمل مؤسسة الحسبة ووظائفها الرقابية وعلي رأسها المحتسبين في بلاد المشرق الإسلامي بشكل خاص، والدولة الإسلامية بشكل عام في تلك المرحلة المزدهرة من تاريخ الحضارة الإسلامية، كانت من أهم المؤسسات التي تلقي دعما من الجهات الرسمية في الدولة وعلي رأسهم الأمراء والسلاطين؛ وذلك لما لها من أهمية ودلالات انسانية واضحة في المجتمع، كما يتبين لنا الاهتمام الشديد بصحية وحياة الناس، فقد حث علي ذلك ديننا الحنيف.

خاتمة:

لقد توصلت الدراسة الي عدة نتائج، وأهمها كالتالي:

- ظهرت عدد من الأمراض والأوبئة في مناطق المشرق الإسلامي، في نهاية العصر الراشدي وبداية العصر الأموي؛ وذلك لكثرة الحروب فترة فتح الأمصار وانتشار الإسلام فيها؛ مما نتج عن ذلك كثرة الموت وتعفن الجثث وتحللها، ونقل بعض الأمراض والأوبئة، اضافة الي عدم الوعي الصحي الكافي عند الناس في تلك الفترة.
- أسس عدد من المدارس ودور العلم، والمراكز والمؤسسات الطبية في بلاد المشرق الإسلامي، منذ عصر الخلفاء الراشدين، وتطورت في العصر الأموي، وازادت تطورا وازدهارا في ربوع العصر العباسي؛ وذلك لتعليم مهنة الطب والعلوم الأخرى.

---

371. انظر: الدينوري، المعارف (ص 33).
372. انظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء (ص 26)، (ص 221)، (ص 236).
373. الزمانات، آداب مهنة الطب (ج 5/3).
374. انظر: المقريزي، إمتاع الأسماع (ج 386/9–389)؛ انظر: ابن الجوزي، المنتظم (ج 316/12–317).

- بناء عدد كبير من المؤسسات والمراكز الطبية ودور العلم، ووجود أعداد كبيرة من الأطباء المهرة والمشهود لهم بالكفاءة العلمية والعملية في تلك المرحلة، يدلل على اهتمام القائمين على الحكم في الدولة الإسلامية بالأحوال الطبية والصحية في بلاد المشرق الإسلامي.

- يتضح جليا مدي الدور الكبير والفعال والصلاحيات المطلقة للمحتسبين في المشرق الإسلامي، حيث ظهر ذلك جليا في العصر العباسي، ويرجع ذلك الي الدعم والإشراف المباشرين من قبل السلاطين والأمراء في تلك الفترة، لمؤسسة الحسبة والمحتسبين.

- اهتمام الأمراء والسلاطين بالأطباء والعلماء وذويهم في بلاد المشرق الإسلامي، وما يدلل علي ذلك دعمهم وذويهم ماديا ومعنويا وتعينهم في مراكز هامة في الدولة الإسلامية، بالإضافة الي احترامهم وتوقيرهم بين الناس، كالمشي في جنازاتهم وزيارة ذويهم حين سفرهم.

المصادر والمراجع:

- ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري. (1210م). جامع الأصول في أحاديث الرسول. تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط وبشير عيون. ط1. لبنان. الناشر: مكتبة الحلواني ومطبعة الملاح ومكتبة دار البيان.

- ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين أبو العباس. (1882م). عيون الأنباء في طبقات الأطباء. تحقيق: الدكتور نزار رضا. بيروت. الناشر: دار مكتبة الحياة.

- ابن الأخوة، محمد بن محمد بن أحمد بن أبي زيد بن الأخوة، القرشي، ضياء الدين. معالم القربة في طلب الحسبة، الناشر: دار الفنون كمبردج.

- الإصطخري، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري، الكرخي. المسالك والممالك، مصر: الهيئة العامة لقصور الثقافة.

- البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي. (د.ت). الجماهر في معرفة الجواهر.

- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي. (2004م). الحسبة لشيخ الإسلام ابن تيمية. تحقيق: علي بن نايف الشحود. ط2. (د. ن).

- الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (1418هـ). الجواهر الحسان في تفسير القرآن. تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

- الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن. (د. ت). تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار. بيروت: دار الجيل بيروت.

- جرديزي، أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك بن محمود. (2006م). زين الأخبار، (ترجمة عفاف السيد زيدان). القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن الكناني الشافعي بن حجر العسقلاني. (1969م). إنباء الغمر بأبناء العمر. تحقيق: د حسن حبشي. مصر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ولجنة إحياء التراث الإسلامي.

- ابن حجر الهيتمي، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس. (2008م). الإعلام بقواطع الإسلام من قول أو فعل أو نية أو تعليق مكفر. تحقيق: محمد عواد العواد. ط1. سوريا: دار التقوى.

- الحميدي، أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله القرشي الأسدي الحميدي المكي. (1996م). مسند الحميدي. تحقيق: حسن سليم أسد الداراني. ط1. دمشق: دار السقا.

- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي. (1992م). المنتظم في تاريخ الأمم والملوك. تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن خلدون أبو زيد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي. (1988م). ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. تحقيق: خليل شحادة. ط2. بيروت: دار الفكر.

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن خلدون أبو زيد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي. (د. ت). تاريخ ابن خلدون. تحقيق: سهيل زكار (د. ط).

- الذهبي، شمس الدين أبوعبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي. (1993م). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. تحقيق: عمر عبد السلام التدمري. ط2. بيروت: دار الكتاب العربي.

- الذهبي، شمس الدين أبوعبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي. (د. ت). سير أعلام النبلاء. تحقيق: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط. (د. م): مؤسسة الرسالة.

- الرازي، أبو بكر، محمد بن زكريا الرازي. (2002م). الحاوي في الطب. تحقيق: هيثم خليفة طعيمي. ط1. (د. ط). بيروت: دار احياء التراث العربي.

- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي. (2002م). الأعلام. ط15. لبنان: دار العلم للملايين.

- السامرائي، خليل إبراهيم. (2000م). تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس. ط1. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.

- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي. (2004م). تاريخ الخلفاء. تحقيق: حمدي الدمرداش. ط1. (د. م): مكتبة نزار مصطفى الباز.

- السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد. (1996م). المنتخب من معجم شيوخ السمعاني. تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر. ط 1. الرياض: دار عالم الكتب.

- الشيزري، عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله، أبو النجيب جلال الدين العدوي الشيزري الشافعي. (د. ت). نهاية الرتبة الظريفة في طلب الحسبة الشريفة. (د. ط). القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

- الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي. (2004م). مسند الإمام الشافعي. تحقيق: ماهر ياسين فحل. ط1. الكويت: شركة غراس للنشر والتوزيع.

- الصَّلاَّبي، علي محمد محمد. (2008م). صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس. ط1. بيروت: دار المعرفة.

- الصَّلاَّبي، علي محمد محمد. (2007م). القائد المجاهد نور الدين محمود زنكي شخصيته وعصره. ط1. القاهرة: مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة.

- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني. (د.ت). المعجم الكبير. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. ط: 2. القاهرة: مكتبة ابن تيمية.

- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري. (1387هـ). تاريخ الرسل والملوك. ط2. بيروت: دار التراث.

- عباس، إحسان. (1988م). شذرات من كتب مفقودة في التاريخ. تحقيق: إحسان عباس. ط3، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

- عبد اللطيف، عبد الشافي محمد. (1428هـ). السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي. ط1. القاهرة: دار السلام.

- عبد الجبار، صهيب. (2014م). الجامع الصحيح للسنن والمسانيد. (د.ط). (د. م).

- عيسى، أحمد. (1981م). تاريخ البيمارستانات في الإسلام. ط2. بيروت: دار الرائد العربي.

- ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي. (1986م). قَانون التَّأويْل. تحقيق: محمّد السّليماني. ط1. جدة: دار القبلة للثقافة الإسلاميَّة.

- ابن العمرانى، محمد بن على بن محمد المعروف بابن العمرانى. (2001م). الإنباء في تاريخ الخلفاء. تحقيق: قاسم السامرائى. ط1. القاهرة: دار الآفاق العربية.

- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر. (1995). تاريخ دمشق. تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي. (د. ط). (د.م): دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

- عبد الوهاب، سليمان بن عبد الله بن محمد. (2002م). تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد. تحقيق: زهير الشاويش. ط1. بيروت: المكتب الإسلامي.

- ابن فضل الله العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين. (1423هـ). مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. ط1. أبو ظبي: المجمع الثقافي.

- ابن الفَقيه، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني المعروف بابن الفقيه. (1996م). البلدان. تحقيق: يوسف الهادي. ط1. بيروت: عالم الكتب.

- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد أبو الفداء، صاحب حماة. (د. ت). المختصر في أخبار البشر. ط1. (د. م): المطبعة الحسينية المصرية.

- القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني القفطي. (2005م). إخبار العلماء بأخبار الحكماء. تحقيق: إبراهيم شمس الدين. (د.ط). بيروت: دار الكتب العلمية.

- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين. (1971م). تحفة المودود بأحكام المولود. تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط. ط1. دمشق: مكتبة دار البيان.

- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين. (د.ت). بدائع الفوائد. (د.ط). بيروت: دار الكتاب العربي.

- القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي القاهري. (د. ت). صبح الأعشى في صناعة الإنشاء. (د. ط). بيروت: دار الكتب العلمية.

- ابن كثير القرشي، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي، أبو الفداء عماد الدين. (1988م). البداية والنهاية. تحقيق: علي شيري. ط1. (د. م): دار إحياء التراث العربي.

- كُرْد عَلي، محمد بن عبد الرزاق بن محمَّد. (1983م). خطط الشام. دمشق. ط3. (د. م): مكتبة النوري.

- المقدسي، أبو شامة. (1980م). أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. تحقيق: غازي طليمات. (د.ط). دمشق: وزارة الثقافة والارشاد القومي.

- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي. (د. ت). الأحكام السلطانية. (د. م). القاهرة: دار الحديث.

- المزي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي. (1980م). تهذيب الكمال في أسماء الرجال. تحقيق: د. بشار عواد معروف. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة.

- النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري. (د. ت). المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (د. ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي. (1994م). تهذيب الأسماء واللغات. بيروت: دار الكتب العلمية.

- الونشريسي، أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي. (1422هـ). إسناد صحيح البخاري. تحقيق: أبو عبد الله مشعل بن باني الجبرين المطيري. ط1. (د.م): دار ابن حزم.

- وِل ديورَانت، ويليام جيمس ديورَانت. (1988م). قصة الحضارة، (ترجمة زكي نجيب محمُود وآخرين). بيروت: دار الجيل.

- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي. (1995م). معجم البلدان. ط2. بيروت: دار صادر.

- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي. (1993م). معجم الأدباء. تحقيق: إحسان عباس. ط1. (د. م): دار الغرب الإسلامي.

أسباب وانعكاسات هجرة الشباب الفلسطيني للخارج خلال الفترة (2000–2022م).

د. ياسر محمد علي لوز / أ. أسماء محمد حسونة

البريد الإلكتروني: **Loz_18@hotmail.com**

1444هـ–2023م.

الملخص:

هدفت الدراسة إلى التعرف على أسباب وانعكاسات هجرة الشباب الفلسطيني للخارج خلال الفترة (2000–2022م)، وتناولت الدراسة أربعة محاور، جاء المحور الأول بعنوان: الأسباب التي تدفع الشباب الفلسطيني للهجرة، ثم تناول المحور الثاني: بعض النماذج الإبداعية للشباب الفلسطيني بالخارج خلال الفترة 2000–2022م، ثم تطرق المحور الثالث إلى الانعكاسات المترتبة على استمرار ظاهرة هجرة الشباب للخارج، وأخيرا قدم المحور الرابع: بعض الآليات والمقترحات لمواجهة ظاهرة هجرة الشباب. واستخدم الباحثان المنهج التاريخي والوصفي التحليلي، واعتمد الباحثان في جمع البيانات على التقارير والإحصاءات الرسمية، وتوصلت الدراسة إلى العديد من النتائج كان أهمها أن المستفيد الأكبر من استمرار هجرات الشباب الفلسطيني هو الاحتلال الصهيوني الذي يسعى بكل الوسائل إلى تحقيق تفوق ديمغرافي على أرض فلسطين لتحقيق أهدافه الاستعمارية.

:Abstract

The study aimed to identify the causes and repercussions of the emigration of Palestinian youth abroad during the period (2000-2022), and the study dealt with four axes. 2022 AD, then the third axis dealt with the repercussions of the continuation of the phenomenon of youth emigration abroad, and finally the fourth axis presented: some mechanisms and proposals to confront the phenomenon of youth emigration, The study reached many results, the most important of which was that the biggest beneficiary of the continued immigration of Palestinian youth is the Zionist occupation, which seeks by all means to achieve demographic supremacy on the land of Palestine to achieve its colonial goals

مقدمة:

هناك العديد من التحديات والعقبات التي تعيق الشباب الفلسطيني، التي تتمثل في ضغوطات الاحتلال الصهيوني من حصار ومضايقات مالية خاصة بعد انتفاضة الأقصى عام 2000م، ومعضلة الانقسام الفلسطيني وما ترتب عليها من فقدان الشباب لحقهم في المشاركة السياسية وعدم التداول السلمي للسلطة، وتفشي ظاهرة البطالة بين الخريجين؛ مما أدى إلى انتشار الفقر، وعلينا كباحثين تحديد الأسباب والانعكاسات، التي تقف وراء هجرة الشباب الفلسطيني، ومن ثم تقديم الحلول والمقترحات لصناع القرار للحفاظ على رأس المال البشري.

ويقع على الحكومات دَور كبير في رعاية الشباب؛ مثل: التعرف إلى الموهوبين منذ الصغر، وإعدادهم، وصقل موهبتهم، وإمدادهم بالخبرات والتجارب، وأوجه النشاط المختلفة، وإعداد برامج خاصة لهم تساعد على نمو ميولهم ومهاراتهم المختلفة للارتقاء بهم وتطويرهم، وعليها أيضا تسخير كل إمكانياتها وقدراتها ووضع الخطط الاستراتيجية لمواكبة عصر الثورة التكنولوجية والعولمة الاقتصادية، الأمر الذي يُتِيح الفرصة لإعداد شباب مثقف واعٍ لديه مواهب مختلفة يستطيع المشاركة في مجتمعه ويرفض الهجرة إلى الخارج، ولدى الشباب الفلسطيني طاقات إبداعية كامنة تحتاج إلى صقلها؛ مما يتطلب وضع تشريعات مناسبة، واعتماد استراتيجيات وطنية من أجل الإسهام في عملية التنمية المستدامة الشاملة.

القيادة الناجحة هي التي تضع الاستراتيجيات والحلول لمعالجة مشكلة البطالة المتفاقمة، وإيقاف نزيف هجرة الشباب للخارج، وتستوعب الشباب في مؤسساتها وتقدم لهم التدريب لتطوير قدراتهم، ثم دمجهم في الحياة السياسية والاجتماعية؛ مما يترتب عليه تطوير مختلف القطاعات الحكومية والخاصة، وظهور قادة متميّزين، لذلك يجب ترسيخ دور الشباب واستثمار طاقاتهم الإبداعية لصنع مستقبل متميز يحلم به جميع أبناء الوطن.

مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة الدراسة في رصد تفشي ظاهرة الهجرة لدى الشباب الفلسطيني؛ مما يتطلب تقييم الوضع الراهن للشباب الفلسطيني وخصوصا في قطاع غزة، لتحديد الأسباب التي تدفع الشباب للهجرة ومن ثم التعرف على الانعكاسات المترتبة على تزايد أعداد الهجرة من فئة الشباب، وينبثق عن هذه المشكلة سؤال رئيس وهو: ما أسباب وانعكاسات هجرة الشباب الفلسطيني للخارج خلال الفترة (2000–2022م).

وتتفرع عن هذا السؤال عدة أسئلة فرعية:

1- ما الأسباب التي تدفع الشباب الفلسطيني للهجرة الخارجية؟

2- ما أهم العقبات التي تقف عائقا أمام تحقيق فرص الشباب الفلسطيني في وطنهم؟

3- ما دور الحكومة الفلسطينية في تقليص الهجرة؟

4- هل هناك نماذج إبداعية للشباب الفلسطيني بالخارج خلال الفترة 2000-2022م؟

5- ما الانعكاسات المترتبة على استمرار ظاهرة هجرة الشباب في الخارج؟

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية الدراسة من أهمية الموضوع الذي تتناوله؛ وهو "أسباب وانعكاسات هجرة الشباب الفلسطيني خلال الفترة (2000-2022م)"، ويساعد البحث صناع القرار في تحديد الأسباب الكامنة وراء هجرة الشباب الفلسطيني، لمعالجتها واستثمار رأس المال البشري.

أهداف الدراسة:

1- تحديد أهم العقبات التي تقف عائقا أمام الشباب وتدفعهم للهجرة.

2- التعرف إلى دور الحكومة الفلسطينية في استيعاب الشباب ودمجهم بالمجتمع ومحاربة ظاهرة الهجرة في الخارج.

3- صور لأبرز النماذج الإبداعية للشباب الفلسطيني للخارج خلال الفترة 2000-2022م.

4- تحديد أهم الانعكاسات المترتبة على استمرار ظاهرة هجرة الشباب إلى الخارج.

منهجية الدراسة:

1-المنهج التاريخي: استخدم الباحثان المنهج التاريخي في الدراسة؛ لتتبع التطور التاريخي لهجرة للشباب الفلسطيني.

2-المنهج الوصفي التحليلي: استخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي لاختبار مدى ملاءمة ومناسبة هذا المنهج لطبيعة الدراسة، كونه يساهم في فهم موضوع الدراسة، ويصف الظاهرة ويحاول أن يضع تفسيرات مناسبة لها من أجل الوصول إلى الأهداف المرجوة، وتمثل المنهج في وصف وتحليل أسباب ودوافع هجرة الشباب إلى الخارج.

-3المنهج الاستشرافي: والذي من خلاله يستشرف الباحثان دور الشباب، ويقدم بعض المقترحات والتوصيات لصناع القرار لدمج الشباب بالمجتمع والحفاظ على رأس المال البشري.

حدود الدراسة:

1-الحد المكاني: فلسطين.

2-الحد الزماني: تتناول الدراسة الفترة الممتدة ما بين الأعوام 2000 -2022م حيث لوحظ تزايد هجرة الشباب الفلسطيني وخصوصا من قطاع غزة.

المحور الأول: الأسباب التي تدفع الشباب الفلسطيني للهجرة

تمثل الهجرة إحدى أهم القضايا التي نالت اهتماما وطنيا ودوليا في وقتنا الحاضر خاصة في ظل التوجه العالمي نحو العولمة الاقتصادية، وتعتبر ظاهرة الهجرة من الظواهر الديموغرافية والاجتماعية الأساسية التي تؤثر في تحديد تغيير حجم السكان وتشكيل تركيبته النوعية والعمرية في آن واحد، كما أن لها آثارها الاجتماعية والاقتصادية والصحية والسياسية وكذلك الثقافية.

بدأت ظاهرة الهجرة من المجتمع الفلسطيني إلى الخارج بالتفاقم مع اندلاع انتفاضة الأقصى في العام 2000م، وقد شملت شرائح مختلفة من المواطنين؛ بعضهم هاجر للبحث عن عمل، وبعضهم هروبا من الواقع المأساوي الذي سببه الاحتلال الصهيوني.

أولًا–مفهوم الهجرة:

يشمل مفهوم الهجرة مفردات متعددة منها: هجرة الكفاءات، هجرة الأدمغة ونزيف الأدمغة (Brain Dram)، وهجرة العقول، هجرة الشباب. وقد تعددت تعريفات مفهوم الهجرة، ومنها:

– مفهوم الهجرة لغويا: انتقال الإنسان من حال إلى حال أو ترك الأرض إلى أرض أخرى، وتعني الهجرة الانتقالية عامة، أي الانتقال من منطقة إلى منطقة أخرى بقصد الإقامة القائمة أو المؤقتة (الرازي، 1984: 790).

– تعريف الأمم المتحدة للهجرة: هي انتقال الشخص أو الأسرة كاملة من تجمع سكاني إلى آخر، أو من دولة إلى أخرى، أي بشرط أن يجتاز الفرد حدود هذا التجمع أو الدولة، وأقام أو ينوى الإقامة في مكان الوصول سنة أو أكثر حتى لو تخللتها فترات زيارة بسيطة إلى مكان آخر (UN.International 2010: 1–74).

– ويتبنى البعض مصطلح هجرة الكفاءات، وهو: يعبر ببساطة عن الانتقال الإداري أو القسري لذوي الشهادات العلمية العالية والخبرات الفنية من دولة إلى أخرى، سواء درسوا في وطنهم أو خارجه، بحيث يحقق لهم استقرارهم في الخارج بشكل دائم الاندماج في البيئة الاجتماعية والعلمية والاقتصادية لمجتمع المهجر (عفارة، 2005: 23).

– فيما يستخدم البعض مصطلح هجرة الأدمغة، وهو: تحول عالمي للموارد البشرية بكل رأسمال بشري ويطال إجمالا هجرة ذوي الكفاءات العالية من المتعلمين من الدول النامية إلى الدول المتقدمة، ويشمل هؤلاء إجمالا وليس حصرا المهندسين والأطباء والعلماء وغيرهم من أصحاب الكفاءات العالية والشهادات الجامعية (Docquier and Rapoprt, 2006: 2).

– إن أول تعريف للمهاجرين الدوليين كان عام 1932م في المؤتمر الدولي الإحصائي للهجرة الذي انعقد في جنيف، حيث تم فيه تعريف الهجرة الدولية كالآتي: إن الهجرة الدولية هي عبارة عن كل هجرة تحدث من دولة إلى أخرى خلال فترة زمنية محددة، باستثناء حركة السياح؛

وفي عام 1953م أوصت الأمم المتحدة من أجل تحسين الإحصاءات الخاصة بالمهاجرين بضرورة التفرقة بين المهاجر الدائم والمهاجر المؤقت، وذلك على أساس مدة الإقامة، فتم بناء على ذلك تعريف المهاجر المؤقت على أنه: الشخص غير المقيم، والذي ينوي ممارسة العمل لمدة عام أو أقل في وظيفة ما داخل القطر الذي يصل إليه، وبناء على هذا التعريف تعد الهجرة مؤقتة إذا كانت فترة التحرك حدثت في فترة لا تتعدى العام، وإذا حدث أن زادت مدة الهجرة على العام، فإنها تعد هجرة دائمة– مع استبعاد حركة السياح (منظمة العمل العربية، 2002: 49).

ثانيا–حجم ظاهرة الهجرة الخارجية في فلسطين:

يعتبر شح البيانات حول الهجرة وصعوبة تقدير حجمها والتعرف بدقة إلى خصائصها من أبرز التحديات التي تواجه الباحثين بقطاع الهجرة، ويعود النقص إلى عدة عوامل، منها صعوبة حصر ظاهرة لها علاقة بعدة دول في الوقت نفسه، باعتبار أن حصر المهاجرين يستوجب معرفة أعدادهم في دول العالم كافة، وكون التعقيدات العامة للسكان والمسوح بها وطنيا لا تسمح إلا بمعرفة المقيمين أو من لهم علاقة أسرية بالمقيمين في أحسن الأحوال، بالإضافة إلى صعوبات تعود إلى ضعف تبادل المعلومات على الصعيد الدولي فيما يخص حجم الهجرة وخصائصها، علاوة على الأسباب الإدارية والسياسية وما تتضمنه من هجرة غير مسجلة قانونية (فوجو، 2012: 13).

بينت نتائج مسح الهجرة أن 6.7% من الأسر الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة لديها مهاجر واحد على الأقل، وقدر الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني معدل المهاجرين السنوي خلال السنوات 2005–2009م بـ 6.570 مهاجرا، وبلغ أدنى مستوى خلال هذا السنوات عام 2006م حيث قدر عددهم بـ 5.205 مهاجرا، وأعلى مستوى عام 2008م حيث قدر عددهم بـ 7.390 مهاجرا، معظمهم من الذكور بنسبة بلغت نحو 71% مقابل نحو 29% للإناث (الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2011: 58).

ويقيم أكثر من نصف هؤلاء المهاجرين في الدول العربية 52.5%، خاصة الأردن 23.5%، والخليج العربي 20.4%، وبقية الدول العربية 8.1%، وهاجرت نسبة كبيرة منهم إلى الولايات المتحدة الأمريكية 21.6%، وباقي الدول الأجنبية 26.0%، ما يؤكد أن نسبة كبيرة منهم هجرتها مؤقتة، خاصة المهاجرين إلى دول الخليج العربي التي اتخذت فيها بعض الدول إجراءات تحد من بقاء المهاجر فيها لفترات طويلة، كما أن هؤلاء في معظمهم من ذوي التحصيل العلمي المرتفع، ويراكمون خبراتهم أثناء عملهم في دول الخليج، وهذا يجعل منهم فئة ذات أولوية في تنظيم هجرتها وفي التواصل معها (الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2011: 60).

وأظهرت نتائج المسح الشبابي عام 2015م، أن حوالي 24% من الشباب 15–29 سنة في فلسطين لديهم رغبة للهجرة إلى الخارج، ويبدو أن للأوضاع السائدة في قطاع غزة دورا في زيادة

الرغبة في الهجرة، إذ بلغت نسبة الشباب الذين يرغبون في الهجرة للخارج في قطاع غزة 37% مقابل 15% في الضفة الغربية، كما يلاحظ أن الذكور الشباب أكثر ميلا للتفكير في الهجرة مقارنة بالإناث، إذ بلغت هذه النسبة لدى الذكور 29% مقابل 18% لدى الإناث الشابات (الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2015: 64).

وعشية اليوم العالمي للشباب في 12 آب/أغسطس 2016م، أصدر الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني تقريرا أظهر فيه أن 30% من السكان هم من فئة الشباب، غير أن 63% منهم يرغبون في الهجرة المؤقتة إلى الخارج؛ نظرا للواقع الصعب الذي يعيشونه، فيما كشفت إحصائية أخرى للعام 2016م أن اثنين من كل 10 من الشباب في فلسطين لديهم الرغبة في الهجرة، وأن 24% من الشباب لديهم الرغبة في الهجرة للخارج، وأن ستة من كل عشرة شباب في فلسطين يفكرون في الهجرة المؤقتة (الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2016: 78).

وبالتالي فللمجتمع الفلسطيني نصيب بأن تتفشى فيه ظاهرة الهجرة إلى الخارج، وتحديدا هجرة الشباب التي شهدت تدفقا وبشكل متصاعد، مما يثير تساؤلات كثيرة هل هي ظاهرة، أم لا؟! وهذا ما أكدته دراسة بعنوان: "أسباب هجرة الشباب وأثرها على المجتمع الفلسطيني" والتي أجراها مركز الدراسات وقياس الرأي العام بجامعة الأقصى، والتي استهدفت عينة عشوائية منتظمة بلغ حجمها (551) شخصا توصلت الدراسة إلى أن 96 % من أفراد العينة يعتقدون أن هجرة الشباب الفلسطيني من قطاع غزة أصبحت ظاهرة، ونسبة 4 % من العينة يعتقدون عكس ذلك (جامعة الأقصى، مركز الدراسات وقياس الرأي العام، 2021).

ومن خلال نتائج الإحصائيات السابقة، يعتبر الشباب الفلسطيني الهجرة حلا لمشكلتهم، فالكثيرون تراودهم فكرة الهجرة للخارج لأنهم يرون فيها حلا للخروج من الظروف الحياتية السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو النفسية التي يعانون منها، لكن هذا يعتبر هروبا من المشكلة وليس حلا جذريا لها.

ثالثًا–أسباب هجرة الشباب الفلسطيني إلى الخارج:

تتمثل الأسباب في عدة عوامل يمكن سردها على النحو التالي:

- **الأسباب الاقتصادية:**

تشير جميع البيانات الإحصائية لارتفاع معدلات الفقر والبطالة في المجتمع الفلسطيني بشكل عام ولدى الشباب بشكل خاص، إذ أن أكثر من ثلث الشباب الفلسطيني يعانون من البطالة، ونسبها في تزايد وارتفاع لدى فئة الشباب الأعلى تعليما، فحوالي نصف الخريجين عاطلون عن العمل وذلك نتيجة فقدان التنسيق بين احتياجات السوق المحلية من العمالة، كما أن حوالي 40% من أفراد المجتمع الفلسطيني يعانون الفقر، وحوالي ربع الشباب الفلسطيني من الفقراء مع فارق

كبير بين معدلات الفقر التي ترتفع في قطاع غزة بشكل أكبر منه في الضفة الغربية (حجازي، 2013: 114-115).

يعاني الشباب في غزة من ارتفاع خطير في معدلات البطالة التي تصل لأكثر من 50%، ومن العدد الإجمالي ترتفع النسبة وبشكل خطير في صفوف الخريجين لتفوق الـ 60%، وأصبح أكثر من 75% من سكان القطاع يعانون من الفقر المدقع، وأصبح أكثر من 80% من السكان المحاصرين يعتمدون على المساعدات الخارجية لتدبير أمور حياتهم، وهي أرقام تؤكدها الأمم المتحدة، التي تقول أيضا، في تقرير لها صدر في يونيو الماضي، أنه بسبب الحصار والفقر ومعدلات البطالة المرتفعة، يحتاج العاملون في المجال الإنساني إلى 510 ملايين دولار لتوفير الغذاء والمياه والخدمات الصحية للسكان، في ظل توفر فقط 25 بالمائة من هذا المبلغ (الهور: 2022: مقال).

ويتضح أن سوء العامل الاقتصادي يدفع الشباب الفلسطيني للهجرة بحثا عن لقمة العيش وتحقيق الذات، فالكثير من المهاجرين يعللون سبب هجرتهم لوجود العمل في البلاد المستقبلة وعدم توفرها في بلادهم.

وأسهم الحصار في تنامي العجز المالي لدى مؤسسات التعليم العالي في قطاع غزة، الأمر الذي حال دون قدرتها على تنمية برامجها وتنفيذ أنشطتها التي تتواءم مع رسالتها، مما أثر سلبا على جودة التعليم وحال بين مؤسسات التعليم العالي وقدرتها على تأدية واجباتها بالشكل المرجو منها لاسيما تنمية المجتمع وتطويره، وعلى سبيل المثال لا الحصر، وصل العجز المتراكم في ميزانية الجامعة الإسلامية وحدها ما يزيد عن (24) مليون دينار أردني في ظل الحصار الذي نجم عنه تراجع المساعدات والهبات، وعدم قدرة الجامعة على رفع الرسوم الدراسية بسبب سوء الأوضاع المعيشية، كما تسبب الحصار بعدم قدرة الجامعات على توفير المعدات والأجهزة وأدوات المختبرات المطلوبة لتطوير البنية التحتية والمباني، وعرقلة التبادل المعرفي والأكاديمي بين مؤسسات التعليم العالي في غزة ومؤسسات التعليم العالي في الخارج(تقرير وزارة التربية والتعليم، 9: 2016).

أثر الحصار بشكل كبير على البحث العلمي حيث أن نسبة الإنفاق على البحث العلمي والمحدد عالميا بنسبة (1%) من إجمالي الناتج المحلي للدولة يكاد يؤول إلى الصفر في قطاع غزة بسبب الحصار وقلة الموازنات، وكمثال على ذلك نجد (40) باحثا فازوا بمسابقة البحث العلمي لعمل أبحاث علمية لم يتمكنوا من إجراء بحوثهم بسبب إغلاق المعابر وقلة المواد والإمكانيات المتاحة في القطاع (تقرير وزارة التربية والتعليم، 5: 2016).

- **الأسباب سياسية:**

وتتعدد الأسباب السياسية التي تدفع الشباب الفلسطيني للهجرة ومنها:

1-الوضع الفلسطيني الداخلي: الانقسام وتبعاته: فحالة الجمود السياسي وتضاؤل فرص إتمام المصالحة الفلسطينية أثر ذلك بالسلب في واقع الشباب الفلسطيني، حيث حالة التشرذم والانقسام الداخلي التي أثرت سلبا في الكل الفلسطيني، إلى جانب معاناة الشباب وإقصائهم من المشاركة الاجتماعية والسياسية وتهميشهم في الأحزاب والفصائل الفلسطينية وفي مؤسسات صنع القرار، فأصبحت المناخات مهيئة للشباب الفلسطيني للهجرة إلى خارج الوطن (حلس، 2016: 122).

2-الاحتلال الإسرائيلي: باعتباره السبب الرئيس في تدهور وتعقيد الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الأراضي الفلسطينية من خلال قيامه بعدة اعتداءات عسكرية والحصار الاقتصادي المحكم على قطاع غزة خلال فترة سنوات الانقسام الفلسطيني.

وقد اعتمد الاحتلال الصهيوني سياسة التكييف القانوني لمصالحه السياسية والأمنية، وقام بسن الأوامر العسكرية لفرض السيطرة على حياة السكان الفلسطينيين الواقعين تحت الاحتلال بدون الالتزام بقواعد القانون الدولي الإنساني، والتي كان من المفروض أن تشكل الإطار القانوني الأساسي لترتيب تعامل دولة الاحتلال مع السكان الفلسطينيين وواقع حياتهم تحت الاحتلال (حمدونة، 2016م: 60).

- الأسباب الاجتماعية:

ترتبط الأسباب الاجتماعية بالأسباب الاقتصادية ارتباطا طرديا، فالبطالة وتراجع المستوى المعيشي على الرغم من كونهما عاملين اقتصاديين إلا أن لهما انعكاسات اجتماعية، ومن الأسباب الاجتماعية التي تدفع الشباب الفلسطيني إلى الهجرة إلى الخارج أو التفكير في الهجرة، فيما يعانيه الشباب من اتساع دائرة الفقر في أوساط الشباب، وارتفاع تكاليف الزواج، والتعصب في أوساط المجتمع الفلسطيني، والتمييز على أساس الخلفية السياسية، ومحدودية الفرص المناسبة لاستغلال أوقات الفراغ، والعنف في المجتمع، وثقافة حب الذات وتضخمها، وغياب ثقافة الحوار، والعشائرية والقبلية، والتدخل في زواج الأبناء والبنات، وقلة الأجسام الشبابية الضاغطة وثقافة الاستعراض، وتجاهل مؤسسات المجتمع المدني لحقوق المتطوعين، وضعف دور الشباب في قيادة الإصلاح المجتمعي، والتمييز على خلفية موقع الإقامة، والمشكلات داخل الأسرة وظاهرة كراهية الآخر، وسيادة المجتمع الأبوي التسلطي، والتمييز على خلفية الجنس، والعنف ضد المرأة (صافي، 2008م: 11-12).

هذا الكم الهائل من المشكلات الاجتماعية التي تعاني منها شريحة الشباب الفلسطيني، يدفع بالكثير من الشباب نحو الهجرة إلى الخارج أو حتى التفكير في الهجرة.

- الأسباب الأكاديمية: والتي تتمثل في رغبة الشباب في الهجرة للخارج لطلب العلم والدراسة في الجامعات، فنصف المهاجرين هاجروا لطلب العلم وعملوا في البلدان التي درسوا فيها ولم يعودوا

للوطن بعد انتهاء دراستهم، بالإضافة إلى غياب سياسة وطنية واضحة محددة للتعليم العالي في فلسطين، فضلا عن فقدان رؤية موحدة حول دورها في عملية التنمية والذي ينعكس على طبيعة البرامج الأكاديمية التي تطرحها هذه الجامعات ونوعية أدائها، وعدم توفر بعض التخصصات في الجامعات والمعاهد المحلية رغم وجود تخصصات مكررة في العديد منها، وارتفاع متطلبات بعض هذه التخصصات، وهو ما يدفع الطلبة للبحث عنها في الخارج (حجازي، 2013: 116–117).

ومن الأسباب الأخرى التي تدفع الشباب الفلسطيني للهجرة وبالتحديد الشباب الغزي:

– الضغوط النفسية والاجتماعية والقهر أسباب أولى تدعو الشباب في قطاع غزة لوضع الهجرة وجهة لا ميل عنها.

– غياب رؤية شاملة واستراتيجية واضحة لإدارة قطاع غزة وعدم توافر عوامل الاستقرار لتطوير بنيته.

– ضعف الاهتمام الحكومي بالشباب، فلا توجد خطة حكومية لدعم ورعاية الشباب وتعزيز مشاركتهم في المجتمع.

– سعي مؤسسات وقوى أجنبية لتفريغ قطاع غزة من أهله تحت مسميات مختلفة، واستمرار إغلاق معبر رفح البري مع مصر.

المحور الثاني: نماذج عن الجوانب الإبداعية للشباب الفلسطيني بالخارج خلال الفترة 2000–2022م

إن الشعب الفلسطيني بكل ما يعانيه من أزمات مثل: الحروب المتتالية، والحصار، وإغلاق المعابر، والحواجز والتفتيش، وقطع الكهرباء، وقلة الرواتب وغيرها...، إلا أنه يستمر في سعيه للتطور والتميز والإبداع. فرغم كل هذه المعوقات استطاع الشباب الفلسطيني داخل فلسطين وفي الشتات تحقيق العديد من المراتب المتقدمة محليا وعربيا ودوليا، وهو ما يبين مدى قدرة الشباب الفلسطيني على المشاركة السياسية والاجتماعية، ونذكر في هذا المحور أبرز النماذج الإبداعية والريادية لشباب فلسطين في المجالات السياسية والعلمية والثقافية والاجتماعية ومنها عام 2016–2017م:

1–فاز الطالب "خالد خليل شحادة" من غزة بجائزة رحلة لوكالة ناسا (وزارة التربية والتعليم، 2016: 18).

2–فازت المعلمة الفلسطينية "حنان الحروب"، بجائزة "أفضل معلم في العالم" لعام 2016م، وذلك في المنافسة التي نظمتها مؤسسة "فاركي فاونديشن" البريطانية. (وزارة التربية والتعليم، 2016: 18).

وسجل الكاتب الفلسطيني "ياسر أحمد علي" العديد من إبداعات الشعب الفلسطيني في الوطن والشتات في عامي 2016–2017م ونذكر منها: (علي، 2017: نت).

3–حصل "أحمد بديع طه"، على المركز الأول في مسابقة الملك عبد العزيز الدولية للقرآن الكريم للعام 2016م، و"زينب هيجاوي"، المركز الثاني على العالم بمسابقة حفظ القرآن الكريم في ماليزيا، وحصلت "إيمان ياسين حمود" على المرتبة الثانية في أكبر مسابقة لتلاوة القرآن على مستوى أوروبا.

4–الطبيبة الفلسطينية "إقبال الأسعد" أصبحت أصغر طبيبة في العالم تتخرج من كلية الطب وهي في سن العشرين، وكانت قد سجلت رقما قياسيا كأصغر طالبة جامعية منذ سبع سنوات.

5–الدكتورة الفلسطينية "منال دنديس"، تدخل "غينيس" في أطول خطاب بالعالم بمدة 1700 ساعة، حمل في مضمونه قيما إنسانية، تمحورت حول المحبة والتنمية والإيجابية.

6–حصدت فلسطين المركز الأول عالميا في جائزة تطوير طرائق التعليم الإلكتروني، المعروفة باسم (D4D) في بلجيكا بمنافسة عشرات الدول حول العالم.

7–فازت الإعلامية الفلسطينية "إيمان عياد" بـ"جائزة المرأة العربية" لعام 2016م في مجال الإعلام، في العاصمة البريطانية لندن.

8–أصبحت الشابة الفلسطينية "منى دزدار" 38 عاما أول وزيرة عربية في الحكومة النمساوية، وهي حقوقية حاصلة على الماجستير في القانون الدولي من جامعة السوربون في فرنسا.

9–للمرة الأولى، اختارت مدينة بروسبيكت بارك في ولاية نيوجيرسي الأميركية المحامي الفلسطيني "عبد المجيد عبد الهادي"، ليكون قاضيا لمحكمة المدينة.

10–فاز الناشط الفلسطيني "عمر البرغوثي"، بجائزة غاندي للسلام في الولايات المتحدة.

11–الناشطة الفلسطينية الأميركية "كارولين عساف"، تتلقى رسالة تقدير من الرئيس الأميركي باراك أوباما، لنشاطاتها المميزة، كما اختارتها الأكاديمية الطبية الأميركية من بين 3400 طالب لتكون من ضمن دائرة النجاح "Circle of Success".

12–الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون، يختار الشاب الفلسطيني السوري "سليم سلامة"، ضمن فريق استشاري مكون من 21 من الخبراء المكلفين بإعداد دراسة مرحلية عن الشباب والسلام والأمن.

13–حصل الطفل الفلسطيني "براء إبراهيم شراري" 8 سنوات على درجة "عالم"، ليكون أصغر عالم في العالم، بعدما تمكن من إثبات نظرية جديدة في علم الرياضيات.

14- عمار الشريف 13 عاما حاز على براءة "هاكر" بعدما اكتشف ثغرة في الفيسبوك، الأمر الذي مكنه من إغلاق أي حساب، إدارة الفيس بوك قدمت له مكافأة بقيمة 20 ألف دولار لتقديمه الطريقة لهم.

15- حققت المحاضِرة الجامعية الفلسطينية "د. أمل الكحلوت"، المركز الأول عربيا وإسلاميا بمسابقة جائزة مركز الإيسسكو في الفيزياء لعام 2016م.

16- تُوجت الشابة الفلسطينية نوران أبو مازن في معهد "ووترلو كوليجيت" في مدينة أونتاريو الكندية بلقب "ألمع العقول في كندا" بعد مشاركتها في النسخة السابعة من مسابقات جامعة "إم سي ماستر دي هاميلتون" في مدينة أونتاريو.

17- حصل الفلسطيني "رياض جدّال"، على الجائزة الأولى على مستوى العالم في "إدارة المخاطر" من المعهد البريطاني لإدارة المخاطر في لندن.

18- فازت الشابة الفلسطينية "ليان محمد علي" 15 عاما بلقب أفضل متحدثة في مسابقة الخطابة خلال مؤتمر الأطفال في العاصمة البريطانية لندن، رغم تعرضها لحملات ضغط من نشطاء صهاينة.

19- فوز فلسطين بالمركز الرابع بمجال العلوم السلوكية والاجتماعية (BEHA) ضمن مسابقة المعرض الدولي للعلوم والهندسة (ISEF REGENERON 2021) وذلك من خلال مشروع "عطاؤكم أمل" للطالبتين: ملاك نعيمي وميرا عيسى، وبإشراف المعلمة رنا خير من مدرسة بنات العودة الثانوية في مديرية تربية بيت لحم (وكالة وفا: 2021).

20- الأسير سامر العيساوي الذي تحدى السجان في "معركة الأمعاء الخاوية استمر إضرابه 9 أشهر، ويعتبر من أطول الإضرابات في تاريخ البشرية (وكالة فلسطين اليوم الإخبارية، 2016: نت).

21- دلال الزبن زوجة الأسير عمار الزبن المحكوم 27 مؤبدا و25 عاما، تمكنت من تهريب نطف منوية وكانت أولى العمليات الناجحة في العام 2012م، وبعدها أنجبت زوجات الأسرى الفلسطينيين حوالي 104 طفلا عن طريق نطف هربها أزواجهن من داخل السجون الإسرائيلية (كسواني، 2015: نت).

وتوالت إنجازات شباب فلسطين خلال عام 2019م حيث يوجد إحصائيات شملت72 مبدعا معظمهم من الشباب يتوزعون بين فلسطين والشتات، في المجالات التالية: في العلوم: 29 مبدعا، والإعلام: 12 مبدعا، والأدب: 11 مبدعا، والرياضة: 6 مبدعين، والطب: 7 مبدعين، والإدارة: 7 مبدعين، وفيما يلي أبرز حالات الإبداع الفلسطيني وخصوصا فئة الشباب لعام 2019م (علي، 2019: نت)*:

م	المبدع الفلسطيني	الإنجاز
1	عامر درويش	مُنح من وزارة الاقتصاد والتجارة في لبنان براءة اختراع ثانية لـ منظومة الإطفاء والإنقاذ الفلسطينية Pals FireFighter 48، والذي يتمثل بروبوت لإطفاء الحرائق.
2	نجود ميرانسي	لأول مرة في تاريخ وكالة ناسا الفضائية، ظهرت المهندسة نجود الأمريكية من أصول فلسطينية، ترتدي لباسا موشحا بتطريز تراثي فلسطيني.
3	البروفسور سليمان بركة	حصل على الجائزة الدولية ريناتا بورلوني للعلوم لعام 2018م، ثم اختير ضمن كبار علماء الفيزياء في برنامج الاحتفال بمئوية إنشاء الاتحاد الدولي للفلك في بلجيكا.
4	دلال بدوان من القدس	تمكنت الطالبة الفلسطينية دلال بدوان، من مدينة القدس، من اختراع فرشة وِقائية وعلاجية للتقرحات السريرية أسمتها مرتبة الأمل.
5	محمد عطية حرب من غزة	تمكن من اختراع روبوت حامل للأفراد يشبه جهاز السكوتر. ويتميز بحمل الأوزان من 170–200 كيلو، والتحكم به من خلال الهاتف المحمول.
6	د. حسام الأقرع من غزة	حصل على جائزة التنمية المستدامة من قبل البرلمان الفرنسي ووزيري الخارجية والتنمية المستدامة في فرنسا.
7	سعدي أبو عمرة من غزة	نال الشاب درجة الماجستير في التربية من الجامعة الإسلامية، ليكون أول طالب أصم يلتحق بالدراسات العليا في الوطن، والثالث على مستوى الوطن العربي.
8	رضا أبو شيخة	حصل على لقب أفضل مدير حدث Campus Director على مستوى العالم، ضمن المسابقة العالمية للمشاريع الريادية الاجتماعية السنوية Hult Prize، في لندن.
9	المهندسة آية شاهين	فازت بجائزتين في المؤتمر السنوي لجمعية المهندسين الكيميائيين العالمية في مدينة أورلاندو الأمريكية، حيث فازت بجائزة التميز الأكاديمي، وجائزة الريادة والتطوير.

10	وسيم عواد	حصل للمرة الخامسة من شركة مايكروسوفت العالمية على جائزة الخبير الأكثر قيمة.
11	محمد أبو شعر من غزة	نال جائزة أفضل لاعب في بطولة الدنمارك الدولية للناشئين. وأمام 68 مشاركا في البطولة يُمثلون 50 دولة، تسلّم محمد الجائزة.
12	عمر إسماعيل	تُوِّج بذهبية التايكواندو 1G، في المنافسات التي أُقيمت ضمن بطولة ألبانيا الدولية.
13	إياد أحمد السوقي	اختير ضمن قائمة أفضل 100 معلم على مستوى العالم، في مسابقة أطلقتها منظمة (AKS education) في الهند.
14	محمد عبد الستار قاسم	حصل على شهادة براءة اختراع من شركة أمازون العالمية التي يعمل فيها.
15	وسام الطل وباسل فريجات وسليم عطاري	صمم الطلاب الفلسطينيون، روبوتا يعمل على إعادة تأهيل مفاصل الأطراف السفلية للمصابين بجلطات دماغية، حتى يتمكنوا من المشي من جديد.
16	ثريا أبو سليم	ابتكرت مشروع إنقاذ الطفل من الغرق. فصممت جهاز إنذار إلكتروني للتنبؤ بالغرق.
17	رائد عمار	فاز بالمركز الأول عالميا في مسابقة الذكاء العقلي التي جرت في ماليزيا. ونافس رائد 3000 متسابق من 36 دولة في المسابقة التي فازت فلسطين بالمرتبة الأولى فيها.
18	عاطف شكوكاني	حصل على براءة اختراع هي الثانية له، في مجال تقنيات الأمان في المركبات الحديثة، والتي تستخدم للتقليل من حوادث السير الناتجة عن استعمال الهاتف أثناء القيادة.

وتواصل الإبداع الفلسطيني في شتى المجالات، خلال عام 2020م، بالرغم من معاناة البشرية من جائحة كورونا وآثارها في مختلف المجالات الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية، والتي أدت إلى تراجع وتيرة الإنجاز فيها، وبالتالي تراجع أعداد المبدعين على المستوى العالمي، وجاء مجموع الحالات الإبداعية التي تنطبق عليها الشروط 61 حالة إبداعية (علي، بيروت: 2020).

وقد جاءت النتائج على النحو الآتي: في المجال الأكاديمي: 10 مبدعين، في المجال الإعلامي والفني: 11 مبدعا، وفي المجال السياسي: 5 مبدعين، وفي المجال الأدبي: 8 مبدعين،

في المجال الطبي: 4 مبدعين، وفي الاختراعات والابتكارات: 7 مبدعين، وفي مجال التكريم والجوائز: 8 مبدعين، في المجال التعليمي والدراسي: 8 حالات، وفيما يلي جدول بأبرز المبدعين الفلسطينيين للعام 2020م: (المركز الفلسطيني للإعلام، 2021م).

م	المبدع الفلسطيني	الإنجاز
1	البروفيسور يوسف سلامة	توصّل بالشراكة مع البروفيسورة اليابانية بياتي هايسيج، إلى استراتيجية جديدة وفعالة للتغلب على مقاومة الأدوية التي تطورها خلايا سرطان الدم.
2	دعاء غوشة وهبة	تمكنت من الفوز بجائزة خليفة التربوية للمشاريع التعليمية المبتكرة على مستوى الوطن العربي في دورتها الثالثة عشرة لعام 2020م، في أبو ظبي.
3	ناي البرغوثي	حصلت الفنانة على جائزة "كونسيرتخباو" للموهبة الشابة لعام 2020م، في هولندا.
4	ريما دودين	أول فلسطينية تُعين بمنصب رفيع في البيت الأبيض. فقد عينها الرئيس المنتخب نائبة لمدير مكتب الشؤون التشريعية في البيت الأبيض.
5	إيمان جودة وفادي قدورة وأثينا سلمان ورشيدة طليب	شهدت انتخابات الكونغرس الأميركي لعام 2020م فوز 4 فلسطينيين بمناصب مختلفة. فقد فازت إيمان جودة بعضوية المجلس التشريعي لكولورادو، وفادي قدورة بعضوية مجلس شيوخ ولاية إنديانا، وأثينا سلمان بمقعد في مجلس نواب أريزونا، ورشيدة طليب بعضوية مجلس النواب الأميركي عن ولاية ميشيغن للمرة الثانية.
6	سمير عزمي عثمان	فاز رجل الأعمال، برئاسة بلدية لاغونا التابعة لمنطقة سانتا كاتارينا في البرازيل. وعثمان خريج جامعي بتخصص تجارة واقتصاد.
7	الشاعر عودة عمارنة	فاز بالمركز الأول لجائزة الشعر العالمية "أسّاس 2020" التي تقيمها المؤسسة الصقلية للثقافة والفنون والعلوم في مدينة ميسينا.

8	الكاتبة فداء الزمر	تم اعتماد المجموعة القصصية "عسولة صديقة البيئة" للتوزيع على كل المدارس الحكومية في الأردن، لما تحمله المجموعة من قيم الحفاظ على البيئة والتنمية.
9	دعاء جنينة	ابتكرت قبعة ذكية مكيفة للأشخاص ذوي الإعاقة والمصابين في الحروب. وترتبط القبعة بالهاتف الذكي من خلال تطبيق يتحكم عن بعد بتكييفها.
10	عاطف شكوكاني	حصل على المركز الأول في فئة المخترع الأجنبي عن اختراعه "Cvision"، إذ طور تطبيقا يشخص الإصابة بفيروس كورونا بوقت قياسي.
11	إبراهيم عباهرة ويوسف جعفر	حصد الطالبان الفلسطينيان، ثلاثة مراكز في "المهرجان الدولي للعلوم والهندسة والتكنولوجيا" في تونس، عن مشاريع هندسية وأخرى في البيئة والطاقة.
12	محمود الحداد من غزة	فاز بمسابقة "أروع المشاريع" في البرمجة على مستوى العالم في إيرلندا. وذلك عن تصميم موقع إلكتروني خاص بأخبار كورونا.
13	المؤرّخ د. محمد هاشم غوشة	فاز بجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية لعام 2020م في السعودية، بموضوع "تراث القدس الإسلامي".
14	رنا زيادة من غزة	اختارت مؤسسة المرأة العالمية في الولايات المتحدة الأميركية المعلمة الفلسطينية رنا ضمن 60 امرأة ملهمة حول العالم.
15	المهندسة نادية حبش	اختيرت ضمن قائمة أكثر 50 مهندسا معماريا مؤثرا من الشرق الأوسط لعام 2019م، في مجلة Middle East Architect.
16	أحمد عبد المحمود	حصل على جائزة هامليت الدنماركية للموهوبين لعام 2019م، عن أفضل شركة للشباب دون سن الـ 30.
17	إياد أحمد السوقي	حصل على شهادة المعلم المبتكر التي تمنحها منصة الإبداع والابتكار العالمية المتخصصة في الواقع المعزز والافتراضي Assemblr EDU.

18	أسماء مصطفى من غزة	فازت بجائزة المعلم العالمي لعام 2020م، من بين آلاف المتقدمين من أنحاء العالم.

شهد الإبداع الفلسطيني للشباب عام 2021م نقلة نوعية في عديد المجالات، وتمكن عشرات الفلسطينيين من التميز على المستوى الدولي، وأسهموا بإثراء المعرفة العالمية، وأصدرت مؤسسة العودة الفلسطينية بالتعاون مع وكالة صفا تقريرها السنوي "حصاد الإبداع الفلسطيني" المستمر منذ العام 2016م، والذي جمع ككل عام إبداعات جديدة على المستوى العالمي والعربي والمحلي، (وكالة صفا، 2021م).

وكان من أبرز المجالات الإبداعية للعام 2021م المجال الرياضي، حيث شارك شباب فلسطين في بطولات عالمية وحققوا مراكز متقدمة. وبلغ عدد المبدعين الذين استطعنا إحصاءهم: 85 مبدعا، في كافة المجالات، نذكر منهم على سبيل المثال (وكالة صفا، 2021م):

م	المبدع الفلسطيني	الإنجاز
1	أسرى سجن جلبوع	استطاع ستة أسرى فلسطينيين في سجن جلبوع التابع للاحتلال، أن يحفروا بأدوات بدائية منها الملاعق على مدى عدة أشهر، نفقا إلى خارج السجن، واستطاعوا الخروج في 6 أيلول/ سبتمبر 2021م إلى الحرية، حيث انتزعوا حريتهم لمدة أسبوع كامل، واستخدم الأسرى طرق إبداعية لنقل الرمل والتخلص منه.
2	المهندس لؤي البسيوني	عمل ضمن فريق مسبار ناسا، حيث ساهم المهندس في تصنيع المروحية التابعة لوكالة ناسا التي هبطت في رحلتها الأولى إلى المريخ نيسان/أيلول 2021م، وهذا الإنجاز هو نتاج سبع سنوات من العمل الشاق من قبل فريق في ناسا (الأونروا: 2021م).
3	فاطمة أبو شنب	عينت مستشارة للرئيس التركي رجب الطيب أردوغان.
4	إيفونا أبراهام	أصدرت حاكمة ولاية ميشيغان غريتشين، قرارا بتعيين الأميركية من أصول فلسطينية إيفونا أبراهام، قاضية في محكمة الدائرة الثالثة بمقاطعة واين كبرى مقاطعات الولاية.
5	هديل عليان	حصلت على جائزة أفضل إعلامية في الشرق الأوسط للعام 2021م، في عمان.

6	المخرج أحمد حسونة من غزة،	حصل على جائزة أحسن سيناريو للأفلام الطويلة في المهرجان الدولي للسينما والهجرة في وجدة بالمغرب عن فيلمه "أستوروبيا".
7	مريم زقوت	فازت روايتها بالمرتبة الأولى في المهرجان العربي للإذاعة والتليفزيون في تونس، ضمن مسابقة البرامج الإذاعية الرئيسية.
8	الصحفية مجدولين حسونة	فازت بجائزة حرية الصحافة العالمية لعام 2021م فئة الصحفي الحر التي تمنحها منظمة "صحفيون بلا حدود" العالمية.
9	أحمد حرارة	حصل على حزام العرب لملاكمة المحترفين، ليُتوج بطلا للعرب.
10	السباح باسم محمود طه	استطاع تحقيق المركز الأول في بطولة الرحاب للسباحة، التي ينظمها نادي الرحاب الرياضي في جمهورية مصر العربية.
11	المدرب الدولي أحمد الخفش	حصل على الحزام الأسود الدولي بالجوجيتسو "بدرجة مقاتل" وشهادة حكم دولي. وتُعد هذه الشهادة الأولى في فلسطين في الجوجيتسو.
12	الطفل انور السويطي	فاز بالميدالية الذهبية في بطولة التايكواندو العالمية التي أقيمت في بريطانيا. وتُعد هذه البطولة من أقوى البطولات التي تقام على مستوى أوروبا.
13	علي عثمان	فاز بالمركز الأول في بطولة ACS بعد تغلبه على نظيره اللبناني محمد كنعان في بطولة العالم التي أقيمت في بيلاروسيا.
14	نهى عفونة	حصلت على جائزة "رائدات الأدب والإبداع"، إحدى أهم الجوائز الأدبية النسوية العالمية، التي نُظِّمت في العاصمة الهندية نيو دلهي.
15	حنان أبو منهل	تمكّنت من إيجاد طريقة جديدة لعلاج سرطان الثدي من خلال أطروحتها لنيل درجة الدكتوراه، عبر تطوير تقنية مبتكرة لتحسين أدوية العلاج الكيماوي.
16	المعالج الفيزيائي صبري مرقة	تمكن من افتتاح واحد من أفضل مراكز العلاج العصبي في ألمانيا، حيث يمكن معالجة الشلل أو الشلل النصفي وأمراض الرعاش.

17	البروفيسور أسعد هنية	رئيس قسم جراحة القلب والأوعية الدموية ورئيس قسم زراعة الأعضاء وأنظمة الدعم الميكانيكي، يتمكن من زراعة قلب صناعي هو الأول من نوعه في ألمانيا.
18	المعلم محمد معمر من غزة	أصدر أول تطبيق إلكتروني ذكي يتيح استعارة الكتب ليكون بديلا عن الطريقة التقليدية المعمول بها في المكتبات.
19	المهندس محمد أبو مطر	بعد أن دمر الاحتلال شركته الهندسية للتصنيع الرقمي والـ 3 D printing، استطاع إعادة تصنيع آلة طباعة ثلاثية الأبعاد للأدوات الطبية.
20	المهندسة بيان محمد	ابتكرت في رسالتها للماجستير بالهندسة الميكانيكية في جامعة كوين ماري بلندن، طريقة جديدة في بناء الأقمار الصناعية وتطلق عليها اسم "فلسطين1".
21	المهندس أحمد المصري	استطاع ابتكار قفاز آلي لمشلولي الأيدي يحفزهم على تحريك أيديهم باستخدام الذكاء الاصطناعي.
22	محمد الحلاق	تمكن من صناعة "روبوت" يساعد الأشخاص من ذوي الإعاقات البصرية والسمعية على المشي بمفردهم دون خوف من الارتطام.
23	المهندسة هبة وافي	استطاعت أن تدمج التكنولوجيا الذكية في مواد بناء محلية تعتمد على تقنيات العمارة التقليدية لتخرج بحجر أطلقت عليه Hybrid Local Building.
24	الدكتورة خيرية رصاص	نالت الأكاديمية الفلسطينية وسام الاستحقاق الوطني بدرجة فارس، المقدم من الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، وهو أعلى وسام تقدمه الجمهورية الفرنسية سنويا.
25	الدكتورة غادة حامد البرغوثي	استطاعت الفوز بجائزة العالمات النساء في الدول النامية للعام 2021م "2021-OWSD-ELSEVIER Foundation Award" وهي ثاني فلسطينية تحصل على هذه الجائزة.
26	الباحث صلاح الصادي	حصل على المركز الأول في جائزة المجتمع العربي "أريسكو" عن بحثه العلمي حول تحلية المياه الجوفية لتكون صالحة للشرب، متقدما بذلك على 120 جامعة أوروبية.

27	فريق MAD Architect	فاز فريق جامعة بيرزيت بالمركز الأول على مستوى العالم في مسابقة دولية لتصميم وإعادة إعمار مرفأ بيروت المدمر في لبنان، ضمن جائزة Pheonix–2021.
28	الطيار أمجد حسين	وصل إلى أعلى درجة علمية في قيادة طائرات الركاب الضخمة الـ"جامبو جت" المصنعة من قبل شركة "بوينغ" الأميركية.
29	عماد البرغوثي	البروفسور عالم الفيزياء والفضاء يفوز بجائزة كارتا الأكاديمية في بلجيكا.
30	لينا خليفة	فازت بلقب أفضل معلم عالمي لعام 2021م.
31	د. دوّاس دوّاس	فاز الأكاديمي الفلسطيني وأمين عام اللجنة الوطنية الفلسطينية للتربية والثقافة والعلوم برئاسة المجلس التنفيذي لمنظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو).
32	نهى توفيق حلّس معلمة من غزة	فازت بلقب المعلم العالمي للعام 2021م، من مؤسسة AKS Education Award في الهند، التي تقدمها سنويا لمعلم/ة قدم مساهمة مهمة في مهنته.
33	ليالي الخطيب	حصلت على الجائزة العالمية في الإبداع العلمي الشبابي في مملكة البحرين.

أما في عام 2022م فقد شهد الإبداع الفلسطيني وخصوصا لدى الشباب نقلة نوعية في العديد من المجالات، وتميز عشرات الفلسطينيين دوليا وأسهموا بإثراء المعرفة العالمية، وقد أصدرت مؤسسة العودة الفلسطينية بالتعاون مع وكالة "صفا" تقريرها السنوي "حصاد الإبداع الفلسطيني"، وجمع أسماء وإنجازات 200 مبدع خلال العام، فيما جرت عملية تصفية الأسماء حتى 126 مع شخصية العام، وفق معايير المؤسسة منذ البداية (وكالة صفا، 2023م).

وكان من أبرز المجالات الإبداعية للعام 2022م المجال الوطني والسياسي، وفيه خمسة مبدعين، بنسبة 5.56%، والمجال الإعلامي والفني، وفيه ستة عشر مبدعاً، بنسبة 12.70%، والمجال الرياضي، وفيه ثلاثون مبدعا، بنسبة 23.81%، والمجال الأدبي والثقافي، وفيه ثمانية مبدعين، بنسبة 7.14%، والمجال الطبي، وفيه ثمانية مبدعين، بنسبة 6.35%، ومجال الاختراعات والابتكارات، وفيه أربعة عشر مبدعا، بنسبة 11.11%، المجال التعليمي والدراسي، وفيه اثنان وعشرون مبدعا، بنسبة 17.46%، والمجال الإداري، وفيه عشرة مبدعين، بنسبة 7.94%، مجال التكريم والجوائز، وفيه عشرة مبدعين، بنسبة 7.94%.

وفيما يلي أبرز الإنجازات الشبابية في عام 2022م: (وكالة صفا، 2023م).

م	المبدع الفلسطيني	الإنجاز
1	زوريا عمار	عيّنت بلدية باترسون بولاية نيوجيرسي الأميركية الفلسطينية زوريا عمار، في مجلس المدينة، لتصبح أول فلسطينية في مجلس تخطيط المدينة.
2	تمام أبو حميدان	أول فلسطينية تشغل منصب رئيسة مجلس بلدي في السويد.
3	رشيدة طليب	عضو الكونغرس الأمريكي ذات الأصول الفلسطينية رشيدة طليب فازت بمقعد ولاية ميتشيغين في الانتخابات النصفية للكونغرس الأمريكي للمرة الثالثة على التوالي.
4	رؤى رمّان	فازت بعضوية كونغرس ولاية جورجيا مرشحة عن الحزب الديمقراطي.
5	عبد الناصر رشيد	فاز بعضوية كونغرس ولاية ألينوي مرشحا عن الحزب الديمقراطي.
6	المخرج محمد قبلاوي	مؤسس ورئيس مهرجان مالمو للسينما العربية بالسويد، ينال جائزة شخصية العام العربية السينمائية، وذلك ضمن فعاليات الدورة الـ 72 من مهرجان برلين السينمائي الدولي.
7	مجدي فتحي قريقع	فاز المصور مجدي قريقع من قطاع غزة بالمركز الأول في جائزة "كريمة عبود 2022" للتصوير الفوتوغرافي، وكذلك حصل على جائزة مسابقة "اتحاد المصورين العرب وملتقى الشارقة للخط" للصورة الصحفية التي نظمت برعاية من دائرة الثقافة في دولة الإمارات.
8	المصورة فاطمة شبير	فازت فاطمة شبير من قطاع غزة بجائزة الدورة 85 في مسابقة الصور الصحفية العالمية التي تنظمها منظمة التصوير الصحفي العالمية.
9	المخرج أشرف المشهراوي	فاز بثلاث جوائز في مهرجان "تيللي" بالولايات المتحدة الأمريكية في دورته الثالثة والأربعين، عن فيلمَي "فلسطين 1920" و"للقصة بقية – روسيا وأوكرانيا جذور الأزمة".

10	المخرج الشاب محمد الصفوري	فاز فيلمه "خط التماس" Touchline بجائزة الحكام في مهرجان فرانكو أراب السينمائي في باريس، وبجائزة مهرجان 365 Holidays في لوس أنجلوس. وتم اختياره للمشاركة في مهرجاني Tribeca في نيويورك وHolly shorts في لوس أنجلوس.
11	ميسم عزام	صُنِّفت ضمن أفضل 30 موهبة في الشرق الأوسط للعام 2022م، وفق اختيار مؤسسة CAMPAIGN البريطانية وهي من أكبر شركات الإعلام والتسويق في العالم.
12	المخرج بلال الخطيب	فاز فيلمه "فلسطين 87" بجائزة التانيت الذهبي عن فئة الأفلام الروائية القصيرة في الدورة 33 لمهرجان أيام قرطاج السينمائية الدولي.
13	الإعلامية فرح عبادي	فازت بجائزة أفضل مقدمة برامج في "سكونا" في السويد من خلال تصويت الجمهور للعام 2022م.
14	المخرج عبد الله الخطيب	فاز بجائزة "السوسنة السوداء" في الدورة الثالثة لمهرجان عمان السينمائي الدولي عن فيلمه "فلسطين الصغرى" الذي يجسد يوميات مصوّرة عن مخيم اليرموك.
15	المخرج والممثل يوسف علاري	حصل على جائزة أفضل ممثل عن فيلمه "صلاة العشاء" في مهرجان المغرب السينمائي الدولي للعام 2022م.
16	المصور أيمن أبو رموز	فاز الفيلم الوثائقي الفلسطيني Inside the Battle for Jerusalem بجائزتين كأفضل تصوير وأفضل تغطية إخبارية، ضمن فعاليات مهرجان emmy award في الولايات المتحدة الأمريكية بعد منافسة 30 فيلماعالميا.
17	المخرج فراس خوري	نال فيلم "علم"، جائزة الهرم الذهبي لأفضل فيلم في مهرجان القاهرة السينمائي الدولي في دورته الرابعة والأربعين.
18	بلال محمد	حقق بلال المولود في شيكاغو فوزه الثامن في بطولة UFC الدولية، في مباراته مع الأميركي شون برادي الذي لم يخسر أي نزال من قبل.

19	سامي أسعد نتيل	فاز العداء الفلسطيني بالمركز الأول في سباق ماراثون مصر الدولي، الذي أقيم في محافظة الأقصر (جنوبي مصر)، وبمشاركة عدائين من 32 دولة.
20	محمود دياب	فاز بالميدالية الذهبية وبطولة سورية في فن الدفاع عن النفس (الكاراتيه).
21	عمر حنتولي	أحرز الميدالية الذهبية في بطولة صوفيا التاسعة الدولية للتيكواندو في بلغاريا، والتي شارك فيها 1350 لاعبا ولاعبة من 65 دولة حول العالم، كما فاز بذهبية بطولة آسيا للأندية، المقامة في العاصمة الباكستانية إسلام آباد.
22	آلاء فضيل	فازت بالمركز الأول في بطولة الجامعات السورية لكرة الطاولة المركزية.
23	إيمان صوّان، محمد سدر	نالت إيمان صوّان الميدالية الذهبية عن (دون 14 عاما إناث)، فيما نال محمد سدر الميدالية الذهبية عن (دون 14 عاما ذكور)، في بطولة العرب للشباب والناشئين.
24	الطفل عمران سليم غنيم	فاز عمران غنيم ابن مخيم نهر البارد بالمركز الأول ببطولة الكيك بوكسينغ للأشبال في الولايات المتحدة الأمريكية، والتي اختتمت فعالياتها في ولاية ميزوري الأمريكية.
25	المدرب محمود عبد الفتاح	نال جائزة أفضل مدرب في بطولة كرة السلة الأمريكية NBA G–League.
26	فادي الديب	حقق إنجازا تاريخيا غير مسبوق، بعدما قاد فريق أيك أثينا اليوناني لاعبا ومدربا للفوز بلقب دوري كرة السلة للكراسي المتحركة.
27	البطل محمد حمادة	حقق ميداليتين ذهبية وبرونزية خلال مشاركته في بطولة العالم لرفع الأثقال لوزن 102 كجم.
28	مصطفى أبو ناصر	فاز مصطفى من مخيم نهر البارد بالميدالية الذهبية في بطولة آسيا للقوى البدنية التي أقيمت في الإمارات.

29	الحَكَمه الفلسطينية هبة سعدية	اختارها الاتحادان الدولي والأسيوي لكرة القدم للمشاركة في تحكيم العديد من البطولات الدولية، منها كأس العالم للسيدات في نيوزيلندا وأستراليا في 2023م.
30	الحكم الدولي عمرو الأقرع	حصل على جائزة أفضل حكم في بطولة آسيا في العاصمة الباكستانية، بعد إدارته لعدد من المباريات النهائية في التيكواندو.
31	الحكم الدولي أحمد ابو حطب	حصل على جائزة أفضل حكم في بطولة آسيا لسنة 2022م في الألعاب القتالية.
32	اللاعب محمد عودة الله	فاز بذهبية بطولة دورة "غراند بري" الدولية للجوجيتسو بفئة الناشئين، في العاصمة التايلندية بانكوك.
33	الفارسة ديانا الشاعر	تأهلت إلى نهائي بطولة العالم لرياضة الفروسية (الترويض) في فرنسا. وهي أول فارسة عربية تصل إلى نهائي بطولة عالمية رسمية لفروسية الترويض.
34	الطفلة لين طه العبد، ووديع محمود	حصلت لين على المركز الأول في لبنان ببطولة الكيوكوشنكاي لفئة أقل من وزن 50 كجم وفاز وديع بالمركز الأول في بطولة العرب في لعبة الكيكوشنكاي، وفاز بذهبيتها في العاصمة اللبنانية بيروت.
35	أحمد عوض ومحمد حسن	تمكن اللاعبان من مخيم اليرموك من الفوز بالمركزين الأول والثاني على مستوى سورية في الألعاب القتالية.
36	إبراهيم تنيرة	فاز بالميدالية الذهبية في بطولة روني كولمان لكمال الأجسام، على مستوى ولاية تكساس الأمريكية.
37	صلاح الحاج	فاز ببطولة مواي تاي VRC العالمية لعام 2022م، ونال الحزام الذهبي في البطولة الثالثة التي أقيمت في مدينة طرابلس اللبنانية.
38	أفرام زنبيل	فاز بميدالية ذهبية في بطولة العالم في مصارعة الذراعين في مدينة أنطاليا التركية، والتي يشارك فيها لاعبون من 140 دولة.
39	محمد المحمد	حقق المركز الأول في بطولة سورية للكاراتيه التي اختتمت فعالياتها في مدينة اللاذقية.

40	حسن قبلاوي	حقق حسن من مخيم العائدين في سورية المركز الأول لبطولة كمال الأجسام التي أقيمت في السويد بمدينة يوتبوري.
41	الشاعرة آلاء القطراوي	حصلت على جائزة أفضل ديوان شعر للشباب ضمن مسابقة عبد العزيز البابطين للشعر والنقد.
42	د. أشجان عجور	فازت ابنة مدينة غزة بجائزة الكتاب الفلسطيني العالمية للعام 2022م لفئة الكتب الأكاديمية، التي تنظمها مؤسسة ميدل إيست مونيتور، عن كتابها "استعادة الإنسانية في تجربة الإضراب عن الطعام في فلسطين".
43	الكاتبة جنين فتالة دلياني	حصلت على المركز الأول لمبيعات موقع أمازون لكتابها باللغة الإنجليزية "انطلق بدون خوف" والذي صدر عن دار "رد بنغوين" للنشر في ولاية نيويورك الأمريكية. وصدر الكتاب في 320 صفحة تُلخص مسيرة حياة الكاتبة وتغلبها على مرض ال "أبيلابسي" الذي رافقها منذ الصغر.
44	الكاتبة سوزان الصعبي	فازت بالمرتبة الأولى في مسابقة حنا مينة للرواية العربية عن روايتها "ارقص كأنك النون"، التي نظمتها وزارة الثقافة السورية.
45	د. وافي عطا الله	فاز الأستاذ في كلية الطب في جامعة مرمرة بلقب طبيب العام 2021م وذلك لاختراعه جهازا طبيا يساعد مرضى السلس البرازي.
46	البروفيسور صلاح الدين البطران	حصل المدير التنفيذي لمعهد أبحاث السرطان في مستشفى نورث ويست في مدينة فرانكفورت على جائزة السرطان الألمانية لعام 2022م عن أبحاثه العلمية وابتكاره علاجات متطورة غير تقليدية ساهمت في إنقاذ حياة مرضى السرطان.
47	د. جمعة عبد الفتاح العويسي	نال جائزة دولية في علوم القلب، جائزة الباحثين الشبان Young investigator award التي تمنحها الجمعية الأوروبية لأمراض القلب cardiology European society of في المؤتمر الدولي المنعقد في العاصمة الهنغارية بودابست.
48	الطالبة أمل شوابكة	فازت طالبة الطب البشري، بالمركز الأول في مسابقة بحوث طلبة الجامعات للعام 2022م بجامعة أبو ظبي عن فئة الإبداع.

49	نرمين قاسم	باحثة من قطاع غزة، استطاعت تسجيل ابتكار علمي جديد يساهم بدرجة كبيرة في علاج اضطراب طيف التوحد لدى الأطفال بدرجاته الثلاث.
50	براء عبد الله أبو عساكر	حصلت الباحثة الفلسطينية من سكان قطاع غزة، على براءة اختراع لمركب p1.3 peptidomimetic في جامعة برشلونة الإسبانية.
51	يوسف عوض أبو سل	حصل على براءة اختراع بتطوير جهاز مقياس الاحتكاك للصخور والمعادن بالتعاون مع فريق عمل في جامعة "أوفا" الروسية.
52	بشار أبو شمالة	استطاع تطوير خوارزمية ذكاء اصطناعي لتشغيل جهاز رادار لقياس سرعة السيارات.
53	راما إبراهيم أحمد إبراهيم يوسف عقل	من رفح تمكنوا من اختراع روبوت قد يكون سببا لإنقاذ المصابين تحت الأنقاض، وهو ما تحتاجه غزة فعليا في ظلّ الحروب الصهيونية المتكررة على القطاع.
54	ملك أبو الروس وإبراهيم أبو الروس	تمكّنا في غزة من اختراع روبوت لزراعة البذور في الأراضي الزراعية يعمل عبر تطبيق في الهاتف المحمول، مما قد يوفر الجهد والعناء لشريحة المزارعين الكبيرة.
55	عمر الغفير وحسن بنات	تمكنا من اختراع جهاز يساهم في حل أزمات السير في شوارع غزة، ومساعدة سيارات الإسعاف وفتح المجال أمامها.
56	ولاء مرتجى	حققت المركز الأول على الوطن العربي في مسابقة تحدّي العرب لإنترنت الأشياء والذكاء الاصطناعي في معرض جايتكس العالمي في دبي.
57	الطالبة مريم حسين الخضر	حصلت على المرتبة الأولى بالدنمارك في الثانوية العامة، وحصلت على درجة الامتياز 12/12 ومنحتها الدولة درجة شرف، فأصبحت العلامة 12.0 من أصل 12.
58	البروفيسور ساري حنفي	انتخبته الأكاديمية البريطانية زميلا لها (مدى الحياة)، تقديرا لمساهمته في العلوم الإنسانية والاجتماعية. ويُدرّس حنفي علم الاجتماع في الجامعة الأمريكية في بيروت، ويرأس تحرير المجلة العربية لعلم الاجتماع.

59	محمد أحمد أبو رزق	حاز محمد المبتعث من وزارة الداخلية والأمن الوطني لكلية الشرطة القطرية، المرتبة الأولى على الطلبة المبتعثين من الدول العربية بالكلية.
60	أ. أسماء معمر من غزة	فازت بالميدالية الذهبية لجائزة المرأة المبدعة العالمية Global creative woman award 2021، وذلك بعد اجتيازها أربعة امتحانات بامتياز.
61	د. ابتسام محمود خلف الله	فازت المعلمة بوكالة الغوث الدولية شرق خانيونس بجائزة أيقونة المرأة العالمية لعام 2022م، من قبلInternational women award في مجال التعليم والبحث العلمي.
62	الطالب شادي حمدان	حقق المركز الأول على مستوى جامعة كوتش التركية بمعدل 4.00/4.08 (زيادة) بتخصص هندسة الحاسوب.
63	د. أمل محمد حسين	فازت بجائزة أفضل مدرس بين أعضاء هيئة التدريس للعام 2021–2022م في جامعة الشارقة.
64	م. نجود الفاهوم	رئيسة مكتب تخطيط مهام الاستكشاف في وكالة ناسا وكلفتها الوكالة بمهمة إدارة مشروع "أرتيموس 1" الهادف إلى هبوط أول امرأة وأول شخص ملون على سطح القمر.
65	شعوان جبارين وراجي الصوراني	اختارت محكمة التحكيم الدولية الدائمة في هولندا القاضيان شعوان جبارين وراجي الصوراني لتعيينهما ضمن طاقمها الجديد، لتدخل فلسطين نادي القضاة الدولي.
66	الطالب أدهم ياغي	فاز بجائزة تاون هول الدولية المتخصصة في محاربة الفساد. وتمكّن ياغي من الفوز على مشاركين من 11 دولة مشاركة في المسابقة.
67	م. عبد الناصر دويكات	مؤسس ورئيس جمعية الطاقة في فلسطين نال جائزة أفضل مختص بتطوير الطاقة على مستوى الشرق الأوسط لسنة 2022م.
68	المقدسي محمد عويس	استطاع بزمن قياسي بلغ 8 دقائق أن يحلّ 200 مسألة حسابية، وحصل على المرتبة الأولى على مستوى العالم لمسابقة UCMAS

		online بمستوى Higher A بعد منافسته لمشاركين من 30 دولة حول العالم.
69	الطالبة سدين مهند البزرة من نابلس	فازت بالمركز الأول على مستوى العالم بمسابقة "عبقري الذكاء العقلي" GMA، التي أُقيمت في اسطنبول، حصلت خلالها على درع أيقونة المسابقات العالمية، وتُوّجت كأصغر مدرب صغير في العالم.
70	البروفسور بسام دله	اختير ضمن 2% من أبرز العلماء في العالم في مجالات العلوم كافة، بحسب تصنيف جامعة ستانفورد الأميركية لعام 2021م.
71	الصحفي محمد الثلاثيني	فاز محمد الثلاثيني المصور في وكالة الأنباء الألمانية Dpa بجائزة Poy الأمريكية العالمية عن فئة الأخبار العاجلة.
72	سارة الخطيب	فازت بلقب شخصية العام في العمل التطوعي في مملكة الدانمارك، متفوقة على 211 متطوعا آخر، بعد حصولها على سبعة آلاف و203 أصوات.
73	عيسى عباسي	منحت جمعية شرطة نيويورك، رئيس دائرة المبادرة الاستراتيجية في الشرطة: الفلسطيني الأميركي عيسى عباسي شخصية العام.

المحور الثالث: الانعكاسات المترتبة على استمرار ظاهرة هجرة الشباب للخارج.

إن لهجرة الشباب الفلسطيني وتفاقمها بشكل كبير العديد من الآثار والأبعاد منها:

- **الآثار الاقتصادية:**

إن هجرة الشباب تعني انتقال أهم رأسمال اقتصادي وهو الرأسمال البشري بما يحتويه من مؤهلات وطاقات وإمكانيات، واستقرارهم في الأوطان الجديدة وعدم الرجوع إلى وطنهم الأصلي، وبذلك تشكل هجرة الشباب الفلسطيني خسارة اقتصادية فادحة نتيجة استغلال مؤهلاتهم وطاقاتهم وإمكانياتهم في تطوير وتنمية الوطن الجديد، كما أن تزايد أعداد المهاجرين إلى الدول الأوروبية وأمريكا اللاتينية المستقبلة للمهاجرين فاقم من مشكلة البطالة في هذه الدول، لعدم توافر فرص عمل لأبنائها نتيجة تزايد عدد المهاجرين (حلس، 2016: 97).

ومن الطبيعي أن استمرار هجرة الشباب الفلسطيني سيؤدي إلى انخفاض الإنتاج المحلي في المجتمع الفلسطيني، وبالتالي سيترتب عليه ضعف عام في الاقتصاد.

وإذا نظرنا إلى الشباب والعائلات المهاجرة، فنجد أن معظم المهاجرين يعدون فقراء؛ مما يجعلهم غير قادرين على عيش حياة طبيعية وصحية في المجتمع الجديد، والأطفال الذين ينشئون في فقر لا يحصلون على التغذية المناسبة أو مستوى جيد من التعليم أو الصحة.

- **الآثار الاجتماعية:**

لا توجد إحصائية رسمية حول أعداد الشباب والأسر التي غادرت قطاع غزة بهدف الهجرة نظرا لاستمرار هجرة الشباب، والدافع الأكبر وراء الهجرة هو انعدام الأمن الإنساني بشكل شامل، وانعدام الأمن على الحياة في ظل ظروف اقتصادية قاهرة وتَدهور مُطرد للخدمات الأساسية.

وتؤدي الهجرة أيضا إلى إحباط الشاب الذي لم ينجح في الهجرة، وفقدانه حافز التقدم والتطور، وقد يصل الأمر إلى الشعور بعدم الولاء للمؤسسات الوطنية نتيجة المقارنة بين ما يتقاضاه الشباب في وطنهم وما يتقاضاه الشباب في دول المهجر، بالإضافة إلى أن بعض المهاجرين قد يقبلون على العمل في أعمال لا تتناسب مع مهاراتهم وقدراتهم المهنية، ما يؤدي مع مرور الوقت إلى فقدان هؤلاء لمهاراتهم وتوقفهم عن اكتساب مهارات جديدة (حلس، 2016: 98).

ويترتب على استمرار هجرة الشباب تشتت الأسرة بين المجتمع الأصلي والمجتمع المضيف: فعندما يغادر الأب أو الإبن يبقى بقية أفراد الأسرة في المجتمع الأصلي، مما يسبب تباعدا اجتماعيا وإن كانت وسائل التواصل الاجتماعي قد ساهمت في ردم فجوة هذا التباعد.

ومن أكبر العقبات التي تترتب على هجرة الشباب الفلسطيني للخارج هو نقص الكفاءات والخبرات العلمية، وذلك لأن نسبة كبيرة من الأشخاص الذين يهاجرون هم من الكفاءات العلمية ما ينعكس سلبا على حجم القوى العاملة المحتملة في البلاد. فقد يؤدي استمرار هجرة الشباب الفلسطيني إلى استنزاف العقول في المجتمع الأصلي: فغالبا ما يغادر أصحاب الخبرات والشهادات العالية بلدهم لتحسين أوضاعهم وهو ما يعرف بهجرة العقول.

إضافة إلى ذلك فإن الدولة المستقبلة للهجرة غالبا ما لا تعترف بالدور الإيجابي للمهاجرين، كما لا يحظون فيها بالمعاملة والمزايا التي يحظى بها مواطنوها، ولا تسعى إلى دمج المهاجرين في المجتمع الذي يعيشون فيه، والأخطر أنه في السنوات الأخيرة ولا سميا بعد أحداث 11 أيلول/سبتمبر 2001م تحولت النظرة إلى المهاجرين إلى اعتبارهم خطرا على الأمن والاستقرار ومطالبتهم بالرحيل (شلبي، 2006: 50)، وبالتالي صعوبة اندماج المهاجرين الجدد في المجتمعات التي تستضيفهم.

- **الآثار السياسية والديمغرافية:**

أكدت مصادر صهيونية في نوفمبر عام 2013م أن حكومة الاحتلال خصصت نحو مليار دولار لاستخدامها في تشجيع الفلسطينيين على الهجرة من الضفة الغربية، استغلالا لأوضاع

الفلسطينيين الاقتصادية الصعبة ورغبة بعضهم في الهرب من الإذلال والقهر الذي يعيشونه يوميا جراء ممارسات الاحتلال والتنكيل بهم على الحواجز العسكرية وتقييد حركتهم، كما نشرت صحيفة القدس العربي عام 2013م تقريرا يتحدث عن البدء بتجربة إغراء مالي لنحو 30 ألف أسرة كل سنة من خلال منح كل أسرة تهاجر 27 ألف دولار، الأمر الذي يتطلب من الاحتلال توفير نحو مليار دولار، بالإضافة إلى تشجيع دول المهجر أن توافق على استقبال وتجنيس المهاجرين العرب من فلسطين(عدنان، 2016م: 24).

وقد يترتب على استمرار الهجرات خلل ديموغرافي في المجتمع الفلسطيني، فنتيجة أن معظم المهاجرين ذكور فإن ذلك ينعكس سلبا على التوازن بين الجنسين في المجتمع الأصلي، ويصبح عدد الإناث يفوق عدد الذكور، بالتالي زيادة نسبة الإناث العازبات.

والمستفيد الأكبر من استمرار هجرات الشباب هو الاحتلال الذي يسعى بكل الوسائل إلى تحقيق تفوق ديمغرافي على أرض فلسطين، لتحقيق أهدافه الاستعمارية بالسيطرة على الأرض وتحقيق مقولة أرض بلا شعب لشعب بلا أرض.

المحور الرابع: آليات ومقترحات لمواجهة ظاهرة هجرة الشباب والحفاظ على رأس المال البشري.

ترجع أهمية الشباب في أنهم يمثلون عنصرا رئيسا من عناصر بناء أي مجتمع، ويساهمون في التنمية المجتمعية، وهم الركيزة الأساسية لاستمرار عملية النهوض والتطور، حيث أنهم يمثلون سلاح الأمم وعمادها ورهانها التاريخي في صناعة المستقبل.

علينا أن نعي أن الشباب هم قوة المجتمع في الحاضر وأصحاب المستقبل، واستنادا إلى ذلك فإن علينا أن نعدهم لهذا المستقبل، بأن ندربهم على المشاركة في صناعة واتخاذ القرار، كذلك المشاركة والإسهام في تجسيد قراراتهم واقعيا، وذلك يرجع إلى أن إحساس الشباب بعدم المشاركة يجعلهم عرضة لأية جماعات متطرفة تتيح لهم فرص المشاركة، حتى وإن كانت منحرفة (ليلة، 2015: 313).

إن القيادة الناجحة ليست هي التي تأخذ على عاتقها فقط إيجاد المأكل والملبس والمسكن لأفراد المجتمع، ولكنها تنظر إلى كل مواطنيها وخصوصا الشباب بوصفهم ثروة قومية، فتوفر لهم المناخ المناسب لصقل مواهبهم وتفجير طاقات العطاء وملكات الإبداع المكنونة بداخلهم، ثم تستثمر هذه الطاقات للنهوض بالمجتمع وتطويره، وفيما يلي تصور مقترح لتعزيز التميز والابتكار في المجتمع الفلسطيني:

أولًا–إنهاء حالة الانقسام الفلسطيني والتوافق على قواسم مشتركة.

إن معضلة الانقسام الفلسطيني من أكبر المشاكل التي عصفت بالقضية الفلسطينية حديثا لما لها من آثار سلبية على جميع النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، كما أن لها تأثيرا كبيرا على المواطنين وخصوصا فئة الشباب، لذا يجب على صناع القرار إنهاء هذه المعضلة والتوافق على قواسم مشتركة للنهوض بالمجتمع الفلسطيني وتعزيز التميز والابتكار واستثمار الطاقات الإبداعية الكامنة لدى الشباب الفلسطيني؛ مما يساهم في بناء الدولة الفلسطينية المستقلة.

ومن الضروري أن يسعى الشباب بأنفسهم للتغيير وتحسين أوضاعهم وتحصيل حقوقهم في المشاركة السياسية والمجتمعية من خلال تعزيز الوحدة الوطنية بين أبناء الشعب الفلسطيني، والعمل على إيجاد برنامج سياسي فلسطيني موحد، والمساهمة في تشكيل رؤية فلسطينية مستقبلية لمرحلة التحرر الوطني وتحقيق الاستقلال.

فالوحدة الوطنية للشعب الفلسطيني تمنح قدرا كبيرا من الحرية السياسية للمواطنين واحترام الشباب وآرائهم وتطلعاتهم للمستقبل، واحترام قدراتهم وطاقاتهم وطموحاتهم، وتسهم في إفساح المجال للشباب للمشاركة السياسية وممارسة حقوقهم الدستورية. فالشباب يمتلكون القدرة على التطوير والتغيير والإبداع ومواكبة التطور في مجالات الحياة كافة، وإشراكهم في الانتخابات يؤدي إلى نقلة نوعية وإصلاح سياسي وإيجاد قيادة وطنية تلبي احتياجات الشباب وطموحاتهم.

ثانيا–زيادة القوانين والتشريعات التي تدعم الشباب وتشجع الإبداع والابتكار والعمل الحر.

تسهيل الإجراءات القانونية والإدارية وتبسيطها، وإنشاء مراكز بحثية في كافة المحافظات الفلسطينية، وتطوير هذه المراكز إداريا واقتصاديا، كما وعلى الحكومة الفلسطينية تقديم المساعدات الإدارية للمشروعات الجديدة والمشروعات الصغيرة، وتوفير المرافق والإمكانيات وتأجيرها للشباب بأسعار رمزية وتسهيلات في الدفع حتى تمكن الشباب في البدء بالنشاطات في أقل فترة ممكنة، وتهييء بيئة تشريعية وقانونية تضمن حماية المبدعين عبر وضع تشريعات تحمي الملكية الفكرية، وتقدم التسهيلات لزيادة سرعة تدفق التكنولوجيا والمعلومات والمعرفة بين الجامعات والمؤسسات التعليمية والمؤسسات الحكومية والأهلية ومراكز البحث والتطوير وكافة القطاعات المختلفة.

كما يجب على القيادة الفلسطينية تبني أفكار جديدة لزيادة الاهتمام بالشباب ومساعدتهم مثل: فكرة إنشاء صندوق لدعم الشباب والخريجين، وتشكيل حاضنة الأعمال للشباب، لمساعدتهم في التغلب على البطالة، وأيضا على القيادة الفلسطينية إفساح المجال للشباب للمشاركة السياسية والاجتماعية.

من العوامل التي تؤدي إلى عزوف الشباب عن المشاركة السياسية عدم اقتناع الشباب بالأنشطة الوطنية التي تنفذ وخاصة أن أغلب الأنشطة أصبحت شبه روتينية وتقليدية، ويقع على الأحزاب الفلسطينية دور كبير في جذب الشباب وتوعيتهم وتفعيل دورهم ومشاركتهم السياسية والاجتماعية، وتوعيتهم وتثقيفهم وخصوصا في الجامعات والمدارس من أجل أخذ دورهم المجتمعي.

ثالثًا–تعزيز دور التعليم في تعزيز التنشئة السياسية والاجتماعية للشباب.

على القيادة الفلسطينية تطوير المناهج التعليمية، وتعزيز التنشئة السياسية والاجتماعية للشباب، ويصبح التعليم مرتكزا على المشاريع والتفكير بشكل أساسي، وحل المشكلات بعيدا عن التلقين والحفظ وسرد المعلومات، كما يجب نشر القصص التاريخية والإسلامية المليئة بالبطولات والإنجازات على مر التاريخ، والقصص الهادفة التي تعالج المشاكل الاجتماعية بتقديم الحلول لها، والقصص التي تزرع القيم الأخلاقية وروح التعاون وتقوي ملكة الاختراع، ويساهم تطوير البيئة التعليمية في إعداد نظام تعليمي وبحثي يوفر قوى بشرية من الشباب المتخصصين في المجالات كافة؛ مما يوفر للشركات وأرباب العمل كفاءات من الشباب الخريجين، ولابد من مشاركة الشباب داخل كافة المؤسسات الحكومية والتصويت في اختيار القيادات بالقطاعات الحكومية وفرض رقابة على المؤسسات الخاصة.

ولمؤسسات المجتمع المدني دور كبير في تشجيع الشباب على المشاركة السياسية، ويوجد العديد من المؤسسات الشبابية والمؤسسات المدنية التي تدعم هذه الفكرة "فكرة المشاركة" وتنميها في نفوس أبناء المجتمع، وتغرس في عقول الشباب حب المشاركة السياسية وروح إبداء الرأي، وأهمية دوره في مجتمعه، وما يملكه من قدرة على التغيير وصنع القرار.

ترتبط المشاركة السياسية بشكل مباشر بعملية التنشئة السياسية في المجتمعات، وخلال التنشئة يكتسب الأفراد مجموعة من المعارف والتوجهات السياسية والسلوك السياسي بشكل عام، ويتعرف على النظام السياسي ومؤسساته، وكافة القضايا التي تتعلق بالدولة، وقد أشار إلى ذلك "هربرت هايمن" في حديثه عن التنشئة السياسية حيث وضح أن الفلسفة الإغريقية قد اهتمت بموضوع التنشئة السياسية في ظل توسع الدولة من حيث المساحة وعدد السكان وزيادة الاعتداءات الخارجية، وقد أرجع الفيلسوف الصيني "كونفشيوس" فساد نظام الحكم إلى غياب المواطنة الصالحة بسبب عدم قدرة الأسرة على تعليم الأبناء قيم الفضيلة، من هنا جاءت دعوته إلى تعليم الناشئة بشكل صحيح وسليم لتنشئتهم بما يساعد على خلق المواطن الصالح (دويكات، 2016: 33).

لذلك فإن على المجتمع أن يفتح أمام الشباب قنوات المشاركة، كذلك من المهم ألا تحرم الأسر الأبناء من إبداء آرائهم، وعلى الآباء أن يشجعوا ذلك، ففي ذلك تأهيل وتدريب لهم على أصول المشاركة (ليلة، 313: 2015).

ينبغي على كل المؤسسات الحكومية وخصوصا وزارتي التربية والتعليم والشباب والرياضة زيادة وعي الشباب بالقضايا والمستجدات كافة، وتبسيط المصطلحات الجديدة كالخصخصة والعولمة وصراع الحضارات والنظام العالمي الجديد، وترسيخ قيم الديمقراطية في وجدان الشباب وإكسابهم قيم التعاون والمشاركة وترسيخ قيم المواطنة وحقوقه وواجباته وأن كل حق يقابله واجب.

رابعا–تشجيع الشباب على المشاركة السياسية.

تعتبر المشاركة السياسية من أهم الموضوعات التي تهتم بها الدول لما لها من أثر بالغ في إرساء قواعد الدولة، وتعزيز بناء مؤسساتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية (شعبان، 2012م: 3)، ويعد الشباب من أهم الموارد البشرية التي يعول عليها المجتمع الفلسطيني كونه مجتمعا فتيا، حيث بلغت نسبة الشباب 15–29 سنة في فلسطين أي 30% من إجمالي السكان (دويكات، 3: 2016).

وعلى القيادة الفلسطينية أن تركز الاهتمام بشكل كبير على فئة الشباب، لما لهم من دور مهم ومكانة عالية في تشكيل مستقبل المجتمع، فهم قادرون على التغيير والتأثير وعلى صنع القرار. ولما يتمتعون به من قوة في المطالبة بحقوقهم، وما يلعبونه من أدوار مهمة في المجتمع، فهم يملكون القدرة على تولي بعض الوظائف المهمة في مراكز صنع القرار، ولأن هذه الفئة تمتلك طاقات وقدرات هائلة، فباستطاعتهم وضع الخطط والأفكار الإبداعية والريادية للتنمية والنهوض بالمجتمع.

خامسًا–تعزيز دور الإعلام في تعزيز التنشئة السياسية والاجتماعية للشباب.

لابد من وجود برنامج إعلامي جاد يتفاعل مع مراحل البناء والتنمية ومتطلباتهما، فمن خلال الإعلام يمكن أن يعي الشباب حقوقهم وكيفية الحصول عليها ويدركوا واجباتهم ودورهم المطلوب في عملية التنمية، ونشر الثقافة الريادية والإبداعية ومعرفة أهداف التنمية، ووضوح التحديات التي تواجه شعبنا. وإعادة الثقة المفقودة بين الحكومة والمواطنين من أهم عوامل التميز والإبداع، وعلى الإعلام أن يبث روح الوطنية عند الشباب وحب الوطن والاعتزاز بالموهوبين والمبدعين وتكريمهم.

ومن هنا فان دور وسائل الإعلام في هذا المجال يمكن تلخيصه فيما يأتي (أحمد، 89: 2017):

1- تقديم المعلومات للشباب، لكي يجعل مشاركة الجماهير ممكنة في صنع القرار.

2- تعبئة الجماهير وخصوصا الشباب للمشاركة.

3- إلقاء الأضواء على مدى مشاركة الفئات المختلفة.

4- إلقاء الأضواء على الجهود الذاتية المبذولة في سبيل تقديم الحلول المختلفة لمشاكلهم.

5- غرس الصور الذهنية المناسبة في أذهان الأفراد.

سادسا–تشجيع الشباب على البحث العلمي والمشاركة في المؤتمرات والندوات.

يَعتبر بعض الشباب المشاركة في العملية السياسية والاجتماعية واجبا وطنيا يجب القيام به، وعدم التهرب منه، إذ أن مدى وعيه بأهمية هذه المشاركة، ودوره في التغيير، ومعرفته للواقع

السياسي يدفعه للمشاركة، من أجل مصلحة المجتمع والأفراد، ويزداد وعي الشباب بأهمية المشاركة السياسية من خلال الندوات الثقافية وورش العمل والمؤتمرات العلمية.

إن عقد المؤتمرات والندوات وورش العمل العلمية تساعد في جمع البيانات وتسجيلها وتحليلها وتطوير المعلومات لاستخلاص العبر؛ من أجل التوصل إلى الحقائق والخلاصات الجديدة، وتساعد في تقديم توصيات لصناع القرار، وعلى صناع القرار الأخذ بهذه التوصيات ووضعها موضع التنفيذ، وعليهم أيضا وضع سياسات ملكية فكرية للمؤسسات العلمية والبحثية، للتأكد من أن كافة الاختراعات والأعمال الإبداعية الناجمة عن نشاطات المؤسسات العلمية والبحثية تحظى بالحماية اللازمة لخلق بيئة مناسبة تساعد على حفز الإبداع وتشجيع الاختراع ودعم كافة الجهود الإبداعية.

بلغت نسبة الإنفاق في فلسطين على البحث العلمي 0، 02% (أبو حميد، 2015: نت)، وإذا نظرنا إلى دولة الاحتلال نجد نسبة الإنفاق على البحث العلمي بلغت 4، 4% (بدران، 2010: نت)، وهذا يتطلب من الحكومة الفلسطينية ووزارة التربية والتعليم خصوصا جهدا أكبر لزيادة النفقات على البحث العلمي والنهوض به وفتح مراكز متعددة له في جميع محافظات الوطن، وتحسين الوضع المالي للمؤسسات العلمية والبحثية.

سابعا-إنشاء حاضنات الأعمال لتشجيع الشباب على الإبداع والابتكار والمشاركة الاجتماعية.

على الحكومة الفلسطينية أن تسعى جاهدة بكل الوسائل والإمكانيات المتاحة لتفجير طاقات العطاء والإبداع الكامنة عند الشباب، وأن تشجعهم عن طريق الحوافز والجوائز وتنظيم المسابقات والاحتفالات لتكريم الموهوبين والمبدعين، وتقديم التسهيلات للمبادرات الشبابية واحتضان المبدعين وتوفير الرعاية والدعم لهم بمختلف أشكاله، وتشجيع المشاريع الصغيرة والمتوسطة في فلسطين والتي هي عصب الاقتصاد الوطني؛ مما يساهم في التخفيف من عبء التوظيف على القطاعين العام والخاص، والتقليل من نسب البطالة المستقبلية المحتملة.

وحاضنة الأعمال تساهم بشكل كبير في دعم الرياديين والخريجين الذين تتوافر لديهم الأفكار الإبداعية والتطويرية الطموحة، من خلال توفير الدعم الإداري والفني لها والذي يعزز نهضة مشاريعهم حتى تنمو وتستمر إلى أن تتحول إلى مشاريع تجارية ناجحة يمكن تسويقها محليا أو إقليميا (صبرة، 11: 2017).

وهناك فوائد كثيرة ومتنوعة لحاضنات الأعمال وخصوصا للشباب، حيث تساعدهم في تعزيز فرص النجاح وفي إقامة المشاريع، وتعزيز الثقة بالنفس من خلال المقدرة على إقامة وإدارة المشاريع وتحسين المهارات الفنية والإدارية، وتسهيل عملية الاتصالات وتوفير المعلومات والمعدات البسيطة للعمل وكذلك المكان، بالإضافة إلى تقديم التمويل المطلوب لإقامة المشروع (صبرة، 2017: 15).

على القيادة الفلسطينية أن تتبني مفهوما واسعا للإبداع وتشجع الشباب على القيام بالمشاريع الريادية، وألا يكون مفهوم الإبداع مقتصرا على "التكنولوجيا والعلوم"، بل لابد أن يكون رحبا واسعا ليشمل كل عمليات "البحث والتطوير" ويضم مجالات شتى مثل: المجال الفني والأدبي والرياضي والإداري والأمني وغيرها من المجالات الحيوية في المجتمع التي تستحق الرعاية والاهتمام والتطوير، وإضافة إلى الإبداعات التقنية المادية لابد أن يشمل أيضا أشكالا غير ملموسة مثل: الترتيبات التنظيمية والإدارية ونماذج العمل، وقطاع الخدمات.

ويرى المختصون في مجال العلوم الإدارية ثلاثة مستويات للإبداع يمكن للشباب أن يكون لهم دور كبير فيها وهي: مستوى الإبداع الفردي: ويقصد به ذلك الإبداع الذي يحققه الأفراد الذين يمتلكون قدرات وسمات إبداعية ومستوى الإبداع الجماعي: هو الإبداع الذي يتم التوصل إليه من قبل الجماعة، ويعتبر هذا المستوى أكثر فعالية، ومستوى الإبداعي المؤسسي: باعتبار المؤسسة تتكون من جماعات وأفراد عاملين فإن هذا الإبداع على هذا المستوى يتشابه بشكل كبير مع الإبداع على مستوى الجماعة (حجاج، 18: 2015).

ثامنًا–استغلال الموارد المحلية وتفجير طاقات الشباب.

فالطاقة البشرية يمكن استغلالها لتكون من ثروات البلاد ويشمل ذلك طاقات الشباب المعطلة وتحويلها إلى طاقة بناءة، وذلك عن طريق مشاريع شبابية تقلل من مشكلة البطالة، وتفجر طاقاتهم نحو إعلاء قدر البلد، والتواصل مع الكفاءات الفلسطينية في الشتات ووضع خطط وآليات للاستفادة من خبراتهم داخل الوطن، ويتوجب على صناع القرار، أن ينتقوا من الموظفين والخرجين من يصلح حتى يعلو شأنه ويرتفع قدره، للوصول لدرجة الاحترافية في العمل، ومثال على ذلك ما قامت به وزارة التربية والتعليم من مسابقة المبادرات التعليمية تحت عنوان "مبادرتي"، لإتاحة الفرصة لاستثمار الطاقات البشرية في الوزارة، وإعطائها الفرصة لتقديم المبادرات الإبداعية التي يمكن أن تساهم في تطوير واقع العملية التعليمية وعلاج بعض المشكلات التي تواجه قطاع التعليم مع استشراف المستقبل والتنبؤ المبكر بالصعوبات والمشكلات التي تواجه عملية التعليم، والعمل على إيجاد حلول مبتكرة وإبداعية لمواجهتها، وحددت للفائزين ثلاثين جائزة تتراوح قيمتها من 300 – 500 $ (وزارة التربية والتعليم، 2016: نت).

تاسعًا–إنشاء صندوق دعم وتمويل الشباب والخريجين:

أصدر الرئيس محمود عباس مرسوما رئاسيا بإنشاء "صندوق دعم الإبداع والتميز" لتشجيع المبدعين الفلسطينيين ومساندتهم، وحدد المرسوم أهداف الصندوق بدعم وتحفيز المبدعين في فلسطين، وخلق جيل من رواد الأعمال، وغرس وتعميق ثقافة الإبداع والاستثمار في أوساط الشباب، وتشجيع تأسيس مشاريع وشركات تنموية ريادية، وتوفير وسائل الدعم المادية والاستشارية والفنية لتطويرها، والمساهمة في بناء قدرات المبدعين لما يعزز مستوى كفاءاتهم وقدراتهم الإنتاجية، ودعم

الأنشطة وتوفير البرامج التي تحفز طاقات الإبداع والتميز لدى الشباب وتنمية مهاراتهم ومواهبهم، وتحفيز ريادة الأعمال من خلال دعم برامج البحث والابتكار والتطوير، وزيادة فرص نجاح المشاريع من خلال التمويل والتدريب والإرشاد وتنمية ودعم الأفكار الخلاقة، ويدير الصندوق مجلس إدارة يُشكَّل بقرار من الرئيس، يرأسه رئيس المجلس الأعلى للإبداع والتميز ويضم خمسة أعضاء هم رؤساء اللجان في المجلس أو من ينوب عنهم وبعض الشخصيات التي يتم ترشيحها من قبل المجلس، وحدد المرسوم الرئاسي الذي تضمن عشرين مادة القدس مقرا دائما للصندوق، على أن تكون مدينة رام الله مقره المؤقت، كما حدد مهام الصندوق وشروط العضوية فيه واختصاصات مجلس إدارته ومهام الإدارة التنفيذية له، وموارده المالية والضوابط المالية التي تحكم عمله (الوقائع الفلسطينية، 2016: العدد 117).

إن خطوة الحكومة الفلسطينية في إنشاء المجلس الأعلى للإبداع والتميز عام 2012م، وتشكيل مجلس إدارة له، خطوة مهمة لابد أن تستثمر بالتعاون المشترك بين المفكرين والمبدعين لتبني استراتيجية موحدة لتنمية الإبداع لدى الشباب، وتوفير فرص عمل وزيادة مشاركتهم بالحياة الاجتماعية والسياسية.

عاشرا–تشجيع وتكريم الشباب المبدعين في كافة المجالات.

إن عملية التكريم ونظام الحوافز والجوائز داخل الوزارات والمؤسسات هي عملية تعزيز إيجابي للمبدعين وتشجيعهم على الاستمرار في البحث والاطلاع، وفي زيادة مخرجاتهم الإبداعية من حيث الكفاءة والتطوير في الأداء، وسرعة التّنفيذ وزيادة فاعليته، كما أنها عملية تشجيع للمبدعين الآخرين. وحدد "تشرلز إدكويست" أن من ضمن الوظائف الأساسية للمؤسسات هو نظام الحوافز المختلفة للمشاركة في التعلم والمشاركة في عمليات الابتكار (Edquist ،53 :2006).

نتائج الدراسة:

1. من الصعب تحديد الحجم الحقيقي للهجرة الفلسطينية بشكل دقيق، لأنها ما زالت مستمرة في ظل الأوضاع المعيشية السائدة، ولأن بعض المهاجرين هجرتهم مؤقتة.

2. أضر الانقسام الفلسطيني بالشباب، وضيق عليهم سبل الحياة، وترتب على الانقسام هيمنة القيادات التاريخية وكبار السن على قيادة الأحزاب والمؤسسات؛ مما أدى إلى تحييد دور الشباب.

3. إن المستفيد الأكبر من استمرار هجرات الشباب الفلسطيني هو الاحتلال الذي يسعى بكل الوسائل إلى تحقيق تفوق ديمغرافي على أرض فلسطين لتحقيق أهدافه الاستعمارية بالسيطرة على الأرض.

4. ترتب على استمرار هجرة الشباب تشتت الأسرة الفلسطينية، فعندما يغادر الأب أو الإبن يبقى بقية أفراد الأسرة في المجتمع الأصلي؛ مما يترتب عليه تقطيع أواصر الشعب الفلسطيني.

5. لدينا كفاءات من الشباب والخريجين حققوا نجاحات وإنجازات مميزة في مختلف بلدان العالم والقيادة الناجحة هي التي تأخذ على عاتقها دمج الشباب في مؤسساتها، وتنظر إليهم على أنهم ثروة قومية، وتفجر طاقات العطاء وملكات الإبداع المكنونة لديهم، ثم تستثمر هذه الطاقات لتطوير المجتمع ومنافسة الدول الكبرى.

6. ارتفاع أعداد الخريجين مع عدم توفر فرص عمل لهم وتزايد حدة البطالة أصبحت تشغل تفكير الشاب الفلسطيني، وأصبح الشغل الشاغل للشباب هو الحصول على فرصة عمل لسداد الديون، والقروض، وتحصيل لقمة العيش، والمسكن.

7. عملية الحد من هجرة الشباب تحتاج لتضافر جهود الجميع، المؤسسات الحكومية والخاصة ومؤسسات المجتمع المدني والأحزاب والجمعيات وغيرها.

التوصيات:

1- على الحكومة الفلسطينية أن تضع الشباب في مقدمة أولوياتها، فلا يمكن تجاهل أهمية الشباب، ولابد من صياغة التشريعات التي تقرر حقوق وحريات الشباب، والعمل على دمجهم في المؤسسات وتوفير فرص عمل وتقليل نسبة البطالة.

2- السماح للشباب بمشاركة صناع القرار في اتخاذ القرارات، وإيجاد نظام اتصالات فعال يسمح للشباب بإبداء الآراء، وتقديم المقترحات، لتعزيز الثقة بين الشباب والحكومة.

3- على القيادة الفلسطينية تطبيق الديمقراطية وإجراء الانتخابات النزيهة، والتداول السلمي للسلطة، وإفساح المجال للشباب للمشاركة السياسية، لأن إحساس الشباب بحرمانهم من حقهم في المشاركة السياسية والاجتماعية قد يجعلهم يفكرون في الهجرة للخارج.

4- يجب على الحكومة وصناع القرار تشجيع الشباب والخريجين للمشاركة في المراكز البحثية والإبداعية، وزيادة نسبة الإنفاق الحكومي على البحث العلمي؛ والمشاريع الريادية وحاضنات الأعمال، وإنشاء صندوق دعم الشباب، وتقديم الحوافز والمكافآت للشباب المبدعين، وإنشاء حاضنة للأفكار الشبابية الإبداعية "بنك الأفكار"، والعمل على تسخير كل الإمكانيات لتطبيقها.

5- وضع استراتيجية متكاملة لمعالجة مشكلة البطالة المتفاقمة، وإيقاف نزيف هجرة الشباب للخارج، وتقديم التدريب للشباب لتطوير قدراتهم، ثم دمجهم في الحياة السياسية والاجتماعية، وإحداث حراك داخل الأحزاب ومؤسسات صنع القرار، بحيث لا تبقى تحت قيادات قديمة مترهلة.

مراجع الدراسة:

أولاً: الكتب العربية.

- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر؛ مختار الصحاح، (بيروت: دار التنوير العربية 1984).

- على ليلة؛ النظرية الاجتماعية وقضايا المجتمع، (القاهرة: مكتبة الأنجلو مصرية، 2015م).

- فؤاد علي أحمد؛ وسائل الإعلام والمشاركة السياسية، (عمان: دار أمجد للنشر والتوزيع، 2017).

ثانياً: الكتب باللغة الأجنبية.

-Charles Edquist, Systems of Innovation: Technologies, Institutions and Organizations (Science, Technology and the International Political Economy) 1st Edition, Editor: John de la Mathe, 2006.

- UN. International Migration Report, Department of Economic and Social Department of Economic and Social, 2010. Population Division, Affairs.

- Docquier F. and Rapoprt H. The Brain Drain. Institute of Economic and Social Research. Department of Science Economics, University Catholique de Louvain, 2006.

ثالثاً: الرسائل العلمية.

- سامح دويكات؛ دور الشباب الفلسطيني في المشاركة السياسية والفعاليات الجماهرية الوطنية 1993–2015م، (فلسطين: نابلس، جامعة النجاح الوطنية، 2016م).

- عبد الرؤوف حجاج؛ إدارة الابتكار والإبداع، رسالة ماجستير غير منشورة، (الجزائر: جامعة قاصدي مربح كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير، 2015–2016م).

- رأفت حمدونة؛ الجوانب الإبداعية في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة في الفترة ما بين 1985 إلى 2015م، رسالة دكتوراه غير منشورة، (القاهرة: معهد البحوث العربية، 2016م).

- علاء الدين عفارة؛ هجرة الكفاءات العلمية أسبابها وانعكاساتها على التنمية (بالتطبيق على أساتذة جامعة حلب)، رسالة ماجستير غير منشورة، (سوريا: جامعة حلب، 2005).

- ميسون فوجو؛ استراتيجيات التنمية البشرية ودورها في الحد من ظاهرة هجرة الكفاءات العليمة في فلسطين (دراسة حالة قطاع غزة)، رسالة ماجستير غير منشورة، (غزة: الجامعة الإسلامية، 2012م).

رابعاً: التقارير والدوريات والمؤتمرات.

– تقرير وزارة التربية والتعليم العالي غزة، إنجازات وزارة التربية والتعليم العالي خلال 10 سنوات، يناير 2006–يناير 2016م.

– الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، مسح الهجرة في الأراضي الفلسطينية 2010، (رام الله: 2011).

– الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، مسح الهجرة في الأراضي الفلسطينية 2015، (رام الله، 2015).

– الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، مسح الهجرة في الأراضي الفلسطينية 2016، (رام الله، 2016).

– أشرف الهور؛ الهجرة غير الشرعية من قطاع غزة... قصص مؤلمة ومافيات تلقي بالشبان في بحر مظلم... وتساؤلات عن دور إسرائيلي، جريدة القدس العربي، 2022م.

– خالد شعبان؛ تعزيز المشاركة السياسية للشباب في الحياة السياسية الفلسطينية، مركز التخطيط الفلسطيني، دراسة مقدمة على مؤتمر الشباب والتنمية في فلسطين، (غزة، الجامعة الإسلامية، 2012م).

– عايش عدنان؛ مجلة المستقبل العربي، هجرة الشباب الأدمغة الفلسطينية إلى الخارج، العدد 453.

– غادة حجازي؛ هجرة الشباب الفلسطيني إلى الخارج الأسباب...المخاطر...الحلول، مركز التخطيط الفلسطيني، السنة العاشرة، ع(38–37)، 2013م.

– مغاوري شلبي، الأبعاد الاقتصادية لهجرة العمالة، مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الأهرام، ع 165، يوليو 2006.

– محمود صبرة، محمد بخيت؛ حاضنات الأعمال ودورها في نجاح المشاريع الريادية، دراسة تطبيقية على حاضنات قطاع غزة في الفترة من 2006–2017م، مؤتمر الاستدامة والبيئة الإبداعية في قطاع التعليم التقني، 2017م.

– منظمة العمل العربية؛ العمالة العربية المهاجرة في ظل العولمة "التحديات والآفاق"، المؤتمر السنوي الثالث للبحوث السياسية، (القاهرة، 2002).

– الوقائع الفلسطينية، مرسوم رقم (1) 2016م بشأن صندوق دعم الإبداع والتميز، (السنة الثالثة والعشرون، 2016م، العدد 117، 2016/1/24م.

- الوقائع الفلسطينية؛ مرسوم رقم (13) لسنة 2013م بشأن نظام المجلس الأعلى للإبداع والتميز، (السنة العشرون، 2013م، العدد 101، 20-8-2013م.

- يوسف صافي، متطلبات النهوض بحالة حقوق الشباب الفلسطيني: دراسة قطاع غزة، كنموذج، مركز هدف حقوق الإنسان، 2008.

خامساً: المواقع الإلكترونية:

- إبراهيم بدران؛ البحث العلمي بين العرب وإسرائيل، http: //www.aljazeera.net/programs/the-file/2010/10/4/

- المجلس الأعلى للإبداع والتميز؛2017م http: //www.hcie.ps/ar#/ar/about-us/16.html

- الأونروا تكرم مهندس وكالة ناسا والطالب السابق في الأونروا لؤي البسيوني، موقع الأونروا، https: //www.unrwa.org/ar/newsroom/press-releases

- المركز الفلسطيني للإعلام؛ رغم الجائحة والحجر العالمي.. حصاد الإبداع الفلسطيني عام 2020

- https: //palinfo.com/news/2021/01/07/35849/

- بلال غيث كسواني؛ النطف المهربة ابتكار جديد لصناعة الحياة من زنازين الموت الإسرائيلية، الحدث، 2015/1/27م، http: //www.alhadath.ps/article/11036/

- جامعة الأقصى، مركز الدراسات وقياس الرأي العام، 2021م، نتائج استطلاع الرأي حول (أسباب هجرة الشباب وأثرها على المجتمع الفلسطيني) https: //www.alaqsa.edu.ps/ar/adverdetail/2317/8927/contact_us.html

- رائد حلس، مستقبل الشباب الفلسطيني في ظل التحديات الراهنة دراسات سياسية، دراسات وأبحاث،

https: //www.prc.ps/%D9%85%D8%B3%D8%AA%D9%82%D8%A8%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%A8%D8%A7%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86%D9%8A-%D9%81%D9%8A-%D8%B8%D9%84-/7%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AD%D8%AF%D9%8A%D8%A

- رشاد أبو حميد؛ أين فلسطين من البحث العلمي؟ دنيا الوطن

https: //pulpit.alwatanvoice.com/content/print/363951.html

- وكالة فلسطين الإخبارية، في غزة: إبداعات خلف أبواب مغلقة، مارس 2015م،

https: //paltoday.ps/ar/post/232879/%D9%81%D9%8A-

- وكالة الأنباء الفلسطينية وفا: فوز فلسطين بالمركز الرابع عالميا في مسابقة " ISEF" https: //www.wafa.ps/Pages/Details/24825

- وكالة الصحافة الفلسطينية صفا، حصاد الإبداع الفلسطيني لعام 2021، 26 ديسمبر 2021، https: //safa.ps/p/318721

- (وكالة صفا، حصاد الإبداع الفلسطيني لعام 2022): https: //safa.ps/post/343664/

- ياسر أحمد علي، حصاد الإبداع الفلسطيني لعام 2019.. مبادرات فردية تفتقر للرعاية الرسمية، 2019/12/29 https: //www.aljazeera.net/blogs/2019/12/29-

- ياسر أحمد علي، الفلسطينيون رموز الأبداع، حصاد الإبداع الفلسطيني في 2020 بيروت – وكالة سند للأنباء، 28 ديسمبر 2020، https: //snd.ps/p/43251.

- ياسر أحمد علي، الإبداع الفلسطيني في النصف الأول من 2017، مدونة الجزيرة، 2017/6/17م.

http: //blogs.aljazeera.net/blogs/2017/6/17.

قراءة في آراء المؤرخين حول الحدود المصرية الشامية في العهد المملوكى

د.نسيم زريق أبوشلوف

جامعة الأقصى–غزة، كلية الآداب، قسم التاريخ،

nassem1978@hotmail.com

ملخص:

تناولت الدراسة موضوعاً متعلقاً بالجغرافية السياسية، ويفترض أن يتم من خلاله توضيح ماهية الحدود المصرية الفلسطينية ببعديها التاريخي والسياسي، مع تسليط الضوء على الجهود التي أوردها المؤرخون المسلمون في كتاباتهم عن جغرافية المنطقتين. كما قمنا بتحليل وتتبّع التطوّرات التاريخية التي ساهمت في تشكّل الحدود، وتحديد نوعية الأعمال التي اشتهرت بها هاتين المنطقتين، والوقوف على النتائج والانعكاسات التي ترتّبت على جغرافية المنطقة وساهمت في نمو نوع معين من المهن، بالإضافة إلى الانعكاسات الديموغرافية والسكّانية التي صاحبت هذه المرحلة. لذا، جاءت الدراسة تفسّر الواقع الحدودي والعوامل الطبيعة والجغرافية التي ساهمت في تشكّل الحدود بين المنطقتين، وتوضّح المساهمات البشرية من هجرات وتجارة، وما عكسته من واقع لجغرافية المنطقة وفق ما وصفه وكتبه المؤرخون المسلمون خلال العهد المملوكي. اعتمدت الدراسة على منهجين، هما: المنهج التاريخي، والمنهج الاستقرائي التحليلي.

الكلمات المفاتيح: فلسطين، مصر، الحدود، السكّان، النشاطات الاقتصادية، العهد المملوكي.

Abstract:

The study deals with geopolitics, and is supposed to clarify the nature, nature and importance of the Egyptian-Palestinian borders in their historical and political dimensions, highlighting the efforts made by Muslim historians in their writings on the geography of the two regions. We will analyze and follow the historical developments that contributed to the formation of the borders, determine the quality of the works that were famous in these regions, and find out the results and implications of the geography of the region and contributed to the growth of a particular type of occupations, in addition to the demographic and demographic implications that accompanied this stage. The study is intended to explain the borderline reality and the natural and geographical factors that contributed to the formation of the boundary between the two regions. It illustrates the human contributions of migrations and trade and the geographical reality of the area as described and written by Muslim historians during the Mamluk period.

Keywords: Palestine, Egypt, borders, population, economic activities, Mamluk era.

1. المقدمة:

تعد دراسة موضوع الحدود في المصادر الإسلامية، أمراً مطلوباً، ومقصداً من مقاصد الاستدلال على طبيعة كل مرحلة من مراحل التاريخ الاسلامي بتجلياتها المختلفة. وانطلاقاً من هذا المقاصد جاءت دراسة موضوع الحدود الفلسطينية المصرية في المصادر الإسلامية خلال العصر المملوكي.

وقد جاءت الدراسة في أربعه مباحث، هي:

- المبحث الأول: جغرافية فلسطين.
- المبحث الثاني: فلسطين من الناحية الإدارية في العهد المملوكي.
- المبحث الثالث: جغرافية بلاد الشام التاريخية.
- المبحث الرابع: حدود مصر وفلسطين حسب رأي الجغرافيين والمؤرخين في العهد المملوكي.
- المبحث الخامس: الحدود المصرية والفلسطينية حسب رأي الجغرافيين والمؤرخين في العهد المملوكي.

1.1 إشكالية الدراسة:

تسعى الدراسة إلى تتبّع واستعراض واقع وطبيعة الحدود المصرية من خلال الاعتماد على ما كتبه المؤرخين المسلمين، وتحديد معالم الوجهتين الواقعتين في قارتين مصر إفريقيا، وفلسطين آسيا، مع تبيان التطورات التي شهدتها من خلال ما ورد عند المؤرخين المسلمين حول حدود بلاد الشام الجنوبية.

2.1 أهداف الدراسة:

تسعى الدراسة إلى الوقوف على التطورات الحدوديّة المتّصلة بين مصرو فلسطين وانعكاساتها على الديموغرافيا، بفعل المعاملات التجارية واختلاط العناصر البشرية بين الجغرافيتين، وذلك من خلال الآتي:

- الوقوف على ماهية الحدود الجغرافية المتّصلة بين مصر وفلسطين.
- بيان مدى تأثير الحدود على حركة التجارة، وانتعاش اقتصاد المنطقتين.

– إظهار إلى أي حدّ انعكست طبيعة الحدود بأبعادها المكانية والجغرافية على الديموغرافيا وتنوّع السكان.

3.1أهمية الدراسة:

تنبع أهميّة الدراسة كونها تسعى إلى الوقوف على أهمية دراسة الحدود من خلال ما كتبة المؤرخين المسلمين، وكذلك تبيان مواطن الاتفاق والاختلاف حولها.

4.1منهجية الدراسة:

استندت الدراسة في معالجة هذا الموضوع على منهجين بحثيين، من المتوقع ان يفيا بطريقة البحث وتحديد مخرجاته، وهما: المنهج التاريخي، والمنهج الاستقرائي التحليلي.

2. المبحث الأول: جغرافية فلسطين وتضاريسها:

اعتاد الجغرافيون المسلمون تقسيم فلسطين لعدة أقسام من أهمها سطحها الطبيعي، وحدودها وخاصة في العهد المملوكي، ومن المعروف إن فلسطين قبل سيطرة المماليك عليها كانت تحت حكم الأيوبيين ولم تكن واضحة المعالم الجغرافية بسبب سيطرة الفرنج على جزء منها. وأهم هذه الأقسام أربعة وهي: السهل الساحلي ومن أهم مدنه: غزة والرملة واللد وقاقون[375].

[375]. القلقشندى، أحمد بن عبد الله، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، 4/ 102، 103، 104. المقدسي، أبو عبد الله بن أحمد أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ج1، ص171.العمري، أحمد بن يحيي، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، 319/3 وقاقون: حصن بفلسطين قرب الرملة وقيل هو من عمل قيسارية من ساحل الشام، أنظر، ياقوت، شهاب الدين ابو عبد الله، معجم البلدان، 299/4. لمزيد ينظر: أبوشلوف، نسيم زريق، الأوضاع الاجتماعية في فلسطين في العهد المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة الجامعة الإسلامية –غزة سنة2009م، 17–26.

والمنطقة الجبلية الغنية بالجبال والشجر والقرى والعيون والماء والمزارع ومن أهم مدنها بيت جبرين[376] وإيليا[377] ونابلس واللجون[378]وقدس[379] والبقاع[380]، وهو الشيء الذي أكد عليه القلقشندي وذكر المنطقة الجبلية وبها ثلاثة أعمال: عمل القدس والخليل ونابلس[381].

أما القسم الثالث فهو الأغوار الغنية بالقرى والأنهار[382] وهي عشرة أعمال[383] وقد ذكر في حدودها من الجنوب جبال الغور المجاورة لمرج بني عامر، ومن الشرق البرية، ومن الشمال حدود ولاية دمشق، ومن الغرب الأغوار إلى بلاد الشقيف[384]، ومن أعمالها بيسان وبانياس[385] وعمل

376. بيت جبرين بليد بين بيت المقدس وغزة وبينه وبين القدس مرحلتان وبين غزة أقل من ذلك وبين بيت جبرين وعسقلان واد يزعمون أنه وادي النملة التي خاطبت سليمان بن داود عليه السلام، أنظر: ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله، معجم البلدان، 519/1.

377. إيلياء اسم مدينة بيت المقدس قيل معناه بيت الله، وقد سمي البيت المقدس إيلياء بقول الفرزدق وبيتان بيت الله نحن ولاته وقصر بأعلى إيلياء مشرف، وقيل إنما سميت إيلياء باسم بانيها وهو إيلياء بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، أنظر: ياقوت، شهاب الدين ابو عبد الله، معجم البلدان، 293/1.

378. اللجون واللجن واللزج واحد وهو بلد بالأردن وبينه وبين طبرية عشرون ميلا وعن الرملة بفلسطين أربعون ميلا، أنظر: ياقوت، شهاب الدين ابو عبد الله، معجم البلدان، 13/5.

379. قدس بلد بالشام قرب حمص فتحها شرحبيل بن حسنة، وإليه تضاف بحيرة قدس، أنظر: ياقوت، شهاب الدين ابو عبد الله، معجم البلدان، 311/4.

380. المقدسي، ابو عبد الله بن أحمد، أحسن التقاسيم، 171/1.العمري، أحمد بن يحيي، مسالك الأبصار، 319/3. والبقاع تشمل الكثير من المناطق في الشام ينظر: المقدسي، أحسن التقاسيم، 142/1.

381. القلقشندى، أحمد بن الله، صبح الاعشى، 104/4، 105، 106، 107، العمري، أحمد بن يحيي، مسالك الأبصار، 319/3.

382. المقدسي، ابو عبد الله أحمد، أحسن التقاسيم، 171/1.

383. العمري، أحمد بن يحيي، مسالك الأبصار، 319/3.

384. القلقشندى، أحمد بن عبد الله، صبح الأعشى، 107/4، والشقيف: هي قلعة حصينة جداً في كهف من الجبل قرب بانياس من أرض دمشق تقع بينها وبين الساحل: أنظر: ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله، معجم البلدان، 356/3.

385. بلدة تقع بين دمشق وصور، أنظر: ياقوت، شهاب الدين ابو عبد الله، معجم البلدان، 14/2.

نوى و عمل أذرعات[386] وعمل عجلون[387] والبلقاء[388] وصرخد[389] وبصري[390]، أما القسم الرابع فإن الكثير من مناطقه وقراه لا تقع في فلسطين سوى بعض أطراف المنطقة التي ذكرها المقدسي وهي "والصف الرابع سيف البادية وهي جبال عالية باردة معتدلة ذات قرى و عيون وأشجار يقع فيه من البلدان موآب و عمان وأذرعات ودمشق وحمص وتدمر وحلب ... وصارت الأرض المقدسة في الجبال المطلة على الساحل"[391]. ولعلنا ندرك مما تقدم الصورة الجغرافية، والأقسام الطبيعية التي تشكلت منها فلسطين، والتي لها أثر مباشر على البنية السكانية التي سنلاحظها في الصفحات القادمة.[392]

وتمتعت فلسطين بأهمية كبيرة عند الجغرافيين المسلمين لعدة أسباب: منها مكانتها الدينية العريقة, إلى جانب وجود العديد من المنشآت العمرانية والبقايا الأثرية التي تخدم هذا الجانب، وكذلك الموقع الجغرافي المتميز فهي البوابة للقادمين من قارة آسيا في طريقهم إلى إفريقيا عبر مصر وبالعكس، وهي إحدى أهم الطرق الآسيوية الواقعة على البحر المتوسط باتجاه أوروبا، وهي الممر الذي لابد من اجتيازه منذ قرون لمعظم القوافل المتحركة من الشمال إلى الجنوب ومن الجنوب إلى الشمال، وهي فضلاً عن هذا وذاك ذات مكان وسط عبر مساحات العالم القديم على المستويات السياسي والعسكري والحضاري.[393] وقد وصفها أبي الفداء بأنها "كورة كبيرة تشتمل على بيت المقدس وغزة وعسقلان ... وفلسطين أرخى بلدان الشام مدينتها العظمى الرملة"[394] وقدم ابن

---

386. ذكر العمري أنها البثنة وهو اسم لناحية من نواحي دمشق ولكن ياقوت ذكر أن البثنية قرية بين دمشق وأذرعات ينظر: مسالك الأبصار، 319/3. معجم البلدان، 338/1.

387. عجلون من أعمال الأردن، وهي على جبل مطلّ على الغور أنظر: العمري، أحمد بن يحيي، مسالك الأبصار، 319/3.

388. البلقاء كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى قصبتها عمان وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة وبالبلقاء مدينة الشراة شراة الشام أرض معروفة أنظر: ياقوت، شهاب الدين ابو عبد الله، معجم البلدان، 489/1.

389. صرخد بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق وهي قلعة حصينة، أنظر: ياقوت، شهاب الدين ابو عبد الله، معجم البلدان 401/3.

390. العمري، أحمد بن يحيي، مسالك، 310/3–320، القلقشندي: أحمد بن عبد الله، صبح الأعشى، 107/4–109.بُصرى ذكر أنها حوران أنظر: العمري، أحمد بن يحيي، مسالك الأبصار، 319/3.

391. أحسن التقاسيم، 171/1.

392. أبوشلوف، نسيم زريق، الأوضاع الاجتماعية في فلسطين في العهد المملوكي، 23.

393. خليل، عماد الدين: فلسطين في الأدب الجغرافي العربي، المجلد 3 /183، بحث في المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام عمان الأردن 1980.

394. أبو الفداء، اسماعيل بن عمر، تقويم البلدان، 98.

بطوطة معلومات في غاية الأهمية عن مدينة الرملة بفلسطين في قوله: " مدينة كبيرة ذات خيرات‘ حسنة الأسواق"[395].

ومن ذلك يمكن الاستنتاج أن الموقع الجغرافي قد أثر في جميع جوانب الحياة لبلاد الشام وبالخصوص فلسطين سواء كانت اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية أو العسكرية، وهذا يعتبر وصف سريع لجغرافية فلسطين الطبيعية والتي تشمل السهول والجبال والأغوار والصحراء بما شملته هذه الأقسام من مدن وأنهار وبحار وبحيرات.

3. المبحث الثاني: فلسطين من الناحية الإدارية:

لأهمية فلسطين وخصوصيتها قسمت من الناحية الإدارية في العهد المملوكي الى نيابات، وهي: نيابة غزة والقدس وصفد[396]، وعلى سبيل المثال فقد تطرق ابن شداد لنشأة نيابة صفد بعد أن فتحها الظاهر بيبرس فقال: "ثم رتب السلطان فيها والياً ... وجعل فيها أربعة وخمسين مملوكاً من مماليكه، واقطعهم بلدها إقطاعاً ...وسير نيابته في بلدها"[397] ويلاحظ من النصوص التاريخية المتوفرة لدينا أن حدود نيابة صفد كانت متسعة بشكل كبير في فترة حكم الدولة المملوكية فقد شملت التالي[398]: حدها من الغرب البحر المتوسط، ومن الشمال حوض نهر الزهراني، ومن الشرق طرف مرج عيون[399]، امتداداً حتى نهر الحاصباني[400]، ثم مجرى نهر الأردن حتى جسر الصنبرة[401]، وأما من الجنوب بدايات إقليم يشمل مرج ابن عامر حتى البحر المتوسط ومن المؤكد أن مناطق نيابة صفد قد احتلت مكاناً استراتيجياً في وسط بلاد الشام، بما امتلكته من الموارد والإمكانيات[402] أما نيابة غزة فقد تباينت الآراء حول نشأتها حيث ذكر المؤخرون أنها نشأت إبان فترة حكم الظاهر بيبرس وخاصة المؤرخ المقريزي حيث يقول في حوادث 680هـ/1281م: "ثارت

---

395. ابن بطوطة، محمد بن عبد الله، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، 80/1. لمزيد أنظر: أبوشلوف، نسيم زريق، الأوضاع الاجتماعية في فلسطين في العهد المملوكي، 17–26.

396. صفد، فتحها الظاهر بيبرس في سنة 664هـ "في ثامن رمضان وأخذت في أربعين يوماً بخديعة: الذهبي، محمد بن أحمد، العبر في خبر من غبر، 309/3، ابن العماد، عبد الحي بن أحمد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، 314/5.

397. الأعلاق الخطيرة نقلاً عن زكار، فلسطين في العهد المملوكي، 556.

398. القلقشندي، أحمد بن عبد الله، صبح الأعشى، 246/4.

399. تقع على ساحل الشام، أنظر: ياقوت، شهاب الدين ابو عبد الله، معجم البلدان، 101/5.

400. نهر الحاصباني نسبة إلى بلدة حاصبيا في جنوب لبنان وهو ينبع من السفوح الشمالية الغربية لجبل الشيخ أو جبل حرمون. يبلغ طول النهر داخل الأراضي اللبنانية 24 كلم ثم يخرج منها إلى فلسطين حيث يدعى نهر الأردن. يشكل نهر الوزاني المتدفق من نبع الوزاني أحد روافد نهر الحاصباني وهناك رافد أخر يدعى نهر يغيث https: //ar.wikipedia.org/. (نهر الحاصباني).

401. الصنبرة: موضع بالأردن مقابل لعقبة أفيق بينه وبين طبرية ثلاثة أميال والصنبر بكسر الباء، أنظر: ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله، معجم البلدان 425/3.

402. انظر: زكار، فلسطين في العهد المملوكي، المجلد الثالث، الموسوعة الفلسطينية، 557.

العشران[403] ونهبوا نابلس، وقتلوا مقتلة عظيمة، فركب الأمير علاء أيدكين الفخري[404] من غزة وقبض على جماعة منهم، وشنق اثنين وثلاثين من أكابرهم، وسجن كثيراً منهم بصفد، ورتب الأمير علاء الدين أيدغدي الصرخدي[405] نائباً بالبلاد الغزاوية والساحلية لردع العشير" [406]وقال ابن شداد عن نيابة غزة: "وهي في عصرنا الذي وضعنا فيه الكتاب، فيها نواب مولانا السلطان الظاهر ركن الدنيا و الدين بيبرس الصالحي"[407].

ويمكن القول أن نيابة غزة كانت محط اهتمام السلاطين المماليك بسبب أهميتها الاستراتيجية ودورها الكبير في صد هجمات العدو عن مقر الدولة المملوكية في مصر، فنجد أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون اهتم بنيابة غزة وذكر أنه" مصرهَا وجعلها على هذه الهيئة، وكانت كإحدى قرى بلاد الشام وجعل لها نائباً...ولم تكن قبل ذلك إلا ضيعة من ضياع الرملة"[408]. وبناء على ما سبق يمكن الاستنتاج أن غزة أصبحت في سنة 711هـ/ 1311م نيابة على عهد الناصر محمد بن قلاوون، الذي عين لها نائباً وجعلها مدينة كبيرة، بعد أن كانت ضيعة[409].

أما الرحالة المغربي العبدري الذي زار غزة في أيام الأشرف خليل بن قلاوون فقد وصفها بقوله: "وغزة مدينة متسعة عامرة لا سور لها، وبينها وبين البحر مسافة أميال، وهي أكثر عمارة من كل ما تقدم ذكره من بلاد الشام، وهي جسر إلى مصر وإلى الشام، وبها أسواق قائمة، ومساجد معمورة ولها جامع مليح حسن، لكنها قد عريت من عالم أو متعلم، وأقفرت من فقيه ومتكلم، فهي عامرة وقائمة دائرة "[410] وهنا يتضح نفي رواية ابن تغري بردي الذي قال فيها عن غزة بأنها ضيعة تتبع مدينة الرملة، حيث كانت مدينة مزدهرة فيها الجوامع والأسواق. ومن الملاحظ أن رواية ابن شداد هي أدق الروايات من الناحية التاريخية فقد ذكر أن غزة سارت نيابة في عهد الظاهر بيبرس؛

---

[403]. هو لفظ أطلقته مصادر التاريخ المملوكي على القبائل البدوية التي سكنت الشام أو مصر والبعض ميز بين العشير والعربان: أنظر، المقريزي أحمد بن علي، السلوك لمعرفة دول الملوك، 151/2. القلقشندي أحمد بن عبد الله، صبح الأعشى، 156/3.

[404]. أيدكين الأمير علاء الدين الصالحي نائب قوص كان بطلاً شجاعاً مشهوراً من كبار الأمراء المصريين ضابطاً وخلف أموالاً عظيمة وكان من مماليك الصالح أيوب توفي سنة خمس وسبعين وستمائة، أنظر: الصفدي، خليل بن أيبك، الوافي بالوافيات، 274/9.

[405]. الأمير علاء الدين الأعمى أيدغدي ناظر أوقاف القدس والخليل أنشأ العمائر والربط بالقدس والخليل وكان من أحسن الناس سيرة وأجملهم طريقة عمر الأوقاف في أيامه وتضاعف مغلها وقيل إنه كان إذا مر به فرس من خيله عرفه وقال هذا من خيلي توفي بالقدس سنة 693هـ/1293م أنظر: الصفدي، خليل بن أيبك، الوافي بالوافيات، 274/9.

[406]. المقريزي، أحمد بن علي، السلوك لمعرفة دول الملوك، 151/2.

[407]. الأعلاق الخطيرة نقلاً عن زكار، 573.

[408]. ابن تغري بردي، يوسف الاتابكى، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، 19/9.

[409]. زكار، سهيل، فلسطين في العهد المملوكي، 573.

[410]. رحلة، نقلاً عن زكار، فلسطين في العهد المملوكي، 573–574.

لأنها تعتبر البوابة الرئيسة الموصلة إلى مصر مركز السلطنة المملوكية، ولكن السبب الذي دفع لهذا الاختلاف بين المؤرخين، ربما أنها كانت نيابة صغيرة، وتطورت وبلغت ذروتها على عهد الأشرف خليل بن قلاوون.

أما عن نيابة بيت المقدس فقد ذكرت معاهدة سنة 682هـ/1283م بين السلطان قلاوون والفرنجة ما يدل على أن مدينة القدس كانت نيابة وغزة اعتبرت ثغر أي "منطقة حدودية". فقالت هذه المعاهد " ثغر غزة المحروسة وما معها من الموانئ والبلاد... ومملكة بلاد الخليل صلوات الله عليه وسلامه ومملكة القدس الشريف وأعمالها"[411]. هذا ومن المؤكد أن مدينة القدس أصبحت في تلك الفترة نيابة كغيرها من النيابات، أما القلقشندي فقد أكد أنها أصبحت نيابة منذ سنة 777هـ/1375م[412]، ويذكر بعض المؤرخين أنها أصبحت نيابة في عهد الظاهر برقوق[413] سنة 796هـ/1393م بسبب ظهور خطر تيمورلنك وزيادة تأثيره على قوة دولة المماليك[414]، وهذا يعتبر الرأي الراجح بسبب ما قام به السلطان برقوق من إصلاحات، وأكده المؤرخ العليمي بقوله" وفي أيامه عمرت دكة المؤذنين بالصخرة الشريفة تجاه المحراب إلى جانب باب المغارة بمباشرة ناظر الحرمين ونائب القدس "[415].

4. المبحث الثالث: جغرافية بلاد الشام التاريخية:

1.4 التسمية: اختلفت آراء الجغرافيين وأصحاب المعاجم حول تسمية بلاد الشام بهذا الاسم، فقد قال بعضهم أن: الشام بلاد تذكر وتؤنث، ويقال شأم وشام بالهمز وتركه، وإنما سميت شاماً لوقوعها شمال الكعبة[416]، وأيضا منهم الزمخشري واشترك معه في نفس الرأي الفراهيدي حيث ذكر " ورجل شآم، وقد أشأم، وتقول: جمع بين المتفرق، وقرن المشئم بالمعرق. وقعد شأمة: يسرة. والشأم

---

411. المقريزي، أحمد بن علي، السلوك لمعرفة دول الملوك، 166/2.

412. القلقشندى، أحمد بن على، صبح الاعشى، 205/4, 206.

413. قام بدولة الشراكسة جلبه عثمان بن مسافر فلذلك يقال له برقوق العثماني فاشتراه الأتابك يلبغا العمري وهو من جملة الأتراك الذين مسهم الرق من مماليك بنى أيوب وإنما سمى برقوق لجحوظ في عينية وتقلبت به الأحوال إلى أن صار أمير مائة فقام بخلع الملك الصالح حاجي وتولي السلطنة بعد سنة ونصف في يوم الأربعاء تاسع عشر رمضان سنة 784هـ/1382م، أنظر: العصامي، عبد الملك بن حسين، سمط النجوم العوالى، 38/4-40، الشوكاني، محمد بن علي، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، 162/1-163.

414. المقريزي، أحمد بن علي، السلوك، لمعرفة دول الملوك، 166/5. العليمي، مجير الدين، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 93/2، 94، أنظر: ابن عرب شاه، عجائب المقدور في أخبار تيمور، (مخطوط غير محقق)، ص97.

415. العليمي، مجير الدين، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 94/2. لمزيد أنظر: أبو شلوف، نسيم زريق، الأوضاع الاجتماعية في فلسطين في العهد المملوكي، 17-26.

416. ابن منظور، محمد بن مكرم لسان العرب، 171/1؛ المقدسي، شهاب الدين ابن محمود، مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام، 82.

عن مشأمة القبلة و"هم أصحاب المشأمة ". وشائم بأصحابك: ياسر، واعتمد على رجله الشؤمى: اليسرى، ومضى على شؤمي يديه. وشئم فلان وهو مشئوم، وأصابهم بالشؤم والمشأمة، وجرى لهم الطائر الأشأم"[417].

وقيل لأن أرض الشام مختلفة الألوان الحمرة والبياض والسواد، ولوجود جبال هناك سود وبيض كأنها شامات فسميت شاماً وقال صاحب القاموس المحيط أن" الشَّأمُ بِلادٌ عن مَشْأمَةِ القِبْلَةِ، وسُمِّيَتْ لذلك، أو لأَنَّ قَوْماً من بني كَنْعانَ تَشاءَموا إليها، أي تَياسَروا، أو سُمِّيَ بِسامِ بنِ نُوحٍ، فإنَّهُ بالشينِ بالسُّرْيانِيَّةِ، أو لأَنَّ أرْضَها شاماتٌ بيضٌ وحُمْرٌ وسودٌ، وعلى هذا لا تُهْمَزُ، وقد تُذَكَّرُ، وهو شامِيٌّ وشآميٌّ وشآمٍ. وأشْأمَ أتاها"[418] ، أو لكثرة قراها وتداني بعضها من بعض فشبهت بالشامات، كما سمي الخال في بدن الإنسان شامة ويجمع على شامات[419]، كما جاءت التسمية نسبة لسام بن نوح لأنه كان أول من نزلها فتطيرت العرب أن تسكنها وأسمها سام لأن السام اسم الموت، فقال: شام[420]، وقيل سميت الشام شاماً لأن قوماً من كنعان بن حام خرجوا عند تفرقهم فتشاءموا إليها أي أخذوا ذات الشمال[421] وقيل حول التسمية أيضاً، أن الشام سميت بهذا الاسم نسبة إلى سام ابن نوح عليه السلام لأنه أول من سكنها حيث حرفت السين شين لتغير اللفظ وهي بأرض فلسطين وكان الاسم الأول للشام سوري فاختصرت العرب من شاهين الشام وغلب على الصقع كله [422].

وقيل لأن أرضه مختلفة الألوان بالحمرة والسواد والبياض خمسين شاماً كما يسمى الخال في بدن الإنسان شامة[423]. ويقال أنها سميت شاماً لأنها شمال الكعبة وتجوز على الوجهان أحدهما من اليد الشوامي وهي اليسرى والثانية أن يكون فعلاً من الشؤم[424]، ويطلق أهل العراق على المنطقة

---

417. الزمخشري، محمود بن عمرو، أساس البلاغة، 1 /234. الفراهيدي، الخليل بن أحمد العين، 13/2.

418. الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب القاموس المحيط، 244/3. ابن شداد، محمد بن علي، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ق، 5/1–6. المقدسي، شهاب الدين محمود، مثير الغرام الى زيارة القدس والشام، 82. الحميري، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، 335. علي، كرد، خطط الشام، 8/1.

419. المقدسي، شهاب الدين محمود، مثير الغرام، 82: النووي، محيي الدين بن شرف، تهذيب الأسماء واللغات، ق1: 171/1.

420. شيخ الربوة، محمد بن طالب، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، 258: المقدسي، شهاب الدين محمود، مثير الغرام، 82: ابن شاهين الظاهري، غرس الدين خليل، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك،.–41 42

421. المقدسي، مثير الغرام، 82.

422. ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله، معجم البلدان، 312/3. القلقشندي، أحمد بن عبد الله، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، 81/4.

423. القلقشندي، أحمد بن عبد الله، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، 81/4.ياقوت، شهاب الدين ابو عبد الله، معجم البلدان، 312/3.المقدسي، أبو عبد الله بن أحمد، أحسن التقاسيم، ج1، ص 140.

424. القلقشندي، أحمد بن عبد الله، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، 81/4.

التي تقع وراء الفرات شاماً[425] وذكر فيها أنها جمع شامة لكثرة قراها وتداني بعضها من بعض فشبهت بالشامات[426].

ومن أسباب تسميتها أيضاً أن قوم من كنعان بن حام خرجوا عن التفرق فتشاءموا إليها أي اتجهوا نحو الشمال فسميت الشام وكانت تسمى أرض كنعان[427]، وتتمتع بلاد الشام كذلك بأهمية جغرافية حيث أنها حلقة وصل ما بين البحر المتوسط وهضبة الأناضول وشبه جزيرة العرب وكذلك تربط بين وادي النيل ووادي الرافدين وأوروبا[428].

وعن الموقع فإنها، تقع ما بين خطي 34 و37 وخطي عرض 31 و[429]34، وتقع بلاد الشام بالنسبة لقارات العالم في وسط غرب قارة آسيا على طول الساحل الشرقي للبحر المتوسط من خليج الإسكندرونة شمالاً حتى شواطئ شبه جزيرة سينا في الجنوب[430]، ونتيجة لهذا الموقع المتميز تقع بلاد الشام في قلب العالم القديم إذا تتوسط قاراته الثلاثة آسيا وأفريقيا وأوروبا[431].

وكذلك نجد أن التقسيمات الإدارية لبلاد الشام اختلفت خلال الفترات التاريخية المختلفة، فمنهم من ذكر مدن الشام[432] وقسمها إلى كور [433]، وبعضهم لأجناد ومساحة كل جند [434]، وإذا ما أردنا أن نتحدث عن حدود بلاد الشام الجنوبية فقد اختلف في تحديدها وهذا ما سيأتي تفصيله فيما بعد، فقد ذُكِرَ أن رفح هي الحد الفاصل بين الشام ومصر[435] ولكن اليعقوبي ذكر أن موضع

---

425. ياقوت، شهاب الدين ابو عبد الله، معجم البلدان: 312/3.المقدسي، ابو عبد الله بن أحمد، أحسن التقاسيم، 140/1.

426. ياقوت، شهاب الدين ابو عبد الله، معجم البلدان: 312/3.

427. القلقشندي، أحمد بن عبد الله صبح، الأعشى في صناعة الإنشا، 81/4. ياقوت، شهاب الدين ابو عبد الله، معجم البلدان 312/3.

428. غلاب، محمد السيد: سكان فلسطين ودراسة تاريخهم الجنسي، 136، الحويري، محمود محمد، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر من الميلاد عصر الحروب الصليبية، 15.

429. مكاحلة، نهي، الزراعة في بلاد الشام في العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة اليرموك 1992)، 33.

430. الحمود، رنا، حرف وصناعات بلاد الشام في العهد المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة اليرموك، 1996، 5.

431. نصري، كامل، وآخرون، جغرافية سوريا، 15/1.

432. ابن خردادبة، عبيد الله بن عبد الله، المسالك والممالك، 75، 79.

433. المقدسي، أبو عبد الله بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، 141/1.ابن عساكر، على بن الحسين تاريخ دمشق، 84/2. الإدريسي، محمد بن محمد، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، 355/1.

434. المقدسي، المطهر بن طاهر، البدء والتاريخ، 71/4. أبو الفداء، اسماعيل بن عمر، تقويم البلدان، 226، 227. البكري، عبد الله بن عبد العزيز، معجم ما استعجم، 114/1.

435. الاصطخري، ابراهيم بن محمد، مسالك الممالك، ص 55.

الشجرتين بين رفح والعريش يعتبر الحد الفاصل بين بلاد الشام ومصر [436]، أما الحموي فقد اعتبر أن مدينة غزة أقصى الشام من ناحية مصر[437]، وهي حدود برية تكاد تخلو من السكان اخرها عند مدينة رفح على البحر المتوسط [438]، وهذه المنطقة صحراوية تمتد من فلسطين إلى جبال الشراة، وذكر شيخ الربوة أنها حداً فاصلاً بين بلاد الشام وبلاد الحجاز فقال أن " الشام تقع في جهة الشمال من جزيرة العرب".[439]

أما الحدود الجنوبية الشرقية لبلاد الشام امتدادها من أيلة " العقبة " حتى مدينة بالس[440]، أما الحدود الشمالية لبلاد الشام فتتصل ببلاد الروم وهي غير ثابتة لأنها منطقة ثغور بسبب كثرة الحروب فيها ولكن الثابت أن جبال طوروس هي الحدود الفاصلة بين بلاد الشام وبلاد الروم[441].

ودعم هذا الرأي البلاذري بقوله: " أن ثغور المسلمين الشامية أيام عمر وعثمان وما بعد ذلك أنطاكيا... كان المسلمون يغزون ما وراءها كغزوهم اليوم وراء طرسوس وكان بين الإسكندرونة وطرسوس حصون ومسالح للروم "[442].

أما ابن حوقل فقدم وصف حدود بلاد الشام وصفاً تفصيلياً وذكر أن غربها بحر الروم وشرقها البادية من أيلة إلى الفرات، وقد حدد مجموعة من المدن تقع على الجانب الشرقي من بلاد الشام وهي أيلة، معان، الجفر، تدمر، سلمية، الخناصرة، بالس حتى مدينة ملطية التي تعتبر آخر الشام من الجهة الشمالية الشرقية المحاذية لبلاد الروم[443]، ويرى أبو الفداء أن الحد الشرقي يمتد من البلقاء حتى مشارف مدينة صرخد.[444]

أما الحدود البرية التي تقع في جهة بلاد الشام من الغرب تمتد من مدينة طرسوس غرب أظنة إلى مدينة رفح أو الجفار بين مصر والشام.[445]

---

[436]. البلدان، 33.

[437]. معجم البلدان، 202/4.

[438]. ابن الشحنة، الحسين بن محمد، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، 40.

[439]. نخبة الدهر، 192.

[440]. الأصطخري، إبراهيم بن محمد، المسالك والممالك، ص 55.

[441]. عطوان، حسين، الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأموي، ص 68–71.

[442]. البلاذري، أحمد بن يحيي، فتوح البلدان، 164.

[443]. ابن حوقل، محمد بن حوقل، صورة الأرض، ق1، 153.أنظر: المقدسي، أبو عبد الله بن أحمد، أحسن التقاسيم، 92/1.

[444]. تقويم البلدان، 225.

[445]. ياقوت، شهاب الدين بن عبد الله، معجم البلدان 3/ 54، 202/4. رمضان، أحمد محمد: المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، 14.

ويمكن الاستنتاج بناء على ماسبق أن حدود بلاد الشام لم تكن ثابتة في المراحل التاريخية المختلفة ويبدو أنها كانت تخضع للظروف السياسية والاقتصادية للدولة الإسلامية أو للتقسيمات الإدارية التي حدثت في أقاليم الدولة الإسلامية عند تغير السلطات.

5. المبحث الرابع: الحدود المصرية الفلسطينية حسب رأي جغرافي ومؤرخي العهد المملوكي:

لم يتفق الجغرافيون الأوائل في إعطاء وصف دقيق وواضح لحدود بلاد الشام وطبيعتها الجغرافية، فكل واحد منهم ذكرها حسب تقسيم المنطقة في عصره إما كوراً[446] أو أجناداً[447]. أما الدكتور محمود عطاالله فقد وصف الحدود بالتأرجح وعدم الثبات خاصة في المنطقة الجنوبية لنيابة غزة في العهد المملوكي كغيرها من النيابات في بلاد الشام ويرجع السبب في ذلك لقوة النائب فإذا كان قوياً مد نفوذه خارج حدود نيابته[448].

ومن أوائل الجغرافيين الذين قدموا وصفاً واضحاً لحدود بلاد الشام بشكل عام الأصطخري صاحب كتاب المسالك والممالك حيث ذكر أن جند فلسطين – وهو أول أجناد الشام مما يلي المغرب – فأنه تكون مسافته للراكب طول يومين من رفح إلى حد اللجون، وعرضه من يافا إلى ريحا يومان، وأما زغر وديار قوم لوط والجبال والشراة فمضمومة إليها، وهي منها في العمل إلى أيلة، وديار قوم لوط والبحيرة الميتة وزغر إلى بيسان وطبرية تسمى الغور لأنها بين جبلين، وسائر بلاد الشام مرتفع عليها، وبعضها من الأردن وبعضها من فلسطين في العمل، وأما نفس فلسطين فهو ما ذكرته، وفلسطين ماؤها من الأمطار، وأشجارها وزروعها أعداء إلا نابلس، فإن بها مياهاً جارية، وفلسطين أزكى بلدان الشام، ومدينتها العظيمة الرملة، وبيت المقدس يليها في الكبر، وبيت المقدس مدينة مرتفعة على جبال يصعد إليها من كل مكان قصد في فلسطين، وبها مسجد ليس في الإسلام مسجداً أكبر منه، والبناء في زاوية من غربي المسجد يمتد على نحو نصف عرض المسجد، والباقي من المسجد فارغ إلا موضع الصخرة، فإن عليه حجراً مرتفعاً مثل الدكة" ويحدها من الشرق البادية الممتدة من أيلة إلى الفرات، وذكر المدن التي تقع على طول الحد الشرقي [449] وهي: أيلة، معان، سلمية، تدمر، الخناصرة، بالس، جسر منبج، سمسياط، وملطية، وجعل نهاية

---

[446]. ابن رسته، أحمد بن عمر، الأعلاق النفيسة، 107. لمزيد ينظر، الطراونة، محمد مبارك، الحياة الاجتماعية في بلاد الشام عصر المماليك الجراكسة، ص 36–45.

[447]. ابن رستة، أحمد بن عمر، الاعلاق النفسية، 107؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، 258: القلقشندي، أحمد بن عبد الله، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، 78/4، 123.

[448]. عطاالله، محمود علي خليل، نيابة غزة في العهد المملوكي، 59. بكير، مروان عبد القادر، المدينة الفلسطينية في عهد المماليك، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بير زيت 2004–2005م، 10–20.

[449]. لمزيد عن مدن بلاد الشام وقراها ينظر ملحق (1).

الحد مع مصر خط يسير من رفح عبر صحراء سيناء إلى أيلة، أما الحد الشمالي فجعله يبدأ من ملطية على الحدث ومرعش والكنيس الهارونية وعين زربة والمصيصة واذنة إلى طرسوس[450].

ونجد أن جغرافيو العصر المملوكي قد اختلفت آرائهم في تحديد المنطقة الجنوبية من بلاد الشام فأغلب الآراء اتفقت مع رأي ياقوت الحموي الذي ذكر حدوداً عامة لبلاد الشام "حدها من الفرات إلى العريش المتاخم للديار المصرية، وأما عرضها فمن جبل طي من نحو القبلة إلى البحر المتوسط"[451].

وأما شيخ الربوة فيعتبر مدينة منبج أول مدن الشام من جهة الشرق "عرضه الأعرض من منبج على طرسوس"[452] مع العلم أن بالس هي أول الشام كما هو واضح[453] ويبدوا أن شيخ الربوة نقل هذه المعلومات الجغرافية عن من سبقه من الرحالة والجغرافيين المسلمين فقد قال خسرو" ونزلنا في منبج وهي أول مدن الشام وطقسها معتدل جداً ولم يكن خارج المدينة عمارات قط وقد سرت منها إلى حلب، ومن ميافارقين إليها إلى حلب مائة فرسخ"[454]، ولكن الادريسي كان أكثر دقة في تحديد المسافات بين المدن السابقة فقال: " والشام أول طوله من ملطية إلى رفح والطريق من ملطية على منبج وبينهما أربع مراحل ومن منبج إلى حلب يومان ومن حلب إلى حمص خمسة أيام ومن حمص إلى دمشق خمسة أيام ومن دمشق إلى طبرية أربعه أيام ومن طبرية إلى الرملة ثلاثة أيام ومن الرملة إلى رفح يومان فذلك خمس وثلاثون مرحلة."[455] وأكد ذلك المؤرخين المحدثين فذكر محمد كرد علي في كتابه خطط الشام وكان أكثر تحديداً في ذكر المساحة لبلاد الشام بالتحديد بقولة: " أن علماء الإفرنج ذكروا معدل طول الشام نحو ألف كيلو متر وعرضه نحو مائة وخمسين كيلو متراً ومساحته 183 ألف كيلو متر مربع وقال بعضهم: إن مساحته السطحية نحو 280 ألف كيلو متر"[456].

ويتوسع أبو الفداء، في تفصيل ووصف الحدود بشكل أوضح ذاكراً أسماء المدن والقرى الحدودية حيث اعتبر أن البحر المتوسط حد الشام من الغرب الذي يبدأ من مدينة طرسوس إلى رفح التي في أول الجفار بين مصر والشام، أما من جهة الجنوب فحده يمتد من رفح عبر صحراء

---

450. الاصطخري، ابراهيم بن محمد، مسالك الممالك، 55، 68: حسين، فالح، الحياة الزراعية في بلاد الشام في العصر الأموي، 11، مكاحلة، نهي، الزراعة في بلاد الشام في العصر المملوكي، 24.

451. ياقوت، شهاب الدين ابو عبد الله، معجم البلدان، 212/2. لمزيد ينظر، الطراونة، محمد مبارك، الحياة الاجتماعية في بلاد الشام عصر المماليك الجراكسة، 36–45.

452. شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص285.

453. الطراونة، محمد مبارك، الحياة الاجتماعية في بلاد الشام عصر المماليك الجراكسة، 36–45.

454. سفر نامه، ص: 44.

455. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، 2/ 651.

456. عَلي، كُرْد، خطط الشام، 12/1.

سيناء إلى ما بين الشوبك وأيلة إلى البلقاء ويحيط به من جهة الشرق حد يمتد من البلقاء إلى ماريق صرخد أخذاً على أطراف الغوطة إلى سلمية إلى مشاريق حلب إلى بالس ويحيط به من جهة الشمال حد يمتد من بالس مع الفرات إلى قلعة نجم إلى البيرة على قلعة الروم إلى سمسياط على حصن منصور إلى بهنسا إلى مرعش إلى بلاد سيس إلى طرسوس[457] إلى البحر المتوسط[458].

ومما يلفت النظر أن أبا الفداء رغم رسمه الحدود الواضحة لبلاد الشام إلا أنه جعل الحد الجنوبي من رفح على نقطة لم يحددها بوضوح إلى ما بين الشوبك وأيلة في حين أن أيلة الحد الذي ذكره غيره من الجغرافيين[459].

ونقل البغدادي صاحب كتاب: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة البقاع نفس ما ذكره ياقوت الحموي في معجم البلدان دون زيادة، [460]أما ابن فضل الله العمري فقد حدد المنطقة كما كانت عليه في زمانه إذا يقول: "فأما ما هو في زماننا، وعليه قانون ديواننا، فإنه إذا قال السلطان: بلاد الشام، ونائب الشام، لا يريد به إلا دمشق ونائبها؛ وولايته من لدن العريش حد بلاد مصر – إلى آخر سلمية مما هو شرق بشمال، وإلى الرحبة مما هو شرق محض. وقد أضيف إليها في أيام سلطاننا بلاد جعبر، وحقها أن تكون مع حلب. فعلى هذا قد صارت"[461]، وذكر أن حد الشام من الجنوب يمتد عبر صحراء سيناء وبر الحجاز والسماوة إلى نهر الفرات بالعراق، وحده من الشرق طرف السماوة والفرات وحده من الشمال بلاد الروم أما من الغرب فحده حد مصر[462].

وقد اعتمد القلقشندي في تحديد الجزء الجنوبي من بلاد الشام على أراء بعض الجغرافيين المتقدمين من أمثال أبو الفداء صاحب كتاب التقويم الذي نقل عن ابن فضل الله العمري[463]، ويرجع السبب في اعتماد القلقشندي على من سبقه لأنه رجل إداري ولم يكن متخصص في الجغرافيا والرحلات.

أما عن حدود مصر وبلاد الشام في العهدين الأيوبي والمملوكي كما يقول ياقوت الحموي في معجم البلدان " حدُها فمن الفرات إلى العريش المتاخم للديار المصرية وأما عرضها فمن جبلَي طيىءٍ من نحو القبلة إلى بحر الروم وما بشأمة ذلك من البلاد وبها من أمهات المدُن مَنبج وحلب

---

457. لمزيد من مواقع المدن الشامية وقراها أنظر الملحق رقم (1).

458. أبو الفداء، إسماعيل بن عبد، تقويم البلدان، 225.

459. الاصطخري، ابراهيم بن محمد، مسالك الممالك، 55؛ البغدادي، عبد المؤمن بن عبد الحق، مراصد الاطلاع في أسماء الأمكنة والبقاع، 138/1.

460. البغدادي، عبد المؤمن بن عبد الحق، مراصد الاطلاع في اسماء الأمكنة والبقاع 775/2.

461. العمري، أحمد بن يحيي، التعريف بالمصطلح الشريف، 252.

462. المصدر نفسه، 251.

463. القلقشندي، أحمد بن عبد الله، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، 77/4–78، 123. عطاالله، محمود على نيابة غزة، 66–67. الطراونة، محمود مبارك، الحياة الاجتماعية، ص 36–39.

وحماة وحمص ودمشق والبيت المقدس والمعرة وفي الساحل أنطاكية وطرابلس وعَكا وصور وعسقلان وغير ذلك. وهي خمسة أجناد جُنْدُ قنسرين وجند دمشق وجند الأردُن وجند فلسطين وجند حمص. ويُعدُ في الشام أيضاً الثغور وهي المصيصة وطرسوس وأذنَة وأنطاكية وجميع العواصم من، مَرعش، والحدَث وبغراس والبلقاءُ وغير ذلك. وطولها من الفرات إلى العريش نحو شهر وعرضها نحو عشرين يوماً، وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه. قال: قُسم الخير عشرة أعشار فجعل تسعة أعشار في الشام وعشر في سائر الأرض "[464].

6. الآراء الجغرافية لمؤرخي كتب البلدان حول الحدود الجنوبية للشام مع مصر:

أما فيما يتعلق بإقليم مصر فكان على سبع كور، ست منها عامرة ولها أيضاً أعمال واسعة ذات ضياع جليلة، فاولها من نحو الشام الجفار ثم الحوف ثم الريف ثم إسكندرية ثم مقدونية ثم الصعيد والسابعة الواحات. فأما الجفار فقصبتها الفرما ومدنها: البقارة الورادة العريش. فأما الجفار فقصبتها الفرما ومدنها: البقارة الورادة العريش[465]، والمسافات تأخذ من الفرما إلى البقارة مرحلة[466]. ثم إلى الورادة مرحلة ثم إلى العريش مرحلة ثم إلى رفح مرحلة[467].

والعريش مدينة كانت ذات جامعين مفترقة المباني، والغالب على أرضها الرمال ولها ثمار وجمل فواكه وهي على مقربة من البحر، وأيضاً فإن الطريق من الرملة إلى يبنى نصف مرحلة ومنها إلى يزدود في البر مرحلة ومن يزدود إلى غزة مرحلة، ومن غزة إلى مدينة رفح وهي مدينة صالحة مرحلة ومنها إلى العريش مرحلة ومن العريش إلى الورادة وهي منزل قرب البحر مرحلة ومن الورادة إلى الفرما وهي مدينة على بحر الشام مجاورة لبحيرة تنيس مرحلة.[468]

وأكد القزويني أن حدود بلاد الشام الى العريش في قوله: "الشام هي من الفرات إلى العريش طولاً، ومن جبلي طيء إلى بحر الروم عرضاً؛ عن رسول الله، ﷺ قال" الشام صفوة الله من بلاده وإليها يجتبي صفوته من عباده". وذكر عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه قال: قسم الخير عشرة أقسام، جعلت تسعة في الشام وقسم في سائر الأرض، وقسم الشر عشرة أعشار، جزء منها بالشام والباقي في جميع الأرض. والشام هي الأرض المقدسة التي جعلها الله منزل الأنبياء ومهبط الوحي ومحل الأنبياء والأولياء. هواؤها طيب وماؤها عذب وأهلها أحسن الناس خلقاً وخلقاً وزياً وريا[469]؛ أضف الى ذلك أن ما يميز الشام أنها كانت لا تخلو من الأولياء والأبدال الذين يرحم الله

---

[464]. ياقوت، شهاب الدين بن عبد الله، معجم البلدان، 24/3.

[465]. المقدسي، أبو عبد الله بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم 72/1.

[466]. هي وحدة قياس مسافات عربية قديمة، تعادل المسافة التي يقطعها المسافر في يومٍ سيرًا على الأقدام، أو على الدواب سيراً معتاداً. والجمع مراحل. مقدار الرحلة: ب 24 ميلا، https: //ar.wikipedia.org/

[467]. المقدسي، أبو عبد الله بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، 1/ 79.

[468]. الإدريسي، محمد بن محمد، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، 1/ 87.

[469]. القزويني، زكريا بن محمد، اثار البلاد واخبار العباد، 1/ 114.

ويعفو بدعائهم، لا يزيدون على السبعين ولا ينقصون عنها، كلما مات واحد منهم قام من الناس بدله، ولا يسكنون إلا جبل اللكام[470]! ومن خواصها الطاءات الثلاث: الطعن والطاعون والطاعة. أما طاعونها فنعوذ بالله منه، وأما طعنها فمشهور أن أجنادها شجعان، وأما طاعتها للسلطان فمما يضرب به المثل حتى قيل: إنما تمشى الأمر لمعاوية لأنه كان في أطوع جند، وعلي كان في أعصى جند وهم أهل العراق[471]، وبالشام من أنواع الفواكه في غاية الحسن والطيب، وتفاحها كان

[470]. جبال اللّكام: عرفت سلسلة الجبال الساحلية منذ القدم باسم جبال اللكام وقد ذكر ذلك أبو الفداء في تقويم البلدان (45/1) وابن منظور في معجم لسان العرب، 114/3 وياقوت الحموي في كتابه (معجم البلدان)، 200/4 ورسم الزبيدي تاج العروس حدود جبل اللكام على الشكل التالي: يمتد شمالاً إلى صهيون والشغر وبكاس وينتهي عند انطاكيا ويتصل بحمص فيسمى هناك جبل لبنان ويسامت أفاميا وحماه وشيزر وكان الشاعر الجاهلي (امرؤ القيس) قد ذكر حمص وحماه وشيزر عندما عبر هذه الجبال الوعرة متوجهاً إلى قيصر ليطلب مساعدته للأخذ ثأر أبيه فقال:

فلما بدت (حوران) والآل دونها
نظرت فلم تنظر بعينيك منظرا
تقطع أسباب اللبانة والهوى
عشية جاوزنا (حماه) (فشيزرا)
بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه
وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
لقد أنكرتني (بعلبك) وأهلها
ولابن جريح في قرى حمص أنكرا

كذلك جاء في معجم تاج العروس: إن جبل اللكام المقدس في اللاذقية هو موطن لسبعين من الأبدال بفتح الهمزة الصالحين الذين يقيم الله عز وجل بهم الأرض إنما يرحم العباد ببركتهم ومهما توفي واحد منهم قام بدل منه وهم عارفون بما أودع الله في الكواكب السيارة من الأسرار والحركات والمنازل وغيرها وهم لا يسكنون إلا هذه الجبال المقدسة الطاهرة ولعل هذا يفسر كثرة المزارات وقبور الأولياء والصالحين بشكل ملحوظ يفوق أكثر من أي بقعة أو جبل في سورية وكلمة اللكام تعود لأصول آرامية ومعناها (السواد)، تاج العروس، 150/2. ونستطيع أن نحصي العديد من المواقع الأثرية فيها والتي تعود إلى فترات تاريخية طويلة ومتتالية وكثيراً ما حمت هذه القلاع الهاربين من طغيان الحكام المستبدين ومعظم هذه القلاع باقية حتى الآنوقد بقيت تسمية جبل اللكام تطلق على الجبال الساحلية السورية حتى بعد الإسلام فقد أورد ابن الأثير في تاريخه الكامل 304/4، في تاريخه تحت عنوان (عصيان الجراجمة بالشام) عندما تمرد عمرو بن سعيد بن العاص على عبد الملك بن مروان سنة 61 هجرية.خرج قائد من قواد الضواحي في جبل اللكام وتبعه خلق كثر من الجراجمة والأنباط وغيرهم) وهذا يدل إنه في القرن الأول الهجري كانت سلسلة الجبال الساحلية ما زالت تسمى جبل اللكام كذلك ذكر، أبو الفداء: تقويم البلدان، ص98: جبل اللكام بقوله: جبل الثلج وجبل لبنان وجبل اللكام وجميع هذه الجبال متصلة بعضها ببعض حتى صارت جبلاً ممتداً من الجنوب إلى الشمال أما جبل اللكام فيجاور جبل صهيون والشعرة وبكاس والقصير وينتهي بانطاكية.

[471]. القزويني، زكريا بن محمد، آثار البلاد وأخبار العباد، 86/1.

يحمل إلى العراق لأجل الخلفاء. وكذلك الزيت الركابي[472] فإنه في غاية الصفاء كان يحمل من الشام إلى العراق.[473]

والبعض قدم وصفاً جغرافياً عاماً لمناطق الحدود وخاصة العريش فقال: أنها مدينة جليلة من أعمال مصر، هواؤها صحيح طيب وماؤها عذب حلو. وقيل: ان أخوة يوسف عليه السلام، لما قصدوا مصر في القحط للحصول على الطعام، فلما وصلوا إلى موضع العريش، وكان ليوسف عليه السلام، حراس على أطراف البلاد من جميع نواحيها، فسكنوا هناك وكتب صاحب الحرس إلى يوسف: ان أولاد يعقوب الكنعاني قد وردوا يريدون البلد للقحط الذي أصابهم، فإلى أن أذن لهم عملوا عريشاً يستظلون به فسمي الموضع العريش فكتب يوسف عليه السلام، يأذن لهم فدخلوا مصر، وكان من قصتهم ما ذكره الله تعالى، وبها من الطير الجوارح والمأكول والصيد شيء كثير، والرمان العريشي يحمل إلى سائر البلدان لحسنه، وبها أصناف كثيرة من التمر[474]. وعند تناول منطقة الحدود تحدث بعض المؤرخين عن الوصف العام لكل مصر انها "ناحية مشهورة، عرضها أربعون ليلة في مثلها. طولها من العريش إلى اسوان وعرضها من برقة إلى أيلة. سميت بمصر بن مصرايم بن حام بن نوح، عليه السلام، وهي أطيب الأرض تراباً وأبعدها خراباً، ولا يزال فيها بركة ما دام على وجه الأرض إنسان"[475].

وأكد النبي أن صفوة الله من أرضه الشام وفيها صفوته من خلقه وعباده. وفي حديث آخر: من خرج من الشام إلى غيرها فبسخطه –يعني الله تعالى –ومن دخلها من غيرها فبرحمته. وروى أيضا أنّ الله تعالى بارك ما بين العريش والفرات وخصّ فلسطين بالتقديس –يعني التطهير –. ثم قال عقيب هذا الحديث: هذا الحديث منقطع[476].

ونقل صاحب الأعلاق عن ابن العديم في كتابه المسمّى ببغية الطلب في تأريخ مدينة حلب حديثاً رفعه إلى النبيّ ﷺ أنّه سُئل عن البركة التي بورك فيها الشام أين موضع حدّه. قال: أوّل حدوده عريش مصر والحدّ الآخر طرف البثنية والحدّ الآخر الفرات والحدّ الأخير جبل فيه قبر هود عليه السلام، وذكر أصحاب الاعتناء بتحديد المسالك والممالك أنّ حدّه الجنوبيّ العريش من جهة مصر وحدّه الشماليّ بلاد الروم وحدّه الشرقيّ البادية من أيلة إلى الفرات وحدّه الغربيّ بحر الروم[477].

---

[472]. الزيت الركابي: هو أجود أنواع زيت الزيتون اسمي بالركابي لأنه كان يحمل عل الركائب وهي الإبل من الشام الى العراق فسمى بالركابي، الثعالبي، عبد الملك بن محمد، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، 428.

[473]. القزويني، زكريا بن محمد، آثار البلاد وأخبار العباد المؤلف، 1/ 81.

[474]. القزويني، زكريا بن محمد، آثار البلاد وأخبار العباد المؤلف، 1/ 87.

[475]. المصدر نفسه، 105/1.

[476]. ابن شداد، محمد بن على، الأعلاق الخطيرة، 1 / 3.

[477]. المصدر نفسه، 1/ 4.

وقد نقل السيوطي عن ابن حوقل في كتاب الأقاليم: أعلم أن حد ديار مصر الشمالي بحر الروم من رفح الى العريش ممتداً على الجفار إلى الفرما، إلى الطينة، إلى دمياط، إلى ساحل رشيد، إلى الإسكندرية وبرقة على الساحل، آخذاً جنوباً إلى ظهر الواحات، إلى حدود النوبة، والحد الجنوبي من حدود النوبة المذكورة، آخذاً شرقاً إلى أسوان، إلى بحر القلزم والحد الشرقي من بحر القلزم قبالة أسوان إلى عيذاب، إلى القصير، إلى القلزم، إلى تيه بني إسرائيل، ثم يعطف شمالاً إلى بحر الروم، إلى رفح[478].

وقال السيوطي حد مصر طولاً من ثغر أسوان، وهو تجاه النوبة إلى العريش، وهي مدينة على البحر الرومي، ومسافة ذلك ثلاثون مرحلة، وحده عرضاً من مدينة برقة التي على ساحل البحر الرومي إلى أيلة التي على بحر القلزم، ومسافة ذلك عشرون مرحلة. وتنسب مصر الى مصر بن بيصر بن حام، ويسمى اليونان بلد مصر مقدونية، وأول مدينة اختطت بمصر مدينة منف، وهي في غربي النيل، وتسمى في عصرنا بمصر القديمة، ولما فتح عمرو بن العاص مصر أمر المسلمين أن يحيطوا حول فسطاطه، ففعلوا، واتصلت العمارة بعضها ببعض، وسمي مجموع ذلك الفسطاط. ولم يزل مقراً للولاية والجند إلى أن وليه أحمد بن طولون، فضاق بالجند والرعية، فبنى في شرقيه مدينة، وسماها القطائع، وأسكنها الجند، يكون مقدارها ميلاً في ميل. ولم تزل عامرة إلى أن هدمها محمد بن سليمان الكاتب في أيام المكتفي، حنقاً على بني طولون سنة اثنتين وتسعين ومائتين، وأبقى الجامع. ثم ملك العبيديون مصر في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، فبنى جوهر القائد مولى المعز مدينة شرقي مدينة ابن طولون، وسماها القاهرة، وبنى فيها القصور لمولاه، فصارت بعد ذلك دار الملك ومقر الجند[479].

ومن المذكور في هذا الجانب أن أول من سكن مصر بعد أن أغرق الله قوم نوح مصر بن حام بن نوح، وهو أبو القبط كلهم، فسكن منفا – وهي أول مدينة عمرت بعد الغرق – هو وولده وهم ثلاثون نفسا، قد بلغوا وتزوجوا، فبذلك سميت ماقة – وماقة بلسان القبط ثلاثون – وكان بيصر بن حام بن نوح قد كبر وضعف، وكان مصر أكبر ولده، وهو الذي ساق أباه وجميع اخوته إلى مصر، فنزلوا بها، فبمصر بن بيصر سميت مصر مصراً، والرواية تؤكد أن حدود الشام ومصر حيزت له ولولده "ما بين الشجرتين خلف العريش إلى أسوان طولاً، ومن برقة إلى أيلة عرضا. ثم إن بيصر ابن حام توفي فدفن في موضع أبي هرميس، فهي أول مقبرة قبر فيها بأرض مصر"[480].

والعريش من ديار مصر في أسفل الأرض، وهي أول مسالح مصر وأعمالها، وهي من سواحل البحر ومن العريش تفترق الطريق فتصير طريقين: طريق الجفار وهو الرمل، وطريق

---

[478]. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، 6/1.

[479]. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، 7/1.

[480]. المصدر نفسه، 11/1.

الساحل على البحر، فأما طريق الجفار فمن العريش إلى الواردة إلى العذيبة إلى البقارة إلى الفرما، وأما طريق الساحل فمن العريش إلى الدقهلة إلى القيس إلى الفرما، وكانت مدينة العريش ذات جامعين مفترقي المباني، والغالب على أرضها الرمال، ولها ثمار ونخل وفواكه. وروى ابن عطية في تفسيره عن النبي ﷺ أنه قال: " إن الله تعالى بارك فيما بين العريش إلى الفرات، وَخص فلسطين بالتقديس "[481]. العريش مدينة مصرية تقع عند حدودها الشرقية وهي أول مسالح مصر وأعمالها وتقوم على ساحل البحر."[482].

وطول مصر من الشجرتين اللتين بين رفح والعريش إلى أسوان وعرضها من برقة إلى أيلة فهي مسيرة أربعين ليلة في أربعين ليلة فمن بغداد إلى مصر خمسمائة وسبعون فرسخاً يكون ألفا وسبعمائة ميل وعشرة أميال[483] .

وسواحل جند فلسطين قيسارية وأرسوف ويافا وعسقلان وغزة وسواحل مصر رفح وألفرما والعريش ومقدار ما يغزو في الغزاة من مراكب الثغور الشامية ما يجتمع إليها من مراكب الشام ومصر من الثمانين إلى المائة والغزاة إذا عزموا عليها في البحر كوتب أصحاب مصر والشام في العمل على ذلك والتأهب له يجتمع بجزيرة قبرس ويسمى ما يجتمع منها الأسطول كما يسمى ما يجتمع من الجيش في البر المعسكرّ والمدبر لجميع أمور المراكب الشامية والمصرية صاحب الثغور الشامية ومقدار النفقة على المراكب إذا غزت من مصر والشام نحو مائة ألف دينار[484] .

أما في الوصف العام فقد ورد أن رَفَح: بفتح أوله وثانيه وآخره حاء مهملة هي منزل في طريق مصر بعد الداروم بينه وبين عسقلان يومان للقاصد مصر وهو أول الرمل خرب الآن. تنسب إليه الكلاب وله ذكر في الأخبار. قال أبو حاتم: من قرون البقر الأرفح وهو الذي يذهب قرناه قبلَ أذنيه. قال المهلبي: ورفح مدينة عامرة فيها سوق وجامع ومنبر وفنادق وأهلها من لخم وجُذام وفيهم لصوصية واغارة على أمتعة الناس حتى إن كلابهم أضر كلاب أرض بسَرقَة ما يسرق مثله الكلاب، ولها والي معونة برسمه عدة من الجند ومن رفح إلى مدينة غزة ثمانية عشر ميلاً وعلى جانبي الطريق من رفح الى غزة شجر جميز مصطف عن اليمين والشمال نحو ألف شجرة متصلة أغصان بعضها ببعض مسيرة نحو ميلين وهناك منقطع رمل الجفار ويقع المسافرون في الجلَد..[485] ..

---

[481]. الحميري، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الاقطار، 1/ 410.

[482]. ابن كثير، اسماعيل بن عمر، تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية، 1/ 213.

[483]. ابن خرداذبه، عبيد الله بن عبد الله، المسالك والممالك، 19/1.

[484]. ابن خرداذبه، عبيد الله بن عبد الله، المسالك والممالك، 71/1.

[485]. ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله، معجم البلدان، 2/ 330.

وقال الحسن بن محمد المهلبي من الورادة إلى مدينة العريش ثلاثة فراسخ، قال ومدينة العريش مدينة جليلة وهي كانت حرس مصر أيام فرعون وهي آخر مدينة تتصل بالشام من أعمال مصر ويتقلدها وإلى الجفار وهي مستقرّة وفيها جامعان ومنبران وهواؤها صحيح طيب وماؤها حلوٌ عذب وبها سوق وجامع كبير وفنادق جامعة كبيرة ووكلاءُ للتجار ونخل كثير وفيها صنوف من التمور ورُمَان يُحْمل إلى كل بلد بحَسبه وأهلها من جُذَام. قال ومنها إلى بئري أبي إسحاق ستة أميال وهما بئران عظيمتان تَرِدُ عليهما القوافل وعندها أخصاص فيها باعة ومنها إلى الشجرتين وهي أول أعمال الشام ستة أميال ومنها إلى البرمكية ستة أميال ثم إلى رَفَح ستة أميال[486] .

وكذلك ورد في حدود فلسطين أول أحواز الشام وحدودها مما يلي المغرب مقدار أربعة أيام وذلك من رفح إلى اللجون وعرضه من يافا إلى أريحا مسيرة يومين وزغر وديار قوم لوط والبحيرة المنتنة وجبال الشراة مضمومة إليها وهي منها في العمل إلى حمود أيلة.[487]

والشام أول طوله من ملطية إلى رفح والطريق من ملطية على منبج وبينهما أربع مراحل ومن منبج إلى حلب يومان ومن حلب إلى حمص خمسة أيام ومن حمص إلى دمشق خمسة أيام ومن دمشق إلى طبرية أربعه أيام ومن طبرية إلى الرملة ثلاثة أيام ومن الرملة إلى رفح يومان فذلك خمس وثلاثون مرحلة ثم إلى مدين، ثم يستمر به الطريق مع أهل مصر والمغرب[488].

ومن أراد الخروج من فلسطين متجه غرباً يريد مصر خرج من الرملة إلى مدينة يبنا ثم إلى مدينة عسقلان، وهي على ساحل البحر، ثم إلى مدينة غزة وهي على الساحل أيضا، ثم إلى رفح وهي آخر أعمال الشأم، ثم إلى موضع يقال له الشجرتين وهي أول حد مصر، ثم إلى العريش وهي أول مسالح مصر وأعمالها، ويسكن العريش قوم من جذام وغيرهم وهي قرية على ساحل البحر، ومن العريش إلى قرية يقال لها البقارة، ومنها إلى قرية يقال لها الورادة في جبال من رمال، ثم إلى الفرما وهي أول مدن مصر وبها أخلاط من الناس[489].

فأما فلسطين فهي أول أجواز الشام من الغرب، وماؤها من الأمطار والسيول وأشجارها قليلة لكنها حسنة البقاع. وهي من رفح إلى اللجون طولاً ومن يافا إلى زغر عرضاً وهي مدينة قوم لوط والبحيرة التي بها يقال لها البحيرة المنتنة ومنها إلى بيسان وطبرية يسمى الغور لأنها بقعة بين

---

[486]. المصدر السابق، 3/ 221.

[487]. الإدريسي، محمد بن محمد، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، 1/ 113.

[488]. الإدريسي، محمد بن محمد، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، 1 /121.

[489]. اليعقوبي، أحمد بن واضح، البلدان، 1/ 39.

جبلين وسائر مياه الشام تنحدر إليها[490]، وفي حديث كعب: إن الله عز وجل بارك في الشام من الفرات إلى العريش، وخص بالتقديس من فحص الاردن إلى رفح[491].

وأما فيما يتعلق بمصر فقد أكد البعض أن لها حداً يأخذ من بحر الروم بين الإسكندرية وبرقة، فيأخذ في براري حتى ينتهي إلى ظهر الواحات، ويمتد إلى بلد النوبة، ثم يعطف على حدود النوبة في حد أسوان، إلى أرض البجه من وراء أسوان، حتى ينتهي إلى بحر القلزم، ثم يمتد على بحر القلزم ويجاوز القلزم على البحر إلى طور سينا، ويعطف على تيه بني إسرائيل ويمتد حتى ينتهي إلى بحر الروم في الجفار خلف رفح والعريش[492].

وأما الشام فإن غربيها بحر الروم، وشرقيها البادية من أيلة إلى الفرات، ثم من الفرات إلى حد الروم، وشماليها بلاد الروم، وجنوبيها حد مصر وتيه بني إسرائيل، وآخر حدودها مما يلي مصر رفح.[493]

وتؤكد الرواية التاريخية أن حدود فلسطين الجنوبية مع مصر تقع في منطقة بين العريش ومصر ومن المعلوم أن عمرو بن العاص سار "من جوف الليل، ولم يشعر به أحد من الناس، واستخار الله الخليفة عمر؛ فكأنه تخوف على المسلمين في وجههم ذلك، فكتب إلى عمرو بن العاص أن ينصرف بمن معه من المسلمين: فأدرك الكتاب عمراً وهو برفح، فتخوف عمرو بن العاص؛ إن هو أخذ الكتاب وفتحه أن يجد فيه الانصراف كما عهد إليه عمر، فلم يأخذ الكتاب من الرسول ودافعه، وسار كما هو، حتى نزل قريةٍ فيما بين رفح والعريش، فسأل عنها فقيل: إنها من مصر؛ فدعا بالكتاب فقرأه على المسلمين، فقال عمرو: ألستم تعلمون أن هذه من مصر؟ قالوا: بلى، فقال: فإن أمير المؤمنين عهد إليّ، وأمرني إن لحقني كتابه ولم أدخل مصر أن أرجع، وإن لم يلحقني كتابه حتى دخلنا أرض مصر؛ فسيروا وامضوا على بركة الله[494]، والشام اسم لجميع ذلك من البلاد والكور، وأول طول الشام من ملطية إلى رفح.[495] وقد أكد الطباع ذلك في قوله "وقد جعلت رفح القديمة حداً لبلاد الشام، وكان ملوك مصر يقفون عند رفح للدفاع "[496]، ومن الآراء الغريبة ما ذكره شهاب الدين المقدسي، حيث قال: "أول حدود فلسطين من ناحية مصر رفح وهي العريش ثم يليها غزة ثم الرملة، رملة فلسطين، ومن مدن فلسطين إيلياء"[497].

---

[490]. ابن الوردي، عمر بن المظفر، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، 1/ 19.

[491]. البكري، عبد الله بن عبد العزيز، معجم ما استعجم، 1/ 185.

[492]. الاصطخري، ابراهيم بن محمد، المسالك والممالك، 1/1.

[493]. المصدر نفسه، 23/1.

[494]. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، 37/1.

[495]. الحميري، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار، 1/ 335.

[496]. إتحاف الأعزة في تاريخ غزة، 329/2.

[497]. مثير الغرام، 85.

وهنا يلاحظ أن المؤرخين أكدوا بناء على رواية فتح مصر صحة الرأي القائل بأن العريش هي أول عمل مصر بخلاف الجغرافيين والرحالة الذين اختلفوا في الرأي بين العريش ورفح حيث تقدم عمرو بن العاص بقواته في صحراء سيناء، واتخذ الطريق الساحلي حتى وصل إلى العريش وهي أول عمل مصر من ناحية الشام في عيد الأضحى: "10 ذو الحجة 18هـ/ 12 ديسمبر 639م"، فوجدها خالية من القوات البيزنطية، فدخلها، وشجعه ذلك على استئناف التقدم، فغادر العريش سالكًا الطريق الذي كان يسلكه المهاجرون، والفاتحون والتجار منذ أقدم العصور، ثم انحرف جنوبًا تاركًا طريق الساحل، واتخذ الطريق الذي سار فيه الفرس عندما استولوا على مصر، ووصل إلى الفرما على الساحل من ناحية مصر، وهي بوابة مصر من الشرق[498]، ومن هذه الروايات يتبين لنا أن رفح هي الحد الفاصل في الحدود بين مصر والشام وان العريش هي أول المدن المصرية المتصلة ببلاد الشام وان الحدود بين مصر والشام تقع في منطقة بين رفح والعريش.

[498]. ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله، 131–134. البلاذري، أحمد بن يحيي، فتوح البلدان، 241.

9. المصادر والمراجع:

- ابن الاثير، على بن ابى الكرم الشيباني، (ت 630هـ)، الكامل في التاريخ، (دار صادر، بيروت، 1399هـ/1979م).

- الادريسي، محمد بن عبد الله بن إدريس (ت560هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (أسطوانة مكتبة التاريخ والحضارة الإصدار الثالث).

- الإصطخرى، إبراهيم بن محمد الفاسي (ت. ق 4هـ)، المسالك والممالك، حققه محمد جابر الحسيني، مراجعة محمد شفيق غربال، (دار القلم، القاهرة، 1961).

- ابن بطوطة، محمد بن عبد الله اللواتي، (ت 779هـ)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق على المنتصر الكتاني، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط4، 1405هـ).

- البغدادي، عبد المؤمن بن عبد الحق، (ت 739هـ) مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق وتعليق على محمد البجاوي، (دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1373هـ/1954م).

- البكري، عبد الله بن عبد العزيز (ت487هـ)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، (عالم الكتب –بيروت).

- البلاذري، أحمد بن يحي بن جابر (ت297هـ) فتوح البلدان، 1ج، تحقيق رضوان محمد رضوان، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1403هـ).

- ابن تغرى بردى، يوسف الأتابكي، (ت 874هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (وزارة الثقافة، مصر).

- الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت429هـ)، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، (2003م).

- حسين، فالح، الحياة الزراعية في بلاد الشام في العصر الأموي، (عمان 1978م).

- الحميري، محمد بن عبد المنعم الحميري، (ت900هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، (لبنان، 1984م)

- ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبي (ت367هـ)، صورة الأرض، (دار مكتبة الحياة، 1992م).

- الحويرى، محمود محمد، الاوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر من الميلاد عصر الحرب الصليبية، (دار المعارف، القاهرة، ط1 1979م).

- ابن خرداذبة، عبيد الله بن عبد الله(ت300هـ)، المسالك والممالك، (بيروت، دار الكتب العلمية).

- خسرو، ناصر، (ت 480هـ) سفرنامة، ترجمة يحيي الخشاب، (بيروت، 1970م).

- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ)، العبر في خبر من غبر، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، (دار الكتب العلمية، ط الاولى، 1405هـ/1985م).

- ابن رسته، أحمد بن عمر (ت300هـ) الاعلاق النفيسة، (طبع في مدينة ليدن المحروسة 1893م)

- رمضان، أحمد محمد، المجتمع الاسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1977م).

- الزبيدي، مرتضى محمد بن محمد (ت1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، (الكويت، ط2، د.ت).

- زكار، سهيل، فلسطين في العهد المملوكي، الموسوعة الفلسطينية، المجلد الثالث.

- الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد جار الله (ت538هـ)، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1 1419هـ /1998م).

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت 911هـ)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار إحياء الكتب العربية، ط الاولى 1387هـ /1967م).

- ابن شاهين، غرس الدين خليل (ت 873هـ)، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997م).

- ابن الشحنة، حسين بن محمد (ت 890هـ)، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، (دار الكتاب العربي وعلم التراث، دمشق، د.ت).

- ابن شداد، عزالدين محمد بن على الحلبي (ت684هـ) الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، الجزء المنشور بعنوان تاريخ لبنان والأردن وفلسطين، حققه سامي الدهان، دمشق، 1962م

- الشوكاني، محمد بن على، (ت 1250هـ)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، (دار الكتاب الإسلامي. د.ت).

- شيخ الربوة، محمد بن طالب الانصاري (ت727هـ)، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، (نشره أ.مهران، ليبزج 1923م).

- الصفدي، خليل بن أيبك (ت 764هـ)، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوطي، وتركي مصطفي، (دار إحياء التراث، بيروت، 1420هـ/2000م).
- الطباع، عثمان مصطفى، اتحاف الاعزة في تاريخ غزة، (مكتبة اليازجي، غزه 1420هـ/1999م)
- الطراونة، محمد مبارك، الحياة الاجتماعية في بلاد الشام عصر المماليك الجراكسة، (مكتبة المنهل 2010م).
- ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله أبو القاسم (ت257هـ)، فتوح مصر وأخبارها، (القاهرة مكتبة مدبولي 1991م).
- ابن عرب شاه، أحمد محمد بن عبد الله (ت 854هـ)، عجائب المقدور في أخبار تيمور (مخطوط غير محقق)، (نشر أردوكايند، في بندر، سنة 1399هـ/1978م).
- ابن عساكر، علي بن الحسين بن هبة الله (ت571هـ)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق محب الدين عمر بن غرامة العمري، (دار الفكر للطباعة والنشر 1415هـ/1995م).
- العصامي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك، (ت 1111هـ)، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 1998م.
- عطا الله، محمود على خليل، نيابة غزة في العهد المملوكي، (مكتبة المنهل 2010م).
- عطوان، حسين، الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأموي، (دار الجيل 1987).
- على، محمد كرد، خطط الشام، (مكتبة النوري، دمشق، ط3 1403هـ/1983).
- العليمي، مجير الدين بن عبد الرحمن (ت927هـ)، الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق عدنان ابو تبانه، (مكتبة دنديس، عمان 1420هـ/1999م).
- ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد (ت 1089هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر ومحمود الأرناؤوط، (دار ابن كثير، 1406هـ /1986م).
- العمري، أحمد بن يحيي فضل الله (ت 749هـ)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق محمد عبد القادر خريسات وآخرون، (مركز زايد للتراث والتاريخ، 2001م).
- العمري، أحمد بن يحيي فضل الله، التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق، محمد حسين شمس الدين، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م).
- غلاب، محمد السيد، سكان فلسطين ودراسة تاريخهم الجنسي (القاهرة 1956م).
- أبو الفدا، إسماعيل بن عمر بن أيوب الملك المؤيد (ت 732هـ)، تقويم البلدان، صححه رينود والبارون ماك كوكين ديسلان، (دار الطباعة الملكية، باريس، سنة 1850م).
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد بن عمرو (ت 170هـ)، العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، (دار مكتبة الهلال د.ت).

- الفيروز أبادى، محمد بن يعقوب، (ت817هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي. (النشر مؤسسة الرسالة.، عدد المجلدات: 1، سنة نشر الكتاب: 1426 – 2005).

- القزوينى، زكريا بن محمد بن محمود، (ت682هـ) آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ط1389هـ/1969م).

- القلقشندي، أحمد بن عبد الله، (ت 821هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق محمد حسين شمس الدين، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1407هـ/1987م).

- ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت 774هـ)، التعريف بالأماكن والأسماء الواردة في البداية والنهاية، (http: //www.al-islam.com).

- المقدسي، أبو عبد الله بن أحمد البشاري (ت 390هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق غازي طليمات، (وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، 1980م).

- المقدسي، شهاب الدين أبي محمود بن تميم، (ت765هـ)، مثير الغرام الى زيارة القدس والشام، (دار الجيل، بيروت 1994م).

- المقدسي، المطهر بن طاهر (ت355هـ) البدء والتاريخ، (مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد).

- المقريزي، أحمد بن على (ت 845هـ)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط الاولى 1997م).

- نصري، كامل، وآخرون، جغرافية سوريا، الشمالية (مطبعة الترقى، دمشق، 1934م).

- ابن منظور، محمد بن مكرم (ت 711هـ)، لسان العرب (بيروت 1997م).

- النووي، محي الدين بن شرف (ت676هـ)، تهذيب الأسماء واللغات، (بيروت، لبنان دار الكتب العلمية).

- ابن الوردي، عمر بن المظفر، (ت 749هـ) خريدة العجائب وفريدة الغرائب، (مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، ط1، 1428 هـ –2008 م).

- ياقوت، شهاب الدين ابو عبد الله الحموي (ت 626هـ)، معجم البلدان، (دار الفكر، بيروت).

- اليعقوبي، أحمد بن واضح (ت284هـ)، كتاب البلدان، (ليدن، ط 1891م).

10. **الأطروحات:**

- بكير، مروان عبد القادر، المدينة الفلسطينية في عهد المماليك، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بيرزيت 2004م/2005م.

- الحمود، رنا، حرف وصناعات بلاد الشام في العهد المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك 1996م.

- أبو شلوف، نسيم زريق، الأوضاع الاجتماعية في فلسطين في العهد المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية–غزة 2009م.

- مكاحلة، نهى، الزراعة في بلاد الشام في العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك 1992م.

11. المقالات:

- خليل، عماد الدين، فلسطين في الادب الجغرافي، بحث مقدم للمؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام (فلسطين)، (عمان 1980م).

- 12. مواقع الانترنت:

- http: //www.al–islam.com، تعريف بالإمكان والاسماء الواردة في البداية والنهاية.

- https: //ar.wikipedia.org/، تعريف نهر الحاصباني.

- https: //ar.wikipedia.org/، تعريف مرحلة –وحدة طول.

13. الملاحق:

ملحق رقم (1)

أطلس تاريخ الإسلام: حسين مؤنس ص301

التشكيل الفني والأدبي في القصة القصيرة لأدب المعتقلين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية "عروسان في الثلج" و"مدفن الأحياء" نموذجا

د. محمود موسى زياد

وزارة التربية والتعليم/ رام الله /فلسطين

مجال البحث: أدب السجون، القصة القصيرة

الملخص

هدفت هذه الورقة إلى تحليل التشكيل الفني والأدبي للقصة القصيرة كأحد أنواع الأدب التي أبدعها المعتقلون الفلسطينيون في المعتقلات الإسرائيلية، التي تأثرت إلى، حد كبير، بظروف الاعتقال، رغم أنها حاولت الانطلاق، وتجاوز ضيق مساحة السجن إلى رحابة الوطن. وقد تناول الباحث مجموعة "عروسان في الثلج" لحسن عبد الله، و"مدفن الأحياء" لوليد الهودلي. تناول الباحث التشكيل الفني في العتبات النصية، من خلال العناوين، والتشكيل الفني للزمان والمكان، والنهايات، وكذلك التشكيل الفني في اللغة والأسلوب والسرد. فقد كان الأدب الفلسطيني الذي أنتجه المعتقلون الفلسطينيون في السجون والمعتقلات الإسرائيلية، أحد الوسائل النضالية. وكانت الكتابات الأدبية الاعتقالية أكثر قدرة على التعبير عن نفسية الإنسان المعتقل، ونوازعها، وشحذ عزيمته أثناء محنته. أضف إلى ذلك قدرتها على تصوير واقع الاعتقال، وما يتعرض له الفلسطيني على يد السجّان الإسرائيلي. وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وقد توصلت الورقة إلى مجموعة من النتائج منها: 1. غلب الأسلوب التسجيلي على القصة القصيرة داخل المعتقلات 2. رصدت القصة القصيرة واقع الاحتلال بتشابكاته، وقمعيته، وممارساته. فألقت الضوء على تلك المشاهد التي عاشها الفلسطينيون المعتقلون. وقد أوصت الورقة بـ 1. عمل المزيد من الدراسات حول أدب المعتقلين باعتباره جزءا من تاريخ شعب ما يزال يرزح تحت الاحتلال. 2. حث طلبة الدراسات العليا للكتابة حول أدب المعتقلين. 3. ضرورة اعتناء المؤسسات الثقافية والأكاديمية بمثل هذا النوع من الأدب.

الكلمات المفتاحية: أدب، قصة قصيرة، معتقلون، فلسطين، سجون إسرائيلية، حسن عبد الله، وليد الهودلي.

Abstract

This paper aimed to analyze the artistic and literary composition of the short story as one of the types of literature created by the Palestinian prisoners in Israeli jails, which were affected, to a large extent, by the conditions of detention, although it tried to start, and went beyond the narrow space of detention to the spaciousness of the homeland. The researcher dealt with the group ‘Arousan fi Thalj’ by Hassan

Abdullah, ‘Madafin al Ahya` ‘ by Walid al-Hodley, Where the researcher dealt with the artistic formation in the textual thresholds, through headings, the artistic formation of time and place, and endings, as well as the artistic formation in language, style and narration. Palestinian literature produced by Palestinian Prisoners in Israeli jails was one of the means of struggle. Arrests literary writings were more able to express the psyche of the arrested person, its impulses, and sharpen his resolve during his ordeal. In addition, it is able to depict the reality of detention and what the Palestinian is exposed to at the hands of the Israeli jailer. The researcher used the descriptive and analytical method, and the paper reached a set of results including: 1. The recording method prevailed over the short story inside the detention centers. 2. The short story captures the reality of the occupation, with its entanglements, oppression, and practices. She shed light on those scenes that the detained Palestinians lived through. The paper recommended 1. Conducting more studies on the literature of the detainees, as it is part of the history of a people still under occupation. 2. Urging postgraduate students to write about the literature of detainees. 3. The need for cultural and academic institutions to take care of this kind of literature.

Key words: literature, short story, prisoners, Palestine, Israeli prisons, Hasan Abdallah, Walid el Hodali.

المقدمة

لم يقتصر الأدب الاعتقالي على لون أدبي واحد، بل شمل معظم الألوان الأدبية المعروفة، وسطع نجم الكثير من المعتقلين الذين أسهموا في أعمال أدبية. ولعل هذا التنوع في الأعمال الأدبية مردُّه الحاجة الماسة إلى أشكال التعبير عن الواقع المعيش. ومن هذه الأشكال الأدبية، القصة القصيرة، التي تأثرت إلى، حد كبير، بظروف الاعتقال، رغم أنها حاولت الانطلاق، وتجاوز ضيق مساحة الحجز إلى رحابة الوطن.

برز عدد كبير من المعتقلين في كتابة القصة القصيرة، وأذكر منهم، على سبيل المثال لا الحصر، محمد أبو النصر، ومحمد أبو لبن، وحسن عبد الله، ومنصور ثابت، وسامي الكيلاني، ومحمد عليان، ووليد الهودلي... وغيرهم. وقد شكلت التجربة الاعتقالية أهم المحاور التي تعرضت لها القصة القصيرة في المعتقلات. فقد عمد الأدباء إلى نقل ما يتعرضون له داخل تلك المعتقلات وتصويره. وقد عبّرت تلك القصص عن المراحل التي مر بها المعتقلون، وما صاحبها من معاناة مورست بحقهم على يد السجّان الصهيوني.

يتناول الباحث في هذا الفصل تحليلاً لنماذج من القصة القصيرة التي كتبت داخل المعتقلات؛ حيث سيتم تناول مجموعة "عروسان في الثلج" لحسن عبد الله، و"مدفن الأحياء" و"مجد على بوابة الحرية" لوليد الهودلي، و"ستطلع الشمس يا أولاد" لمنصور ثابت. وترجع أسباب اختيار هذه المجموعات إلى أنها كتبت في الفترة الزمنية نفسها، تقريباً، كما كتبت خلال فترة اعتقال الأديبين، وبالتالي تنطبق عليها معايير الدراسة من حيث الفترة الزمنية، والمكانية، وظروف الاعتقال التي

عايشها الأديبين. كما أنها تتحدث عن موضوعات مهمة، فحسن عبد الله يكتب عن مشاعر معتقل مهدد بالإبعاد، ووليد الهودلي يكتب عن معاناة المرضى في سجون الاحتلال، أما منصور ثابت فإنه يكتب من داخل المعتقل للأطفال. أضف إلى تلك الأسباب مجتمعة سهولة الحصول على هذه المجموعات حيث تم نشرها، بخلاف مجموعات قصصية كثيرة حاول الباحث الحصول عليها فلم يتمكن؛ وبالتالي تمثل هذه المجموعات نماذج؛ لأنه يتعذر، الآن، الإحاطة بكل ما كتب.

شمل الأدب الاعتقالي معظم الألوان الأدبية المعروفة، فلم يقتصر على لون أدبي واحد. ولعل هذا التنوع في الأعمال الأدبية، مردّه حاجة المعتقلين الماسة إلى أشكال التعبير عن الواقع المعيش. فقد حاول الاحتلال فرض حصار مشدد على المعتقلين؛ بهدف قطع صلتهم بما هو خارج المعتقل؛ وبالتالي الحؤول دون التأثير أو التأثر، ولكن المعتقلين بفضل تضحياتهم استطاعوا التخفيف من هذا الحصار.

فإبداعات الأسرى هي نتاج معاناة نفسية، وجسدية، فردية وجماعية، معاناة قاسية ومؤلمة، لا يلعب التخيل أو الوهم ولا التقمص فيها أي دور. فهي تقوم برصد استجابات عكسية لممارسات الاحتلال الواسعة النطاق التي كانت تستهدف إخضاع شريحة واسعة من الفلسطينيين. وقد تجلت هذه الاستجابات بالرفض والتحدي والدخول في مواجهات إذا اقتضت الضرورة ذلك. وهو ما يسم هذه الكتابات والإبداعات التي تعبر عن مدى درجة التحرر الداخلي التي وصل إليها الأسير المبدع، ومدى عمق رؤيته الإنسانية المستندة إلى انتماء صادق ووعي عال. "فالأدب في ذاته نشاط إنساني يقاوم عوامل الضعف والخور التي قد تلم بالنفس البشرية في لحظات الانكسار. فليس هناك عمل أدبي جاد في تاريخ الإنسان القديم والحديث، يمكنه أن يخلو من هذه السمة البارزة وهي" المقاومة" لأن هذا العمل يفقد عنصرا خطيرا من مكونات وجوده إذا خلا، من أحد وجوهه، من فكرة الصراع بين الإنسان والكون، سواء تمثل هذا الكون في الوجود الطبيعي أو النسيج البشري" (شكري، 1970، ص7).

ولتحقيق غرض الدراسة سوف يتناول الباحث في عرضه للمجموعات القصصية عناصر هي التشكيل الفني في العتبات النصية في العناوين، والتشكيل الفني في الزمان والمكان والنهايات، والتشكيل الفني في اللغة والأسلوب والسرد. ويخلص الباحث إلى الخاتمة التي تتضمن النتائج والتوصيات.

الإشكالية والفرضيات

شكلت التجربة الاعتقالية أهم المحاور التي تعرضت لها القصة القصيرة في المعتقلات الإسرائيلية؛ فقد عمد الأدباء المعتقلون إلى نقل ما يتعرضون له داخل تلك المعتقلات وتصويره. وقد عبرت تلك القصص عن المراحل التي مرّ بها المعتقلون وما صاحبها من معاناة مورست بحقهم على يد السجان الصهيوني. وبما أن القصة القصيرة تشكل أحد الفضاءات الي يعرض م

خلالها الأديب لقضية ما عبر أساليب فنية متنوعة، وتلبي للقارئ حاجته؛ فقد وجد الباحث في هذه القصص فضاء نصيا يتسع للزمان والمكان الفلسطيني بأبعاده المختلفة فشكلت محورا دراسيا يحتاج للبحث، ولذلك سعى الباحث لمحاولة الإجابة عن الأسئلة الآتية: هل القصة القصيرة في سجون الاحتلال مجرد تسجيل لأحداث وتجارب شخصية؟ أم أنها استطاعت أن تعكس واقع المعتقلين الفلسطينيين ومعاناتهم داخل معتقلات الاحتلال الإسرائيلي وبطريقة أدبية فنية؟ وهل يمكن اعتبارها جزءا من أدب المقاومة الفلسطينية؟ ثم ما هي المعطيات الفكرية والفنية لهذه القصص القصيرة؟ ويتفرع من هذه الإشكالية مجموعة من الفرضيات ومنها:

1. تعتبر القصة القصيرة المنجزة في المعتقل قصة تسجيلية لأحداث وتجارب شخصية واجتماعية.

2. عكست هذه القصص الواقع المعيش بأسلوب فني.

3. القصة القصيرة في المعتقل جزء من أدب المقاومة الفلسطيني لما تحمله من مضامين ثورية ونضالية.

4. تتميز القصة القصيرة المنجزة في المعتقل بمميزات فنية وفكرية واضحة المعالم.

-الدراسات السابقة

دراسة زياد (2020) تناولت تحليل الجوانب الفنية والأدبية في رسائل المعتقلين الفلسطينيين في المعتقلات الإسرائيلية، حيث وقف الباحث في دراسته على نشأة الرسائل الأدبية وتطورها، وموضوعاتها الفنية، ومتلقي الرسالة. فقد كان الأدب الفلسطيني الذي أنتجه المعتقلون الفلسطينيون في السجون والمعتقلات الإسرائيلية، أحد الوسائل النضالية. وكانت الكتابات الأدبية الاعتقالية أكثر قدرة على التعبير عن نفسية الإنسان المعتقل، ونوازعها، وشحذ عزيمته أثناء محنته. أضف إلى ذلك قدرتها على تصوير واقع الاعتقال، وما يتعرض له الفلسطيني على يد السجّان الإسرائيلي.

دراسة الجاغوب (2019)، سعى الباحث من خلالها إلى توثيق التجارب الاعتقالية للأسرى داخل المعتقلات الإسرائيلية، حيث تناول الباحث في دراسته قصصا وحكايات، تُعد كلٌ منها محطة من محطات الحياة داخل المعتقلات. وقد صور من خلالها أحلام الحرية وكوابيس الأسر، والاعتقال والزنازين، والتحقيق بأساليبه الوحشية، والقمعية، وكذلك وحدة المعتقل في الزنزانة، وغرفة العملاء الذين يحاولون ثنيه عن الصمود، وابتزازه لأخذ اعتراف منه، هذا بالإضافة إلى المواجهة مع السجان والنضال ضد ممارساته القمعية.

مقالة مسلماني (2019)، رأت الكاتبة فيها أن الرسالة تشكل مساحة رئيسة في حياة الأسير الفلسطيني للبوح والإبداع على حد السواء، كما أصبح لها حضور على قدر كبير من الأهمية في التجربة الاعتقالية على مدى عقود الاحتلال. وهي ترى أنه إذا كانت الرسالة، نافذة الأسير

الفلسطيني إلى العالم الخارجي، يعبر من خلالها عن مشاعره وأفكاره وأشواقه إلى الأهل، ويروي فيها تفاصيل حياته في السجن، فهي في المقابل نافذة العالم الخارجي على السجن، إذ يقرأ ذوو الأسرى والعالم من خلالها ليس فقط حياة الأسر بمختلف تفاصيلها، بل أيضاً العالم الداخلي لذات الأسير.

دراسة حمدونة (2018)، تتناول الدراسة الجوانب الابداعية في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة في الفترة ما بين 1985 إلى 2015م «وقد تناول الباحث في دراسته صراع العقول بين الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة، وإدارة مصلحة السجون الإسرائيلية على مستوى إدارة الوقت وبناء الذات في شتى المجالات، بالتفكير والتخطيط، ووضع البدائل والوسائل والأهداف، وتحقيق الحقوق.

دراسة أبو السعود (2014)، استعرض الباحث الذي عاش تجربة الاعتقال في دراسته موجزاً عن بدايات الحركة الوطنية الأسيرة وقسوة ظروف الاعتقال في البدايات، ومراحل تطور الاعتقال وأشكال نضالات الأسرى، ونشأة الجماعات الإسلامية وتنامي قوتها والتحولات على الهيئة القيادية في السجون، وتناول الإضرابات المفتوحة عن الطعام بشقيها المطلبي والسياسي، وانعكاس اتفاقية أوسلو والانقسام الفلسطيني على الأسرى.

دراسة أبو شمّالة (2003)، تناول الباحث فيها الأبعاد المادية للسجن من حيث: المساحة الضيقة، والصمت المطبق، والقيود وأقبية التحقيق المظلمة، وغرف العزل، والجدران الموحشة، وما يقوم به السجان لتوظيف كل ما سبق ذكره، وانعكاسات ذلك على الأسير ومشاعره. وتناول الباحث ما يعتمل في وجدان السجين من تفاعلات بين اليأس والأمل، والحرمان المادي والإشباع الروحي، والاغتراب المكاني، والفخر بالذات والتحدي والإصرار على التواصل.

دراسة الجوهر (د. ت) هدفت إلى بيان أهمية شعر المعتقلات التي برزت قبل الانتفاضة، وخلالها. وقد أبرز الباحث الحركة الفكرية في المعتقلات، فأشار إلى مجموعة من الأمثلة في التجربة الشعرية الفلسطينية من المثقفين الذين عاشوا تجربة الاعتقال فوصفوا المعتقلات، وحياتها، وممارسات الصهيونية.

المنهج البحثي

اعتمد الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، حيث قام الباحث بجمع المادة الأولية المتمثلة فيما أنتجه المعتقلون من قصص قصيرة، وعمل على دراستها وتحليلها إلى مضامينها المختلفة، وما تحتويه من صور فنية وأدبية، إلى جانب بعض المصادر الثانوية التي تتحدث عن الأدب بشكل عام والفلسطيني بشكل خاص؛ لتوظيف ذلك من أجل دعم إشكالية البحث الرئيسة.

أسباب اختيار الموضوع

يعتبر هذا الموضوع مهما، لأنه سوف يثري المكتبة النضالية الفلسطينية من جهة، ومن جهة أخرى سوف تسعى الدراسة، في محاولة متواضعة، إلى إنصاف الذين قضوا أجمل سني عمرهم في المعتقلات الإسرائيلية من أجل الاستقلال والحرية. هذا بالإضافة إلى أن قضية فلسطين هي قضية إنسانية وأخلاقية ووطنية وقومية وسياسية، بحجم معاناة الآلاف من الأسرى والأسيرات الذين يقبعون في سجون الاحتلال الإسرائيلي.

أهمية الدراسة

تنبع أهمية الدراسة من أهمية الموضوع فهو موضوع إنساني بامتياز، فالأسرى، بداية، يستحقون الدعم والاهتمام، كونهم يشكلون قضية بحد ذاتها. فتأتي هذه الدراسة لتسلط الضوء، على واحد من النتاجات الأدبية التي أنتجها الفلسطينيون ممن عاشوا تجربة الاعتقال. فنمت لديهم القدرة على الكتابة خلف القضبان. هؤلاء الذين كان السجن حافزا، ومشجعا لهم للكتابة. فإذا كان الأدب يعكس الواقع، فإن الأدب الفلسطيني يلتصق بواقعه المعيش يوميا، وتاريخياً. فالأدب الفلسطيني التصق عضويا بالحالة السياسية في البلاد، فكانت تلك سمة بارزة من سماته. وتعتبر القصة القصيرة واحدة من إبداعات الأسرى التي عبروا من خلالها عن واقعهم وتطلعاتهم. فقد تأثرت كتابة القصة القصيرة إلى، حد كبير، بظروف الاعتقال رغم أنها حاولت الانطلاق، وتجاوز ضيق مساحة السجن إلى رحابة الوطن.

التشكيل الفني في العتبات النصية

كثر الحديث في السنوات الأخيرة عن السيميائية وعلاقتها باللغة ورموزها ودلالاتها، وأطلق عليها القدماء قولهم: اسم لما هو غير حقيقي من السحر (صديق القنوجي، 1978، ص 392)، لكن سيميائية الكتابة في العصر الحديث، نحت منحى آخر متاخما لمنهج القدماء، فقد اهتمت السيميائية الحديثة بدراسة الإطار الذي يحيط بالنص كالعنوان، والإهداء والرسومات التوضيحية وافتتاحيات الفصول، وغير ذلك من النصوص التي أطلق عليها النقاد اسم "العتبات" أو النصوص الموازية (محمد بنيس، 1989، ص 76)، وقد عرفه لوي هوبك بأنه "مجموعة العلامات اللسانية من كلمات جمل وحتى نصوص قد تظهر على رأس النص لتدل عليه وتعينه، تشير لمحتواه الكلي ولتجذب جمهوره المستهدف (عبد الحق بلعابد، 2008، ص65–66) وهي أساسية لولوج عالم النص الأدبي، وفتح مغالقه، واستكناه أعماقه، وسبر أغواره أحيانا، ولذا فالسيميائية خطاب أساسي ومساعد، سخر لخدمة شيء آخر هو النص بعينه وهذا ما أكسبه بعدا تداوليا وقوة إنجازية، على الباحث أن يعي حدودها وتطبيقاتها ومرجعياتها (يوسف الادريسي، 2008، ص12).

تتكون المجموعة "عروسان في الثلج" من خمس قصص، تحمل عناوين: "عروسان في الثلج" و"يوم من عمر الزمن" و"أطفال وأحلام و..." و"كرمل" و"نشيد العودة". وقد ولدت هذه

المجموعة في زمن يعبر عن مرحلة معاناة عاشها الكاتب، وهي عبارة عن ثمانية شهور تمثل المسافة الفاصلة بين صدور قرار الإبعاد المتخذ ضده، وإلغائه فيما بعد. وقد عاش الكاتب هذه الفترة في ظل ظروف نفسية قاسية، حيث كان ينتظر مصيراً مجهولاً، لا يدري ماذا تخبئ له الأيام خلالها. وقد صورت هذه المجموعة القصصية التفاعلات النفسية للكاتب، بعد صدور قرار الإبعاد. تحدث خلالها عن أدق التفاصيل التي مرت في حياته، وهو يقف على بوابة وطنه، ويعدّ الساعات والأيام وهو يراجع مراحل حياته المختلفة بصورها الجميلة، ومعاناتها.

تعتبر مقدمة القصة القصيرة مهمة؛ لأنها تسهم في تشويق القارئ للقصة، وشده لقراءتها. ذلك أن براعة الاستهلال تشد القارئ إلى متابعة الأحداث التالية. فالتشويق والإثارة في مطالع القصة الفنية من الأدوات المهمة في القصة (يوسف الشاروني، 1977، ص 70). وقد يقوم عنوان القصة بدور المقدمة فيكون مثيراً للانتباه، وبذلك يستحث القارئ على المتابعة. ولذلك على القاص أن يعتني عناية فائقة في اختيار عناوين قصصه. كما أن ذلك يكون، بدوره، مفيدا للباحث إذ يمنحه الفرصة المواتية لسلامة التحليل واستغلال عنصر المفارقة في العنوان إن وجد.

لقد شكل عنوان المجموعة "عروسان في الثلج" وهو عنوان إحدى قصص المجموعة، عنصراً مهماً من عناصر المفارقة. فالقارئ، ومنذ البداية، يسعى لمحاولة الربط بين مكونات العنوان "العروسان والثلج". فالعنوان يشير إلى حالة من الفرح بما تمثله لفظة "عروسان" وبما ترمز إليه، حيث العرس يمثل حالة من الفرح العارم التي ينتظرها كثير من الناس. فالعرس فيه تلبية لحاجة إنسانية، واجتماعية، متمثلة في الزواج. أما العروس فهي تمثل الحب، والدفء والحنان، والمودة والسكينة، والهدوء، والاستقرار، يقول تعالى: "سبحان الذي خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة" (القرآن الكريم، سورة الروم، آية 21). وإذا ما أضفنا إلى ذلك هيئة العروس يوم عرسها، حيث اللباس الأبيض المميز، فإننا ندرك الرابط بين لفظة "العروسان" ولفظة "الثلج" حيث البياض والصفاء، والنقاء. فالثلج يكسو الأرض حلة بيضاء، تشبه لون لباس العروس الأبيض.

ومن جهة أخرى، يمكن أن نلمح صورة أخرى في لفظة "الثلج". فالثلج، وإن كان يحمل في طياته حالة من حالات الفرح لفئة من الناس فيفرحون لمرآه، ويلعبون به، ويتزلجون عليه؛ فإنه قد يشكل مصدر بؤس وشقاء لفئة أخرى من الناس. وبخاصة إذا كانوا يرزحون تحت الاحتلال، ويتعرضون للاعتقال ويعانون أقسى ظروف الحجز، حيث الزنازين الباردة، واستخدام أقسى أساليب التحقيق التي يكون الثلج وسيلة من وسائلها للضغط على الأسير من أجل انتزاع اعتراف منه. وبالتالي يمكن النظر إلى العنوان، على أساس أنه يعبر عن طبيعة المأساة التي تعرض لها الكاتب، حيث يتم اعتقاله في ظروف جوية شديدة البرودة. فالثلج يتساقط بغزارة على مدينة رام الله، التي اكتست حلة بيضاء.

يلاحظ من خلال العنوان، كذلك، أن الكاتب استخدم اللفظ المثنى النكرة "عروسان" وهذا يعطي القارئ مجالاً للبحث عن العروسين المقصودين في القصة؛ وبالتالي يهتم القارئ بمحاولة اكتشاف ذلك، من خلال متابعة قراءة القصة. وفي النهاية يصل إلى مقصود الكاتب حين يعرف أن خلود زوجة الراوي، وأن مدينة رام الله هما العروسان، "خلود عروس، رام الله عروس" (حسن عبد الله، 1993، ص 21). ويمثل الثلج حالة من الفرح رغم البرودة الشديدة، وتقابلها حالة الفرح التي يشعر بها العريس تجاه عروسه، ولكن هذا الفرح لا يكتمل؛ لأن الاحتلال ينغص على الفلسطيني حياته.

وقد أشار الكاتب من خلال عنوان قصة " يوم من عمر الزمان" إلى يوم بعينه لما يحمل من أهمية، واليوم في العنوان نكرة غير محدد. ولكنه مهم لأنه يختص بالإشارة دون غيره من الأيام، وهو يوم من عمر الزمان ككل، وليس من عمر الكاتب. فالزمن شاهد على ذلك اليوم، ولذلك تصبح أهمية ذلك اليوم كبيرة جداً. وهذا يدفعنا للبحث عن ماهية ذلك اليوم الذي لم تتحدد معالمه، ومحاولة معرفة تفاصيله. أما عنوان قصة "أطفال وأحلام و... "، فيشكل عنواناً من عناوين البراءة، والصدق، والعفوية، فهؤلاء الأطفال يعبّرون عن أحلامهم التي يسعون إلى تحقيقها، وهذا أمر منطقي. ولكن استخدام الكاتب لحرف العطف "الواو" واستخدام علامة الحذف، يحمل في طياته أبعاداً تحمل القارئ على التفكير فيما يرمي إليه الكاتب من خلال حرف العطف، وعلامة الحذف؛ فيظهر اختفاء شيء لم يرغب الكاتب في التعبير عنه مباشرة، فتركه مفتوحا لتقدير القارئ؛ وبالتالي يستطيع القارئ أن يتمم العنوان بما يتساوق معه. وتأتي قصة" كرمل" لتعزز ارتباط الراوي ومن معه بالوطن. فكرمل هو الاسم الذي تم اختياره لطفلة تولد لأب في اليوم نفسه الذي يصدر بحقه قرار الإبعاد من الوطن. وهذا يعني أن الفلسطيني وإن طرد من أرضه سيجد من يتابع مسيرته، ويكون عنوانا للتجذر فيها كما جبل الكرمل الشامخ المتجذر في فلسطين، مشكلا، بذلك، معلما بارزا من معالمها الشامخة.

ويأتي عنوان القصة الأخيرة من هذه المجموعة "نشيد العودة" ليعيد الفرحة إلى القلوب بعد أن هجرها بسبب قرار الإبعاد. فالنشيد هو رفع الصوت بالشعر مع التلحين، أما سبب الفرح فهو العودة. ولربما يعتقد القارئ للوهلة الأولى أن العودة هنا تحمل معنى الرجوع إلى الوطن بعد غياب. والحقيقة أن العودة هي عودة للاعتقال، ولكن لماذا هذا الفرح بالعودة إلى الاعتقال، مع أن الاعتقال يعني تقييد الحرية، وحجز الجسد، وإبعادا له عن الأهل؟ والجواب؛ لأن السجن خير من الإبعاد عن الوطن. فالإبعاد إقصاء عن الأهل وعن الوطن، بينما يبقى المعتقل داخل حدود الوطن حتى وإن كان الاعتقال في صحراء قاحلة.

اعتمد الكاتب "وليد الهودلي" في مجموعته القصصية "مدفن الأحياء" أسلوبا يميل إلى التسجيل؛ لأنه يروي الحقيقة، وهي ليست حقيقة باردة، بل، ربما، أنها فاقت الخيال في بعض

مراحلها. والقصة التسجيلية هي "التي تتخذ من رصد الظواهر في جانبها الحسي مجالا لها، ولا يعني ذلك أنها تتجاهل الجوانب النفسية، ولكنا تعطيها مرتبة ثانية أو ثالثة، وإذا اتجهت إليها فإنها تجعل السبيل إلى إدراكها هو الحركة الحسية والمظهر الخارجي" (محمد حسن عبد الله، 1971، ص290).

و"مدفن الأحياء" تحكي تجارب المعتقلين المرضى الذين يعانون أمراضا مزمنة. وقد روى الكاتب، من خلال هذه المجموعة، تفاصيل ما شاهده في مستشفى الرملة، بعد تمكنه من زيارته بعد ثلاث سنوات من المطالبة المريرة؛ لإجراء بعض الفحوصات الطبية. فقد وجد الكاتب مشهدا شاخصا أمامه بما يحمل من ألوان قاتمة وأحوال صحيّة بلغت ذروة البؤس والعناء. فشرع في الكتابة وسلط الضوء في كل قصة على أحد المعذبين؛ يجلس معه، ويسمع أناته، محاولا التعرف على خبايا ما يحس به المريض. لقد كانت هذه الكتابة لتغطيّة منطقة واسعة من مناطق الألم، والجرح النازف، وعالم الإنسان الذي مازال كيل العذاب متواصلا على رأسه، وما زال هؤلاء المعذبون يعانون العذاب بأقسى الوسائل. فمدفن الأحياء نافذة نطل من خلالها على المشهد المأساويّ الكئيب، وتسجيل في الذاكرة لصفحات يخشى عليها من الضياع. فالمستشفى مدفن ولكنه للأحياء من المعتقلين الفلسطينيين الذين يحتاجون للرعاية والاهتمام.

إذا كان العنوان الشعري ينفتح على خصائص فنية لأشكال أدبية مختلفة بهدف" تجريب إمكانيات تعبيرية محضة، يتيح للشاعر أن يجذر رؤيته الشعرية مكانيا وزمانيا، وأن يقترحها على القارئ مفعمة بالمعنى والقيمة والانسجام" (عثمان بدري، 2003، ص 23) فإن العنوان القصصي ينفتح على الشعر من خلال استخدام التشبيه. فقد شُبه السجن بالمدفن فحذف المشبه وبقي المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية. والعنوان يتكون من مسند مفرد نكرة ومسند إليه جمعٌ يثير التساؤل عن أولئك الأحياء، فالمدفن هو للأموات، وبذلك يخفي العنوان أحداثا وتفاصيل كثيرة. أما فيما يتعلق بعناوين القصص المختلفة التي تضمها المجموعة، فقد جاءت عناوين مباشرة، وهي بأسماء الأشخاص الذين تروي حكاياتهم كل قصة. ولربما كان مغزى الكاتب من ذلك إثبات أن القصص حقيقية وواقعية، وهي شاهد حي على معاناة الإنسان الفلسطيني المريض في سجون الاحتلال.

التشكيل الفني في الزمان والمكان

بما أن الإنسان يعيش ببعدين هامين في نهج حياته لا يستطيع الفكاك عنهما، يتمثلان في الزمان الذي ينقضي رويدا رويدا، وفي المكان الذي يتربع على أكماته ويجول في منخفضاته، والزمن يرتبط ارتباطا وثيقا بالمكان والحركة، والزمان والمكان من الناحية التاريخية وحتى الدينية أقدم من الإنسان، والإنسان بوجوده وكينونته في المكان يعيد تشكيله وربما تحويله إلى أشكال مختلفة بحسب احتياجاته الحياتية من عمائر أو زراعة أو غيره مصاحبا في ذلك الزمان، ووفقا

لثقافة الإنسان وبالنظر إلى إبداعه في الرواية فإن الزمان والمكان يمثلان المكونات الأساسية الأولى في بناء الرواية، إذ إن كل رواية تقتضي نقطة انطلاق في الزمن ونقطة اندماج في المكان، فهما مجموع الأحداث والمواقف التي تتشكل عبرها العلاقات الإنسانية، ولذا فإن كل فعل إنساني روائي لا بد أن يكون مقترنا بهما، ولذلك عدهما النقاد مكونات أساسية في بناء الرواية، كونهما يدخلان في علاقات متعددة مع المكونات الحكائية الأخرى للسرد كالشخصيات أو الأحداث السردية

والمكان الروائي في كثير من الأحيان مسرح الأحداث، بل هو الحيز الذي تتحرك فيه الشخصيات، وتقيم فيه، وعندها تنشأ علاقة متبادلة بين الشخصية والمكان، وهي علاقة ضرورية لمنح العمل الأدبي طابعه الأصيل وخصوصيته، وعندها يكتسب المكان صفاته ودلالاته، مع تعدد الأمكنة التي تتنقل فيها الشخصية في الرواية –وهو الغالب – ويكون ذلك مترافقا مع تطور حركة الأحداث من جهة، ومؤشرا على حيوية الشخصية وفاعليتها من جهة أخرى، ولذا فمن الطبيعي أن يتبع هذا التنقل تنوعا في الأحداث الدلالية أو الدلالات المكانية.

هناك علاقة تأثير وتأثر متبادلة بين الإنسان والزمان، واستمرارية هذه العلاقة أضفت على الزمان بعدا إنسانيا، بحيث أصبح الزمان جزءا أساسيا من الخبرة الإنسانية. فالزمان ظاهرة حقيقية أدركها الإنسان منذ القدم، وسمة الديمومة للزمان، أعطته وجودا حقيقيا (روبرت همفري، 1975، ص 5). والزمان هو امتداد للنفس البشرية، وهو الحياة نفسها أو الوعي بالحياة، لكونه، بحركته، يندرج في عالم المتغيرات (بدوي عثمان، 1986، ص 155). فنحن نعرف أنفسنا من خلال الزمان، لذا فالوجود الحقيقي له يمس المصير الإنساني منذ بدايته حتى نهايته، جعل الزمان إشكالية، أو مقولة فلسفية "أرقت لها العقول وتضاربت بشأنها الرؤى، واسترعت الاهتمام واستأثرت به، وبرزت جميع إشكاليات الفلسفة في ذلك كله منذ وجد الإنسان" (يمنى طريف الخولي، 1987، ص17).

وقد أظهر القرآن الكريم نظرة عرب الجاهلية إلى الزمان في قوله تعالى: "وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر"(القرآن الكريم، سورة الجاثية، آية 24). الأمر الذي جعل النبي (ﷺ) ينهى عن سب الدهر، فقال: "لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر" (مسلم بن الحجاج النيسابوري، 1991، ص 1763). ورأى بعض الفلاسفة ومنهم كانط–1724) "Kant" (1804في فلسفته النقدية، أن الزمان متقدم على المكان، ورأى أن له الأفضلية والمرتبة العليا، ذلك أن "المكان هو شكل تجربتنا الخارجية، أما الزمان فهو شكل تجربتنا الداخلية"(يمنى طريف الخولي، 1987، ص 14). فالزمان ذو طبيعة تجعله يخاطب العامل الإنساني الداخلي، لذا هو أكثر حضورا من المكان وأفضل منه رتبة. لقد أجمع الفلاسفة على أن الزمان والمكان ليسا على قدم المساواة؛ إذ إن الزمان يدرك نفسيا، بينما يدرك المكان حسيا. فإذا كان "المكان صورة أولية ترجع إلى قوة الحساسية الظاهرة التي تشمل حواسنا الخمس، فإن الزمان صورة أولية ترجع إلى قوة الحساسية الباطنة بصفة مباشرة"(يوسف كرم، د. ت، ص222).

أما عند الحديث عن الدراسات الروائية؛ فإن الفصل بين عنصري الزمان والمكان يعد أمرا شكليا، نظرا لارتباطهما معا ارتباطا جدليا في النص الروائي. فالحدث الروائي لا بدّ أن يقع في مكان معين وزمان بعينه. والزمان والمكان عنصران متلازمان، ورغم ذلك، فإن بعض دارسي الرواية آثروا دراسة كل منهما عنصرا قائما بذاته، وذلك "من أجل الوصول إلى فهم أفضل لوظيفته؛ وبالتالي للعمل في كليته" (يمنى العيد، 1990، ص88).

صار ينظر للزمان كجزء ضروري وحيوي من أجزاء البنية الأساسية للعمل القصصي، لا تقل أهميته عن أهمية سائر الأجزاء. ويبرز دور الزمان في قصص الاعتقال ورواياته، حيث يمثل مساحة لا بأس بها في هذا النتاج. وقلما يكون الزمان سائرا على وتيرة واحدة في السرد ممتدة من الماضي وصولا إلى الحاضر دونما تغيير في خط السير. في الغالب، يقوم الكتاب بتفتيت الزمان باستعمال تقنيات عديدة من أهمها: تقنية الاسترجاع التي تكسر رتابة خط سيره، وتجعل إيقاعه متناغما مع الحالة النفسية للشخوص.

يتمثل الزمن الواقعي لقصة" عروسان في الثلج"، في ليلة الاعتقال، حيث يقضي الأصدقاء سهرة مميزة، يسودها الفرح الذي يغمر القلوب جميعا. وفي تلك الليلة يأتي جنود الاحتلال إلى بيت الراوي ويعتقلونه هو وأصدقاءه. ويمتد هذا الزمن ليسرد فيه الراوي تفاصيل ما جرى معهم في تلك الليلة من أحداث، حيث يتم اقتيادهم إلى دبابة، ونقلهم إلى زنزانة، ومن ثم اقتياده إلى معتقل الظاهرية. فالزمن الحقيقي للقصة هو تلك الليلة المشؤومة التي تحدث عنها الراوي، بينما يمتد الزمن القصصي طويلاً، حيث لا يكتفي الراوي بسرد تفاصيل ما جرى معه في تلك الليلة وإنما يعود بذاكرته إلى أحداث كثيرة مرّت به. فالراوي يكسر رتابة الزمن، عبر انتقاله من زمن اللحظة الراهنة التي يعيشها، إلى الزمن الماضي من خلال ذكرياته المتشابكة والمتعددة، ومن ذلك اعتقاله السابق، وظروف التحقيق القاسية التي تعرض لها. ويعبر الراوي عن كل تلك الذكريات من خلال المنولوج الداخلي.

وفي "يوم من عمر الزمان" يلاحظ كذلك أن الليل يشكل عنصرا مهما في القصة، يقول الراوي "قاومت الليلة ولعدة ساعات رغبة ملحة، حثتني لأكتب لك قصة"(حسن عبد الله، 1993، ص 48). وهذه الليلة التي يتحدث عنها الراوي هي ليلة باردة، ضوؤها خافت، ومع ذلك سيكتب لابنه فيها أحداث قصته. فالقاص يوظف الليل كعنصر أساسي للمتن الحكائي؛ وبذلك يصبح الليل" صورة معاكسة في أي قصة لبديله المرئي(النهار) إذ يشكلان تناقضا واضحا في البنية القصصية"(سلمان كاصد، 2003، ص 62). فالليل يشكل جزءا من الضغط النفسي الذي يمارس على المعتقل.

أما الزمن الحقيقي لأحداث قصة الراوي، فهو الساعة الرابعة من فجر اليوم الثاني من العام الجديد. فهو زمان سكران منهك القوى، وهو زمان القصور والأمراء المخصيين، وهو زمان الجنس،

وزمان السيد الذي يمارس جبروته بكل ما أوتي من قوة، وهو الزمان الذي يمتلئ باللذة والشهوة. وهو ذات الزمان المليء بالمتناقضات، والذي يتم فيه انتزاع الراوي من خيمته. "الزمان: الساعة الرابعة من فجر اليوم الثاني من العام الجديد، بعد أن احتفل الناس في جميع بلدان العالم، بالضيف القادم من عمر الزمن السرمدي، مطوّحاً بسابقه، الذي لطمت أيديه الاثنتا عشر وجوه الفقراء. غمست أجسادهم في مستنقعات القلق، وسحبت أعصابهم...شدتها...وتركتها. في ذات الزمان انتزعوني من خيمتي في الاعتقال، قيدوني بحبال الليل، وقذفوا بي في متاهاته... في صبيحة اليوم الثاني من كانون ثاني... يوم من عمر الزمان... ذات الزمان"(حسن عبد الله، 1993، ص50-53).

وهذا اليوم من الزمان يختلف عن الأيام السابقة؛ لأنه اليوم الذي يُبلغ فيه الراوي بقرار الإبعاد. وبذلك ينسلخ هذا اليوم بالنسبة للراوي من جسم الزمان، الذي كان بالأمس معرباً. ونتيجة لقرار الإبعاد الذي صدر بحق الراوي فإن الزمن عنده يغيب من شدة هول الصدمة. فلم يكن الراوي يتوقع هذا القرار، كما أن تفكيره بأهله وأسرته، ومصيرهم جعله غير قادر على حساب الوقت الذي مرّ بعدما سمع قرار إبعاده. " لا أدري كم مضى من الوقت، وأنا أحاول الإمساك بطرف خيط...فكرة... كل ما أذكره، أن الأفكار والتصورات بدأت تتسابق في ذهني.... تتزاحم، تطمح في تحقيق السبق لنفسها. انتفضت في مكاني كالمصعوق، عندما ضربت رأسي مطرقة سؤال حول مصير أسرتي... أمك... أختك... أنت... وذاك الجنين المنتظر في الأحشاء"(حسن عبد الله، 1993، ص55).

يلاحظ أن الزمن الحقيقي للقصة هو ليلة رأس السنة الجديدة، وصباح اليوم التالي لها، بينما القصة تمتد في الزمن لتغوص إلى الماضي البعيد. والراوي هنا يكسر رتابة الزمن من خلال الذكريات، فقرار الإبعاد يحمل الراوي إلى ذكريات طفولته، ومرحلة شبابه التي قضاها في قريته رافات. تنهال عليه الذكريات من كل مكان الأم، والأب، البيت، والحقول، والقرية بكل ما فيها، والأغنام، والأبقار، وحتى حادثة سقوطه عن الحمار "الحمارة التي كسرت يدي قبل ربع قرن، عندما كنت في التاسعة من عمري، أصرت أن تحضر اليوم، ربما لتعتذر عن فعلتها، أو لتبرهن لي، أنها معلم من معالم طفولتي، وتحرص على أن تكون معي اليوم مثل الآخرين"(حسن عبد الله، 1993، ص 61). وبعد هذه الرحلة في عالم الذاكرة يعود الراوي إلى الزمن الحاضر، عندما يصحو على أصوات تناديه من الزنازين "صحوت من ذكرياتي... صوري... أحلامي على أصوات نادتني من الزنازين الأخرى"(حسن عبد الله، 1993، ص 62).

ويشكل الزمن في قصة "أطفال وأحلام و..." عنصراً ضاغطاً على السجين وأهله؛ فسلطات الاحتلال، تتعمد اختيار الأوقات التي تشكل ضغطا نفسياً، وإنهاكاً جسدياً للمعتقل وأهله على السواء. وقد لاحظنا ذلك في القصص السابقة، من خلال اختيار أوقات الاعتقال، التي تتم في

الليل، وفي ظروف جوية قاسية. أما فيما يتعلق بالتضييق على الأهالي، فإن سلطات الاحتلال، غالباً، ما كانت تستخدم الأهل كورقة ضغط على المعتقل، وبخاصة إذا كان خاضعاً للتحقيق. واختيار أوقات الزيارة من الحالات التي يتم فيها الضغط على أهالي المعتقلين. فالأهالي يضطرون إلى قطع مسافات طويلة من أجل الوصول إلى المعتقلات، وفي ظروف جوية سيئة كأن تكون شديدة البرودة، أو شديدة الحرارة. ومن الواضح أن الزمن الذي يشير إليه الكاتب في هذه القصة هو الزمن الضاغط على الأهالي. حيث يتمثل الزمن في يوم شتوي شديد البرودة، أمام معتقل الظاهرية. ومن كانت له تجربة في زيارة المعتقلين يدرك معنى أن يكون الجو بارداً وشتوياً هناك. فالأهالي يضطرون للانتظار ساعات طويلة، تحت قسوة ذلك اليوم الشتوي البارد؛ لأن الضابط المناوب يؤخر موعد الزيارة، ويختار الوقت كيفما يشاء. "مصير مشترك جمع النسوة الخمس، اللواتي تلاصقن إلى جانب بعضهن البعض، في يوم شتوي شديد البرودة، أمام معتقل الظاهرية... جلسن وقد أسرهن سرحان لم يفلتن من قبضته طيلة الساعات التي مكثنها منتظرات إعلان الضابط المناوب عن بدء الزيارة"(حسن عبد الله، 1993، ص 69).

وفي قصة "كرمل" لم يتطرق الراوي إلى الزمن إلا عبر إشارة سريعة، ولكنها تحمل في جوانبها أبعادا كثيرة. فالمعتقلون في قاعة المحكمة، ينتظرون قرارا بالإبعاد، وهذا كفيل، بحد ذاته، أن يشكل عبئا ثقيلا عليهم؛ فهي لحظات انتظار من أصعب اللحظات. مصير المعتقلين متوقف على ما سينطق به قضاة المحكمة في الساعات القليلة القادمة؛ ولذلك كانت الإشارة إلى الساعة المثبتة على الحائط، التي تشير إلى التاسعة "الساعة الكبيرة المثبتة إلى الحائط تشير إلى التاسعة... ولا حضور حتى الآن، لا للقضاة ولا للأهل""(حسن عبد الله، 1993، ص 89).

أما في قصة " نشيد العودة" فلم يحدد الراوي الزمن الذي يتحدث عنه، ولكن يمكن أن نشير إلى أن زمن القصة، هو نهار أحد الأيام الصيفية شديدة الحرارة. ونستشف ذلك من خلال حديثه عن الحافلة وشدة الحرارة. وبالتالي نحن نتحدث عن زمن حقيقي يتمثل في عدة ساعات وهي الفترة الزمنية التي تحتاجه الحافلة لقطع المسافة من منطقة ما في فلسطين إلى معتقل النقب. ولكن من الملاحظ أن الراوي لم يكتف بالحديث عن هذه الفترة، وأحاسيسه خلالها، وإنما كسر الزمن وانتقل إلى الماضي عبر ذكرياته المؤلمة. فقد أشار إلى كيفية تعامل إدارة المعتقل مع المعتقلين حيث يتم احتجاز المعتقلين مرة أخرى بعد صدور قرار الإفراج عنهم. "قررت الجهات المسؤولة تمديد بقاء المذكور في الحجز لمدة أسبوعين إضافيين ابتداءً من هذا اليوم، لأسباب تتعلق باحتياجات أمنية 92/12/5، الأمر الأسود أجل موعد عيدي أربعة عشر يوماً ... اعتقال جديد ... اعتقال داخل الاعتقال ... اعتقال وأنا على أبواب الحرية""(حسن عبد الله، 1993، ص 127). ورغم أن تجديد الاعتقال كان لأربعة عشر يوماً، إلا أن الزمن كان يمر بطيئاً جداً، لأن أيام الانتظار ثقيلة جداً. "كان يجب أن أبتلع الأيام ... هضمت البيضات ... هضمت الأيام الأربعة عشر ... حرقت

أوراقك يا "رزنامة البيض" يا ذات الأوراق البيضاوية ... يا ذات البيضات السوداوية... مزقتها فانفتح باب محطة أخرى""(حسن عبد الله، 1993، ص 134).

وعندما يأتي يوم الإفراج، يكون أثقل من الأيام السابقة؛ فالزمن يزداد ثقلاً، وبطئاً، وكأن الزمن يمشي على صدر الراوي. ويصبح الراوي وكأنه يقاتل ضد الزمن، وضد الدقائق «كان الزمن يمشي على صدري... الزمن جمل هائج يضغط خفه على عنقي... أضناني الانتظار... ضغط خف الجمل رقبتي... صمدت في معركتي ضد الدقائق""(حسن عبد الله، 1993، ص 131)؛ ولذلك يسعى المعتقل بكل ما أوتي من قوة لتحدي ذلك الزمن، والصمود في وجهه. بينما يسعى السجانون للضغط عليه عبر استخدامه حيث يتم تجديد اعتقاله ستة أشهر أخرى رغم صدور قرار بالإفراج عنه، في حين أنه كان يحلم بلقاء أحبته وأهله، وابنته. "ستعود إلى المعتقل. لماذا؟ لا جواب عندي على سؤالك، كل ما أعرفه، لن تخرج من هنا قبل ستة شهور أخرى""(حسن عبد الله، 1993، ص 135).

وفي مجموعة "مدفن الأحياء" يحدد الراوي في قصة "الشيخ المحتسب" الزمن وإنما اكتفى بالإشارة إلى الثمانية شهور التي يحتاجها المريض المعتقل، كي يصل إلى المستشفى بعد أن تسمح له إدارة السجن بذلك" أخيراً بعد مسيرة طويلة ومضنية وصلت إلى مستشفى الرملة... قطعت هذه المسيرة في ثمانية شهور ...المسافة بين عسقلان والرملة ستون كيلو متراً والسبب في تأخير الوصول هو الإجراءات التي تتبعها إدارة السجون، حيث لا يتم تحويل المرضى إلى المستشفيات بسهولة" (وليد الهودلي، 2004، ص 9). ويحاول الراوي كسر الزمن من خلال الانتقال من الحاضر إلى الماضي، فهو مثلاً يعود إلى سنة 1992 عندما التقى "أبو هدوان" لأول مرة، حيث كان بصحة جيدة، أما الآن فقد هدّه المرض" تذكر أيامنا "أبو الحسن" سنة 92 في عسقلان؟ الله يرحم تلك الأيام... أيام كانت الأمراض بعيدة عني..." (وليد الهودلي، 2004، ص 11). وينتقل إلى عام 1998، حيث يتحدث المعتقل المريض عن الضغط النفسي الممنهج والمدروس الذي يستخدمه السجانون في المستشفى. ومثال ذلك، عندما أصيب بنوبة قلبية حادة، وتم نقله إلى مستشفى "برزلاي" في عسقلان، أراد الصلاة، ولكنهم لم يفكوا قيده، ولم يسمحوا له بالوضوء، فاضطر للتيمم، والصلاة وهو مكبل اليدين والقدمين ومستلقٍ على ظهره يقول: "كيف أقضي حاجتي؟ ردوا بكلمتهم اللئيمة التي لا يعرفون غيرها... ممنوع، تيمّمت وأردت الصلاة واقفاً فرفضوا... لم أتمكن من الصلاة إلا وأنا مستلق على ظهري... مربوط بسريري من اليدين والرجلين... أتصدق أن كل هذا خوفاً من أن أهرب؟؟ كيف سيهرب كهل في الستين من عمره، ونوبة قلبية تفتت شرايين صدره؟"(وليد الهودلي، 2004، ص 12).

ينتقل الراوي بعد ذلك إلى زمن القص، حيث الحديث عن الأدوية التي يحملها أبو هدوان، والأمراض التي يعاني منها "وضع أبو حسين دواءه في كفه، وعدّ لي ما يزيد عن العشرة أنواع"(وليد

الهودلي، 2004، ص 14). ثم يعود من خلال الحديث على لسان المريض إلى الماضي، حيث يتذكر المريض ما ألمّ به في سجن نفحة عام 1989، حين أصيب بالتهاب كلوي حاد فتم علاجه، ثم أهمل بعدها " أذكر أنني أصبت في سجن نفحة في العام 89 بالتهاب كلوي حاد"(وليد الهودلي، 2004، ص 10).

يلاحظ أن الراوي لم يسر على وتيرة واحدة في قصته، وإنما كسر رتابة الزمن من خلال تقنية الاسترجاع فانتقل من الحاضر إلى الماضي، ثم من الماضي إلى الحاضر إلى المستقبل. وقد تمثل الحاضر في اللحظات التي يقضيها الراوي مع المريض، ويتمثل الماضي فيما يرويه المريض عن حياته. فالمريض يتذكر الأهل، والبنات، والأولاد، وما عاناه داخل المعتقل. ويتمثل المستقبل في الأمنيات التي يتمناها المريض حيث يتمنى الصلاة بالمسجد الأقصى، ورؤية الأبناء والبنات وأحفادهم وتقبيلهم.

وتدور أحداث قصة " عمر الخطيب "المشعوذة" عبر شريط من الذكريات التي لا تستغرق أكثر من ربع ساعة من الزمن، ولكنها تمتد عبر القص لفترة طويلة. فالراوي يمكث في العيادة أربعة عشر يوماً، ينتقل بعدها إلى مستشفى عسقلان، ومن ثم إلى مستشفى الرملة. ويستعرض الراوي هذا الشريط بعد خمس سنوات من تلك الرحلة إلى مستشفى عسقلان. ويتمثل الزمن الحقيقي لقصة "ياسر المؤذن واحة الديمقراطية" في اليوم الذي حددّه الصهاينة للمعتقل كي يتصل بأهله. ويأتي هذا الاتصال بعد انقطاع عن أهله دام ثلاثة عشر عاماً. أما الزمن القصصي فيمتد إلى أبعد من ذلك حين يعود الراوي بذكرياته إلى أيام طفولته، حيث كان يحظى باهتمام والده؛ لأنه أكبر إخوته. فقد سار مع والده سنوات عمره يوماً بيوم، ولحظة بلحظة، حتى فرّقه عن والده نداء الواجب والتحق بالمقاومة. وهو من خلال تلك الذكريات التي نعيشها بتفاصيلها يتذكر أيام المرض التي عانى منها، وكيف أدى الإهمال إلى أن يصاب بفشل كلوي. لقد دار صراع داخلي مرير في نفس الراوي قبل الاتصال، إذ كيف سيخبر أهله بحالته الصحية. وقد كانت عقارب الساعة وقت الاتصال تدور بسرعة، وأصبح يوم الاتصال تاريخياً بالنسبة له، لأنه استراح من ثقل إخبار أهله بما كان يخشى منه.

وفي قصة" نضال أبو عليا "أربع ساعات" يتحدث الراوي عن الفترة التي تستغرقها عملية تنقية الدم، حيث تحتاج في الوضع الطبيعي إلى "أربع ساعات". بينما في حالة هذا المريض، وغيره من المرضى المعتقلين، فإنها تستغرق فترة أطول حيث يتعطل جهاز تنقية الدم، ويضطر المريض للضغط على شريانه حتى يتم إصلاح الجهاز. ولذلك تستغرق عملية الغسيل فترة طويلة حيث يخرج المريض بعد الظهر ويعود عند الساعة الثانية عشرة ليلاً. فالجهاز تعطل، وكان عليه انتظار الخبير حتى يحضر. وفي حالة نضال "أبو عليا"، وبسبب حظه العاثر يتأخر الخبير بالوصول، فيتأخر إصلاح الجهاز، مع أنه كان قد قطع ساعة ونصف من عملية التنقية. تصبح

الساعات وكأنها سنة حيث يرى المريض خلالها نجوم الظهر كما يقول: "كالعادة تعطلت المحروسة، تأخر الخبير عند قدومه، وتأخر في التصليح، كنت قد قطعت ساعة ونصف... أكلت فيها بعض الحلويات حتى يتم إخراج سمومها أثناء الغسيل، تنفخت كبالون هواء... جلست أنتظر... كانت الساعة تمر كسنة... رأيت نجوم الظهر، انتهوا من التصليح والتفاهم معها الساعة الثامنة، أنهيت الثانية عشرة منتصف الليل"(وليد الهودلي، 2004، ص67).

إنه الاستهداف الحقيقي للمعتقلين، من خلال استخدام موضوع الزمن، الذي يثقل كاهلهم وهم يحلمون بالحرية. ولكن يبقى التحدي عنوان المعتقلين الدائم.

المكان:

يظهر من خلال قصة" عروسان في الثلج" مجموعة من الأمكنة التي يجعلنا الراوي نعيش تفاصيلها وظروفها. فالأمكنة في هذه القصة متعددة، وظروفها متنوعة، وكل ذلك من أجل خدمة أهداف القصة. فتبدأ القصة بالحديث عن الظروف التي قادت الأصدقاء للذهاب إلى بيت الراوي، وهي الظروف الجوية التي تجعل من المتعذر عليهم الوصول إلى بيوتهم. وقد حاول الكاتب من خلاله أن يعبّر عن إحساسه بالراحة والطمأنينة، والهدوء والاستقرار، والأمن. فالزوجة تسعى بكل ما أوتيت من أجل إسعاد زوجها، والطفلة تتمتع بحنان الأب، وعطفه، وهي التي لم تنفصل عنه طوال السهرة.

ينتقل المشهد إلى مكان آخر، وهو الدبابة التي يتم فيها نقل المعتقلين؛ بسبب الثلج المتراكم. وهي تشبه الثلاجة المتنقلة؛ فثياب المعتقلين مبتلة، والجو بارد، وأرضية الدبابة مليئة بالماء؛ بسبب ما تراكم على الجنود من ثلج استقر في النهاية على أرضية الدبابة، حيث ألقي بالمعتقلين.

وبعد ذلك ينتقل الراوي للحديث عن الزنزانة، التي زج فيها مع أصدقائه. وهي أشد برودة من تلك الدبابة، فلم يعط الواحد منهم أكثر من بطانية واحدة. وفيها حاول المعتقلون تدفئة أنفسهم من خلال التصاقهم ببعضهم البعض. ويعود الراوي للحديث عن المجنزرة التي أقلته من الزنزانة في سجن رام الله، إلى معتقل الظاهرية. وفيها يصف مشاعره، وأحاسيسه التي عاشها، من خلال الحوار الداخلي، طوال الطريق. وأخيراً نعيش مع الراوي تفاصيل المكان الأخير، وهو معتقل الظاهرية، الذي لم يكن يتوقع نقله إليه. فالمعتقل يتم زج الأطفال، وأصحاب الخبرة القليلة فيه؛ للضغط عليهم، وانتزاع اعترافاتهم. وفي هذا المعتقل يصف الغرفة التي قابل فيها أحد الجنرالات الذي بلغه قرار الإبعاد.

أما أحداث قصة " يوم من عمر الزمان" فتدور داخل أحد المعتقلات، وهو معتقل الظاهرية، وهو من المعتقلات التي أنشئت في الانتفاضة وتميز بقسوة الجلادين فيه. وقد قام الراوي بتحديد المكان داخل هذا المعتقل بدقة، حيث يتم انتزاعه من الخيمة التي كان يعيش فيها، وزجّه في زنزانة ضيقة لا يتجاوز طولها المتر ونصف المتر، وعرضها متر واحد، تشبه القبر (حسن عبد الله،

1993، ص 53). فالمكان، من وجهة نظر الراوي، متآمر مع السجان بما يمثله من طبيعة قاسية تضغط على المعتقل. ولا يقتصر المكان على الزنزانة، وإنما هناك حديث عن غرفة أخرى يجلس فيها أحد الجنرالات، ومجموعة من الضباط، حيث يعلن فيها الجنرال قرار الإبعاد بحق الراوي. "انتزعوني من الزنزانة، قذفوا بي في غرفة، كل ما فيها أمر بطردي من البلاد"(حسن عبد الله، 1993، ص 54). غم القرار الجائر، فإن الراوي يحاول أن يتماسك، وأن يتجاوز كل هذه الأمكنة بما فيها من قسوة، وظلم، وقهر. فالمكان رغم ضيقه يتسع ويكبر؛ لأن الراوي يتذكر الوطن "لا لون أصدق من لون الوطن المرسوم على وجوه... زوجتي... أبنائي... أقاربي... أصدقائي... أهل قريتي... مخيمي... مدينتي... لا لون إلا لونهم... صرخت مرة أخرى... رددت نفس المقطع... قاطعاً مزمجراً، فإذا بزنزانتي تتسع... تكبر... تتباعد... يرتفع سقفها"(حسن عبد الله، 1993، ص 57).

إن أهل الراوي وأقاربه، وزوجته، وأبناءه يمنحون المكان نكهة أخرى، عندما يتذكرهم، ويحس بهم، وهم يعطونه الأمل باللقاء. والراوي يتجاوز المكان من خلال العودة إلى الماضي وذكرياته. فهو يتذكر قريته الصغيرة، وبيته القديم الذي ولد فيه، وتعلم فيه. يتذكر كل ما يمت لقريته بصلة؛ ولذلك تتبخر الزنزانة بمحتوياتها القذرة. ولا يكتفي الراوي بالذكريات التي تخرجه من ضيق الزنزانة، وإنما يحاول تجاوزها من خلال الكتابة على جدرانها، فيكتب الأحرف المكونة لاسم ولده "بيان". وفي هذه الطريقة يتجاوز حدود الزنزانة ليعبر إلى الوطن الممتد في أعماقه. فهو يتصور تلك الحروف، وقد صارت أكبر من الزنزانة، وتفرعت عنها أغصان وأوراق، فتحول الاسم إلى شجرة زيتون اخترقت جدران الزنزانة، وامتدت في الأعماق تبحث عن تراب الوطن الذي يعطيها الحياة. "اسمك تحول إلى شجرة زيتون، فتتت جذورها الزنزانة، اخترقت الاسمنت، وتغلغلت في العمق تبحث عن التراب"(حسن عبد الله، 1993، ص(68 .

وتدور أحداث قصة "أطفال وأحلام و..." أمام معتقل الظاهرية، حيث الأمهات والأطفال ينتظرن إشارة الضابط المناوب للسماح بالزيارة. ومن ثم ينتقل الراوي للحديث عن مكان الزيارة الذي لا يقل قسوة عن سابقه. "أسرعوا إلى غرفة الزيارة ... أسرعوا ... أي تأخير محسوب عليكم"(حسن عبد الله، 1993، ص 74).

أما قصة " كرمل" فتدور أحداثها في قاعة المحكمة الإسرائيلية، وقد وصفها الراوي وصفاً دقيقاً. فهي تحتوي على ثلاثة كراسي كبيرة في صدر القاعة، وطاولة السكرتير أسفل تلك الكراسي، وقبالتها طاولات المحامين، وفي الجانب الآخر ممثل النيابة، وتلتصق بالحائط المقابل للباب أربع خزانات بنية اللون تتكدس فيها كتب ومراجع سميكة... مراسلو وكالات الأنباء يتجولون في القاعة، وكاميرات التصوير موجهة إلى قفص الاتهام، ومقاعد الجمهور ما زال نصفها خالياً.

وفي قصة " نشيد العودة" شكلت الحافلة التي تم نقل المعتقلين فيها، جزءاً من المعاناة التي يعيشها المعتقل. فالاحتلال يستخدم عملية النقل كجزء من عملية ممنهجة لإذلال المعتقل، وتعذيبه نفسياً وجسدياً؛ ذلك أن عملية النقل تتم في ظروف شديدة القسوة. "جلست كما رفاقي الثلاثة في الحافلة التي تقلّنا إلى معتقل النقب، ورغم معرفتنا بماهية رحلتنا، إلا أننا تبارينا في الفرح، أينا أكثر فرحاً من الآخر"(حسن عبد الله، 1993، ص 117). وقد ركز الراوي على وصف الحافلة، ليضع القارئ في صورة ذلك المكان المتنقل: "الحافلة فرن مشتعل، والعرق يتصبب من وجوهنا... ملابسنا التصقت بأجسادنا، والحراس لا يكفون عن التهديد والزجر..." (حسن عبد الله، 1993، ص 118).

ورغم قسوة الظروف، ومعرفة المعتقلين بالمكان الذي يقادون إليه، إلا أنهم يحاولون إضافة جو من الفرح على تلك الرحلة القاسية. وبذلك يشكل الفرح نوعا من التحدي الذي يمارسه المعتقلون ضد السجان. "ولحن راقص غمر المكان... نغمات طروب عذبة خفيفة داعبت أطرافي، تسللت داخلي، تحرشت بوَقاري حرضتني على الرقص. رقص والقيد في معصمي، رقص وأنا أعرف أن السجن أخطبوط يلف خراطيمه حول عنق كل ما هو إنساني"(حسن عبد الله، 1993، ص 118). فالحافلة رغم قسوتها، من وجهة نظره، لم تستطع أن تفتّ من عضد المعتقلين المكبلين. فبقيت عزيمتهم قوية، وعيونهم مشعة، ومشتاقة لتلك الصحراء. وعلى النقيض فإن الحافلة تؤثر في الحراس فيميلون إلى الكسل، والنعاس بسبب الحرارة الشديدة. "الحافلة تشهق من الحر، والحر جرّ الكسل إلى المكان، فالتجأ "المجرور" إلى وجوه الحراس، طرد عنها الجدية والصرامة، وأبطل مفعول اليقظة في عيونهم... لكن ثماني عيون تشع على إيقاع حمى الرقص... أربعة أدمغة تصوغ أنشودة العودة... وصحراء النقب تطل... أرض صفراء مترامية الأطراف... غاب عنها كل الشعراء واختفت منها المضارب والقبائل والخيول الأصيلة والنوق، صوت المهباش، الربابة، الصبايا الهيفاوات ..." (حسن عبد الله، 1993، ص 119).

وفي مجموعة مدافن الأحياء تدور أحداث قصة "أبو الحسن أبو هدوان الشيخ المحتسب" في مستشفى الرملة، حيث يقبع المريض المعتقل، وكذلك الراوي، فيتم اللقاء بينهما في ذلك المستشفى. يضغط المكان على المريض، فهو يعيش في ظروف صحية صعبة، ومعاملة قاسية "تعمدت إدارة السجن وضع هذا المستشفى في ظروف قاسية... فتضيف آلاماً جديدة إلى آلامهم... آلية العمل تصعد الأوضاع النفسية الصعبة للأسير... كيف يعقل مثلاً أن تجرى عملية قلب مفتوح لمسن تجاوز الستين، وأرجله("هكذا") مقيدة بالسرير إضافة إلى الحراسة المشددة"(وليد الهودلي، 2004، ص 11). ولا يقتصر المكان على مستشفى الرملة، فهناك أمكنة أخرى، وهي لا تقل أهمية عن هذا المكان. فالأمكنة تتشابه، إلى حد كبير، وقد تم استحضارها من خلال المريض "أبو هدوان" لتدلل على طبيعة المعاناة التي عاناها طوال فترة اعتقاله. ومن تلك الأمكنة "مستشفى برزلاي في عسقلان" حيث تم نقله إليه بعد نوبة قلبية حادة. فقد أشار "أبو هدوان" إلى المعاملة السيئة التي لقيها هناك من حرّاسه، يقول: "في 98/4/14 تعرضت لنوبة قلبية حادة... حوّلوني إلى

مستشفى برزلاي/ عسقلان، كان معي أربعة حراس بأسلحتهم الرشاشة، أفقت من إغمائي، نظرت إلى الساعة فإذا بموعد صلاة المغرب يقترب، تذكرت أني لم أصل العصر، طلبت منهم فك قيودي حتى أتوضأ وأصلي، رفضوا بشدة، أخذوني إلى دورة المياه وأنا مقيد اليدين والرجلين"(وليد الهودلي، 2004، ص 12).

وتدور أحداث قصة عمر الخطيب "المشعوذة" في إحدى عيادات المعتقل، وهي ما أطلق عليها الكاتب اسم "المشعوذة" حيث يمكث فيها الراوي أربعة عشر يوماً، وهي غرفة نتنة رطبة، تشبه القبر، يقول: "كنت حبيس غرفة مظلمة... رطبة مكتظة بالروائح العفنة، تشم فيها رائحة الموت... كانت قبراً يوضع فيه الأحياء، حالة من الضياع ... رمادية اللون وتستطيع أن تقول لا لون لها... ماذا سيجري لك في هذه الغرفة السحيقة... فالداخل فيها مفقود والخارج منها مولود، هذا إن قدّر له الخروج" (وليد الهودلي، 2004، ص 20). ينتقل الراوي، بعد ذلك، للحديث عن مستشفى عسقلان، ومستشفى الرملة، والرحلة التي مرّ بها في طريقه إلى المستشفى حيث يرسم صوراً جميلة أثناء رحلته. فهو يصف البحر، والطبيعة الجميلة، وهي مشاهد تعكس صوراً مختلفة عن واقع المعتقلين. والراوي من خلال ذلك، ربما، يحاول أن يعوض الإحساس بفقدان الحرية، والهواء النقي من خلال حديثه عن البحر والطبيعة، يقول: " رأيت البحر... من بعيد رأيت زرقته الصافية... الامواج التي تتكسر في حضن الشاطئ الدفيء" ثم يتابع "وقفت السيارة على باب المستشفى... حملوني عبر ممر محفوف بالشجر... واي شجر... وجدت نفسي غارقا في الصور... الأشجار الجميلة القت بضياء عيونها على هذا الجسد الصريع"(وليد الهودلي، 2004، ص 26). وربما يكون استخدام الطبيعة لرفع حدّة الصراع الخارجي، ليخفف من ثقل الواقع النفسي الذي تعيشه الشخصية (فخري صالح، 1982، ص 18).

أما قصة "علي شلالدة "ما لها إلا الله" فتدور في غرفة من غرف المعتقل، ثم العيادة. يستدعي الراوي مجموعة من الصور والأمكنة التي تتسبب في الحالة التي وصل إليها المعتقل من المرض، فزنازين المسكوبية، ثم سجن عسقلان، فنفحة، ثم مستشفى "سوروكا". حاول الراوي تجاوز المكان من خلال الأمنيات، فالمريض يتمنى لو أنه جالس في بيته، على الشباك الغربي، يتنسم الهواء الذي ينعش الروح، ويشفي المريض.

أشار الراوي في قصة" نضال أبو عليا "أربع ساعات إلى المكان الذي تتم فيه عملية الغسيل، وهو عبارة عن غرفة ضيقة، تشبه دورة المياه، وفيها مكتب إداري يقوم عليه الموظف. ويشير المكان إلى قسوة السجّان، وقسوة الطب الإسرائيلي. فالمكان له دلالته من حيث إبقاء المعتقل في حالة ضيق، وإشعاره بأنه ما يزال معتقلا؛ ولذلك يتم اختيار الأمكنة بعناية فائقة. وهذا ما عبّر عنه الراوي بقوله: "ضاق بهم المكان إلا هذه الزاوية الضيّقة"(وليد الهودلي، 2004، ص 71).

وبناء على ما سبق، يمكن الحديث عن نمطين من المكان: المكان الواقعي، والمكان المتخيل بحيث يعكس كل منهما حالة نفسية مختلفة. فالمكان لم يعد مجرد مكان، بل هو حالة نفسية تقتضيها فكرة القصة.

التشكيل الفني في النهايات:

تعبّر نهاية قصة" عروسان في الثلج" عن محاولة للتحدي، ويظهر ذلك من خلال الحوار الذي دار بينه وبين الجنرال. فقد طلب الجنرال من الراوي أن يتصل بأهله كي يخبرهم بقرار الإبعاد، وعند الاتصال ترد ابنته "يافا" وفي هذه اللحظة تدمع عينا الراوي. ويرى الجنرال الصهيوني ذلك، ويعتبرها علامة ضعف، بينما يراها الراوي دموع رجل يحنّ إلى ابنته، وهي دلالة عاطفة صادقة. وفي غمرة هذا الحوار يأتينا صوت الراوي ليؤكد قوته وإصراره على التحدي، يقول: "هو يرى الآن دموعي ويتشفى بها، يظنها دموع ضعف، وأنا قد انتشيت...جبين ماردي لامس السماء لما رأيت مدينتي العروس تمشي الهوينا. وخلود عروس جميلة، مسكت بأصابعها أطراف فستانها وخطت على الثلج تتجاذب إشعاعات عينيها مع لمعان الثلج المنبسط تحت الضوء... رام الله عروس – خلود عروس" (حسن عبد الله، 1993، ص 47). فالراوي يرى في زوجته وفي مدينته عروسين رغم المحنة التي يمر بها، ورغم أنه مهدد بالإبعاد من وطنه، وبذلك هو يستمد القوة والصمود والتحدي منهما. وهو بذلك يؤكد ويوضح العنوان الذي اختاره لهذه القصة وللمجموعة ككل "عروسان في الثلج".

يرى الكاتب في قصة" يوم من عمر الزمان" ابنه الإنسان الأمين على قصته، ولذلك يضع القصة أمانة في عنقه يتصرف فيها كيفما يشاء، بشرط أن يبقي نهايتها مفتوحة إلى أبعد مدى. والكاتب في هذا إنما يرى في ابنه الأمل والمستقبل. وعندما تبقى النهاية مفتوحة، فإن قضيته، وقضية الشعب الفلسطيني تبقى قضية مفتوحة؛ إذ لا مجال لإغلاق هذه القضايا مع الاحتلال، الذي يتحمل المسؤولية كاملة عما يتعرض له الشعب الفلسطيني. "هاك قضيتي... أمانتي... ولك حق التصرف في خاتمتها، شريطة أن تبقيها في كل الأحوال مفتوحة إلى أبعد مدى... إلى أبعد مدى"(حسن عبد الله، 1993، ص 50).

أما في "أطفال وأحلام و "...فيشير الراوي في النهاية إلى ما كان يدور بداخل الطفلة "رزان" وهو هاجس كل طفل من أطفال القصة. فقد أدركت وأدرك الأطفال جميعاً معنى الإبعاد، ولم تعد الأحلام ذات قيمة عندهم. فالإبعاد من الوطن يعني قمة التعاسة، وليس صحيحاً ما كان يقال عن السفر، فالسفر شيء والإبعاد شيء آخر. " قالوا لي: إنه سيسافر...أي سفر هذا؟... خالي عندما سافر كانت ملابسه نظيفة جميلة، قبلني كثيراً وقال: سأشتري لك من هناك ملابس وألعاب ... كان مسروراً... أبي ... وجهه أصفر... ملابسه متسخة... شعره... ذقنه... كلماته... أهذا هو السفر؟" (حسن عبد الله، 1993، ص 75). وهذا كله يؤدي إلى حالة من الرفض المطلق لفكرة

السفر، أو الإبعاد؛ فالإبعاد يعني التعاسة؛ لأنه انتزاع وطرد من الوطن. وبناءً على ذلك فإن نهاية القصة تؤكد تلك الحالة من الرفض، وهي تعبير عن التمرد على قرارات السجّان حتى من قبل الأطفال. "تجاهلت السجّان، الذي طلب من أمها الخروج من غرفة الزيارة في الحال، ثم نظرت إلى أبيها نظرة اخترقت أعماقه... قالت: "طز في الطائرة...وطز في شبابيك وكراسي وجناحي الطائرة"(حسن عبد الله، 1993، ص 68).

وينهي الراوي قصة " كرمل" بجملة يخاطب فيها طفلته كرمل، وفيها تعبير عن حالة الحسرة التي يشعر بها؛ لأن دموع الكرمل لن تتوقف عن البكاء ما دام الاحتلال جاثما على هذا الوطن، وما دام أبناء الوطن يخرجون منه بالقوة." آه... هل تسكت دموعك يا كرمل؟؟... وهل تسكت دموع الكرمل؟... هل يتوقف سيل دموعه عن الجريان"، "طق ... طق ... محكمة" قرار: ؟" (حسن عبد الله، 1993، ص 116).

يعبر الكاتب في" نشيد العودة "في النهاية عن شدة الشوق للقاء الأحبة الذين كانوا معه، في جلسة المحكمة والذين صدر بحقهم قرار الإبعاد، وتحية الشوق بينهم، لينشدوا بصوت قوي يعبر عن شدة انتمائهم لهذا الوطن، وأنه لن يشغلهم عنه شيء. فها هم يفضلون الوطن مع البقاء في المعتقل على المنفى؛ لأن الغربة تذكرهم بالجناحين المقصوصين، وبالمعتقل، وبالوحدة، والابتعاد عن الأهل. "نحن متشوقون للقياهم، رأفت، معتز، أحمد، إيهاب، مروان، سامي، ونمر ... كما يتشوقون بالتأكيد للقيانا، لنعزف معاً لحن الجذور، ولننشد بصوت قوي، ترتعد له فرائص الصحراء ... وليخرس لهيبه .... لهيبك يا نقب وصوتنا يعلو ويعلو ويعلو:

وطني لو شغلت بالخلد عنه

نازعتني إليه في الخلد نفسي"

جاءت نهايات القصص متفائلة متحدية ومتفائلة وفي جانب آخر منها ركز الكاتب على الأطفال الذين سيتابعون المشوار من بعده. وهو بذلك لا يحسم الصراع، بل يفتح مجالات أخرى من خلالهم. كما يقول فخري صالح" يحاول القاص أن يرأب صدع الواقع بتجسيد نهاية آملة ومستشرفة في نهاية القصص... فالقصة في حركة واقعها لا تحسم الصراع بل تفتح له كوة أمل من خلال الأطفال، أو من خلال الجيل نفسه الذي يواصل كفاحه وينتظر" (فخري صالح، 1982، ص 18).

يُلاحظ من خلال نهايات قصص وليد الهودلي أن الكاتب يحاول التركيز على البعد الروحي الإيماني، وهذا يعكس طبيعة التوجه الديني لدى الكاتب. وهو من خلال ذلك يسعى إلى تزكية الأنفس من خلال التعلق بالله والاعتماد عليه. فقد أنهى الكاتب قصة "أبو هدوان" بأمنية مرتبطة بقضية العبادة، فالمعتقل المريض يتمنى أن يصلي في رحاب المسجد الأقصى. وهذه أمنية كل إنسان متدين يعاني من الاعتقال، والمرض في آن واحد. فالصلاة تشكل راحة وسعادة للإنسان

المؤمن؛ ولذلك تصبح الصلاة، وفي المسجد الأقصى سبيلاً للخلاص من العذاب الذي يعيشه ذلك المعتقل المريض. فينسى بالصلاة كل العذابات التي مرّ بها في سجنه." ولا أنسى قبل كل شيء، لا يملأ علي قلبي إلا أن أخرّ ساجدا في رحاب المسجد الأقصى، سجدة أذوب فيها في ميدان عشقي لله، وأذوب فيها قهر هذه السجون الظالم أهلها...اللهم آمين... اللهم آمين" (وليد الهودلي، 2004، ص 18).

ويدعو الكاتب من خلال نهاية قصة" عمر الخطيب، المشعوذة" إلى التحدي، والصمود، والمواجهة مع السّجان حتى في أشد الحالات صعوبة كحالات المرض؛ لأن السجان لا يعير أية قيمة للإنسانية. وبخاصة عندما يصبح الطبيب والممرض أداة من أدوات قمع المعتقل "هذا التناقض الذي ربما لن تلحظه إلا بعد تقدمك في الاعتقال، حينما ترى الرسالة الإنسانية تدنس يوم ترى الممرض والطبيب يتمترس خلف مدفع غاز خانق يوجهه نحو صدرك""(وليد الهودلي، 2004، ص 31). فالنهاية تشير بوضوح إلى انعدام الصفة الإنسانية للطب الإسرائيلي، فالطبيب والممرض يمارسان أبشع صور الإنسانية، حين يصوب الغاز باتجاه المعتقلين، بدل أن يكون الطبيب مسؤولاً عن تخفيف معاناة المرضى، ومعالجتهم.

وفي قصة" ياسر المؤذن "واحة الديمقراطية" يؤكد الكاتب من خلال النهاية الراحة النفسية التي شعر بها المريض، بعد اتصاله بأهله، وبخاصة أنهم كانوا على اطلاع كامل بتفاصيل وضعه الصحي، وهو ما كان يقلقه قبل الاتصال. ورغم الوضع الصحي السيئ للمريض، فهو يشعر بتلك الراحة في ذلك اليوم، مع أنه سيعود للألم من جديد في اليوم الثاني بسبب غسيل الكلى، "اليوم يوم استراحتي وغدا "برزيليا" والأربع ساعات على إيقاعات "البربيش" والغسيل الصاخب في واحة الديمقراطية".

وتجدر الإشارة هنا إلى أهمية الاتصال بالأهل في حياة المعتقل، حيث يشكل الاتصال راحة نفسية للأهل وللمعتقل على السواء. ولذلك سعت ما يسمى "بمصلحة السجون" إلى منع الاتصالات. وقد قام المعتقلون بالعديد من الخطوات النضالية، وكان موضوع الاتصال على سلم الأولويات.

وينهي الكاتب قصة "علي شلالدة ما لها إلا الله" بحوار يدور بين الراوي والمريض، ويظهر من خلالها دعوة الكاتب إلى التفاؤل، ورجاء الله عز وجل، والاحتساب لما أصاب المريض.

" _المهم أن يبقى وضعك مستقراً

- قال بحرارة: أي استقرار وأنا أنتظر الموت.
- أملي بالله كبير... لا أملك من التفاؤل إلا ما أرجوه من الله وما أنتظره عند لقائه.

هذه وحدها كافية يا "أبو حسن"، حسبنا الله ونعم الوكيل" (وليد الهودلي، 2004، ص 64).

ويلح الكاتب في قصة" نضال أبو عليا أربع ساعات" على قضية التعلق بالله عز وجل في الملمات. فهو يدعو إلى الاعتصام بحبل الله المتين، واللجوء إلى من يملك بيده الشفاء، بعد أن رفضت إدارة المعتقل عمل زراعة كلى له. "وفي عمق الظلام لاح لي بصيص أمل... وجهت وجهي عليه، علقت قلبي به، توجهت إلى من بيده ملكوت السماوات والأرض... توجهت إلى من بيده " وإذا مرضت فهو يشفين" فرجك يا رب، يا رب""(وليد الهودلي، 2004، ص 73).

التشكيل الفني في اللغة والأسلوب والسرد

تعد اللغة عنصرا رئيسا بارزا في بناء الخطاب القصصي يسهم في تشكيل العلاقة مع سائر مكونات البناء الفني في العمل من شخوص أو أحداث أو رؤى، وهذا ما ذهب اليه رشاد رشدي من أن كل عناصر العمل الفني "من لغة ووصف وحوار وسرد، يجب أن يقوم على خدمة الحدث" (رشاد رشدي، 1975، ص 79) والبيئة هي التي تحرك أرجوحة العقل البشري بين فترة وأخرى بما يحتمل، ككتابة قصة يخطها الكاتب بيده لا ليكشف من سواد الصفحات بل ليعبر عن مأساة واقعية تخترق جدران الواقع المرير الذي يسكن بين الحنايا. ومن هذا المنطلق يحاول الباحث دراسة اللغة التي أسهمت في إقامة البنية الداخلية للقصة، سواء أكانت في لغة السرد أم الحوار أم حتى لغة التفاعل النصية القائم على الحوار وتبادل وجهات النظر في بعض الأحايين.

يرى الباحث في لغة حسن عبد الله في مجموعته القصصية "عروسان في الثلج" لغة واقعية، مكثفة، وثيقة الصلة بالشخصية التي يتحدث عنها، وهي لغة واقعية مستمدة من لغة الحياة اليومية، وطبيعة الظروف التي يروي أحداثها. وهي لغة تتقاطع أحياناً مع لغة تتسم بالشفافية والشعرية، "مدينتي الحبيبة لبست ثوب الزفاف، ونامت تحت أنافس عريسها القادم من السماء، غنّت البهجة في أعماقي، احتفت بالضيف ناصع البياض ... فانطلقت في سهرتي، متحللاً من همومي، لافظها خارج نطاق تفكيري" (حسن عبد الله، 1993، ص 10).

ومن الأمثلة على اللغة الشاعرية، كذلك، قوله في قصة "يوم من عمر الزمان" "تحولت إلى طائر طويل الريش والجناحين، ناعم، حنون، صوته هديل حمام، وما هو بطير حمام، حوطني، احتضنني بجناحيه، أسرني بسحره، تملكني، التقطت قلمي، التحمت مع الليل، وقفت في مقدمة قطاره المسافر..." (حسن عبد الله، 1993، ص 49).

وتتميز لغة الكاتب بالمرونة والطواعية في استخدام الألفاظ، وفي تركيب الجملة، فتأتي ملائمة للمعنى، ومجسدة للحديث، كما تتسم بالدقة والحيوية، فها هو يصف حاله وحال أصدقائه بعد اعتقالهم وزجهم في تلك الغرفة الباردة، يقول: "ارتجفت أجسامنا... رقصت بلا موسيقى... اهتزت بنشاط، وبلا توقف.... تجمدت الدماء في أطرافنا، فاندفعنا بتلقائية نتحرك هنا وهناك... من زاوية إلى زاوية في الغرفة "الثلاجة" نقفز ونتنطط ونفرك أكفنا في بعضها البعض التماساً للدفء"(حسن عبد الله، 1993، ص62-27).

كما أن الكاتب كان يمنح لكل شخصية لغتها التي تناسبها، فمثلاً عندما يدور الحوار بينه وبين أحد الجنود يستخدم اللغة كما يتحدث بها اليهودي لتناسب الموقف الذين هم فيه "شو عمل إنت؟ كيف مش إعملت إشي؟ اعتكال في برد و...و....تلج عالفاضي؟ أنا ما بعرف... بس بعرف إنت مش مليح. إنت بسوي إشي مش كويس"(حسن عبد الله، 1993، ص 35). ويستخدم الكاتب المونولوج الداخلي، وفيها تكون اللغة أقرب إلى لغة الشعر، بما فيها من حزن، وأحاسيس مرهفة تسهم في جعل الحلم بديلاً عن الواقع المليء بالمرارة، والألم. ففي قصته "نشيد العودة" يعبر الكاتب عن مكنونات نفسه، وما يعتمل في وجدانه من أفكار، وأحلام بلغة مرهفة، وأحاسيس عاطفية أشبه بالبوح الشعري، وخاصة عندما يحلم بلقاء أحبته بعد الإفراج عنه، "امتدحت فكرتي حين صممت أن لا أخبر أفراد أسرتي بالموعد الجديد لعيدي، رجوت المحامية أن لا تفصح عن الموعد، لكي يكون لعودتي وقع خاص، تمسح لحظات الفرح المكثفة للمفاجأة آثار الحزن، الذي خلفه اختناق عيدي السابق "(حسن عبد الله، 1993، ص 133–134). فاللغة هنا لغة تتسم بالكثافة والإيحاء والتوتر، بما عمله من طاقة شعورية، وجرس موسيقي حزين.

وقد استطاع الكاتب في هذه المجموعة القصصية أن يوظف السرد بأنماطه الثلاثة، السرد والحوار والوصف، ولكن بدرجات متفاوتة إذ أن السرد هو أكثر الأشكال بروزاً في المجموعة القصصية التي بين أيدينا، ومن الملاحظ أن الكاتب غالباً ما يبدأ بالسرد "أخطأ حدسي هذه المرة... رسب في الامتحان... مس فشله برصيده الفني في دقة التوقع، وكنت المجني عليه... دفعت الضريبة الباهظة للخطأ، دفعتها من ألفها إلى يائها"(حسن عبد الله، 1993، ص 8). ولذلك نحن أمام سرد ذاتي، حيث يلجأ القاص، إلى سرد الأحداث بلسان شخصية من شخصيات قصته، مستخدماً ضمير المتكلم، وبالتالي فإن الأحداث ترد على لسان القاص. وبالتالي يدرك القارئ أن الأحداث وقعت للقاص نفسه، وأنها تجارب حياته. "أزحت من ذهني مسألة الحدس واعتباراته ورحت أتابع بنظراتي تفتيش البيت... وقع ضوء مصابيحهم على وجه خلود، فقرأت فيه الحزن الممزوج بالتحدي) "...حسن عبد الله، 1993، ص17).

ومن الأمثلة على السرد الذاتي كذلك ما نجده في قصة "يوم من عمر الزمان"، حيث تبدأ القصة بسرد ذاتي "ولدي الحبيب... قاومت الليلة ولعدة ساعات رغبة ملحة، حثتني لأكتب لك قصة، أناديك من خلالها، أحاورك، أقص عليك، أرسم لك على الورق بعضاً من الصور التي نفحت فيها الأحداث روحاً، فدوّى صوتها يهتف داخلي" (حسن عبد الله، 1993، ص 48).

وقد استخدم الكاتب السرد بنوعيه الذاتي والموضوعي، بمعنى أنه لم يحافظ على صيغة واحدة في السرد فكان ينتقل أحياناً من السرد الموضوعي إلى السرد الذاتي ومثال ذلك قوله: "يافا... تعيش كباقي الأطفال أيام الثلج، عيد طفولتها، الذي سيظل خالداً في ذاكرتها...ظلت جالسة على ركبتي الجزء الأكبر من الليلة...حاولت إقناعها بالنوم، فلم أفلح في ذلك، بقيت تراقب

حركاتي...طريقة حديثي...تضحك حينما يضحك الأصدقاء، ثم تنتقل من دور المراقبة إلى المشاركة، تستوقفني بأسئلتها، كلما أحست بانشغالي عنها"(حسن عبد الله، 1993، ص 11).

فالسرد في بداية المقطع موضوعي ينم عن الخطاب غير المباشر الذي يوجهه راو عالم إلى القارئ، لكن هذا السرد لم يحافظ على صيغة واحدة، بل التفت كما هو واضح إلى تنويع الصيغ وتعاقبها وتداخلها. وهذا يعني أننا في هذا المقطع السردي أمام نمطين للسرد: موضوعي وذاتي، دل عليهما الخطاب غير المباشر، والخطاب المباشر، ونقصد بالموضوعي هو حديث الراوي عن مشاعر ابنته يافا، التي تحلم بالثلج "يافا...تعيش كباقي الأطفال أيام الثلج، عيد طفولتها، الذي سيظل خالداً في ذاكرتها..." ثم ما يلبث الراوي أن يتحدث بلسانه هو "حاولت إقناعها بالنوم فلم أفلح في ذلك". فهذه العبارة سرد ذاتي. ثم يعود بعد ذلك إلى السرد الموضوعي "ثم تنتقل من دور المراقبة إلى المشاركة، فتستوقفني بأسئلتها، كلما أحست بانشغالي عنها" ثم بعد ذلك ينتقل إلى سرد ذاتي، ولكن بلسان الشخصية ذاتها، "أنا أحب الثلج يا بابا"، لأنها أقدر على التعبير عن مكنونات نفسها.

ومما تقدم يمكن القول: إن الانتقال من صيغة إلى أخرى، ضمن المقطع السردي الواحد، كان ضرورياً؛ لأنه يضفي عليه حيوية وجمالا، ويجعله أكثر انسجاماً. فالتنويع في صيغ الخطاب يجسد صورة صادقة وعميقة للقصص التي بين أيدينا.

ولم يكتف الكاتب باستخدام السرد الذاتي والموضوعي، وإنما استخدم أسلوباً آخر من الأساليب التعبيرية وهو الحوار. والحوار جزء هام من الأسلوب التعبيري في القصة. ولهذا كان من أهم الوسائل التي يعتمد عليها الكاتب في رسم الشخصيات، وبواسطته تتصل شخصيات القصة بعضها بالبعض الآخر اتصالاً صريحاً ومباشراً، والحوار المعبّر الرشيق، سبب من أسباب حيوية السرد وتدفقه (محمد يوسف نجم، 1996، ص 96).

وقد استخدم الكاتب الحوار في مجموعته القصصية، وفي كل قصة من القصص. وقد تنوع الحوار في المجموعة القصصية بحسب الغرض الذي يخدم القصة. ومن الأشكال الحوارية: الحوار البسيط الذي تزخر به قصة "عروسان في الثلج" ومثال ذلك ما دار بين الراوي وابنته:

-"أنا أحب الثلج يا بابا.

-وأنا كذلك.

-وأحب اللعب في الثلج.

-اللعب في الثلج جميل وممتع.

-تعال نخرج ونلعب بالثلج.

–لا أحد يخرج من بيته في الليل والثلج.

–أرى الناس في التلفزيون يلعبون بالثلج.

–هذا ليس في بلادنا ... وليس في الثلج أيضاً"(حسن عبد الله، 1993، ص12).

وفي بعض الأحيان كان يلجأ القاص إلى الحوار الذي يتخلله الجمل السريعة الكاملة مثل: "أرجحت رزان قامتها يميناً وشمالاً...ثم وقفت على رؤوس أصابعها، مدت ذراعيها، وحركتهما إلى الجانبين نظرت حولها. وقالت متباهية أمام أترابها:

- أنا فرحانة.

برمت يافا شفتها السفلى...هزت كتفيها ... خطت حذرة تجاه رزان وسألت:

- لماذا أنت فرحانة؟؟؟"(حسن عبد الله، 1993، ص 70).

ومن الواضح أن هذه الجمل السردية لم تأت حشواً، بل كانت لها وظيفتها في تقوية الحوار، عن طريق توضيح طريقته ووصف هيئة المتحاورين؛ وبذلك يظهر مدى تأثر الشخصية قبل أن تنطق، وتوضح ما طرأ عليها من تغير؟ وإذا كانت قصص الكاتب قد حفلت بالحوار الخارجي، فإنها لم تهمل الحوار الداخلي، أو ما يسمى "المونولوج" الذي يفسح فيه للشخصية فرصة التحدث عن نفسها، فتكشف بوضوح عالمها الداخلي. يقول: "ارتفع في زنزانتي موج أفكاري ... صارت السباحة أخطر، لكن لم يكن لي بديل عنها. استمر هطول أفكاري ... (الظاهرية ... !!! لماذا ؟! هنا ... يحضرون الأشبال أو حديثي التجربة. أنا لست شبلاً...لست حديث التجربة، هم يعرفون ذلك... اعتقالاتي المتتالية هي الشاهد"(حسن عبد الله، 1993، ص 41).

يكشف هذا الحوار الداخلي، عن طبيعة الصراع الداخلي الذي يعاني منه الراوي. فهو لا يستطيع تحديد الأسباب التي جعلت من قوات الاحتلال الإسرائيلي يزجون به في هذا المعتقل. وهم يدركون أن الاعتقال لمثل هذه الشخصية، وفي معتقل كهذا لن يحقق لهم ما يريدون؛ فلديه من التجربة ما يكفي لهزيمتهم. وبذلك يبدأ تفكير الراوي في شيء آخر غير الذي يقصدونه.

وفي "يوم من عمر الزمان" يأخذ الحوار الداخلي حيزاً كبيراً حيث أن القرار بطرد الراوي من الوطن، يجعله في حالة خوف كبير على مصير أسرته. "انتفضت في مكاني كالمصعوق، عندما ضربت رأسي مطرقة سؤال حول مصير أسرتي، أمك، أختك، أنت وذاك الجنين المنتظر في الأحشاء، تخيلت ماذا ينتظركم"(حسن عبد الله، 1993، ص 55). وبذلك أسهم الحوار الخارجي والداخلي في الكشف عن طبيعة الشخصية، ومستواها، وتفكيرها.

ومن الأساليب الأخرى التي استخدمها الكاتب في مجموعته القصصية، أسلوب الوصف، وهو أسلوب مرتبط بالسرد. ومن الأمثلة على الوصف، ما ورد في قصة "يوم من عمر الزمان"

عندما قام الراوي بوصف الزنزانة، وتحديد معالمها وتفاصيلها وذلك من أجل أن يضع القارئ في الظروف نفسها التي عانى منها، يقول: "قبر اخترقت عدة ثقوب سقفه، ميزته بعض الشيء عن قبور الأموات الحقيقيين، جردل قذر لقضاء الحاجة، تزكم رائحته الأنف، إبريق ماء، بطانيتان باليتان، فرشة إسفنجية مهترئة، شربت ماء نتنا حد الغصة، وحقيبة ملابسي التي حملتها معي على عجل، اختبأ فيها قلم، ست سجائر، ولاعة، نجت بأعجوبة من تفتيش دقيق"(حسن عبد الله، 1993، ص 53). هذه الأوصاف دقيقة ومختصرة، وهي تؤدي وظيفتها المحددة، وتفصح عن ذلك العالم الذي عاشه الراوي. وبالتالي أراد الراوي من هذا الوصف التعبير عن الظروف الصعبة التي يقاسيها.

وفي قصة "أطفال وأحلام و..." نلحظ السرد يتداخل مع الوصف، وذلك عندما دخلت الزوجات وأطفالهن إلى مكان الزيارة، حيث تلاقى الأزواج والزوجات، وقد أراد الراوي من خلال ذلك الوصف أن يشير إلى اللوعة والأسى التي يعانيها كل منهم، وبخاصة بعد قرار الطرد الصادر بحق الأزواج، يقول: "مرت لحظات من الصمت، دون أن ينبس أحد ببنت شفة الزوجات ينظرن إلى أزواجهن بعيون مليئة بالحزن والحب، والأزواج يبادلوهن النظر وقلوبهم تكاد تنفطر لوعة وأسى"(حسن عبد الله، 1993، ص 74).

يستخدم الكاتب وليد الهودلي لغة بسيطة، قريبة من الواقع الذي يعبر عنه، وهو لا يميل إلى التعقيد اللغوي، ومن ناحية التراكيب فإنه يستخدم التراكيب اللغوية البسيطة، وكذلك الجمل البسيطة، التي تحمل دلالات كبيرة، ويستخدم الصور والتعبيرات المعبرة. انظر مثلاً إلى قوله، وهو يتحدث عن الفترة الزمنية التي يحتاجها المريض كي يصل إلى المستشفى "أخيراً، وبعد مسيرة طويلة ومضنية، وصلت إلى مستشفى الرملة، قطعت هذه المسيرة في ثمانية شهور، المسافة بين عسقلان والرملة ستون كيلو متراً ولكنها تحتاج إلى هذا الزحف السلحفائي المميت"، فقد كثف الدلالة من خلال استخدامه للفظ "الزحف السلحفائي المميت" (وليد الهودلي، 2004، ص 9). وقد حاول الكاتب استخدام لغة تتناسب وطبيعة الحادثة التي رغب في التعبير عنها، ولذلك تتسم اللغة بدقة الوصف، ودقة التعبير. استمع إليه وهو يصف العيادة في االمعتقل، "كنت حبيس غرفة مظلمة... رطبة مكتظة بالروائح العفنة... تشم منها رائحة الموت... تطبق على أنفاسي من كل جوانبها... الهواء راكد ساكن لا حياة فيه، الباب مغلق والشباك مفقود، فتحة صغيرة في الباب... تفتح وتغلق كلما أرادوا أن يتفقدوا أرواح هذه الأجساد"(وليد الهودلي، 2004، ص 20).

أما بالنسبة للغة الشخصيات فالكاتب، غالبا، لا يمنح الشخصية فرصة التعبير عن ذاتها. وفي كثير من الأحيان، تتحدث الشخصيات بنفس المستوى اللغوي، ولا يفسح لها مجالا للحديث بلغتها. فيلاحظ عليه، استخدام أسلوب لغوي واحد، وهذا يشكل خللاً واضحاً؛ لأنه يتعامل مع الشخصيات بنفس المستوى الثقافي، والتركيب الاجتماعي، ومثال ذلك: "حاولوا مساومته على زيارة الأهل الأولى...ما الذي دفع هذا الرجل الوديع المسالم الذي يجري وراء لقمة عيشه إلى هذا

العمل؟! أجابهم بسهولة: الاحتلال... ألقوا شباكهم.. ما رأيك أن تعمل معنا، ولك أن تعود إلى سابق عهدك... حرام على حياتك... تساومني على وطنيتي... الحمد لله، لقد كفاني الله شر أموالكم السوداء، لم أعمل الذي عملته من أجل المال، قالوا لا تخف سنوفر لك الحماية، قلت أنتم لا تستطيعون حماية أنفسكم أتدرون لماذا؟ لأنكم احتلال"(وليد الهودلي، 2004، ص 80).

يلاحظ من الفقرة السابقة كيف بقيت لغة الكاتب متساوية في جميع الحالات ولم تتغير. فالراوي يتحدث بلسان الشخصية، ومن ثم يتحدث بلسان المحققين، من خلال الحوار الذي دار بين الشخصيات. فبقي المستوى اللغوي كما هو، ليس فيه أي تغيير لا من حيث اللهجة، ولا من حيث الطريقة، وبالتالي لا يستطيع القارئ التفريق بين الشخصيات. وعلى صعيد المستوى اللغوي، فالكاتب يستخدم أشكالا لغوية مختلفة وهي: السرد، والحوار، والمونولوج الداخلي. فعلى المستوى اللغوي الأول، نجد أن اللغة عربية فصيحة، إلى حد كبير، وإن شابها بعض الركاكة، فمثلاً يقول: " ندت عني ابتسامة عندما رأيت سيارة وقد انطفأ محركها، وتجمع عليها الناس يدفشوها علّها تشتغل من جديد"(وليد الهودلي، 2004، ص 23–24) "طارد به من مركز إلى آخر في غزة والقدس والأردن وسورية"(وليد الهودلي، 2004، ص 76). وقد استخدم الكاتب العامية في بعض الأحيان "العربية ترتطم بالأرض، وتتكسر على رأسه تتشقلب وتنكفئ على وجهه"(وليد الهودلي، 2004، ص 76)، " أول حاجة سأقوم بها بعد خروجي من السجن أن أطخك لأنك كنت السبب في قطع يدي"(وليد الهودلي، 2004، ص 80)، "منذ خمس سنوات وأنا "رايح جاي" على العيادة"(وليد الهودلي، 2004، ص 37).

استخدم الكاتب السرد، سواء أكان سرداً ذاتياً أم موضوعياً. ومن الأمثلة على استخدام السرد الموضوعي قوله: " نمت وترعرعت الأزمة في صدره من زنازين المسكوبية حتى إذا اشتد سوقها هبطوا به إلى سجن عسقلان"(وليد الهودلي، 2004، ص 59). ومن الأمثلة على السرد الذاتي قوله: "بقيت مشدوها بعد أن طار النوم من رأسي"(وليد الهودلي، 2004، ص 58).

وقد خلط الكاتب، أحياناً بين السرد الذاتي والموضوعي، ما أربك القارئ وجعله في حيرة، يقول: " ضاق صدر أبي حسن في تلك الزنازين، الهواء الصديق الغالي قطعوا صلته الحميمة بي... صادروه... اعتقلوه... أرادوا خنقي، فرغ صدري من الهواء النقي، وأتعبوه بهوائهم الدنس"(وليد الهودلي، 2004، ص 59). فيلاحظ أن الكاتب بدأ بسرد موضوعي تحدث فيه عن الشخصية، ثم نقل الحديث للشخصية نفسها، ما جعل القارئ، غير قادر على التمييز بين الشخصيات.

استخدم الكاتب الحوار في معظم قصصه، وقد جاء الحوار ليخدم القصة فنياً. فمثلاً جاء الحوار في قصة " أبو الحسن أبو هدوان الشيخ المحتسب" بعد قيام أبو هدوان بتقليب دفتر ملاحظاته الذي يظهر فيه حكمه المؤبد، والسنوات التي قضاها في الاعتقال وهي أربعة عشر عاماً. فيأتي الحوار ليقطع به الراوي على الشخصية سرعتها في العودة للذكريات. فهو يسعى إلى

مشاركته تلك الذكريات، " لاحظ قراءتي فأخذ يقلبها ببطء... خمس بنات وثلاثة أولاد... الأولاد تزوجوا والبنات إلا واحدة... وضعت يدي على يده لأوقف سيره السريع في عالم ذكرياته... سألت

- كلهم تزوجوا وأنت في السجن؟!
- نعم وأنا على "برشي" تصورت حفلاتهم في خيالي...
- إلا واحدة... أكيد هي آخر العنقود.
- لا إنها الكبيرة، حرمت على نفسها الزواج ما دمت في الأسر"(وليد الهودلي، 2004، ص 16)

ومن الأخطاء في استخدام الحوار أنه، في بعض الأحيان، كان يدور على لسان الشخصية نفسها بالعامية والفصحى، ومن الأمثلة على ذلك:

- "ولكن صحتك اليوم أفضل بكثير
- هذا من فضل الله ... كتب الله لي الحياة رغم ما أعاني من الأزمة والسكري.
- فرج الله قريب يا "أبو إسماعيل"
- أي فرج... أنا شخصياً لا أطلب سوى العلاج،
- كان الله في عونك
- "وإلا هو ها الأمراض اللي يحملها من قليل"... لي سنتين ونصف في المستشفى هنا والله وكيلك كل أدويتهم مسكنات لا علاج فيها...
- والمستقبل "يا أبو إسماعيل"
- لا أنتظر سوى رحمة الله
- والإفراج
- طبعاً الترويحة ضرورية حتى أحج وأزوج الأولاد، وبعد ذلك أهلاً ومرحباً بلقاء الله"(وليد الهودلي، 2004، ص 54–56).

ولم يهمل الكاتب الحوار الداخلي في قصصه، فقد حاول الكاتب الكشف عن طبيعة الصراع الداخلي الذي تعاني منه الشخصية، عبر حديثها مع نفسها، وكشفها لما يدور في داخلها، "حددوا لي موعد الاتصال، وكلما اقترب الموعد تصارعت الأفكار... ماذا أقول لهم، وماذا أخفي عنهم؟! هل أخبرهم عن حالة الفشل الكلوي الذي أصبحت أعاني منها؟! سيمطرونني بوابل أسئلتهم، كيف حصل هذا؟! منذ متى؟! سيسأل أبي عن أدق التفاصيل" (وليد الهودلي، 2004، ص 35). وقد استخدم الكاتب الوصف، ومن الأمثلة على ذلك، وصفه لحال المضرب عن الطعام، "الأمعاء

تستغيث وتناشد المعدة تتلوى في أحماضها... الفم يعج في خلوفه الغاضب... الرأس يدور في رحى آلامه، والجسم ما يلبث أن يتهاوى على "برشه" كي يدّخر بقايا السعرات الحرارية للأيام العجاف القادمة..." (وليد الهودلي، 2004، ص 3).

وما يلفت النظر في قصص "وليد الهودلي" اعتماده على الاقتباس من القرآن الكريم، "ذرت شعر الرأس واشتعل شعر اللحية شيباً"، وهي مقتبسة من قوله تعالى ﴿واشتعل الرأس شيبا﴾ (القرآن الكريم، سورة مريم، آية 4) ومن ذلك قوله: "ثم جاءتني الحبسة تمشي على استحياء" وهو من قوله تعالى: ﴿فجاءته إحداهما تمشي على استحياء﴾ (القرآن الكريم، سورة القصص، آية 25). وقول الكاتب " وكلما أراد التجميع في فترات الاستقرار داهمته قارعة فجعلتها كالفراش المبثوث تنتظر رحمة ربها " وهي من قوله تعالى: ﴿القارعة ما القارعة، وما أدراك ما القارعة، يوم يكون الناس كالفراش المبثوث﴾ (القرآن الكريم، سورة القارعة، آية 1-4).

يمكن القول: إن الهودلي يميل إلى التسجيل؛ لما فيه من صدق، كما يعكس الحقيقة التي تمثلت في السجن. وهذا بدوره يؤثر على طريقة الكتابة من زمان ومكان وعقدة ونهاية، فالكاتب محكوم بالواقع ولا يستطيع أن يتصرف في النهايات. وفي مقابلة مع الكاتب وليد الهودلي، وسؤاله عن الجانب التسجيلي أجاب: "أنا لا أنكر الجانب التسجيلي، ولكنه ليس تسجيلا حرفيا أو صحافيا إذ لو كانت مثلا ستائر العتمة على طريقة بحثية، أو صحافية لما كان انشداد القارئ لها كما لمسناه ورأيناه مع كل من قرأ الرواية. كانت هناك عناصر أخرى غير التسجيل وهي عناصر النص الأدبي الذي يشد القارئ، وهذا يشعرني بأن الأمر كاف وأن الرسالة وصلت بأسلوب ممتع ومفيد. وأرى أن هذا ما يصبو إليه الأدب، خاصة ونحن لسنا في وقت ترف ثقافي، وإنما في محنة تحتاج إلى من يسمع الآخرين أنات منكوبيها. فالأوليات تقتضي تسجيل هذا الخيال الواقعي والذي يفوق أخيلة الأدباء الذين لا يرون هذا الخيال. فمثلا كثير ممن قرأوا في مدفن الأحياء تساءلوا، أمن المعقول أن يحدث هذا؟ إنه خيال بعيد عن الواقع. وهو في حقيقته واقع فاق الخيال. ثم هل يصل الخيال إلى أن تتصور مدير سجن يضرب غرف الأسرى بمدافع الغاز؛ لأن الغاز في مخازن السجن سوف تنتهي صلاحيته"(وليد الهودلي، مقابلة).

ويبدو أن اللون التسجيلي هو إفراز طبيعي لواقع المعتقلات، الذي أغنى ذهن الكاتب بالموضوعات العامة التي يتوجب عليه التطرق إليها ورصدها. ولربما كانت هذه الكتابة التسجيلية ضرورة وطنية تحمل هدفا سياسيا، وهي الشهادة التاريخية على جرائم إنسانية ترتكب داخل المعتقلات. وإذا كانت التسجيلية نقلا لوقائع حصلت؛ فقد تم توظيفها أدبيا وأدخلت إليها أحداث من وحي الكاتب لخدمة الغرض المنشود.

الخاتمة

تعتبر القصص التي قام الباحث بدراستها قصصا واقعية من رأسها إلى أخمص قدميها. ذلك أنها تقوم على حدث معيش استقى منه الكتاب موضوعاتهم. فالأحداث في القصص تدور حول الاعتقال، والإبعاد، والظروف التي يتعرض لها الفلسطيني على أيدي قوات الاحتلال. أضف إلى ذلك الأوضاع الصحية التي يعاني منها المعتقلون في المعتقلات الإسرائيلية والإهمال الطبي المتعمد، وكذلك سياسة العزل التي يمارسها السجانون بحقهم زيادة في المعاناة، فجسدت القصص المعاناة التي يحس بها المعتقلون. وقد استخدم الكاتبان، في سبيل ذلك، الصور الموحية المعبرة التي تسهم في خلق صورة حيّة تجعل القارئ يعيش تلك اللحظات بتفاصيلها.

ويمكن القول: غلب الأسلوب التسجيلي على القصة القصيرة داخل المعتقلات. فقد كان المعتقلون معنيين بنقل ما يتعرضون له داخل المعتقلات، وتصويره. فالقصة القصيرة سعت في صياغتها إلى الإخبار، فشكلت التجربة الاعتقالية أهم المحاور التي تعرضت لها القصة القصيرة. وجاءت لغتها لتعبر عن ذلك الواقع. وفي هذا الإطار يجب أن نفرق بين التسجيلية والفوتوغرافية، "فهذه الأخيرة تزعم أنها تنقل عن الحياة نقلا مباشرا، وأنها تقف عند الظاهر الحسي، وقد تشاركها التسجيلية في ذلك، ولكنها تتعداه إلى محاولة جعله علامة على وجهة نظر خاصة، وهذا يقتضي ضرورة وجود عنصر الاختيار في النقل عن الحياة، والنظر من خلال زاوية رؤية مؤيدة، أو تعين على تقرير وجهة النظر هذه" (محمد حسن عبد الله، 1971، ص 290). فقد استطاع الكتاب توظيف أدواتهم الفنية، وخيالهم الأدبي في رصد أحداث واقعية عايشوها، ودمجوا فيها، بشكل فني، بين العام والخاص؛ ذلك أن قضايا مثل الإبعاد، والمرض ليست خاصة بل عامة.

ولقد رصدت القصة القصيرة واقع الاحتلال بتشابكاته، وقمعيته، وممارساته. فألقت الضوء على تلك المشاهد التي عاشها الفلسطينيون المعتقلون. واستطاعت أن تنقل للقارئ، أينما وجد، صور تلك المعاناة بكل صدق وواقعية. فقد تناولت القصة تجربة الاعتقال، وعالجت أحداثا غير عادية في حياة المعتقلين. ووضع الكتاب أيديهم على قضية هامة في حياة الاعتقال. تتمثل في أنه مهما حاول السجّان أن يظهر إنسانيته من خلال نقل المرضى للعلاج في عيادات المعتقلات، والمستشفيات، إلا أن الوجه الحقيقي البشع له سرعان ما ينكشف. فهناك إهمال طبي متعمد يتمثل في تأخير نقل المرضى للعلاج، أضف إلى ذلك ظروف المستشفيات السيئة التي تشبه القبور، وممارسات السجّان المتمثلة بتقييد حركة المرضى حيث يتم تكبيلهم بالأسرة خوفا من هربهم...

وقد اختار الكتّاب شخصياتهم من الواقع الاعتقالي المعيش، وهي شخصيات حقيقية موجودة، وليست من الخيال. وهذه الشخصيات تمثل نموذجاً للإنسان الفلسطيني المعتقل، وبالتالي فإن الكاتب يختار الشخصيات التي تفاعلت مع الحدث وعانت منه، وهم المعتقلون.

التوصيات

1. عمل المزيد من الدراسات حول أدب القصة القصيرة كأدب اعتقالي باعتبارها جزءا من تاريخ شعب ما زال يرزح تحت الاحتلال.

2. حث طلبة الدراسات العليا للكتابة حول القصة القصيرة التي أنجزها المعتقلون.

3. ضرورة اعتناء المؤسسات الثقافية والأكاديمية بأدب المعتقلين وبخاصة القصة القصيرة.

المراجع

-القرآن الكريم

-الإدريسي، يوسف (2008)، بحث في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر، ط 1، منشورات مقاربات، المغرب.

-بدري، عثمان (2003)" وظيفة العنوان في الشعر العربي الحديث، قراءة تأويلية في نماذج منتخبة" المجلة العربية للعلوم الإنسانية، ع 80، مج 21، ص23.

-بلعابد، عبد الحق، (2008)، عتبات ج. جينات من النص إلى المناص، ط 1، تقديم، سعيد يقطين، دار العربية ناشرون، الجزائر.

-بينيس، محمد (1989)، الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاته التقليدية، ط 1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء.

-الخولي، يمنى طريف (1989) "إشكالية الزمان في الفلسفة والعلم" "ألف" مجلة البلاغة المقارنة، ع 9، الجامعة الأمريكية، القاهرة، ص17.

-رشدي، رشاد (1975)، فن القصة القصيرة، ط 2، دار العودة، بيروت.

-الشاروني، يوسف (1977)، "القصة القصيرة نظرياً وتطبيقياً"، سلسلة الهلال، عدد 316، القاهرة، ص70.

-صالح، فخري (1982)، القصة الفلسطينية القصيرة في الأراضي المحتلة، بيروت، دار العودة.

-عبد الله، حسن (1993)، عروسان في الثلج، دار القلم، رام الله، فلسطين.

-عبد الله، محمد حسن (1971)، الواقعية في الرواية العربية، دار المعارف، مصر.

-عثمان، بدوي (1986)، بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ. ط 1. دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت

-العيد، يمنى (1990)، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي. ط1، دار الفارابي، بيروت.

-القنوجي، صديق (1978)، أبجد العلوم، ط 1، ج 1، دار الكتب العلمية، بيروت.

-كاصد، سلمان (2003)، عالم النص، دراسة بنيوية في الأساليب السردية، دار الكندي، الأردن.

-كرم، يوسف (د.ت)، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار القلم، بيروت.

-نجم، محمد يوسف (1996)، فن القصة، ط 1، دار صادر، بيروت.

-النيسابوري، مسلم بن الحجاج (1991)، صحيح مسلم. مج4. ط1. دار الحديث، القاهرة.

-همفري، روبرت (1975)، تيار الوعي في الرواية الحديثة. ط 2. ترجمة محمود الربيعي، القاهرة، دار المعارف.

-الهودلي، وليد (2004). مدفن الأحياء. ط 3. جمعية أنصار السجين، رام الله، فلسطين.

جمالية الأسلوب في قصائد بللو خليفة النيجيري (دراسة في الأساليب الشعرية)

د.عبد الشكور يوسف إسحاق

قسم اللغة العربية جامعة ولاية كدونا، نيجيريا

AESTHETIC STYLE IN THE POETRY OF BELLO KHALIFA, A STUDY OF POETIC STYLES

DR ABDULSHAKUR YUSUF ISHAK,

KADUNA STATE UNIVERSITY

ملخص البحث:

تتناول الدراسة موضوع (جمالية الأسلوب في شعر بللو خليفة النيجيري –دراسة في الأساليب الشعرية) وذلك لنروم تعريف القارئ العربي والمستعرب بشخصية شعرية متميزة من شباب شعراء القصيدة العربية الكلاسيكية في نيجيريا.

واعتمدت الدراسة الاتجاه الفني فى رصد وتحليل ظاهرة الأسلوب في الكشف عن جمالية الشعر عند شاعرنا المبدع.

الكلمات المفتاحية: قصائد بللو خليفة، المعجم الشعري، الرقة، المزاوجة التركيبية، السرد، الصورة.

Abstract:

The study examined the Aesthetic Styles in the Poetry of Bello Khalifa the Nigerian. This is to introduce the Arab readers and the speakers of Arabic with a distinguished poetic personality from among the young poets of the classical Arabic poetry in Nigeria. The study relied on the artistic dipositions in projecting and analyzing the phenomenon of stylistics in revealing the aesthetics of poetry of our creative poet.

Keywords: Poems of Bello Khalifa; Poetic Diction; Delicacy; Compositional Pairing; the Narrative; Imagery

مقدمة:

أحببتُ في هذه الدراسة أن أقدّم للشاعر لأتعرّف عليه وأعرّف الناس به، ولأتناول جانبًا من جوانب إنتاجه الأدبي بالدراسة والتحليل، ومن ثمّ أساهم في إخراجه لقرّاء أدبنا النيجيري العربي، ولعشاق اللغة العربية عمومًا، ليكون نبراسًا يُستنار به، ومثالاً يحتذي به.

وقد كرست الدراسة للحديث عن تقنية الصورة الفنية، والجمالية الأسلوبية في بنية لغته الشعرية، وذلك من خلال دراسة بعض قصائده المنشورة بالصالون الأدبي –المعروف –بمنبر الإبداع.

ويشتمل البحث على النقاط الآتية:

- السيرة الذاتية للشاعر.
- المعجم الشعري والرقة بين الطبع والتكلف في شعره.
- شيوع المزاوجة التركيبية وجمالية التضمين في شعره.
- ملامح السرد، ويشمل السرد المشهدي والحكايات الغزلية، ثم الجمالية الفنية؛ وتحدثت فيها عن الاستعارة والكناية والصور الضدية في شعره.

- **السيرة الذاتية للشاعر:**

لكي نعيش أكثر مع الشاعر، وحتى يمكننا أن نتعايش مع فنه وأدبه، ولكي يكون العطاء متدفقًا والرؤية واضحة المعالم، وأسلوب التعامل مع الأبنية الفنية والأدبية مؤسسة على وعي عميق واستنباط صحيح، فإن علينا أن نقترب من العالم الخارجي الذي يمنح عبر الزمن القوي المؤثر، وأدوات التوصيل التي يمتلكها الشاعر أو الفنان.

والفنان – شاعرًا كان أو ناثرًا، عربيًّا كان أو أوروبيًّا أو إفريقيًّا – لا تنحصر شخصيته على فنه فحسب، بل له شخصيته البشرية الإنسانية والاجتماعية، وما الفنُّ في أوسع معناه إلا العطاء المصفى لديناميكيّة هذه الشخصيات معًا، وما معطيات الشخصية الفنَّانة سوى ما تختزنه من أفكار تجريدية وأفكار مبهمة تنتجها هذه الشخصيات – البشرية والإنسانية والاجتماعية – عبر التعامل الحياتي، ومن ثم ينبغي التعرّف على السيرة الذاتية للشاعر، ولادته ونشأته، حياته العلمية، وبيئته التي عاش فيها، والمؤثرات الداخلية والخارجية التي ساهمت في صقل موهبته.

ومن هنا قد يصعب التعرّف على شاعرنا بللو خليفة معرفة حقيقية، لأن كل ما في الأمر أن له اطلاع واسع على تاريخ الأدب العربي، وارتباط شديد بالقرآن الكريم، وإلمام واسع بالأحاديث النبوية، كما نرى في شعره إشارات إلى الحوادث التاريخية، ولذ أفضل أن أترك المتلقي مع الشاعر نفسه يحدثنا عن عوالمه الخارجية:

"أنا بللو إبراهيم بن الشيخ محمد بلاربي، من ولاية زمفرا، نيجيريا، من مواليد 1995م، نشأت في كنف أبي، وكانت بداية دراستي بين يديه، ثم التحقتُ بمعهد حزب الرحيم قسم تحفيظ القرآن الكريم، حيث أتممت الحفظ في عام 2010م، ولدي خمسة عشر من العمر.

التحقت بعد ذلك بكلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية في بلدة تسمى (زرم)، حيث حصلت على الشهادة الثانوية هناك في عام 2015م، ثم عدتُ إلى مسقط رأسي (غُسَوْ) وواصلت تعلم اللغة العربية والدراسات الإسلامية في معهد حزب الرحيم، وحضرت في الوقت نفسه في كلية الآداب والعلوم بولاية زمفرا، حيث حصلت على شهادة دبلوم في اللغة العربية والدراسات الإسلامية في عام 2017م.

كنت طوال هذه الأعوام معتكفًا على مطالعة الكتب العربية، والفنون البلاغية، واللطائف الأدبية، وكنت مولعًا بالشعر العربي منذ الصغر، ولذلك لازمت قراءته والاطلاع عليه، وبعد ما حصّلت ما حصّلت من هذه الأشعار، وتذوّقت ما شاء الله أن أتذوق من جمالها وسحر بيانها وعذوبتها اللانهائية، بدأت أتعلم كيفية نظم الشعر بعدما اكتشفت أن أروع شيء في الوجود هو هذا التراث العربي الأصيل، وأن قيمة السعادة في الوجود أن تعيش أديبًا وشاعرًا، والشعر عندي هو الأحلام الجميلة المستملحة التي لم يهزمها الواقع.

وأنا أعمل حاليًّا مدرسًا بأكاديمية الجامع الوطني في أبوجا"[499].

فالشاعر –كما رأينا –صغير السن، ومع ذلك يعد شعره إضافة قيمة إلى أدبنا النيجيري الذي كتب باللغة العربية، هذا الأدب الذي يتكون من عدة أجناس أدبية منها:

الشعر الهوساوي الذي قرضه الشعراء الهوساويون، والشعر اليربوي، والشعر الفلاتي، والشعر الإيبوي، والشعر النيجيري العربي ونثره.

والحقيقة أن الشاعر يملك رصيده الإبداعي الذي اتسم بالحسن والوضوح، ولاسيما قصائده الغزلية التي تقدم بها إلى صالون منبر الإبداع[500].

المعجم الشعري للشاعر:

الحقيقة أن الشاعر الجيد هو الذي يمتلك القدرة على جعل شعره أصيلاً، والشاعر الأصيل هو الذي يعرّف المتلقي (الناقد) على شعره دون أن يكتب عليه اسمه، وذلك من خلال توظيفه آلياته الأسلوبية، من خلال البصمة التي يتركها فتدلّ على شعره.

---

[499]. ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر، تح: محيي الدين عبد الحميد. (المكتبة العصرية، بيروت)، ص114.

[500]. منبر الإبداع: عبارة عن صالون أدبي يضم كوكبة من المبدعين الأفارقة، وهو أحد مشاريع معهد طيبة للبحوث والتدريب بنيجيريا، تحت رعاية بروف إبراهيم أحمد مقري، زاريا.

والقارئ لشعر شاعرنا–خاصة شعره الغزلي–يجد اتساقًا مع الرومانسية بمفهومها العربي، حيث احتوى شعره على مفردات مثل (الحور، الجميلات، غرام، الهوى، الحب، العشق، الفتيات، الطرب، الطّيف)، وغيرها من الكلمات التي طغت على شعره، والتي تتماشى مع الموروث الرومانسي العربي، والرومانسية في الفكر الغربي تعني الثورة ضد الثورة. ومن توظيفه لهذه الكلمات قوله:

يا قاضي الحب فاحكم بيننا فأنا ظُلمتُ أنْ قد حسبتُ الحب مؤتمنَا

وقد وردت لفظة "الحب" مرتين مما يدل على أن القصيدة في الغزل. ومنه قوله في مطلع قصيدته "جنة الحب":

يا منقذ العشاق أدركْ حاليهْ إن الحياة لا تزال قاسيهْ

بليّة الحب لعمري موديهْ من الهوى كويت من عذابيهْ

ومن قوله في قصيدة "أشتاق إليك":

أشتاق لثغرة زيّنه نورٌ يتلألأ في شفتَيكْ

وأمثال هذه الألفاظ – خاصة في الغزل – هي روح النص الأدبي الإبداعي، تجدها مجموعة من المعاني أو الكلمات أو الألفاظ المتقاربة التي تتميز بوجود عناصر أو ملامح دلالية مشتركة، وتكتسب الكلمة – غالبًا–معناها في علاقتها بكلمات أخرى، وهذه الكلمات تعد من حقل ألفاظ الحب.

الرقة بين الطبع والتكلف في شعر بللو خليفة:

من يقرأ ويدقق في قصائد شاعرنا يجد أن شعره يتمتع بالسلاسة ورقة الحواشي، ودقة الاختيار للألفاظ العذبة الرشيقة والعبارات الرقيقة والمعاني اللطيفة، وهذا النوع من الشعر يطلق عليه (السهل الممتنع)، يقول ضياء الدين بن الأثير: "فإنك تراها من السلاسة واللطافة على أقصى الغايات، وهذا هو الكلام الذي يسمى السهل الممتنع، فتراه يطمعك ثم إذا حاولت مماثلته راغ عنك كما يروغ الثعلب ليكون نبراسًا يستنار به ومثالاً يحتذى به سواه عند من له أدنى ذوق من أهل الأدب، وهي تدل على رقة الحاشية وحسن الطبع وسلامة الرؤية"[501]. كما أشار أبو هلال العسكري إلى بلاغة السهل الممتنع قائلاً: "ومن بلاغته أن كل واحد يظن أنه يكتب مثل كتبه، فإذا رامها تعذّرت عليه"[502].

وقد شاعت هذه الظاهرة في شعر بللو خليفة بكثرة، مثل قوله في قصيدته "في المحكمة":

[501]. الحموي، خزانة الأدب. تح، عبد السلام هارون، المكتبة الأزهرية مصر سنة 1975، ص 123.

[502]. أبو هلال العسكري، الصناعتين، تح، فيصل الحاج، الدار البيضاء، المغرب، س، 1987.

يا قاضي الحب فاحكم بيننا فأنا***ظُلمتُ أن قد حسبت الحب مؤتمنا

هذه التي وقفت أمام حضرتكم***قد أخذلت ثقتي لذا أتيت هنا

أعطيت أغلى الذي عندي لتحفظه***أمانة أهملته ليس مختزنا

وهذه القصيدة في الغزل، والغزل هو الموضوع الأساسي عند الشاعر حيث أخذ مساحة واسعةً في شعره، والغريب في الأمر أن الشاعر لم يكن له محبوبة بعينها، كما هو الحال عند شعراء الشعر النيجيري العربي في نيجيريا، وتجد الشاعر هنا قد هضم البساطة اللامتناهية، ووظفها في النص، كما تجد القصيدة خالية من الكلمات السوقية، لأنه نزع إلى اللغة السهلة التي تقترب من لغة الحياة اليومية، واعتمد على ألفاظ لا تُكلّف المتلقي الرجوع إلى المعاجم لفك طلاسمها، وهذه السهولة مرتبطة جدًّا بالوضوح، ولا أقصد بالوضوح هنا مجيء العمل الإبداعي في صورة من الإسفاف والسذاجة الساقطة، فالوضوح الذي أقصده هنا هو الأداء الفني في صورة تعبيرية بعيدة كل البعد عن التعقيد.

وهنا يجب التوضيح والتفريق بين الغموض المطلوب والإيهام الذي يكون مكروهًا في العمل الفني، وقد أشار الدكتور رضا حميد إلى هذه النقطة قائلاً: "يتحتم علينا أن نفرق بين الغموض بوصفه فعلاً إبداعيًّا مفارقًا للخطاب العادي، وطاقة إيحائية لتوليد المدلولات وتكثيف الإيحاء، والإيهام الذ يميل إليه بعض الشعراء الذين اهتموا أساسًا بلعبة الأشكال والألفاظ، وذهبوا شأوًا بعيدًا في التعقيد"[503].

وجملة القول، إن القارئ لشعر بللو خليفة يرى مدى نزوعه إلى اللغة السهلة وخاصة في أشعاره الغزلية.

شيوع المزاوجة التركيبية في شعره:

كثرت المزاوجة التركيبية في شعر شاعرنا، والمزاوجة تكون في الترابط الذي تولده الجمل المتكررة على عبارة أو جملة محورية، تشكل جذرًا لغويًّا بالجمل متتابعة ومتوازية، و"سمّيتْ هذه المزاوجة بالتركيبية لأن عددًا من الجمل ترتكز عليها وتنبثق منها، وهي تشكل نقطة انطلاقها ونقطة وصولها"[504]، وهنا تسهم المزاوجة التركيبية في خلق فاعلية لغوية وإيقاعية تصورية خاصة في النص الشعري، عن طريق التوازي والتقابل بين الجمل والمفردات من جهة، والازدواج والتفاعل بين الحروف أو الأصوات من جهة ثانية.

---

[503]. رضا حميد، الخطاب الشعري الحديث من اللغوي إلى التشكيل البصري. (مجلة فصول، العدد: 2، المجلد: 15، القاهرة، 1996م)، ص 98.

[504]. ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر، تح: محيي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية، بيروت.

وقد ظهرت المزاوجة في شعر بللو خليفة كثيرًا، ومن ذلك تكرار (هذا الجمال) في قصيدته "الجمال"، يقول الشاعر:

هذا الجمال الذي مهما اختفي ظهرَا

هذا الجمال الذي يستبعد المثلا

هذا الجمال الذي تحيا القلوب به

هذا الجمال به يستأنس النبلا

هذا الجمال الذي من نور هيئته

حي الرميم إذا ما شمّه ابتهلا

تنبني أبيات هذا المقطع على جذر لغوي مشترك وهو تكرار (هذا الجمال) الذي يشكل المحور المركزي للجمل اللاحقة، ويشكل نقطة انبثاقها، ولو تأملنا نواة جملة من الجمل السابقة لألفينا أن كلاً منها تسجل توازيًا مع التي تليها، وكأنها سلسة واحدة لا تتجزأ، وليست هذه العلاقة وليدة مصادفة، بل هي مؤسسة على جزر لغوي مشترك يربط فيما بينها بسلسة متوازية تركيبيًّا وإيقاعيًّا، وذلك على النحو التالي:

هذا الجمال – مهما اختفي – ظهرا

هذا الجمال – يستبعد

هذا الجمال – تحيى القلوب به

هذا الجمال – يستأنس النبلا

هذا الجمال – من نور هيئته

ولدت هذه المزواجة نوعًا من التناوب الإيقاعي بين الاسم والإشارة المكررة وبين الخبر، مما جعل المتلقي يتنبه ويتأثر بما يلقى عليه.

ومن التكرار الناتج عن المزواجة –أيضًا–قوله:

به خطاب إلهي صرت أفهمه به أحس بأني صرت مكتملا

به تحققتُ ذاتي والكيان معًا به شُفي القلب صار الجرح مندملا

تجد الشاعر في هذه الأبيات قد كرر لفظًا بعينه وهو (به) في بدايات صدر البيت وعجزه، وقد يتبادر إلى الذهن أنها في كل بيت يحمل المعنى نفسه، إلا أنه مع إمعان النظر تجد أن كل لفظ يكسب معنى جديدًا ودلالة جديدة في كل موضع من هذه المواضع التي كرر الشاعر هذا اللفظ.

جماليات التضمين عند الشاعر:

إذا ما طالعنا شعر بللو خليفة سنجد أنه ذو حس مرهف في حسن انتقاء ألفاظه، ويظهر أثر ثقافته الدينية في توظيفه للألفاظ القرآنية، ومن أمثلة ذلك قوله:

اقرأ كتابك واخساراه ما فعلْ تُ كفى بنفسك ذي حسيبا مقهرا

فهذا البيت مأخوذ من قوله تعالى: (اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا)، {سورة الإسراء}. ومنه قوله:

إن كان ريح صرصر لهلال عا دٍ أن عصوا وطغوا وعادوا المحشرا

فزماننا الطغيان كان ينصح قومه أوفوا المكايل قال هذا منذرا

البيتان تضمين لقوله تعالى: (وأمّا عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية)، {سورة الحاقة}. ومنه قوله:

فكرون ذا من جنده لا يعلمنـ ـنَ كفى بنفسك ذي حسيبًا مفقرَا

تضمين لقوله تعالى: (وما يعلم جنود ربك إلا هو). ومنه قوله:

كثر اللواط بقوم لوط ويحهم فرموا بخاصية العذاب وأمطرا

تضمين لقوله تعالى: (فلما جاء أمرنا جعلنا عليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود). {سورة هود}. كما نجده وهو يصور حالة عشقه لحبيبته قائلاً:

تفجّرت فأحرقت فؤاديهْ فأُعميَ القلب بنار حاميهْ

تضمين لقوله تعالى: (وما أدراك ماهيه. نار حاميه)، {سورة القارعة}.

وهناك نوع آخر من الإحالة في شعره وهو استدعاؤه لبعض الشخصيات التاريخية، فمجنون ليلى –مثلاً –مرتبط بتاريخ الغزل العربي، بينما الأخفش مرتبط بتاريخ النحو العربي، من ذلك قول الشاعر:

لقد نالني مثل ما نال "قيسًا" أكاد أُجنّ طوال حياتي

وقوله:

تعلّق قلبي بحبٍّ عميق تعلّق أخفش بالمفردات

فنجد أن لشخصية قيس بن ملوح المعروف بمجنون ليلى والأخفش دورًا كبيرًا في عملية التصوير في هذين البيتين. ومنه قوله:

أوتيت مزامير لنبي "داود" سلام الله عليك

فالشاعر هنا قد استدعى الموروث الديني وهو حكاية صوت نبي الله داود، وقد شبه المصطفى –ﷺ –صوت أبي موسى الأشعري بالمزمار، ولم يكتف بهذا الاستدعاء بل أتى بأسلوب ديني وهو "سلام الله عليك"، وتعنى كلاءة الله وحفظه عليك.

فللقرآن العظيم – لفظًا ومعنى–أثر واسع وقوي في شعر بللو خليفة كما أن لاستدعاء الشخصيات أثرًا قويًّا أيضًا، كما أن للمصدر التشريعي الأول دورًا في الإشعاع والتجدد، لما فيه من طاقات بين الشاعر والمتلقي.

ملامح السرد في شعر بللو خليفة:

ومن جماليات الشعر عند بللو خليفة شيوع ظاهرة السرد، والحقيقة أن السرد ليس جنسًا أدبيًّا يصعب مزجه في جنس آخر، وإنما تقنية قابلة للتداخل في سائر الأجناس، وعن ذلك يرى ابن طباطبا أن الشاعر "إذا اضطر إلى اقتصاص خبر في شعر دبّره فيه تدبيرًا يسلسُ معه القول ويطّرد فيه المعنى، فيبني شعره على وزن يحتمل أن يحشى بما يحتاج إلى إقصاصه بزيادة من الكلام يخلط به، أو نقص يحذف منه، وتكون الزيادة والنقصان يسيرين غير مخدجين لما يستعان فيه بهما وتكون الألفاظ المزيدة غير خارجة من جنس ما يقتضيه، بل تكون مؤيدة له وزائدة في رونقه وحسنه"[505]، وما يهمني في هذه الفقرة تقبّلُ ابن طباطبا إمكانية التداخل بين الشعر والسرد.

بينما يذهب ابن رشيق القيرواني إلى أن بناء القصيدة على الحكاية يسوغ للشاعر كسر معيار وحدة البيت، ويقول: "ومن الناس من يستحسن الشعر مبنيًا بعضه على بعض، وأنا أستحسن أن يكون كل بيت قائمًا بنفسه لا يحتاج إلى ما قبله، ولا إلى ما بعده، وما سوى ذلك فهو عندي تقصير إلا في مواضع معروفة مثل الحكاية وما شاكلها، فإن بناء اللفظ أجود هناك من جهة السرد"[506].

ولكن لا نطيل فإن حضور السرد في الشعر العربي على نحو بارز منذ القرن الثاني الهجري، والعناية النقدية به منذ القرن الرابع الهجري كان إرهاصًا قويًّا، ببروز بلاغة جديدة في الشعر تعتمد على التداخل بين فرعي الأدب من الشعر والنثر، تسود فيها قيم النثر الجمالية، وتسيطر سماته الفنية على منظومة المعايير القياسية للأدب.

وبالعودة إلى شعرية السرد في أدبنا النيجيري العربي نجد بروز الحكايات في الأدب الصوفي النيجيري ,سواء في المدائح النبوية، أو في الدفاع عن الطرق الصوفية، أو في النقد الاجتماعي.

---

[505]. عمار الخيري، لغة الشعر، قراءة في الشعر العربي، منشاة، دار المعارف، ص 22.

[506]. ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر. تح: محمد زغلول سلام. (منشأة المعارف، الإسكندرية، 1987م)، ص 84.

ويمكن ضبط حضور السرد في شعر بللو خليفة على النحو التالي:

- الحكاية الغزلية للقصيدة:

حيث يقدم الشاعر/ السارد في قصيدته حكاية واضحة المعالم مكتملة العناصر بينه وبين حبيبته، ويقوم السرد على نقل عدد من الوقائع العاطفية، ومن ذلك قوله في قصيدته "الطرب":

اليوم سأرشف عنقودًا	يتعصر من مقهى شفتيكِ
قالت استحي أيا هذا	أ"يزيد" أمثل من "حسنيكِ"
أجنون مسّك؟ قلت نعم	ودواء جنوني بين يديكِ
لا يجر مِن بشر أحدٌ	ليقاوم ما في ساحرتيكِ
فالحور جميلات لمّا	أهديتِ لهنّ طلا عينيكِ

الحوار هو السمة البارزة في هذا المقطع، والحوار هو حديث بين شخصين أو أكثر تضمنه في الغرض والأسلوب.

وقد يكون الحوار بين ثلاثة فأكثر. وقد مال الشاعر في هذا المقطع إلى الحوار الظاهري بالصيغة القولية المتمثلة في فعل "قالت" من قبل الحبيبة، و"قلتُ" من قبل الحبيب أو السارد "الشاعر"، وبنى الحوار على نوع من العتاب الموجه إلى الحبيبة بسبب ألفاظ غير لائقة (أقبل، أرشق، أفتّش)، وهي كلمات جريئة، ونلاحظ بروز الإشارات خاصة ضمير المتكلم والمخاطب المفرد "أنا" في أقبل، والكاف في (مسّك، خديك، شفتيك، يديك، عينيك)، ولم يقف تواتر ضمير المتكلم والمخاطب عند هذا المذهب التكراري فحسب، بل توزعت مواقع ظهوره على امتداد سائر الأبيات تقريبًا.

كما نجد لجوء الشاعر/السارد إلى استخدام بعض الصيغ كالسؤال والنداء، مثل قوله:

قالت استحي أيا هذا	أ"يزيد" أمثل من حسنيك
أجنون مسّك؟ قلت نعم	ودواء جنوني بين يديكِ

وهذه "الأدوات مفاتيح المحاورة والمنبهة لإسماع المتلقي إيذانًا ببدء الحوار، وهي تكشف عن الأسلوب الحواري بسهولة ووضوح"[507]، واجتماع النداء والإشارة "أيا هذا" وكلاهما من الإشاريات

[507]. ابن رشيق القيرواني، العمدة. دار العودة، بيروت 1963، ص 78.

عند التداوليين يفيد كراهيتها لهذه الألفاظ الفاحشة، ومن زاوية أخرى نجد خرقًا لمبادئ الحوار في إجابته "قلت نعم" ولكنه خرق لمبدأ التعاون لترك الأثر في المتلقي.

ومن عرضه للحكاية السردية قوله في الوشاة:

يقول الوشاة أيا "بللو" مهلاً هل المهل في حب "مريم" يأتي!!

والحوار هنا بينه وبين الوشاة في قولهم "مهلاً"، فكأنهم يمنعونه الاستمرار في الحب، فلجأ الشاعر إلى السؤال الإنكاري.

- ***السرد المشهدي**

ومن جماليات الشعر عند شاعرنا السرد المشهدي حيث يقوم الشاعر بتصوير المشهد وعرض كل ما يتعلق به، ومن ذلك قوله في قصيدته "في المحكمة":

يا قاضي الحكم فاحكم بيننا فأنا ظلمت أن قد حسبت الحب مؤتمنا

هذي التي وقفتْ أمام حضرتكم قد أخذلتْ ثقتي لذا أتيت هنا

وعذّبتْه عذاب الصر مفتقرًا حضانة الوصل لكن ليس محتضنا

تلك الأمانة قلبي كان في يدها تخاله رهنًا بل كان مرتهنا

فالعدل كل الذي أرجوه منك أيا قاضي القضاة لتحكم بيننا علنا

فشاجرَتْني بلطفٍ وهي قائلةٌ أنت الذي قلت لا بل أنت لست أنا

فصاح قاض قضاة الحب مكتئبًا تحلَّيا باحترام لا شجار هنا

إن كنتما غير مسعودين فانفصلا وليس جدوى لكم أن تبقيا قرنا

قلت يا سيدي لا تهزأنّ بنا نريد حكمًا وعدلاً لا هزؤ بنا

هذي الفتاة حياتي لا فراق لنا قد كنتها وهي أيضًا لا تزال أنا

قالت حبيبي ننسى ما مضى وتعا ل لكن نكون سويًّا في سعادتنا

تلاحظ في هذا النص إشغال السرد وتوزيعه في أنحائه من قبل الشاعر/السارد، وقد تسرّبت السردية من النثر إلى الشعر، فجوّ القصيدة أن السارد هو المدعو والحبيبة هي المدعو عليها،

وتوظيف السرد المشهدي واضح حيث نلاحظ وصفه لحبيبته بالخيانة في حالة أنه آمن بحبها في قلبه، ولكنها تلاعبت بهذا القلب إلى أن وصل الحوار بينهما إلى الشجار، وتدخّل القاضي في الأمر وطلب منها الانفصال...

على الرغم من اكتناز هذه القصيدة بالعناصر الشعرية حيث تضم تحت إهابها كل العناصر لتشكيل الشعر، من حيث الإيقاع الموسيقي (الوزن – والقافية) إلا أنها يتوفر فيها عناصر البناء القصصي، مثل:

الراوي: الذي يروي الأحداث من منظوره الخاص، وهو الشاعر في هذه القصيدة.

الحدث أو الحكاية القصصية: وهو عبارة عن أحداث القصص من البداية إلى النهاية، وهنا نرى أن موضوع الحب هو القضية الأساسية.

الشخصية: وهي الشخصية التي تقوم بأداء الحدث أو الفعل القصصي، وإذا كان الحدث هو الفعل فإن الشخصية هي الفاعل الذي حرك الحدث.

المكان: الفضاء الذي تدور فيه أحداث القصة، نجد في القصيدة السابقة أن "المحكمة" هي هذا الفضاء.

الزمان: الذي تتم فيه مراحل قصص الحكاية أو عناصر نمو الحدث أو حالة من حالات الشخصية...

وقد أشار كثير من النقاد إلى أنه ليس شرطًا أن تتوفر كل هذه العناصر في القصيدة.

وخلاصة القول: إن شاعرنا بللو خليفة من أصحاب النزوع السردي في الكتابة الشعرية، وقد سعى الشاعر إلى تجديد تجربته الإبداعية بتوظيف هذه الآليات السردية،

*** الجماليات الفنية عند الشاعر:**

أما من الناحية الفنية فقد برع شاعرنا في تزيين النص باستخدام الفنون البيانية والبديعية، ومن أنواع الصور البيانية التي وردت في شعره (التشبيه، الاستعارة، الكناية).

– الصورة التشبيهية:

يعرفه الشيخ عبد القاهر الجرجاني بقوله: "علاقة تجمع بين طرفين متمايزين لاشتراك بينهما في الصفة نفسها أوفي حكم لها ومقتضى"[508].

[508]. يوسف الخيري الجوار عن شعراء الغزل في العصر الأموي، دار الكتاب العربي، 1983.

وأما التشبيه فكانت "الصورة المفضلة عند جميع النقاد تقريبًا، ذلك لأنهم من جهة رأوه اللون الذي جاء كثيرًا في أشعار الجاهليين وكلامهم، حتى لو قال قائل: هو أكثر كلامهم لم يبعد، ولأنهم من جهة أخرى لمسوا فيه القدرة على توفير الومضة الجمالية السريعة التي أحبوها"[509].

والتشبيه في اللغة: التمثيل، يقال: شبّهت هذا بذاك أي مثلته به، ويعرفه علماء البيان بقولهم بأنه: "الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى مشترك بينهما بإحدى أدوات التشبيه المذكورة أو المقدرة المفهومة من سياق الكلام"[510].

من التشبيهات التي وردت في شعره قوله:

والروح نورٌ من الرحمان مكتمن فيه الجمال ومنه القرب واندسلا

فقد شبّه الروح التي تعد من أعظم مخلوقات الله بالنور الذي كان طاقة مضيئة أو شعاع تستطيع العين تلقيه والإحساس به، وهنا تشبيه المعقول بالمحسوس، وذلك للتوضيح والتقريب، هذه الصورة للمتلقي.

ومن التشبيهات التي وردت تشبيه هيئة بهيئة في قوله:

تعلقّ قلبي بحب عميق تعلقّ أخفش بالمفردات

وشاعرنا هنا يرسم صورة حبه لحبيبته وتعلقه بها بصورة تعلق الأخفش بصناعته النحوية.

ومنه تشبيه المعقول بالمحسوس في قوله:

وقلبي كروض و"مريم" كانت لذا الروض بذرة عرق النبات

والشاعر في البيتين السابقين عمل إلى تشكيل صورة قائمة على نقل المفردات من المعنوي إلى الحسي، و"قلبه كروض" في الأول، وهي بذرة النبات لهذا الروض، أما في الثاني (قلبه طفل" والحبيبة هي التي ترحمه وتتعاطف عليه وتُدلله دائمًا، والحقيقة أن في التشبيهين لا يقصد إلى تصوير قلبه أو قلب حبيبته فحسب، بل كل ما يهمه هو تصوير حبهما لئلا يُتوهّم أن حبه في طرف واحد.

ومن قوله:

وكأن النرجس مقتضب من عنبر طيب نبات يديك

وكأن الغصن بروضه لد ن حاكي الجودة من قديك

---

[509]. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة. الهيئة المصرية العامة للكتاب، الاسكندرية س، 1980.

[510]. بكري الشيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد. (دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1984م)، ص 12.

وكأن الفاسق امرأ القيس شعر منك كسا كتفيك

والتشبيهات (كأن النرجس مقتضب، وكأن الغصن حاكي الجودة من قديك، وكأن الفاسق امرأ القيس)، استخدم الشاعر الأداة "كأن" للمبالغة والتأكيد.

ولا شك أن هذه الأداة مفيدةٌ للتشبيه الافتراضي الواقعة في صدر الجمل، تقوم بالربط اللفظي المعجمي داخل المقطع السابق، وقد منحه تماسكًا تركيبيًّا وآخر للمبالغة والتأكيد.

- **الصورة الاستعارية**

الاستعارة عند عبد القاهر الجرجاني هي: "أن تريد تشبيه شيئًا بشيءٍ، فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره، وتجيء باسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه"[511].

والحقيقة أن الاستعارة تشيدت فنون البيان جميعها لما لها من قدرة على الإيجاز وقدرة الإدماج والتكثيف ومزج المتناقضات، وأداء المعنى في صورة جديدة، ويؤكد ما ذهبنا إليه قول الدكتور بكري شيخ أمين: "إن الاستعارة – في رأينا – قمة الفن البيان وجوهرة الصورة الرائعة، والعنصر الأصيل في الإعجاز والوسيلة الأولى التي يخلف بها الشعراء، وأولوا الذوق الرفيع إلى سماوات من الإبداع ما بعدها أروع ولا أجمل، ولا أحلى بالاستعارة ينقلب المعقول محسوسًا تكاد تلمسه اليد وتبصره العين ويشمه الأنف، وبالاستعارة تتكلم الجمادات وتتنفسّ الأحجار وتسري فيها آلاء الحياة"[512].

وترد طائفة من البني الاستعارية في شعر شاعرنا بكثرة، ومنها قوله:

وأقبل وردًا فاح بطيـ ـبٍ كريز أحمر من خديك

وهذا البيت يصف به خد حبيبته، ولا شك أن الخد من القيم الجمالية البارزة في المرأة، والوجه بصفة عامة من جمال المرأة الوضاحة، وتكمن الاستعارة المكنية الشخصية في قوله (وأقبل وردًا) حيث حذف فيها المشبه به وترك لازمًا من لوازمه الدالة عليه "أقبل"، والمشبه به "الخد".

ومنها قوله:

أجوب رياض الهوى للتسلّي لعلي أشفي من المعضلات

حيث جعل للهوى رياض يهتدى الجمال إلى الفتيات، وتجد هنا قد خلع الشاعر هذه المشاعر والصفات الإنسانية على المعنى المجرد.

ومنها قوله:

تسامرت ليلاً والغواني لوامع تخالجك الذكرى وتصبو المسامع

---

[511]. عبد القادر الرباعي، الصورة الفنية في النقد الشعري، دراسة في النظرية والتطبيق. (دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ط1، 1984)، ص 42.

[512]. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، دار البصائر مصر. س، 1995، ص 78.

وفي قوله (تخالجك الذكرى وتصبو المسامع) استعارة مكنية حيث صور الذكرى بشيء مادي يجذب، وسر جمالها التجسيم.

ومنها قوله:

مدين لها أنا دون سداد وقلبي رهن لها لوفاتي

والتشخيص ظاهر في قوله (قلبي رهن) حيث جعل القلب حيازة ويأمن كما يؤمن البضاعة على طريق الاستعارة المكنية.

ومنها قوله:

ذاب الفؤاد بنور الروح فانسكب الر بيع وابتل كل الجسم وانتهلا

ففي (ذاب الفؤاد) استعارة مكنية حيث جعل الفؤاد يذوب كما يذوب الثلج بعد جموده.

- الصورة الكنائية

وهذا التقديم الحسي – تشخيصًا أو تجسيدًا–جانب من الصور الكنائية فـ"الكناية: لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه"[513]. يقول الشاعر في بعض غزلياته:

اليوم سأرشف عنقودًا يتعصر من مقهى شفتيكِ

وقوله "سأرشف عنقودًا " كناية عن القبلات الساخنة. ومنه قوله:

أبني بلدة في القلب سيّدها الروح بحكم فيها العقل معتدلا

فـ"أبني بلدة في القلب" كناية عن اتساع قلبه.

- الصورة النقيضة أو الضدية

تقوم هذه الصورة على عنصرين بديعين، وهما الطباق والمقابلة، ومن ذلك قول الشاعر:

هما سواء وحتى لا كأنهما الموت والعيش لست محتفلا

فالتضاد واضح في (الموت– العيش). وكذلك في قوله:

هذا الجمال الذي اختفى ظهر هذا الجمال الذي يستبعد المثلا

فكلمتا (اختفى – ظهر) بينهما تضاد/، وقد اتكأ الشاعر إلى بنية التضاد أو التقابل في بناء الصورة من خلال الطباق أو المقابلة.

ويقابل التضاد الناشئ في الأبيات مفارقة تشد انتباه المتلقي، وتثير فصوله السؤال والمعرفة، وتخالف ما ينتظره من مفردات وتراكيب متوقعة أو معان ودلالات مرتقبة.

---

[513]. بكري الشيخ أمين، البلاغة الجديدة في ثوبها الجديد، دار الجيل ص 111.

ومن ظواهر الأسلوبية التي ظهرت في شعر بللو خليفة أسلوب القصر، وسيلته في شعره تقديم الجار والمجرور، غرضه التوكيد والاهتمام بالمقدم، ومن ذلك قوله:

ولو حلّ قديس بناديك ليلها أحلّ فنون اللهو مما ينازع

وكذلك المفارقة في قوله:

تثلج القلب من نار هو الهوى .....

وكذلك شيوع ظاهرة الالتفات، وغالبًا ما تكون من ضمير الغائب إلى المتكلم، وذلك يجذب انتباها المتلقي.

وهكذا برع في اختياره للقوافي حيث أحدثت قوافيه نغمًا موسيقيًّا تطرب له الأسماع، فالحقيقة أنه يتمتع بذوق مرهف وفطرة موسيقية متميزة ودائمًا تتآلف مع بعضها لتحدث نغمًا رائعًا.

ويمكن أن نخلص إلى أن الشاعر بللو خليفة يتمتّع بسهولة الألفاظ، ووضوح المعاني في شعره، وجودة الصور الفنية من التشبيهات والاستعارات والكنايات في شعره، كما نوع بين الأساليب الخبرية والإنشائية لجذب المتلقي.

الخاتمة ومعها النتائج:

من خلال ما سبق يمكننا أن نصل إلى النتائج التالية:

– حفل شعر بللو خليفة بحشد وافر من الصور الفنية، كما استدعى الشاعر شخصيات تاريخية.

– استخدم الشاعر التجانس الصوتي والمزاوجة التركيبة لقصد التأثير في المتلقي.

– شيوع السهولة والبساطة والعذوبة على بناء الصورة فلا تجد في شعره صورة قبيحة تأنفها الأذواق.

– شيوع الصورة الدرامية في شعره وذلك عبر الأليات السردية.

–المراجع

- منبر الإبداع: عبارة عن صالون أدبي يضم كوكبة من المبدعين الأفارقة، وهو أحد مشاريع معهد طيبة للبحوث والتدريب بنيجيريا، تحت رعاية بروف إبراهيم أحمد مقري، زاريا.
- ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر، تح: محيي الدين عبد الحميد. (المكتبة العصرية، بيروت).

- الحموي، خزانة الأدب. تح، عبد السلام هارون، المكتبة الأزهرية مصر سنة 1975.
- أبو هلال العسكري، الصناعتين، تح، فيصل الحاج، الدار البيضاء، المغرب، س، 1987.
- رضا حميد، الخطاب الشعري الحديث من اللغوي إلى التشكيل البصري. (مجلة فصول، العدد: 2، المجلد: 15، القاهرة، 1996م).
- عمار الخيري، لغة الشعر، قراءة في الشعر العربي، منشاة، دار المعارف.
- ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر. تح: محمد زغلول سلام. (منشأة المعارف، الإسكندرية، 1987م).
- ابن رشيق القيرواني، العمدة. دار العودة بيروت، س1963.
- يوسف الخيري الجوار عن شعراء الغزل في العصر الأموي، دار الكتاب العربي.
- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة. الهيئة المصرية العامة للكتاب، الاسكندرية س، 1980.
- بكري الشيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد. (دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1984م).
- عبد القادر الرباعي، الصورة الفنية في النقد الشعري، دراسة في النظرية والتطبيق. (دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ط1، 1984)، ص42.
- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، دار البصائر مصر. س، 1995.
- بكري الشيخ أمين، البلاغة الجديدة في ثوبها الجديد، دار الجيل.
- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الجيل س، 2000.

Household Work Division in Dual-earner Families

Bouchra EL KEMMA

National School of Business and Management

Cadi Ayyad University

Marrakech

Abstract

My paper aims at challenging the view that wives and husbands should have separate spheres of activity and responsibility, calling for marital equality in which both spouses are required to do domestic labor and bring up children. In fact, I want to draw women's attention to their traditional way of thinking as creatures born for human reproduction and for becoming housewives. Despite the increase in women's labor force participation in Morocco, specialization within the household has remained the same for decades. Couples may share household work, but not specific tasks. Household tasks have remained highly sex-typed and are shared quite unequally among most, if not all, married couples in Morocco, even when both the husband and the wife work full-time. In this regard, it is worth mentioning that the gender-based inequality in the division of household work is a hot issue that attracts the attention of most family research scholars. Therefore, there are gender and rational theories explaining the unequal division of household work. However, these theoretical frameworks have failed to explicate why wives continue to perform unequal share of household tasks as each theory has its own shortcomings. This study adds extra depth to further our understanding of the lopsided division of household work by putting forward a hypothesis that may be the influencing factors hindering the equal division of household work between spouses. Results indicate that spouses' income gap together with their gender ideologies have a great impact on the actual division of household work among dual-earner couples. Changes in the traditional division of labor are likely to come from couples where wives hold egalitarian views and have incomes comparable to or higher than those of their husbands.

***Keywords*:** household work, dual-earner couples, unequal division of household tasks, employed wives

This research exclusively focuses on the actual division of household work among dual-earner couples with young children, which is not only a timely topic in modern society but also a useful setting for gender bias of the household distribution of tasks. Household work is a source of gender stratification, as it remains highly segregated by sex: tasks as preparing meals, cleaning the house, washing, ironing and taking care of children are traditionally thought of as women's work and so performed primarily by women; and male tasks such as gardening, household repairs, and paying

bills are done primarily by men. This separation of tasks by sex is known as the division of household work.

Moroccan dual-earner families with young children have a traditional division of household work. household work is shared unequally among most couples in Morocco, even when both the husband and the wife work full-time. In recent decades, labor-force participation of women has considerably increased in Morocco and so has the proportion of dual-earner families. The increased labor force participation rate of married women with dependent children has given rise to the increasing prevalence of dual-earner families and the consequent decline in traditional male-breadwinner families with a single earner and a non-employed female partner. This trend towards sharing the breadwinner role has not been accompanied by a corresponding trend for spouses to share the homemaker role. Hence, I have put forward a hypothesis in an attempt to explain why the increase in wives' employment rate has not been accompanied by comparable changes in husbands' contributions to household work. The hypothesis under study is as follows:

Hypothesis: When spouses have different gender ideologies, the allocation of domestic tasks is strongly associated with the gender ideology of the spouse having a higher income.

Gender ideology and income gap may be interrelated factors that affect the actual division of labor between spouses. The interplay of these two factors may be decisive. I predict that gender parity in the division of household tasks can take place when wives adhere to a non-traditional ideology and have higher incomes, irrespective of husbands' gender ideology. Wives with egalitarian views can make use of their economic power to extract labor from their husbands who may have traditional family values. Similarly, I expect that when husbands hold traditional beliefs about gender relations and earn a greater share of the household income, wives do a higher proportion of the household's domestic work than their husbands. So, spouses' income gap along with their gender ideologies might underlie the changes in the distribution of domestic responsibilities.

1. Literature Review

1.1. Theoretical Frameworks for the Division of Household Work

There are six theoretical approaches explaining why housework remains women's work: (a) economic theories, namely dependency, human capital and resource-bargaining; and (b) gender ideology theory. These four theoretical explanations of the gendered division of housework predominate in the literature and attempt to explain why the unequal division of household labor has persisted, despite the fact that women's labor force participation has increased over time across the world. Each theory tries to offer solutions to some of the unanswerable problems thrown up by the other theories. Here, it is worth mentioning that all the approaches raised above should be seen as complementary, rather than as opposed to each other. Consequently, this section will deal with the four theories of household labor allocation, addressing their central ideas, findings, and shortcomings.

1.1.1. Economic Theories

The economic perspective of the division of household labor can be grouped into three main models: the dependency, the human capital investment and the resource-bargaining. Brines (1993, p. 303) has suggested that these three overlapping economic models of household labor allocation have "come to dominate the research agenda." These three economic-exchange approaches emphasize rationality and are gender neutral in the sense that housework allocation is governed by the rules and principles of exchange relations.

1.1.1.1. Dependency Theory

The first theory falling under the economic theories banner is the economic dependency model. This perspective claims that housework remains women's work because it is provided in return for economic support (Brines, 1994; Brines, 1993). Dependency concept can be explained as one's reliance/dependence on a spouse for his or her income, thereby referred to as the dependency approach (Brines, 1994). Thus, the dependency perspective refers to the view that "the relations behind the household division of labor are fundamentally economic" (ibid., p. 654). Such scholars as Delphy and Walby (cited in Brines, 1994) state that household division of labor is based on economic support; that is to say, wives do household labor by themselves in exchange for economic security. They argue that economic reliance compels wives to perform unpaid labor as a way of compensating for the husband's income. Wives' unemployment makes them economically dependent on their husbands and doing unpaid labor is a way of compensating for their idleness. To put it differently, since most married women do not work or earn less than their husbands and thus depend on them for support, wives carry on doing a greater proportion of indoor housework activities. Moreover, Brines raises the idea that the exchange relation between "breadwinners" and "dependents" is based on a "contract"—a contract of marriage (Brines, 1994, p. 655; Brines, 1993, p. 308; Coltrane, 2000, p. 1213). Money is exchanged for domestic labor on a contract pointing out the rights and duties of both parties. As a result, this approach describes heterosexual partnerships as contracts which women enter into for economic security and men for domestic support.

All theories have their own findings, and the dependency theory is no exception. To start with, Blair & Lichter (1991) have declared that family power, measured by the employment or income of each spouse, has a profound impact on the division of household labor. Their conclusion did not confirm the recent finding that wives' earnings are totally unrelated to husbands' participation in family work. Not only do they discover that the employment of the wife makes men take part in domestic tasks, but also decreases the level of sex segregation in housework. They have found out that employment provides women with the power to achieve a more equitable division of household labor. In contrast, wives still assume the bulk of family responsibility in dual-earner families. Scholars, such as Maret & Finlay, and Berardo, Shelton & Leslie (cited in Blair & Lichter 1991), find that wives still do a greater share of domestic work in dual-earner families. Maret and Finlay (1984), for instance, have found out that

husbands' income has a positive association with wives' time allocations to household chores, whereas women's income has the opposite effect. Also, it is documented that wives' employment results in only a very slight increase in husbands' household labor time (Brines, 1994).

On top of all that, the economic dependency model has received little scholarly attention by gender theorists. According to the opponents of this model, the positions of "breadwinner" and "dependent" carry symbolic meanings as markers of gender (Brines, 1994, p. 654). It is feminine when one is dependent and does housework, and masculine when one earns money and does no housework. Under this conceptualization, the link between dependency and housework might not stem from economic relations, but from gender relations that regulate behaviour. Brines finds that American married men and women seem to respond differently to the dependency model. American wives respond in ways that are consistent with the dependency model, the thing which is not true for American husbands. She concludes that "she (the wife) gets to do less housework as she provides, while he (the husband) gets to do gender as she provides" (p. 684). Economically dependent husbands "display gender" by avoiding housework or else lowering their time in household work in order to reclaim their masculinity (Brines, 1994, p. 683; Evertsson and Nermo, 2004, p. 1274). The more dependent husbands rely on their wives for income, the less housework they do (Brines, 1994). Jobless men disavow household work as doing housework poses a threat to their "gender identity" (ibid., p. 683). Likewise, Greenstein (2000, p. 332) has argued when women and men take on "nonnormative economic roles" (i.e. breadwinner wife and supported husband), they occupy "deviant identities." Greenstein states that "one mechanism for neutralizing this deviant identity is to overcompensate for it by exaggerating behaviors or appearances that contradict the deviant identity" (p. 333). In other words, in unconventional families economically dependent men do less housework to contradict a deviant economic identity (i.e., breadwinner wife and supported husband), as opposed to women who do more housework (Greenstein, 2000; Evertsson and Nermo, 2004). Greenstein (2000) said that the proportion of housework done by wives and their husbands can be equal in households where couples have approximately equal earnings; when women gain economic parity with men, equal sharing of household responsibilities would follow. Wives who are "primary breadwinners" will do more domestic work than wives who earn about the same amount as their husbands (ibid., p.333). Besides, Bittman et al. (as cited in Evertsson and Nermo 2004) have found that Australian women's time spent in housework increases when they are the main providers, whereas men's housework time remains unaffected. In sum, the notion of deviant identity, first put forward by Greenstein (2000), seems to affect housework performance.

1.1.1.2. Human Capital Theory

Like the dependency theory, human capital theory is perfectly rational and gender-neutral in the sense that either partner can occupy either position within the household. This theory contends that couples apportion their time rationally between

the domestic domain and the labor market to maximize productivity and welfare (Kan, 2008). Basically, family members are in need of the wellbeing offered by household work in addition to a set of goods and services the breadwinner has to provide through being employed (Mikucka, 2009, p. 77). For this reason, couples, husbands and wives, agree and make a decision on who will specialise in either paid work or domestic work for the sake of maximizing utility.

The second relative resource framework comes from Becker's (1981) neoclassical economic theory on specialization. He proposes that "the household is a unit of both consumption and production, where the husband and the wife share a single utility function" (Kan, 2008, p. 46). He stresses that households divide labor to maximize overall utility or well-being through the specialization of partners, who are skilled in either market or nonmarket labor (Bianchi et al., 2000). Becker (cited in Evertsson, 2004, p. 1274) is of the opinion that the division of paid and unpaid work in the household is a mirror of "rational family decision making, the aim of which is to maximize family utility and output." Becker maintains that women usually spend more time on household work than on labor market owing to their lower ability of earning higher incomes in comparison with men, whilst the reverse is true for men (Kan, 2008; Bianchi et al., 2000; Mikucka, 2009). Since men earn higher wages, they are more suitable for the labor market; meanwhile, women, owing to a set of reasons including biology and discrimination, are more efficient in the domestic sphere. Women's role as mothers causes them to be in a more advantageous position to concentrate on nonmarket work, while men's comparative advantage in wage earning makes them devote less time to nonmarket labor. So, women's influence in family decision making is limited by their low status in comparison to their husbands'.

Nevertheless, this theory has been widely criticized. Firstly, unlike economists who state that decisions about time allocation to paid work and household work are made at one time, sociologists give priority to paid work before coming to a decision with regard to the division of household labor (South & Spitze, 1994). Second, the human capital theory targets household labor and its rational partition, but fails to consider why, in the first place, men are quite possible to be highly paid in the labor market (Brines, 1994). Finally, assuming the household a consensual unit aimed at maximizing its wellbeing, this theory ignores the conflicts and disagreements that household members can go through (Thebaud, 2007).

1.1.1.3. Resource-bargaining Theory

Other scholars have come up with another approach called the relative resources approach or resource bargaining approach which is similar to dependency approach to some extent. Like the dependency perspective, this approach is an exchange-based perspective. The resource-bargaining approach is concerned with unconventional families where women have greater resources than men (Everston & Nermo, 2004). Resources are indicated by "relative wage, income, education, and occupational status" (ibid., p. 1274). The partner with fewer economic resources (e.g. income, education attainment and occupational status) has little power and so specializes in unpaid work

(Brines, 1993). The more resources a spouse has, the less likely they will do housework (Everston & Nermo, 2004). Here, the resource-bargaining perspective assumes the division of household labor results from implicit negotiations between spouses over "inputs" (e.g., earnings) and "outcomes" (e.g., who does the housework) (see Brines, 1993, p. 307). Earnings are considered to be "a major negotiation commodity" in the negotiation process (Kamo, 1988, p. 178). If there is one partner in a household who has a high-status job, then they can make use of such a privilege to avoid housework (for example see Kamo, 1988; Brines, 1993; Davis et al., 2007; Everston & Nermo, 2004). According to this view, the higher male wages lead to make men specialize in paid work and women in unpaid work. In this framework, household labor is depicted as something negative, unpleasant and avoidable, so spouses use their relative resources to bargain from a stronger position and gain a favourable outcome (Davis et al., 2007). Generally speaking, the relative resources approach argues that because wives have a tendency to bring fewer resources into the negotiation process, they are less capable of producing an outcome in which the housework is equally divided between themselves and their husbands.

Much research has been conducted to test this hypothesis. Some researchers, including Maret and Finlay (1984), strongly support Blood and Wolfe's (1960) theory of relative resources (Kamo, 1988). Blood and Wolfe (cited in Kamo 1988) assert that high-income husbands do a smaller proportion of indoor activities, the finding which has been later confirmed by other researchers who posit a positive relationship between relative earnings and the division of household labor. It has been found that the wife's income closely correlates with the husband's contribution to household labor. The division of household labor has proved to be strongly linked with income, as opposed to education and employment prestige (Shelton & John, 1996). Greenstein (2000) concludes that when the wife' income comes close to that of her husband's, the housework gap decreases and so the division of household labor becomes more even. There are, however, empirical findings that contradict this approach (Brines, 1994; Treas & Drobnic, 2010). To illustrate, Brines (1994) asserts that wives do more housework than husbands even when wives earn more than their husbands. Even though the number of women who make more money than their husbands is increasing, women tend to do more housework (Treas & Drobnic, 2010). This finding supports the gender ideology approach suggesting that men avoid women's work to reassert their masculinity (ibid., p. 6). So, husbands appear to spend less time on housework, in spite of women's resource merit. Following this line of reasoning, no matter how huge bargaining power women have, they appear to be at a disadvantage concerning household negotiations. All in all, although the relative resources approach has proposed that the increase in wives' labor force participation should have decreased the proportion of housework, longitudinal data do not seem to confirm this hypothesis.

In summary, the economic theories have been harshly criticised by other researchers. Despite their differences, the three economic theories highlight the impact of earning power on the division of household labor (Coltrane, 2000). Such factors as income, education, or occupation prestige do not alone explain the division of

household labor; Sara Berk (cited in South & Spitze 1994) criticized the economic explanations of housework declaring that gender has more impact than individual resources on the division of household labor. She carries on disapproving of economic theories stating that household labor should not be described as "bad and to be avoided", but instead household labor has symbolic meanings expressing subordination, love and care (ibid., p. 329). Another criticism levelled at the economic explanations is that they start from a shallow level of analysis, missing out a deeper one. To explain, Brines (1994) claims that the household division of labor may be gender-neutral and rational, but "the initial conditions (earnings) and the outcomes (performance of housework)" are heavily gender-influenced (p. 654).

1.1.2. Gender Ideology Theory

The fifth approach is that of gender ideology. This approach hypothesizes that role-traditional couples are to exhibit a gender-based division of household labor, while couples holding egalitarian gender roles are supposed to enjoy equal sharing of domestic labor (Blair & Lichter, 1991). Husbands holding traditional roles are supposed to work outside home and earn a living, while wives are expected to do domestic tasks (Kamo, 1988). Hiller (1984) (cited in Blair & Lichter, 1991, p. 94) suggests that "the more deeply one or both partners have internalized a traditional sex role, the more likely the wife will be solely responsible for family work." So, it is expected that the more traditional a husband is, the less family work he does. The gender ideology perspective argues that attitudes regarding gender roles influence domestic labor performance (Greenstein, 1996). That is to say, spouses with liberal attitudes about gender and marital roles are hypothesized to divide domestic work more equitably than spouses with traditional attitudes. This means that couples holding more traditional and conservative beliefs will do the lion's share of family work and exhibit a more segregated division of labor, while couples holding egalitarian gender ideologies will have an equal division of household labor.

Later studies have found that men and women with liberal gender ideologies are more likely to share housework equally, and that men and women with traditional gender ideologies experience a gendered division of labor (Greenstein, 2000). The findings of studies employing the gender ideology perspective have been consistent with the approach prediction (e.g., Blair & lichter, 1991; Kamo, 1988; Greensten, 1996). Most studies find that men' and women's sex-role attitudes are important determinants of household labor performance (Blair & Litcher, 1991; Kamo, 1988). Nevertheless, some researchers find no link between men' and women's attitudes about gender roles and housework allocation (Greenstein, 2000). For example, Poortman and Tanja (2009) come to the conclusion that to understand the gendered meaning of household labor, one must look at personal and specific attitudes of men and women rather than their general and abstract gender ideologies. They state that "contrary to people's more general views on how men and women ought to divide tasks (i.e., gender ideology), these attitudes reflect personal feelings and thoughts about performing household labor and the importance they attach to it, in other words their personal

evaluations" (ibid., pp. 526-527). They believe that a person's specific attitudes towards household labor do add more weight to grasp the division of domestic labor, rather than their general attitudes towards men and women's roles. They refute gender ideology approach declaring that abstract attitudes are weak predictors of behavior in comparison with specific attitudes. Personal attitudes probably reflect more the gendered meaning of domestic work and hence may be stronger predictors than gender ideology.

The gender ideology perspective assumes that "household labor is intertwined with beliefs about certain behaviors being typically male or female" (Poortman & Tanja, 2009, p. 526). For instance, cooking, cleaning, washing up, doing the laundry and taking care of children are looked on as typically female tasks, while home repairs and maintenance are seen as male tasks. Wives holding a traditional gender ideology will perform more family work, the work which is traditionally associated with being female (i.e., housework, childcare, and emotion work) (Erickson, 2005). So, individuals internalize views about men' and women's proper roles and such society's prevailing gender ideologies have an effect on men's gender identity[7]. It sounds clear that culture lies at the bottom of men's avoidance of domestic duties. Cultural stereotypic beliefs do not only describe "who women and men are, but also who they should be" (Worell, 2002, p. 562). People automatically rely on gender stereotypes to perceive others. Men and women are to conform to social norms and traditional gender roles. Men are supposed to make a living to provide for their families, while women should stay at home cooking, cleaning, and taking care of children (Crespi, 2003). Men are taught to be "aggressive" and take responsibility; women are socialised to be "submissive" and "weak" (ibid., p. 5). Unfortunately, these gender stereotypes are still pervading society today. In this regard, there are certain characteristics that are associated with both men and women. Males are expected to be "controlling, self-confident" (Worell, 2002, p. 562), "independent, adventurous, aggressive, assertive and task-oriented" (Crespi, 2003, p. 5), whereas females are supposed to be "warm, kind, and concerned for other's welfare" (Worell, 2002, p. 562), "dependent, sensitive, gentle, emotional and people-oriented" (Crespi, 2003, p. 5). Developed by Janet Spence, Robert Helmreich, and Joy Stapp (cited in Worell, 2002, p. 563), table 1 below includes the gender stereotypic traits that form the "Personal Attributes Questionnaire (PAQ)." Women are predicted to be described by feminine physical characteristics and cognitive abilities, have feminine traits and occupy feminine roles. Hence, identifying a person as male or female makes us think of them as having masculine or feminine characteristics.

Table 1

Gender stereotypic characteristics associated with women and men

	Traits	Roles	Physical characteristics	Cognitive abilities
Associated with men	-Active -Can make decisions easily -Competitive -Feels superior -Independent -Never gives up easily -Self-confident -Stands up well under pressure	-Assumes financial obligations -Head of household -Financial provider -Leader -Responsible for household repairs -Takes initiative in sexual relations -Watches sports on television	-Athletic -Brawny -Broad-shouldered -Burly -Muscular -Physically strong -Physically vigorous -Rugged -Tall	-Analytical -Exact -Good at abstractions -Good at numbers -Good at problem solving -Good with reasoning -Mathematical -Quantitatively skilled
Associated with women	-Able to devote self to others -Aware of others feelings -Emotional -Helpful to others -Gentle -Kind -Understanding -Warm	-Cooks the meals -Does the household shopping -Does laundry -Is fashion conscious -Source of emotional support -Takes care of children -Tends the house	-Beautiful -Cute -Dainty -Gorgeous -Graceful -Petite -Pretty -Sexy -Soft voice	-Artistic -Creative -Expressive -Imaginative -Intuitive -Perceptive -Tasteful -Verbally skilled

Shared cultural beliefs have a lot to do with gender stereotypes. Gender stereotypes are “our beliefs about how most people visualize the archetypal man or woman” (Ridgeway, 2009, p. 148). These beliefs are cultural knowledge that most people have, hence, “we expect others to judge us according to them” (ibid., p. 149). In this way, these shared cultural beliefs about gender shape our behavior and act as norms and rules for coordinating public behavior on the grounds of gender. Gender stereotypes implying gender differences are usually transformed into gender inequality. The stereotypic belief “men are from Mars and women are from Venus” is a case in point (Sollie, 2000, p. 42). It is viewed that men belong to the higher status group which is perceived as more “proactive and competent” (“from Mars”), while the lower status group, women, is seen to more “reactive and emotionally expressive” (“from Venus”)

(Ridgeway, 2009, p. 149). As a conclusion, gender/sex, as a "primary cultural frame for organizing social relations"[8], is highly susceptible to cultural generalizations which coordinate behavior with others (ibid., p. 147).

By and large, neither gender approaches nor socio-economic explanations of the division of household labor can alone explain how households divide housework and childcare. Each theory came to fill the gaps left by the previous one. Therefore, separating gender approaches from rational ones is a highly complex process. To exemplify, both rational and gender approaches make the same predictions about household labor performance when couples transition to parenthood (Baxter, 2008). To clarify, when couples have a first child, wives are the ones who often leave work or reduce their time devoted to the labor force, and so have less economic resources compared with their partners. Consequently, from a rational perspective, women would spend more time on family work. From a gender perspective, a new child in the household means a greater proportion of household labor for women because of their transition to motherhood (ibid.). However, a few studies of housework have examined the two competing approaches and start looking at gender deviant households. The findings of Brines (1994) and Greenstein (2000) that men reduce their housework and women increase theirs when men are economically dependent on their wives confirm the predictions of doing gender or gender construction approach. It is contended that men and women make use of domestic work to reclaim their gender identities. Brines (cited in Gupta, 1999, p. 701) argues that "husbands are practicing gender display by resisting domestic labor precisely because of their gender-atypical circumstances."

2. Data and Method

The designated sample is dual-earner couples with young children up to 7 or 8 years old. In this paper I used data from two sources, husbands and wives. Each spouse was questioned individually in a questionnaire-based interview. I used questionnaires to assess spouses' perception of shared parenting and household chores, and to evaluate couples' household division satisfaction. I deliberately dealt with spouses separately in order to gain two perspectives on household work division. I was obliged to fix a time convenient for each spouse. Besides, I used a recorder while interviewing my respondents, but the majority did not like to have their voices recorded. Nevertheless, I managed to tape record only some interviews.

Because of the fact that I have Morocco as a case study, I have taken enough samples from the four regions of Morocco to come up with a nationally representative sample. I thought that the division of household labor may vary across regional groups. For this reason, it took me a long time to do the fieldwork. Collecting data from the four regions of Morocco was not an easy task. It was exhausting, time consuming and costly. In this respect, The total number of spouses I have interviewed is 434, that is to say, 217 dual-income couples. However, I have made use of only 41 couples to test my hypothesis.

In an attempt to explore the underlying causes of the unequal division of household work among dual-earner couples, I suggested a hypothesis that may be the

influencing factor hindering the egalitarian allocations of household labor between husbands and wives. Here is the hypothesis:

- When a couple has different gender ideologies, the allocation of domestic tasks is strongly associated with the gender ideology of the spouse having a higher income.

This hypothesis contains two nominal or categorical variables, therefore bivariate analysis is the suitable statistical method to test it and see if there is any correlation between the variables. Bivariate analysis, as a form of the quantitative statistical analysis, is used to test hypotheses of association. As its name suggests, bivariate analysis involves looking at how two variables relate to each other. This kind of analysis reveals whether or not there exists an association between two variables and the strength of such an association. This is done by tabulating them in a three-way format known in SPSS as a crosstab. The Crosstab or contingency table, as one of the methods used to perform bivariate analysis, shows how many persons fall into each cell of the crosstab and a percentage distribution based on two categorical variables—dependent and independent variables. This table examines relationships between variables. Nevertheless, to form conclusions about the link between variables, chi-square tests are a must. One cannot say that there is a statistically significant relationship between variables without using the chi-square test indicating a p-value. Accepting or rejecting the null hypothesis depends on the p-value. If the p-value is less than the significance level (0,05), one cannot accept the null hypothesis. But, if the P-value is more than the significance level (0,05), then one can conclude that the null hypothesis is valid. Here, it is of paramount importance to mention that the conventionally accepted significant level is 0,05, that is, 5%. The 5% significance level is commonly used in science research. Hence, chi-square tests explore the link between two categorical variables and show if they are related to each other, thereby accepting or rejecting null hypotheses.

3. Results and discussion

3.1. Introduction

Despite the fact that both spouses in dual-earner families are employed, they still experience a gender-segregated division of labor. Wives perform a far greater proportion of household tasks than do husbands. In an attempt to see the hidden reasons behind the unequal distribution of household tasks, I have put forward a hypothesis composed of two independent variables, namely spouses' income gap and gender ideologies. I want to know whether there is any association between such factors and the inequality in the division of household labor. The following sections tackle this hypothesis, explaining if there is any correlation between the hypothesis and the gender-based pattern of family labor.

3.2. Couples' Income Gap together with their Gender Ideologies

The literature suggests that both socio-economic factors and gender ideologies are to be the most important factors to consider in the analysis of the determinants of couples' involvement in household work. To elaborate, gender ideology approach assumes that the performance or non-performance of household tasks is a direct

reflection of husbands' and wives' gender ideologies. Gender ideologies represent individuals' beliefs about the appropriate behavior for men and women with respect to marital roles. Spouses who subscribe to egalitarian gender ideologies have an egalitarian division of labor in their households. Similarly, spouses with traditional gender ideologies have an unbalanced division of household labor. Nevertheless, there is a gap left by the gender ideology theory which tackles only spouses with similar views. The key promise of this theory is that couples having traditional attitudes experience an unequal division of household work, and couples having egalitarian attitudes enjoy an equal sharing of domestic work. As for this study, I am wondering how the division of household tasks would be if both spouses have different gender ideologies, not similar ones. Do husbands contribute more to household work if married to egalitarian wives? Do traditional wives do a greater share of household work even though they are married to egalitarian husbands? These are the questions to be answered in this chapter, taking spouses' income differences into account. I want to see if a spouse's gender ideology together with their income determine who will do the majority of household labor. For this reason, I used a synthetic variable composed of gender ideology and income gap to see if both factors work together to determine the outcome, or each factor works independently of the other. I expect that wives' higher earnings and egalitarian views give them greater bargaining power. Wives are predicted to do an equal share of housework in households where they earn a higher proportion of the household income relative to their husbands and where they have egalitarian beliefs. Accordingly, traditional wives who contribute less to the household income are expected to assume a larger share of household work. Here, it is worth mentioning that income is only one of the socio-economic factors that have been commonly linked to household work division. I included only income in my analysis, overlooking other factors that have been identified by the resource-bargaining approach. This perspective holds that earnings, educational attainment and occupational status are key determinants of the gender division of housework. Higher levels of education, higher incomes and higher-status jobs are related to a lower level of involvement in housework for women. It is hypothesized that the more resources a spouse has, the less family work s/he does.

This study examines whether attitudes about roles associated with being male or female and the income of spouses are good indicators of the degree of role sharing that occurs in dual-earner families. To measure this synthetic variable made up of gender ideology and income, I divided dual-earner households into six categories. Table 6 on the following page presents a frequency distribution of dual-earner households' types together with their percentages.

Table 6

Frequency and percentage distribution of the six kinds of dual-earner households

Dual-earner households	Frequency	Percent
Households where wives and husbands have egalitarian and traditional views respectively and where wives have higher incomes than their husbands	2	4,8
Households where wives and husbands have egalitarian and traditional views respectively and where wives have lower incomes than their husbands	15	36,5
Households where wives and husbands have egalitarian and traditional views respectively and where wives have about the same income as their husbands	3	7,3
Households where wives and husbands have traditional and egalitarian views respectively and where wives have higher incomes than their husbands	3	7,3
Households where wives and husbands have traditional and egalitarian views respectively and where wives have lower incomes than their husbands	13	31,7
Households where wives and husbands have traditional and egalitarian views respectively and where wives have about the same income as their husbands	5	12,1
Total	41	100

Looking at the table above, one cannot help noticing that only a small number of dual-earner households where couples were raised in dual-earner families have been investigated. The sample consists of 217 dual-earner couples, but I have made use of only 41 couples forming part of the sample to test my second hypothesis. The second hypothesis is as follow:

- When spouses have different gender ideologies, the allocation of domestic tasks is strongly associated with the gender ideology of the spouse having a higher income.

Because this hypothesis requires spouses of different gender ideologies and incomes, I have excluded spouses with similar attitudes—either traditional or egalitarian attitudes. I have mentioned earlier in the previous section that most spouses were brought in male-breadwinner families and hence have similar traditional beliefs. There is a small number of spouses who were raised in dual-earner families and have egalitarian views. Testing my second hypothesis necessitates having a category of spouses holding different beliefs about marital roles. That is why I have extracted only 41 dual-earner families with different views from the sample. This small sample meets the requirements of the second hypothesis. To test my second hypothesis, it was essential to zero in on dual-earner couples with different ideologies and incomes. For this reason, I tried hard to explore the respondents' beliefs and so get a full picture of their standpoints. Besides, I asked the respondents if they earned more or less than their spouses. In the following sections I raised the major ideas I got from the respondents, thereby classifying them according to their gender ideologies and incomes.

3.2.1. Gender Ideology

There is no doubt that individuals' behavior is affected by their beliefs about the appropriate roles for man and women. Examining husbands' and wives' opinions about both paid and unpaid work, I have attempted to look at their concepts of femininity and masculinity which may work against role sharing—the status when couples "view family and occupational roles as the responsibility of both spouses and work out an arrangement in which these responsibilities are shared" (Gilbert, 1985, p. 60).

3.2.1.1. Spouses with Traditional Gender Ideologies

I found out that both husband's breadwinner and wife's housekeeper roles form an integral part of traditional people's life. Gender-role expectations release husbands performing the provider role from the obligation of housework sharing, and keep wives doing both paid and domestic work free from an equal responsibility of breadwinning.

For traditional wives, taking most responsibility of household work is something that matches their normative standards and constitutes an integral part of their proper roles. They fully agree with the eight statements I raised about inequality between men and women, and so they are unlikely to share housework and childcare tasks with their husbands on a fifty-fifty basis. They are opposed to equal division of all household tasks. When I asked them about sharing, they said that they did not let their husbands do such unpleasant and feminine tasks as cleaning the house, doing the laundry, and changing babies' diapers. They added saying that such tasks might threaten their husbands' sense of masculinity; for this reason, they did not like to hurt their husbands' feelings. They said that they were supposed to do more domestic tasks, regardless of how much time they work in the labor force. Meanwhile, they are in favour of helping their husbands with conventional male tasks, but not sharing them fifty-fifty. What is remarkable is that traditional wives do not like the idea of being equal providers as their husbands. It is true that they contribute to household expenses, but their contribution is not equal to that of their husbands. When it came to the man's role as a provider and the woman's role as a homemaker, they rejected such division of roles. However, they said that they were ready to stay at home on condition that their husbands paid them a salary. It seems that these women work to protect themselves from outside world, and their salaries give them a sense of safety. Other women totally reject the idea of staying at home, though they wish to quit their jobs as they are tired of working. They do not trust their husbands completely. As for children, all of them agree that they and their children suffer because of work. Consequently, women, adhering to a traditional gender ideology, do not mind an unequal distribution of household work.

Traditional husbands, on the other hand, believe that a woman should have a career, but at the same time they are convinced that childrearing and household tasks are her primary responsibilities. Even though husbands do not oppose the employment of wives and are generally pleased with their professional achievements, their attitudes towards sex roles are quite traditional. Identifying themselves as primary breadwinners and viewing women's labor as secondary, husbands feel that wives should emotionally support their husbands' careers more than their own. They feel that the husband's career

is more prominent than the wife's as men are the ones who are mainly responsible for sponsoring the family. Men attribute great meaning and importance to their roles as husbands and fathers, but look only on their breadwinner role as a way to confirm their manliness. They define women's role as that of reproducing and doing household tasks, and men's role as that of maintaining a family. Therefore, the majority preferred that the mother of preschool children should stay at home or work part-time.

To conclude, wives are of the opinion that doing housework is a basic requirement of being a "woman", and husbands believe that not doing housework is an indispensable part of being a "man". That's why women feel that they are responsible for most family work and men for outside work.

3.2.1.2. Spouses with Egalitarian Gender Ideologies

Spouses with egalitarian ideologies are in favour of gender parity in the household division of labor. They have no faith in sex specialization—feminine domesticity and male breadwinning.

Wives with egalitarian views reject any arrangement deviating from an equal division of household work. Non-traditional wives are different from traditional ones in the sense that they are convinced that both paid and family work should be shared equally among dual-earner couples. Wives having liberal attitudes reported that spouses should assume equal responsibility for supporting the household. They said that they should have independent jobs even though their husbands were highly paid. They said that women formed half the society and hence should be producers, not consumers. As for children, they said that children were the responsibility of both spouses, and they were wondering why it was always the mother who should sacrifice her job for her children. They partly agreed that children might suffer due to mothers' work, but they said that there were many other solutions like taking them to day care centers.

Egalitarian husbands belong to two categories. One category, including a very few role-sharing husbands, rejects traditional family norms of marriage and childrearing. Role-sharing husbands are in favour of equal division of household tasks, as the wife works outside home as well. They do not believe in sex specialization: women specialized in female chores and men in male chores. They strongly support wives' careers. They enjoy taking part in housework and childcare tasks. They do not look at themselves as primary breadwinners. Women are also required to provide for the family. If women opt to stay at home to look after the children, that is their choice. No one has the right to decide on their behalf. The other type of husbands is less egalitarian. They are of the opinion that wives have to take responsibility for household duties but childcare tasks should be shared equally between spouses. Less egalitarian husbands think that doing such tasks as feeding and dressing children is an integral part of parenting, but indoor tasks are women's duty. They associate childcare tasks with parenting. Husbands with less egalitarian attitudes do childcare tasks to build close relationships with their children, neglecting any other kind of tasks believed to be women's.

Hence, egalitarian spouses approve autonomy and marital equality involving equal participation in home responsibilities and equal commitment to providing for the household.

To sum up, there are three kinds of husbands—traditional husbands who think that women should assume a greater share of responsibility for the family work (childcare and housework), less egalitarian husbands who believe that women should do indoor tasks but childcare tasks are the responsibility of both spouses, and egalitarian husbands who hold the opinion of sharing domestic chores and parenting (childcare). The last kind of spouses views family as the responsibility of both spouses. They are more likely to put their ideals into practice. So the more egalitarian husbands, the more housework or childcare tasks they share. As for traditional women in dual-earner households, they still give high priority to family. Traditional women are more emotional and engrossed in their relationships. Men are more capable of keeping paid work and family apart without sacrificing one for the other. Wives holding conservative gender ideologies perceive domestic tasks to be more their own than their spouses' responsibility; they perform a greater amount of housework and childcare tasks in relation to their husbands'. Comparing themselves to other married women who are in the same situation most of the time, they are unlikely to perceive the unequal division of household tasks as unjust. Women holding non-traditional ideologies, on the other hand, are more likely to compare themselves to their husbands, the fact that can cause a sense of unfairness. Therefore, most egalitarian wives feel that they are unfairly treated.

3.2.2. Income Gap

Earlier research has indicated that change in the domestic division of labor follows from change in men and women's access to resources at the individual level. The resource-bargaining approach assumes that income, educational attainment and occupational status are the strongest predictors of the amount of time spent in housework and childcare. The fewer resources spouses have, the more domestic labor they perform. As for this study, I excluded the education and work status resources from my analysis owing to the fact that women still undergo a gender-based division of labor in spite of being educated and employed. Therefore, I focused only on the economic resources of spouses together with their gender ideologies to see if both factors have any significant impact on the division of household labor, or one of them has only very marginal effects on the levels of gender inequality in the home. In this regard, I asked respondents whether they earn more or less than their spouses. Spouses' earnings were measured in three categories: high-earning spouses, low-earning spouses, and spouses with comparable earnings. Owing to the fact that men are more liable to earn a lot than women, the spouse with the most economic power in the household is generally the husband. I expect that the spouse earning a larger share of the family income will have the least involvement in domestic labor.

While interviewing respondents, I have noticed that wives have a tendency to earn a smaller proportion of family income. There are a few women with ideologies

different from those of their spouses who earn more than their husbands (see table 6 on page 105 above). Personally, I think that this serious problem has to do with two major reasons. First, there is a reasonable number of spouses having the same profession nowadays. In other words, it is highly probable to find female teachers married to male teachers, doctors to doctors, engineers to engineers, etc. Even though both spouses have the same career, it is more likely that husbands are the ones who have the higher salaries. This stems from the difference in age, that is, husbands are very likely to be older than wives and so join a profession before wives do. Therefore, husbands earn more income due to the long experience of work. Second, the Moroccan government is not gender neutral when it comes to paying for childcare. Husbands or fathers are paid for children, while mothers do not receive any money from the government. Looking at the matter from an Islamic framework, government officials sponsor fathers, not mothers, for childcare (Family Allowances Guide, 2007, p. 30). Because of the fact that Islam favours husbands over wives regarding the role of "qiwama" due to particular reasons, the Moroccan government provides money for husbands, not wives.

4.3.3. Biavariate Analysis

I used bivariate analysis to examine the link between spouses' income gap along with their gender ideologies and household tasks. The null and alternative hypotheses are as follows:

H_0: When spouses have different gender ideologies, the allocation of domestic work is not associated with the gender ideology of the spouse having a higher income.

H_1: When spouses have different gender ideologies, the allocation of domestic work is associated with the gender ideology of the spouse having a higher income.

For the purpose of illustrating differences in domestic tasks division among dual-earner couples, table 7 on the following page below shows the results for six types of dual-earner households. The table presents the percentage of husbands and wives doing traditionally female and male tasks. In each dual-earner household type, the crosstab table works out what proportion shares the household tasks equally, what proportion of wives does more childcare and indoor tasks, and what proportion of husbands does more outdoor tasks.

Table 7

Percentage distribution of who does more household work by types of dual-income households with different incomes and gender ideologies

Household tasks				Dual-earner households						Total
				households where egalitarian, high-earning wives are married to traditional husbands	households where egalitarian, low-earning wives are married to traditional husbands	households where egalitarian wives with comparable incomes are married to traditional husbands	household where traditional,high earning wives are married to egalitarian husbands	households where traditional, low-earning wives are married to egalitarian husbands	households where traditional wives with comparable incomes are married to egalitarian husbands	
Childcare tasks	the percentage proportion of spouses doing more or sharing household tasks	wives do more	Count	0	15	0	3	13	5	36
			% within dual-earner households	0,00%	100,00%	0,00%	100,00%	100,00%	100,00%	87,80%
			% of Total	0,00%	36,60%	0,00%	7,30%	31,70%	12,20%	87,80%
		Share	Count	2	0	3	0	0	0	5
			% within dual-earner households	100,00%	0,00%	100,00%	0,00%	0,00%	0,00%	12,20%
			% of Total	4,90%	0,00%	7,30%	0,00%	0,00%	0,00%	12,20%
	Total		Count	2	15	3	3	13	5	41
			% within dual-earner households	100,00%	100,00%	100,00%	100,00%	100,00%	100,00%	100,00%
			% of Total	4,90%	36,60%	7,30%	7,30%	31,70%	12,20%	100,00%
Indoor tasks	the percentage proportion of spouses doing more or sharing household tasks	wives do more	Count	0	15	0	3	13	5	36
			% within dual-earner households	0,00%	100,00%	0,00%	100,00%	100,00%	100,00%	87,80%
			% of Total	0,00%	36,60%	0,00%	7,30%	31,70%	12,20%	87,80%
		Share	Count	2	0	3	0	0	0	5
			% within dual-earner households	100,00%	0,00%	100,00%	0,00%	0,00%	0,00%	12,20%
			% of Total	4,90%	0,00%	7,30%	0,00%	0,00%	0,00%	12,20%
	Total		Count	2	15	3	3	13	5	41
			% within dual-earner households	100,00%	100,00%	100,00%	100,00%	100,00%	100,00%	100,00%
			% of Total	4,90%	36,60%	7,30%	7,30%	31,70%	12,20%	100,00%
Outdoor tasks	the percentage proportion of spouses doing more or sharing	Share	Count	2	12	3	1	4	2	24
			% within dual-earner households	100,00%	80,00%	100,00%	33,30%	30,80%	40,00%	58,50%
			% of Total	4,90%	29,30%	7,30%	2,40%	9,80%	4,90%	58,50%
			Count	0	3	0	2	9	3	17

household tasks	husbandsdo more	% within dual-earner households	0,00%	20,00%	0,00%	66,70%	69,20%	60,00%	41,50%
		% of Total	0,00%	7,30%	0,00%	4,90%	22,00%	7,30%	41,50%
Total		Count	2	15	3	3	13	5	41
		% within dual-earner households	100,00%	100,00%	100,00%	100,00%	100,00%	100,00%	100,00 %
		% of Total	4,90%	36,60%	7,30%	7,30%	31,70%	12,20%	100,00 %

Table 8

Chi-square Tests

Household tasks		Asymp. Sig. (2-sided)
Childcare tasks	Pearson Chi-square	0,000
Indoor tasks	Pearson Chi-square	0,000
Outdour tasks	Pearson Chi-square	0,035

The bivariate table 7 on page 15 above shows that income gap has a considerable effect on the division of household tasks when wives have egalitarian views in dual-earner households. Among role-sharing wives, differences in income may create problems about who should assume more of the family work. In dual-earner households where egalitarian wives earn significantly less than their husbands, 100% of wives do more indoor and childcare tasks; a very high percentage of their traditional husbands (80.00%) do more outdoor tasks compared with 20.00% who share this kind of tasks with their wives. So, it seems clear that when the wife has a lower income, she could not make her traditional husband participate equally in female household chores despite her egalitarian views. The traditional husband makes use of his privilege of earning a higher income to perform a less amount of childcare and indoor tasks. Low-earning wives are also afraid that their marriage may go through emotional distress and marital instability if they keep blaming their traditional husbands for not doing their fair share of household responsibilities. However, both husbands and wives reported a higher level of male participation in housework in households where wives hold egalitarian attitudes as well as having higher or the same income as their husbands. When egalitarian wives earn higher or equal incomes, they manage to extract labor from their husbands and force them to equally share household tasks. 100% of the couples where wives subscribe to egalitarian gender ideologies and where wives have higher or about the same income as their husbands enjoy equal sharing of household tasks—childcare, indoor and outdoor tasks. Hence, wives who hold egalitarian gender ideologies and whose incomes are comparable to or higher than that of their spouses share household responsibilities than wives whose incomes are lower. In contrast, when wives have traditional views, it does not matter whether women earn higher, lower or the same

income as their husbands'. Wives with traditional attitudes have a sex-segregated division of domestic labor, regardless of income. 100% of wives perform more feminine tasks—childcare and indoor tasks. For men married to traditional women, the gender ideology of a husband has negligible effect on his share of female tasks. So, husbands' behavior does not always correspond to their respective ideologies when married to traditional wives. Even though married to egalitarian husbands, traditional wives are not ready to either give up territory to their spouses or lower their standards of cleanliness. So, wives' view as homemakers persists even though many wives are the primary or co-breadwinners. Meanwhile, husbands do more masculine tasks which are represented by outdoor tasks. 66.70%, 69.20%, and 60% of husbands, representing husbands' percentages in the three kinds of households where wives have traditional attitudes, do more outdoor tasks. These high percentages are clear indicators that outdoor tasks are still seen to be men's work. In comparison with the past, it is evident that men's involvement in traditional male tasks, such as gardening, paying bills, and household maintenance, is reduced as women are beginning to share this kind of tasks with them. Women's involvement in paid employment makes them no longer prisoners in their homes and so participate in outside chores. Consequently, households where wives hold traditional beliefs about gender and marital roles experience a larger gender gap in household responsibilities.

The results based on the bivariate table 7 on page 15 are confirmed by the chi-square tests. Table 8 above shows that there is a relationship between the inequality in the division of household work and couples' income gap together with their gender ideologies. The p-values (p=0,000, p=0,000, p=0,035) indicate that there are statistically significant associations between couples' households types and the types of household tasks—childcare, indoor and outdoor tasks.

4. Conclusions

The results indicate that income gap has no effect in households where wives have traditional gender ideologies. It does not matter whether wives are high- or low-earning wives when they hold traditional views. Wives holding traditional beliefs about gender and marital roles do the bulk of household work, regardless of income. There is a sex-segregated division of tasks among couples where wives subscribe to traditional gender ideologies, no matter how much money wives earn. Traditional wives with either higher or lower earnings devote more time to housework. This shows that husbands are not always to blame when wives do a greater proportion of household responsibilities. Wives can be unwilling to give up their traditional roles. Egalitarian men married to traditional women do the lowest percentage of housework. Wives' higher income is strongly associated with the purchase of domestic services. Traditional wives with higher earnings reduce their household labor hours by outsourcing household production. So, wives' sex role attitudes are the most important predictors of household patterns.

On the other hand, income differences seem to have influence on involvement in family work only in households where wives have egalitarian attitudes. Wives' time in

household work is associated with income only if they hold egalitarian views. Wives with egalitarian beliefs do a greater share of housework in households in which they earn a smaller proportion of the household income relative to their husbands. Here it is noteworthy that households in which husbands earn more than their wives still predominate. Wives are less likely than husbands to earn more money. Wealthier husbands do a tiny amount of household work. This proves that even when traditional husbands are married to egalitarian women, they make use of their economic resources to do little domestic labor. On the contrary, household and parental responsibilities are equitably shared between spouses in households where wives hold egalitarian attitudes coupled with higher or comparable incomes in relation to their husbands'. Husbands are more cooperative in households where egalitarian wives have higher or about the same income as theirs. Wives who make more money than their husbands enjoy equal divisions of household tasks. Wives with greater earnings devote more time to leisure activities and less time to routine housework performance. Similarly, the distribution of household tasks is more balanced when earnings between husbands and wives are equal. Wives' equal share of earnings is associated with more egalitarian divisions of housework. The smaller income differences between husbands and wives are, the more housework sharing they are likely to have. So, wives' higher or equal earnings increase the likelihood of their husbands doing an equal or greater share of family work. The higher male salaries make men specialize in paid work and women in unpaid work even in households where wives have egalitarian views.

References

Baxter, J., Hewitt, B., & Haynes, M. (2008). Life course transitions and housework: Marriage, parenthood, and time spent on housework. *Journal of Marriage and Family, 70*(2), 259-272.

Blair, S. L., & Lichter, D.T. (1991). Measuring the division of household labor: Gender Segregation of Housework Among American Couples. *Journal of Family Issues, 12*, 91-113.

Brines J. (1993). The exchange value of housework. *Rationality and Society, 5*, 302–40.

Brines, J. (1994). Economic dependency, gender, and the division of labor at home. *American Journal of Sociology, 100*, 652–688.

Coltrane, S. (2000). Research on household labor: Modeling and measuring the social embeddedness of routine family work. *Journal of Marriage and Family, 62*, 1247- 1268.

Crespi, I. (2003). *Gender socialization within the family: A study on adolescents and their parents in Great Britain*. Retrieved from https://www.iser.essex.ac.uk/files/ conferences/bhps/2003/ docs/pdf/papers/crespi.pdf

Davis, S. N., Greenstein, T.N., & Gerteisen Marks, J. P. (2007). Effects of union type division of household labor do cohabiting men really perform more housework? *Journal of Family Issues, 28*(9), 1246-1272.

Erickson, R. J. (2005). Why emotion work matters: sex, gender, and the division of household labor. *Journal of Marriage & Family, 67*(2), 337-351.

Evertsson, M., & Nermo, M. (2004). Dependence within families and the division of labor: Comparing Sweden and the United States. *Journal of Marriage and Family, 66*(5), 1272-1286.

Gilbert, L. A. (1985). *Men in dual-Career families: Current realities and future prospects*. Hilsdale, NJ: Lawrence Erlbaum Associates.

Greenstein, T. (1996). Husbands' participation in domestic labor: Interactive effects of wives' and husbands' gender ideologies. *Journal of Marriage and the Family, 58*, 585-595.

Greenstein, T. N. (2000). Economic dependence, gender, and the division of labor in the home: A replication and extension. *Journal of Marriage and Family, 62*(2), 322-335.

Gupta, S. (1999). The Effects of transitions in marital status on men's performance of housework. *Journal of Marriage and the Family, 61*, 700-711.

Kamo Y. (1988). Determinants of household division of labor: resources, power, and ideology. *Journal of Family Issues, 9*, 177–200.

Kan, M. Y. (2008). Does gender trump money? Housework hours of husbands and wives in Britain. *Work, Employment and Society, 22*(1), 45-66.

Maret, E., and Finlay, B. (1984). The distribution of household labor among women in dual- earner families. *Journal of Marriage and the Family, 46*, 357-364.

Poortman, A., & Tanja, V. (2009). Attitudes toward housework and childcare and the gendered division of labor. *Journal of Marriage and Family, 71*(3), 526-541.

Ridgeway. C. L. (2009). Framed before we know it: How gender shapes social relations. *Gender and Society, 23,* 145-160.

Sollie, D.L. (2000). Beyond Mars and Venus. *National Forum, 80*(3), 42-45

South, S., & Spitze, G. (1994). Housework in marital and non-marital households. *American Sociological Review, 59,* 327–347.

Thebaud, S. (2007). *Masculinity, bargaining and breadwinning: A study of men's household labor in 22 Countries.* Paper presented at the annual meeting of the American Sociological Association, New York City, TBA.

Treas, J., & Drobnic, S. (Eds.). (2010). *Dividing the domestic: men, women, and household work in cross-national perspective*. Stanford, CA: Stanford University Press.

Worell, J. (Ed.). (2001). *Encyclopedia of women and gender: Sex similarities and differences and the impact of society on gender (Vol.1)*. San Diego, CA: Academic Press.

Exploring major models of communicative competence

Abderrazak EL KEMMA

Ibn Tofail University

Faculty of Languages, Letters and Arts, KENITRA, MOROCCO

Abstract:

The aim of this paper is to explore the relationship that may exist between developing the learner's intercultural component and their successful interaction with target speakers. Unquestionably, teaching English as a foreign language is meant to enable learners to have effective intercultural communicative encounters. Yet, focusing on teaching learners the four skills, grammar, vocabulary, and pronunciation is not enough. Of course, proficiency in English is a goal that teachers of English target; however, if learners speak perfectly grammatically correct English but have no knowledge of the processes of interaction, then communication will be a failure. Dealing with language learning this way will surely lead to the development of "fluent fools" (Bennett, 1993, p. 16) who will never be able to interact with the target speaker.

The underlying human communicative competence has been the focus of linguists who have defined it differently according to the angle from which they approach their studies. All of them refer to this competence as an ability or capacity rather than knowledge. They have agreed upon the importance of the socio-cultural context as a real test for the learner who should successfully interact with the target speaker without any communication breakdowns (Hymes, 1972; Canale and Swain, 1980; van Ek, 1986; Bachman, 1990; Celce-Murcia et al.,1995; Byram, 1997).

Reviewing the literature proves evidence that Byram's (1997) intercultural communicative competence (ICC) model is the best so far. To Byram (1997), foreign language learning is no longer confined to cross-cultural comparisons but goes beyond that to cover skills and attitudes as well. This comprehensive model has paved the way for intercultural education which is a key not only to understanding the other but also to targeting universal values, such as peace, tolerance, understanding, respect and the like.

Keywords: performance, competence, communicative competence, intercultural communicative competence, knowledge, attitudes, skills, interaction, learner, target speaker, universal values.

1. Introduction

Research shows that foreign language learning is no longer thought of as just a code replacement. Discussions about understanding how languages are learned have recently gone towards scrutinizing both the language and its socio-cultural context. As Nunan (1992, p. 23) states, language acquisition is paradoxical as "it is at once a deeply personal and yet highly social process." It is, therefore, of the utmost importance that studying human competence is conditioned by the socio-cultural context in which communication among people takes place. Such competence is tested

only when language learners mingle with people and manage to function correctly and appropriately. Gone is the idea that only language rules matter:

Communicative competence is … much more a matter of knowing a stock of partially pre-assembled patterns, formulaic frameworks, and a kit of rules, so to speak, and being able to apply the rules to make whatever adjustments are necessary according to contextual standards. (Widdowson,1989, p. 153)

It seems evident that the communicative competence of the language user says a lot about the human competencies in action. Thus, a word about the chronology of such a competence deserves mention.

2. Chomsky's (1965) model

'Competence' as a concept was first introduced by Chomsky (1965). He differentiated between competence as "the speaker-hearer's knowledge of his language" and performance as "the actual use of language in concrete situations" (ibid., p. 4). He refers to competence as an underlying linguistic ability enabling the native speaker to understand and produce an infinite number of grammatically well-formed utterances never heard before. Based on such competence, the native speaker, therefore, can intuitively judge the grammaticality or correctness of sentences and recognize those ambiguous ones. Chomsky uses 'linguistic competence' to refer to the native speaker's linguistic knowledge. However, Hymes (1972) severely criticized Chomsky's 'linguistic competence' for being too idealistic.

3. Hymes' (1972) model

Hymes' (1972) communicative competence (CC) was an attack on Chomsky's (1965) model of the ideal speaker-hearer. He (ibid.) challenged Chomsky's distinction between 'competence' and 'performance', arguing that it is too narrow to explain linguistic variation. Hymes' (1972) CC, therefore, refers to the native speaker's ability to understand and produce sentences that are appropriate to the context in which they take place:

A normal child acquires knowledge of sentences, not only as grammatical, but also as appropriate. He or she acquires competence as to when to speak, when not, and as to what to talk about with whom, when, where, in what manner. (Hymes, 1972, p. 277)

Hymes' (1972) new notion of CC was a revolution in the field of linguistics. To Hymes, "a child from whom any and all the grammatical sentences of a language might come with equal likelihood would be a social monster" (Hymes, 1974, p. 75.). Hymes (1974) argues that, while speaking, people do more than construct grammatically correct sentences as "ungrammatical utterances could be socially appropriate, just as grammatical utterances could socially be inappropriate" (as quoted in Grein, 2017, p. 349). According to Hymes (op. cit.), "within the social matrix in which it acquires a system of grammar, a child acquires also a system of its use." In other words, the social matrix of language Hymes talks about is simply his model of communicative competence in which the child acquires its system not only of

grammar but of use as well. While the child is endowed with the ability to acquire linguistic competence in Chomsky's logic, Hymes' communicative competence model is learned and so "can be more or less complete or flexible" (as quoted in Johnstone and Marcellino, 2011, p. 58). Hymes' call for considering language sociability as an important variable has, therefore, brought about the emergence of other definitions of communicative competence.

4. Canale and Swain's (1980) model

Canale and Swain's (1980) model of communicative competence is composed of three types of competencies. To begin with, grammatical competence refers to the knowledge of the language, including vocabulary as well as rules governing grammar, morphology, phonology, syntax and semantics. Sociolinguistic competence, the second component, is defined as a compound competence, including both sociocultural and discourse rules. This type of competence is so crucial that it enables language users, on the one hand, to communicate correctly and appropriately in different contexts, and on the other hand, to go beyond the sentence level and "think of these rules in terms of the cohesion (i.e. grammatical links) and coherence (i.e. appropriate combination of communicative functions) of groups of utterances" (ibid., p. 30). The third component, strategic competence, concerns the knowledge language users have about verbal and non-verbal communication strategies which are responsible for repairing communication breakdowns that take place most of the time because of their linguistic incompetence (ibid.). It is remarkable, thus, that Canale and Swain (1980) are the two pioneers who have dealt with communicative competence as being grammatical, sociolinguistic, and strategic.

5. Van Ek's (1986) model

Van Ek (1986) has developed a six-component model of communicative competence. Linguistic competence, according to van Ek, refers to the ability the language user develops to both understand and produce correct sentences which respect the language rules (ibid., p. 33). Concerning socio-linguistic competence, it has been defined as "the awareness of ways in which the choice of language forms - the manner of expression - is determined by such conditions as setting the relationship between communication partners, communicative intention, etc." (ibid., p. 35). By discourse competence, van Ek means "the ability to use appropriate strategies in the construction and interpretation of texts" (ibid., p. 41). The fourth component, strategic competence, raises verbal and non-verbal communication strategies the learner uses to avoid communicative breakdowns. As far as socio-cultural competence is concerned, it "is particularly suitable for the achievement of general educational aims through the pursuit of subject-specific aims" (ibid., p. 51). Lastly, van Ek (1986) includes social competence in his model to refer to the learner's determination and skills used to interact with the target speaker. Consequently, van Ek (1986) has tackled each competence separately, thereby coming up with six components. It is worth noting that van Ek uses the concept of 'communicative ability' rather than 'communicative competence' to mean the same.

6. Bachman's (1990) model

Bachman's (1990) model is considered to be one of the most important models of communicative competence in the literature. Bachman's (1990) communicative language ability (CLA) is composed of "both knowledge, or competence, and the capacity for implementing, or executing that competence in appropriate, contextualized communicative language use (p. 84). In his CLA framework, Bachman (1990) has proposed three components: language competence, strategic competence, and psychophysiological mechanisms. The first component, language competence, describes the ability to understand and create novel sentences. Strategic competence refers to the mental ability of the learner to put the language competence component into practice, i.e., the capacity to make use of the language components in contextualized situations. Such competence helps in relating the learner's language competencies to the demands of the communicative encounter. By psychophysiological mechanisms, Bachman refers to a kind of neurological and psychological processes responsible for the learner's performance of language in general. As a result, Bachman (1990) is the first to raise psychophysiological mechanisms used in actual communication.

7. Celce-Murcia, Dörnyei and Thurrell's (1995) model

Celce-Murcia, Dörnyei and Thurrell (1995) have suggested one of the best models so far. Their framework's added value is relevant to second language instruction. It is worth noting that these scholars have appreciated the work of Canale and Swain (1980) and claimed that their model is a continuation of Canale and Swain's (1980) work. Celce-Murcia et al. (1995, p. 10) framework of communicative competence forms a kind of pyramid including five competences. They are as follows:

Figure 1. Schematic representation of communicative competence

As seen above, discourse competence "concerns the selection, sequencing and arrangement of words, structures, sentences and utterances to achieve a unified spoken or written text" (Celce-Murcia et al.,1995, p. 13). The second component of the pyramid, linguistic competence, contains rudimentary knowledge of the basic elements

of communication, viz., types of sentences as well as lexical, morphological, phonological, syntactic and orthographic systems (ibid., pp. 16-17). Actional competence, the third one, deals with "conveying and understanding communicative intent" (ibid., p. 17). The fourth component of the pyramid, sociocultural competence, is defined as a competence focusing on the knowledge of the speaker and how they appropriately express themselves in the social and communicative context of communication. The last component, in Celce-Murcia and her colleagues' model, is strategic competence. Such competence refers to the knowledge of the speaker's communication strategies and how they make use of them (ibid., p. 26). It sounds true that Celce-Murcia et al. (1995) have filled a gap in Canale and Swain's (1980) model. Their proposed model of communicative competence has directly targeted language instruction. Reviewing the literature written on communicative competence, they are the first to raise, within the sociocultural competence, the 'cross-cultural awareness' component, which stresses working on both the similarities and differences between the mother language and the target one and strategies for successful cross-cultural communicative acts (ibid., p. 24).

Of course, there are other models of communicative competence, such as Habermas (1970), Savignon (1972), Bachman and Palmer (1996), but the works of Hymes (1972), Canale and Swain 1980), van Ek (1986), Bachman (1990) and Celce-Murcia, Dörnyei and Thurrell's (1995) are undoubtedly the most prominent in the literature. Such models have provided strong evidence that the foreign language learning process is not only a code to be learned, but a set of social and cultural competences that have to be targeted. It is a matter of successful interaction the learner should conduct in an effective way in order to reach their communicative goals effortlessly. Yet, the model designed by Byram (1997) is the best of all.

8. Byram's (1997) model

There is no denying that speaking English perfectly is not enough to say that one is a good user of the language. It is because "linguistic fluency in English does not ensure effective intercultural communication" (Baxter, 1983, p. 290). Intercultural communicative competence (ICC) has, therefore, become essential in foreign language teaching as traditional language instruction proves to be merely preparing learners for failure (Moeller and Nugent, 2014).

It is worth noting that ICC was first introduced by Baxter (1983). Later, ICC appeared with Byram (1997), Lo Bianco, Liddicoat and Crozet (1999), Corbett (2003), Risager (2007), Barrett et al., (2014), to name but a few. Regardless of the many scholars who have contributed to the development of ICC, Byram owns the lion's share. He has conducted lots of research in the area of ICC concerning language education and, therefore, has fully developed the concept and its applications.

Intercultural communicative competence revolves around enabling learners to understand and be understood by target speakers belonging to different social

identities. According to Byram (1997, p. 70), intercultural communicative competence as a model is characterised by certain features:

- It proposes an attainable ideal, the intercultural speaker, and rejects the notion of the native speaker as a model for foreign language learners;
- It is a model for the acquisition of ICC in an educational context, and includes educational objectives;
- Because it has an educational dimension, it includes specifications of locations of learning and of the roles of the teacher and learner.

It is of the utmost importance to note that so many researchers do not distinguish between intercultural competence (IC) and intercultural communicative competence (ICC). Yet, Byram (1997, pp. 70-71) does differentiate between both competences. While IC refers to someone who has "the ability to interact in their own language with people from another country and culture, drawing upon their knowledge about intercultural communication, their attitudes of interest in otherness and their skills in interpreting, relating and discovering", ICC is about the ability the learner has to interact with others who belong to a different culture and country, using a foreign language. Such learners have also the ability to mediate between people belonging to different cultures. In other words, ICC necessitates the use of the foreign language in the interaction contrary to IC which does not. With IC, the individual is supposed to use their native language while interacting with the other. In fact, both concepts, IC and ICC, are interrelated to the extent that they are used interchangeably in the literature mainly because the difference between the two lies within the teaching/learning process of a given foreign language. "The model of intercultural competence becomes a model of intercultural communicative competence when it is part of foreign language teaching and learning" (Byram, 2008, p. 164). Therefore, no difference between the two competences is going to be made in this thesis.

Literature proves that ICC has become the main goal in foreign language education. Such competence paves the way for getting introduced to the target culture as a package, including the target speaker's knowledge, attitudes, behaviours, and skills. In other words, the process of knowing the other's culture, through comparison and contrast, is a stepping-stone to a deeper understanding of one's own culture in the first place. It is worth noting here that "the acquisition of intercultural competence is never complete and perfect, but to be a successful intercultural speaker and mediator does not require complete and perfect competence" (Byram et al., 2002, p. 11).

Byram's (1997, p. 34) model of ICC has been proven to be the best so far. Despite being "a complex matter" (Byram, 1997, p. 30), ICC is so comprehensive that it targets five "savoirs" to develop the cultural dimension in language teaching. It is schematised as follows:

	Skills interpret and relate (savoir comprendre)	

Knowledge of self and other; of interaction: individual and societal (savoirs)	**Education** political education critical cultural awareness (savoir s'engager)	**Attitudes** relativising self valuing other (savoir être)
	Skills discover and/or interact (savoir apprendre/faire)	

Figure 2. Factors in intercultural communication

As seen above, Byram's five savoirs are in fact "five formulations of the kinds of knowledge and skills needed to mediate between cultures" (as quoted in Corbett, 2003, p. 31). First things first, the component of 'attitudes' targets the ability to 'decentre' the learner's own beliefs, values and behaviours; in other words, the learner develops the skill to take in new learnings that are not, most of the time, similar to theirs:

This means a willingness to relativise one's own values, beliefs and behaviours, not to assume that they are the only possible and naturally correct ones, and to be able to see how they might look from an outsider's perspective who has a different set of values, beliefs and behaviours. (Byram et al., 2002, p. 12)

When it comes to the 'knowledge' component, it is, in fact, composed of two subcomponents: the new knowledge about the other whose language you are learning as well as the knowledge about how that other perceives you (Byram et al., ibid.). Concerning the third savoir, skills of interpreting and relating, it is crucial to develop certain skills enabling the learner to discover new knowledge and then integrate it with their already existing one in a harmonious way. Interpreting the target documents or events in this sense is guided by the desire to find out "common ground" between the two cultures. Moreover, the skill of interpretation targets "handling dysfunctions and contradictions in order to resolve them where possible, but also in order to identify unresolvable issues" (Byram, 1997, p. 37). Because skills of interpreting and relating depend on the learner's prior knowledge, skills of discovery and interaction, the fourth savoir, "come into play where the individual has no, or only a partial existing knowledge" (ibid.). Learners with limited knowledge find themselves in a difficult situation, where skills of discovery and interaction are of great help; "they need especially to know how to ask people from other cultures about their beliefs, values and behaviours, which because they are often unconscious, those people cannot easily explain" (Byram et al., 2002, p. 13). Making the difference between the skills of discovery and the skills of interaction merits mention. Byram (1997, p. 38) argues that "one mode of discovery" skills necessitate "social interaction, even though this adds constraints of time and mutual perceptions and attitudes." Concerning interaction skills, they refer to the learner's "ability to manage these constraints in particular circumstances with specific interlocutors" (ibid.). It is also worth mentioning that Byram (ibid.) distinguishes between the knowledge the learner acquires as either 'interpretative' or 'instrumental'. While the former is acquired without direct contact with the target speaker, the latter requires that learners "might be geographically

mobile and need to discover the ways to gain access to new society" (ibid.). Likewise, the savoir of discovering new knowledge and interacting accordingly necessitates the help of the fifth dimension, i.e., critical cultural awareness. To explain, learners are in dire need of this component as a direct result of going through the process of reacting to or rejecting the new learnings that are either similar or different to theirs. This "unavoidable response" of "reaction and rejection", as noted before, results in the learners' dependence on the savoir s'engager so as to be "aware of their own values and how these influence their views of other people's values" (Byram et al., 2002, p. 13). In brief, these five types of savoirs are interdependent and interrelated, one leading to the other. However, the savoir of attitudes is interdependently related to all the other savoirs; "without relativising one's own and valuing others' experience, interpreting and relating them is likely to be value-laden" (Byram, 1997, p. 34). Simply, the individual's attitudes may be influenced by their personal opinions – that is, they are likely to be stereotypical. That is why relativising one's own attitudes and valuing others' would help in not falling into stereotypes and prejudice. In short, Byram's (1997) model of communicative competence deserves to be adopted in the teaching of foreign languages worldwide.

9. Conclusion

Gone is the belief that gaining communicative competence in the target language is a matter of knowing the code, i.e., the target language vocabulary, grammar, spelling, pronunciation, and so on (Chomsky, 1965). The socio-cultural context is so important in the process, otherwise, the "person who … is master only of fully grammatical sentences is at best a bit odd" (Hymes, 1972, p. 277). Of course, other researchers, including Canale and Swain (1980), van Ek (1986), Bachman (1990), Celce-Murcia et al. (1995), and so many others have suggested their models of the communicative competence the foreign learner should reach, but that of Byram (1997) happens to be the most comprehensive. In fact, Byram's (1997) ICC is regarded as one of the fundamental aims of foreign language teaching and learning. This kind of competence entails certain attitudes, knowledge and skills as well as proficiency in using the target language. ICC is, thus, more than getting some knowledge about the target language and learning certain skills to help in interacting with the other successfully. By and large, Byram's contribution is considered to be the backbone of interculturality or intercultural communicative competence.

References:

Bachman, L. (1990). Fundamental considerations in language testing. Oxford: Oxford University Press.

Bachman, L., & Palmer, A. (1996). Language testing in practice: Designing and developing useful language tests. Oxford: Oxford University Press.

Barrett, M., Byram, M., Lázár, I., Mompoint-Gaillard, P., & Philippou, S. (2014). Developing intercultural competence through education. Strasbourg: Council of Europe.

Baxter, J. (1983). English for intercultural competence: An approach to intercultural communication training. In D. Landis, & R. Brislin (Eds.), Handbook of intercultural training: Issues in training methodology (Vol. 2, pp. 290-324). New York: Pergamon.

Bennett, M. (1993). How not to be a fluent fool: Understanding the cultural dimension of language. *The Language Teacher, 17*(9), 16-21.

Byram, M. (1997). Teaching and assessing intercultural communicative competence. Clevedon: Multilingual Matters.

Byram, M. (2008). From foreign language education to education for intercultural citizenship: Essays and reflections. Clevedon: Multilingual Matters.

Byram, M., Gribkova, B., & Starkey, H. (Eds.). (2002). Developing the intercultural dimension in language teaching: A practical introduction for teachers. Strasbourg: Council of Europe.

Canale, M., & Swain, M. (1980). Theoretical bases of communicative approaches to second language teaching and testing. Applied Linguistics, 1(1), 1-47. Retrieved from https://doi.org/10.1093/applin/I.1.1

Celce-Murcia, M., Dörnyei, Z., & Thurrell, S. (1995). Communicative competence: A pedagogically motivated model with content specifications. Issues in Applied Linguistics, 6(2), 5-35.

Chomsky, N. (1965). Aspects of the theory of syntax. Cambridge, Massachusetts: MIT Press.

Corbett, J. (2003). An intercultural approach to English language teaching. Clevedon, England: Multilingual Matters.

Grein, M. (2017). How culture affects language and dialogue. In E. Weigand (Ed.), The Routledge handbook of language and dialogue (pp. 347-366). New York: Taylor & Francis.

Habermas, J. (1970). Towards a theory of communicative competence. Inquiry: An Interdisciplinary Journal of Philosophy, 13(1-4), 360-375. Retrieved from https://doi.org/10.1080/00201747008601597

Hymes, D. (1972). On communicative competence. In J. Pride, & J. Holmes (Eds.), Sociolinguistics: Selected readings (pp. 269-293). Harmondsworth, England: Penguin Books.

Hymes, D. (1974). Foundations in sociolinguistics: An ethnographic approach. Philadelphia: University of Pennsylvania Press.

Johnstone, B., & Marcellino, W. (2011). Dell Hymes and the ethnography of communication. In R. Wodak, B. Johnstone, & P. Kerswill (Eds.), The sage handbook of Sociolinguistics (pp. 57-66). London: Sage Publications.

Lo Bianco, J., Liddicoat, A. J., & Crozet, C. (Eds.). (1999). Striving for the third place: Intercultural competence through language education. Melbourne: Language Australia.

Moeller, A., & Nugent, K. (2014). Building intercultural competence in the language classroom. Digital Commons at University of Nebraska-Lincoln: Department of Teaching, Learning and Teacher Education.

Nunan, D. (1992). Sociocultural aspects of second language acquisition. Cross Currents: An instructional Journal of Language Teaching and Intercultural Communication, 19(1), 13-24.

Risager, K. (2007). Language and culture pedagogy: From a national to a transnational paradigm. Clevedon: Multilingual Matters.

Savignon, S. (1972). Communicative competence: An experiment in foreign language teaching. Philadelphia: Center for Curriculum Development.

Van Ek, J. A. (1986). Objectives for foreign language learning (Vol. 1: Scope). Strasburg: Council of Europe Press.

Widdowson, H. (1989). Knowledge of language and ability for use. Applied Linguistics, 10(2), 128-137. Retrieved from https://doi.org/10.1093/applin/10.2.128